هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

دار القلم
بيروت ـ لبنان


شبكة الفكر
alfeker.net

الطبعة الاولى
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الطبعة الثانية
١٣٩٨ هـ. - ١٩٧٨ م.

هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني

دار القلم
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار القلم
بناية درويش ـ الطابق الثالث
ص.ب ٣٨٧٤
تليفون ٢٣٠٤١٨

القسم الثـــاني

في القسم الاول من سيرة الأئمة (ع) لمحات عن سيرتـــي السيدتين جدتي الائمة الأطهار الصحابية الاولى خديجة الكبرى وابنتها الصديقـــة الزهراء (ع) تقديرا لخدماتهما ووفاء لحقهما على كل مسلم ومؤمن بالله واليوم الآخر، وعرض ودراسة لبعض الجوانب من سيرة الامامين العظيمين علي بن ابي طالب وولده الحسن السبط (ع) وما رافق حياتهما مـــن أحداث ، وفي هذا القسم عرض سريع لبعض الجوانب من سيرة الأئمة الباقين يبتدىء بسيرة الامام الثالث الحسين بن علي ابـي الشهداء (ع) حتى الامام الثاني عشر الحجة المنتظر (ع) مع تحليل وتقييم لبعـــض الاحداث والتطورات التي كانت تعترض مسيرتهـم وتستهدف حياتهـم بواسطة الحاكمين في عهدين كان الظلم والجـــور ومطاردة المصلحين والعاملين لخير الانسان من ابرز الجوانب في تاريخهما .

الحسين بن علي (ع)

حسين مني وانا من حسين اللهم احب من يحب حسينا

لقد كان ابو عبد الله سيد شباب اهل الجنة ، ريحانة جده المصطفى وأحد الخمسة اصحاب الصبا الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وباهى بهم النبي (ص) نصارى نجران كما نص على ذلك اكثر المؤرخين والمحدثين والمفسرين لكتاب الله ، وكان الامام بنص الرسول وأبيه وأخيه عليه .

ولد (ع) في المدينة لخمس خلون من شعبان في السنة الرابعة للهجرة ، وجاء عن اسماء بنت عميس : ان الزهراء اولدته بعد حول من مولد اخيه الحسن فجاءها النبي (ص) وقال : يا اسماء هاتي ابني فدفعته اليه وهو ملفوف بخرقة بيضاء فاستبشر به وأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ثم وضعه في حجره وبكى ، فقلت : فداك ابي وأمي يا رسول الله مِمَّ بكاؤك ، قال ابكي لما يصيبه بعدي وستقتله الفئة الباغية لا انالهم الله شفاعتي ، ومضى يقول لعلي (ع) : هل سميته يا ابا الحسن ؟ فقال : ما كنت لاسبقك في اسمه ، وكنت احب ان اسميه حربا، فقال : سمه حسينا ، وفي اليوم السابع عق عنه كبشا وتصدق بوزن شعره فضة كما فعل مع اخيه الحسن من قبل .

وجاء في كثير من المرويات انه لم يرضع من ثديي امه ولا من غيرها،

وكان النبي (ص) يضع ابهامه في فمه فيمتص منها ما يكفيه ليومين او ثلاثة .

وروى ابن شهراشوب في مناقبه : ان فاطمة الزهراء (ع) اعتلت بعد ان اولدت الحسين وجف لبنها فطلب له رسول الله من ترضعه فلم يجد له مرضعة فكان يأتيه ويلقمه ابهامه فيمصها فكان غذاؤه منها اربعين يوما حتى نبت لحمه من لحم رسول الله (ص) .

وروى الرواة عن الامام الصادق (ع) انه قال : لم يرضع جدي الحسين من ثدي فاطمة ولا من انثى غيرها ، بل كان يؤتى به النبى فيضع ابهامه في فيه فيمتص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة .

ومهما كان الحال فالذي لا ريب فيه ان النبي (ص) كان يلقمه ابهامه احيانا ، وأحيانا لسانه ، اما انه لم يرضع من ثدي امه ولا من امرأة غيرها ابدا ، فالروايات التي تعرضت لهذه المرحلة من طفولته لا تنهض لاثبات ذلك .

وكان (ع) كما تصفه المرويات اشبه الناس جسما برسول الله ، وان الحسن (ع) كان اشبه الناس به وجها ، شديد القوة ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير لم ير الناس احسن منه ، وقد احبه الرسول وغمره بعطفه وحنانه ، وكان يؤلمه بكاؤه فيوصي الزهراء بالحدب عليه والرفق به والتوجه اليه ثم يأتيه فيحمله حينا بين يديه وأحيانا على كتفه ويخرج به الى الناس ، فاذا جلس وضعه في حضنه ، واذا تفلت منه ومشى لا تفارقه عيناه ، ورآه مرة وهو يتعثر في قميص له وكان يخطب الناس ، فنزل عن منبره حتى اخذه وعاد الى خطبته من حيث قطعها وهو يقول : الاولاد فتنة .

وقال الاستاذ احمد عاشور في كتابه سيد شباب اهل الجنة : ولو انك تصفحت الصحاح من كتب السنة لرأيت عشرات الاحاديث الناطقة

بفضل الحسين الشاهدة بقدره وحب الرسول له ، بل انك لترى في هذه الكتب عشرات من الايماءات والاشارات التي تدل على ان الله سبحانه قد احاط نبيه محمدا (ص) بالكثير مما واجهه الحسين (ع) في حياته من مصاعب وما لاقاه من احن ومحن وفتن ، حتى لقد اوشك ان يخبر صلوات الله وسلامه عليه بمأساة كربلاء وما ازهق فيها من انفس وأريق فيها من دماء ، بل اخبر اصحابه بذلك في بعض المناسبات كما يوحي الى ذلك موقف زهير بن القين حينما دخل عليه الحسين (ع) وهو في طريقه الى كربلاء وزهير بن القين عائد من الحج وكان عثمانيا فلما اجتمع الى الحسين حول رحله الى رحاله وقال لاصحابه : لقد غزونا مع سلمان الفارسي ففتح الله علينا وغنمنا ، فقال لنا سلمان : اذا ادركتم قتال سيد شباب اهل الجنة فكونوا اشد فرحا بقتالكم معه مما اصبتم من هذه الغنائم . ومعلوم ان سلمان الفارسي ما كان له ان يعلم ما سيجري في المستقبل لولا اخبار النبي (ص) له بذلك .

وروى الرواة ايضا ان عليا(ع) مر بكربلاء فوقف عندها طويلا وبكى ثم حدث عما سيجري في تلك البقعة على ذريته ، وما كان لعلي وغيره ان يعلم ما يجري عليه وعلى ذريته الا بواسطة النبي الذي يتلقى علم ذلك عن طريق الوحي ، كما حدثت ام سلمة رضوان الله عليها عما سيجري عليه في كربلاء وروى الرواة عنها ان جبرائيل لما اخبر النبي بما يجري على ولده الحسين تناول قبضة من ترابها وأعطاها رسول الله اليها وأخبرها بأنها عند قتل الحسين ستفور دما وكان الامر كذلك ، ولقد حدثت الحسين بذلك عندما ودعها وهو في طريقه الى العراق فأكد لها ما سمعته من جده ، وأعطاها ايضا من تراب كربلاء، فكانت تتعاهد التربة منذ ان اتجه ابو عبد الله الى العراق ، وفي اليوم العاشر من المحرم فقدتها كعادتها فوجدتها تفور دما عبيطا ، وكانت اول من علم بقتله من

اهل الحجاز كما جاء في كثير من الروايات وان كان اكثرها ليس في المستوى المطلوب .

ومهما كان الحال فلقد بقي الحسين مع جده النبي سبع سنين او اقل من ذلك بقليل حسب اختلاف الروايات في تاريخ ولادته ، وكان قد سماه حسينا كما سمى اخاه حسنا من قبله ، وظل في رعايته الى ان انتقل لربه، فكانت نفسه الكريمة على صغره ترسم كل ما يصدر عن النبي من قول وفعل ، فلم يعرف احدا قبل جده ولا أحس بعطف انسان قبل عطفه وكان يغذيه من لسانه ما يكفيه اليومين والثلاثة على حد تعبير الرواة حتى اشتد وثبت لحمه واتسعت نفسه الكبيرة لمعاني الرسالة وأهدافها وغمرته بروحانيتها ، وقال فيه جده اكثر من مرة : حسين مني وأنا من حسين .

وروى الرواة عن البراء بن عازب انه قال : رأيت النبي (ص) يحمل الحسين على عاتقه ويقول : اللهم اني احبه فأحبه وأحب من يحبه ، وانتقل بعد جده الى احضان ابيه امير المؤمنين ، وهو في السابعة من عمره ، وشارك اباه وأمه في محنتهما بفقد الرسول واقصاء ابيه عن حقه في الخلافة ، وشاهد امه خلال الاشهر القليلة التي عاشتها بعد جده لا يقر لها قرار لفراق ابيها تندبه في الليل والنهار ، ولا يفوتها وهي في هذا الجو القاتم ان تطالب القوم بما اغتصبوه منها ومن ابن عمها وتقارعهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة ، وهم جادون في هضمها واغتصاب حقها ، حتى بلغ بهم الحال ان هاجموا بيتها وهموا باحراقه بمن فيه كما حدث الرواة بذلك .

لقد شاهد ابو عبد الله الحسين كل ذلك في مطلع صباه فكان يتلوى من الالم ويقاسي مرارة تلك الاحداث وهو الى جانب ابيه وأخيه حتى كانت وفاة امه فتضاعفت آلامه واشتد وقعها على نفسه ، وبقي الى جانب ابيه يتأسى بصبره وجلده حتى اجتاز تلك المرحلة من حياته بنفس

مطمئنة لقضاء الله وقدره كما اجتازها ابوه وأخوه ، وبقي الى جانب ابيه اكثر من ثلاثين عاما مخلصا لرسالة جده متنكرا للباطل وأهله شديدا على الظالمين لا يهادن ولا يحابي احدا على حساب دينه ، ولا تغريه دنياهم بما فيها من مفاتن ومغريات ، ينشطه الجور ويوقظه الظلم ويثيره انين الضعفاء وعويل المنكوبين ، فيرفع صوته الذي كان يدوي في اطراف الحجاز والعراق فيقض مضاجع الظلمة والطغاة :

الا واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

ولقد أجمع المؤرخون والرواة على انه كان مثالا للفضائل ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال مفيدا من علمه الواسع الذي ورثه عن جده وأبيه مرشدا بأعماله قبل اقواله سخيا بماله على الفقراء وذوي الحاجات متواضعا في نفسه يناصر الحق ويحارب المنكر ويتحلى بالصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع ، من أعبد الناس وأزهدهم في الدنيا وملذاتها .

وكان اذا تحدث عن الدنيا ودور الانسان فيها يقول :

عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر ، فانها لو بقيت لأحد او بقي عليها احد لكانت للانبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا غير ان الله خلق الدنيا للبلاء وخلق اهلها للفناء فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون .

ومجمل القول : ان الحديث عن الحسين (ع) غني بالمواد وبكل معاني النبل والتضحية والفداء لانه يأتي في القمة بين المصلحين وعظماء التاريخ والثائرين على الظلم والطغيان وقد ابت نفسه الكريمة الطاهرة الا ان تكون القدوة الحسنة والمثل الاعلى لكل مصلح ولكل ثائر على الظلم والظالمين ، ولكل ابي كريم يؤثر الموت تحت ظلال السيوف على الحياة بين اطمار الذلة وفي ظل الجبابرة ، وختم حياته والسيوف تنهش من جسمه وهو يقول : لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد ، ولا يزال وسيبقى رمزا للبطولات والتضحيات وحديثا

كريما طيبا للاجيال تستمد من معانيه وأبعاده الخيرة اقدس المثل وأكثرها عطاء في تاريخ البشرية الطويل .

ولا بد لنا ونحن بصدد الحديث عن سيرته من عرض سريع لمراحلها راجين منه سبحانه ان يوفقنا لان نستلهم منها الحق والثبات على الحق والبذل والعطاء في سبيل الله كما بذل وأعطى سيد الشهداء (ع) .

الحسين في عهد الخلفاء الاربعة

لقد عرضنا لمحة عن ولادته وحياته مع جده الرسول الامين ، ولم يحدثنا التاريخ بشيء عنه خلال خلافة ابي بكر القصيرة ، ولعل مرد ذلك الى صغر سنه يوم ذاك لانه بقي في الخلافة نحوا من سنتين والحسين (ع) يوم وفاة ابي بكر كان في التاسعة من عمره ، اما في خلافة ابن الخطاب فيجد الباحث بعد التتبع تنفا من سيرته هنا وهناك .

فقد جاء عنه في مطلع خلافة عمر بن الخطاب انه قال : اتيته وهو يخطب على المنبر والمسلمون حوله فتخطيت الناس وصعدت اليه وقلت له : انزل عن منبر ابي واذهب الى منبر ابيك ، فابتسم لي وقال : ليس لابي منبر وانه لمنبر ابيك اي والله ثم اخذني بيده وأجلسني الى جانبه، فلما نزل عن المنبر انطلق بي الى منزله وقال لي : من علمك ذلك ؟ فقلت: والله ما علمني احد ، فقال : بأبي انت وأمي لو جعلت تغشانا ، فأتيته يوما وهو مجتمع مع معاوية في خلوة وولده عبد الله واقف على الباب فرجع ورجعت معه ، فلقيني بعد ذلك وقال لي : لم ارك منذ فارقتني ، فقلت له : اني جئتك وأنت في خلوة مع معاوية ووجدت ولدك عبد الله

على الباب فرجعت معه ، فقال : انت احق من ولدي فانما انبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم انتم .

وجاء في تذكرة الخواص وغيرها عن ابن عباس : ان عمر بن الخطاب كان يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد وزع الاموال يوما فأعطى لكل من الحسن والحسين عشرة آلاف درهم وأعطى ولده عبد الله الفا ، فعاتبه ولده وقال : لقد علمت سبقي الىّ الاسلام وهجرتي الى رسول الله وأنت تفضل علي هذين الغلامين ، فقال له : ويحك يا عبد الله ، آتني بجد كجدهما وأب كأبيهما وأم كأمهما وخال كخالهما وعم كعمهما وعمة كعمتهما وجدهما رسول الله وأبوهما علي بن ابي طالب وأمهما فاطمة الزهراء وجدتهما خديجة بنت خويلد وخالهما ابراهيم ابن رسول الله وعمهما جعفر الطيار وعمتهما أم هاني بنت ابي طالب .

وروى ابن عساكر في تاريخه ان عمر بن الخطاب فرض للحسن والحسين مثلما فرض لابيهما وألحقهما بأهل بدر في العطاء ، وأرسل اليه عامله على اليمن حللا فوزعها ولم يعط الحسن والحسين منها فلبسها الناس وراحوا يخطرون بها وخرج الحسن والحسين من بيت امهما فاطمة وكان في جوف المسجد فقطب عمر بن الخطاب وقال لمن حوله : والله ما انصفت اذ كسوتكم من حلل اليمن وتركت هذين الغلامين ، ثم كتب لعامله على اليمن ان : ابعث لي بحلتين لحسن وحسين وعجل بهما فبعث اليه بحلتين فكساهما وقال : الان طابت نفسي .

وفي رواية ثانية ان الحلل التي جاءته اولا لم يكن فيها ما يصلح لهما فأرسل الى عامله في اليمن ان يرسل له حلتين على حسابهما .

ولم يرد في المصادر التاريخية ما يشير الى اشتراكه في حروب المسلمين مع الدولتين الرومانية والفارسية ، ولعل ذلك يعود الى انه خلال خلافة ابن الخطاب لم يتجاوز مطلع الشباب ، وفي خلافة عثمان ابن عفان كان قد تكامل شبابه فاشترك هو وأخوه الحسن (ع) في الحياة

العامة وفي بعض الغزوات الى افريقيا وبلاد الفرس .

فقد جاء في رواية ابن خلدون من تاريخه كتاب العبر المجلد الثاني ص ١٢٨ و١٢٩ ان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل عليها اخاه من الرضاعة عبد الله بن سرح، وكان قد امر عبد الله بغزو افريقية ، وأمر على الجند عقبة بن نافع بن عبد القيس وعبد الله ابن نافع بن الحرث فخرجوا الى افريقية فصالحهم اهلها على مبلغ من المال يؤدونه اليهم ولم يستطيعوا التوغل فيها لكثرة اهلها ، ثم استأذن ابن سرح عثمان في التوغل فيها وطلب منه ان يمده بالجيش فاستشار عثمان بن عفان الصحابة فأشاروا عليه بارسال الجيش اليها ، فأمده بالعساكر وفيهم جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين (ع) ، وممن أكد اشتراكهما في تلك الغزوة احمد بن خالد الناصري السلاوي في كتابه الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى في المجلد الاول ص ٣٩ .

وروى الطبري في ص ٥٧ و٥٨ من المجلد الخامس وابن خلدون في ص ١٣٤ و١٣٥ من المجلد الثاني من كتابه العبر ، ان الحسين (ع) قد اشترك في حروب المسلمين مع الفرس في طبرستان وجهاتها، وجاء فيهما: انه في سنة ثلاثين من الهجرة غزا سعيد بن العاص طبرستان ، وكان ملكها (الاجهيد) قد صالح سويد بن مقرن في عهد عمر بن الخطاب على مال يؤديه للمسلمين في كل عام ، ولما غزاها سعيد بن العاص عندما ولاه عثمان الكوفة ضم اليه جماعة من الصحابة وفيهم الحسنان (ع) وعبد الله ابن عباس وجماعة من اولاد المهاجرين والانصار ، وامتد الغزاة الى جرجان ونهاوند وغيرهما فخضعت جميع تلك المناطق للقوات الغازية . وقد اهمل هذه الناحية جماعة من المؤرخين ولم يتعرضوا لاشتراك الحسن والحسين في الغزوات والحروب الاسلامية التي كانت مكللة بالنجاح يوم ذاك ، وحتى في غزو افريقيا وطبرستان وجهاتها كما اهملوا

غيرها من الحقائق التاريخية ، لذلك فان اهمالهم لها لا يكفي وحده لان يكون سببا للتشكيك بها ، لاسيما عند المتتبع لتاريخ اهل البيت الحافل بالتضحيات في سبيل الاسلام .

ويدعي اكثر المؤرخين بأن الحسين (ع) قد اشترك هو وأخوه الحسن (ع) في الدفاع عن عثمان ، وقد امرهما امير المؤمنين (ع) ان يقفا على باب داره ليصدا هجمات الثوار عليه .

وأضاف الى ذلك بعض المؤرخين : ان الثوار قد تهيبوا الدخول عليه من الباب الذي رابط عليه الحسنان ، فتسلقوا الجدران ودخلوا عليه وكانت بذلك نهايته ، وكنت قد تعرضت لهذه الناحية من مواقفهما في القسم الاول من هذا الكتاب ، خلال حديثي عن الثورة التي اطاحت بعثمان وسلطانه ، وأبديت بعض الملاحظات على هذا النوع من المرويات فلم يعد ما يوجب الحديث عنها . وقد اشترك مع ابيه خلال خلافته في جميع الشؤون السياسية والعسكرية والادارية وكان يرعاه ويتمنى عليه وعلى اخيه الحسن ان لا يغامرا في المعارك ، في حين انه كان يحرض ولده محمد بن الحنفية على اقتحامها .

وقد قيل له لِم يغرر بك ابوك ولا يغرر بالحسن والحسين ، فقال : انهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه ، ومرة اخرى قيل لامير المؤمنين : لماذا تسمح لمحمد بن الحنفية في خوض المعارك وتمنع الحسن والحسين ، فقال لانهما عيناي ومحمد يداي وأنا أدفع عن عيني بيدي .

ولما عاد الى الكوفة بعد رفع المصاحف والتحكيم وسمع قول من قال: لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر او يهلك ، قال : والله ما غاب عن رأيي ذلك وان كنت سجينا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ، ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ، ونظرت الى هذين وقد استقدماني ، يعني عبد الله ابن جعفر ومحمد بن علي، فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول

الله من هذه الامة ، وأشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لالقينهم وليسوا معي في عسكر ابدا .

وجاء في المجلد الثاني من اسد الغابة ص ١٩٣ و١٩٤ عن شفيق بن سلمة ان الحسين (ع) برز في معارك ابيه مع القاسطين او المارقين والناكثين ، ونادى : هل من مبارز ؟ فأقبل رجل من آل ذي لعوة اسمه الزبرقان بن احلم وكان بطلا شديد البأس ، فقال للحسين : من انت ، قال انا الحسين بن علي ، فقال له الزبرقان : انصرف يا بني ، فاني والله لقد نظرت الى رسول الله مقبلا من ناحية قباء على ناقة حمراء وانك يومئذ قدامه فما كنت لالقى رسول الله بدمك وانصرف عنه [1] .

---

١ ــ ان صحت هذه الرواية فمن الجائز ان يكون انصرافه عنه خوفا على نفسه لا عليه لان الحسين كان معروفا بالبطولة والقوة .

وصية امير المؤمنين الى الحسين (ع)

لقد روى الرواة انه لما ضرب ابن ملجم امير المؤمنين بالسيف وأدخل بيته كان يغمى عليه ساعة بعد ساعة ، وفي الليلة التي توفي فيها جمع ولده ونص على امامة الحسن والحسين وأوصى اولاده باطاعتهما ، وقال لهما: اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما، وكونا للمظلوم عونا وللظالم خصما ، والتفت الى من كان عنده من بنيه وبني هاشم ، وقال : يا بني عبد المطلب لالفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين ، لا تقتلن بي الا قاتلي ، وانظروا اذا اتاحت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله يقول : اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

وكان مما اوصى به الحسين كما في الاعجاز والايجاز لابي منصور الثعالبي : يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة محضور ، وكل بلاء دون النار عافية ، اعلم يا بني : ان من ابصر عيب نفسه شغل عن غيره ، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل فيه ، ومن حفر لاخيه حفرة وقع

بها ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته على الناس ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الامور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن اعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله ذل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر .

يا بني اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ، كفى ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك ، وان لاخيك عليك مثل الذي لك عليه ، الى غير ذلك من النصائح والارشادات التي اوصاه بها كما جاء في اعجاب الثعالبي وغيره من مجاميع الحديث والتاريخ .

الحسين مع اخيه الحسن

لقد اوصى امير المؤمنين لولده الحسن وعهد اليه في الامامة وسلمه مواريث النبوة ، كما اوصى الحسين (ع) وبقية اولاده باطاعته ، وقد وقف الحسين الى جانب اخيه الحسن وشاهد جميع الاحداث التي مر بها اخوه وكانا على اتفاق تام في الرأي وجميع التدابير التي اتخذها الحسن (ع) بعد ان رأى موقف اهل العراق المتخاذل وأحاط بكل ما دبره معاوية من المكائد والدسائس وأصبحت الاكثرية من جيش العراق في تصرف معاوية بن ابي سفيان وطغمته ، ولم يكن ليخفى على الامام ابي عبد الله الحسين (ع) ان المعركة لو قدر للحسن ان يدخلها مع معاوية في حرب ستكون لصالح معاوية ، وستنتهي حتما اما بقتل الحسن والحسين وجميع الهاشميين وخلص شيعتهم او بأسرهم ، كما يبدو ذلك لكل من تتبع الاحداث التي رافقت تلك الفترة القصيرة من خلافة الحسن (ع) ، وقد تحدثنا عن ذلك خلال حديثنا عن سيرة الامام ابي محمد الحسن بما لا يدع مجالا لكل من يحاول التشكيك في موقف الحسن والصاق التهم به .

ومن ذلك تبين ان ما رواه ابن الاثير في اسد الغابة وابن كثير في

البداية والنهاية ، وابن عساكر في تاريخه الكبير من ان الحسين (ع) كان كارها لما فعله الحسن ، وانه قال له : انشدك الله ان لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة ابيك ، وان الحسن قال له : اسكت انا اعلم بهذا الامر منك كما يدعي في اسد الغابة ، وانه قال له : لقد هممت ان اسجنك في بيت وأطينه عليك حتى اقضي بشأني هذا وأفرغ منه ثم اخرجك منه كما يزعم ابن كثير في البداية والنهاية ، وأنه قال له : والله ما اردت امر الا خالفتني إلى غيره كما يزعم ابن عساكر في تاريخه ، مما ذكرناه سابقا من تحديد الملابسات والاحداث التي احاطت بموقف الحسن (ع) يتبين ان هذه المرويات لا اساس لها من الصحة ، هذا بالاضافة الى ان الحسين (ع) كان ابعد نظرا وأعمق تفكيرا في الامور ومعطياتها حتى من أفذاذ عصره الذين قدروا للحسن (ع) موقفه الحكيم الذي لم يكن له مجال لاختيار سواه ، وكان ارفع شأنا من ان تخفى عليه المصلحة التي ادركها غيره فيما فعله اخوه حتى يقف منه ذلك الموقف المزعوم . وحسب تقديري ان الذين وضعوا اسطورة الخلاف بينهما بهذا الشكل ارادوا بذلك ان يسجلوا على احدهما ولو خطأ من هذا النوع بعد ان تعسر عليهم ان يقفوا لاحدهما على عثرة او زلة قدم في تاريخهما الناصع المحفوف بالمصاعب والاحداث ، لان النتيجة الحتمية لموقف الحسين السلبي من اخيه لو صح هو خطأ احدهما ، اذ لا يعقل ان يكون الصواب حليفهما وكل منهما يرى ويتبنى خلاف ما يراه الآخر ويتبناه .

ومن الجائز ان تكون غاية اولئك الذين وضعوا اسطورة الخلاف بينهما ونسبوا الى الحسين ذلك الموقف من اخيه ان يسجلوا عليه وحده الخطأ ، بحجة ان ما فعله الحسن (ع) كان لمصلحة المسلمين ، وقد نفذ فيه امنية جده الرسول الاعظم (ص) حيث قال كما زعم ابو بكرة : ان هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولازم ذلك

حسب تقديرهم ان الحسين لم يكن مصيبا في موقفه من اخيه كما لم يكن مصيبا في ثورته لانه تجاهل مصلحة المسلمين كما يزعمون .

ومهما كان الحال فالذي اراه وتؤكده عشرات الشواهد انهما كانا منسجمين في تفكيرهما ونظرتهما للامور ومعطياتها ومتفقين في كل ما جرى وتم التوصل اليه ، وكما نسبوا اليه ذلك فقد نسبوا للحسن انه كان على خلاف مع ابيه في كثير من مواقفه السياسية قبيل خلافته وخلالها ، وأضاف بعضهم انه كان عثمانيا يقابله احيانا بما لا يليق من سائر الناس مع آبائهم ، وقد ذكرنا ما قيل حول ذلك في محله خلال حديثنا عن الامام الحسن (ع) وأثبتنا ان هذه المقالة من صنع الامويين، وأنه كان منسجما مع سياسة ابيه كل الانسجام ، لم يخالفه في شيء من اموره في جميع المراحل والادوار التي مر بها .

غزوة القسطنطينية

لقد نص جماعة من المؤرخين ان المسلمين في عهد معاوية بن ابـي سفيان قد غزوا القسطنطينية مرتين سنة ٤٩ و٥١ بقيادة يزيد بن معاوية، وفي الثانية يدعون بأنه كان مع الغزاة ابو ايوب الانصاري والحسين بن علي (ع) ، وقال ابن كثير في تاريخه : ان الحسين كان يفد على معاوية بعد وفاة اخيه ، فصادف ان وفد عليه سنة ٥١ وتوجه مع الجيش الـى القسطنطينية غازيا بقيادة يزيد بن معاوية ؛ وأكد ذلك علي بن الحسين ابن عساكر في المجلد الرابع من تاريخه .

ويبدو بعد التتبع انه لم يدع احد من المؤرخين اشتراك الحسين في تلك الغزوة سوى ابن عساكر وابن كثير في تاريخهما كما ذكرنا ، ولم يذكر ابن جرير الطبري في تاريخه سوى غزوة واحدة كانت سنة ٤٩ ، ونص على اشتراك ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبي ايوب الانصاري فيها ولم يذكر الحسين معهم ، وكل من كتب عن معارك المسلمين في تلك الفترة لم يتعرضوا للحسين (ع) ، واتفقوا على ان ابا ايوب الانصاري قد توفي خلال تلك الغزوة وانه دفن حيث توفي بناء لطلبه ووصيته ، ولما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية كان اول ما فعله ان بنـى قبر

وشيده وأتقن بناءه ، وجرت عادة سلاطين بني عثمان بعد ذلك ان كل من يتولى الحكم لا بد وان يتقلد السيف ويتوج في مشهد ابي ايـــوب تيمنا به .

ويدعي بعض المؤرخين من العرب وغيرهم : ان المسلمين صنعـوا طائرة ليستخدموها في حروبهم مع الرومان في تلك الغزوة ، وبعد ان طار بها قائدها في الجو سقطت به وتحطمت ، ويرى جماعة آخرون من الكتّاب ان عامل بيزنطية استخدم طائرة من القسطنطينية فوق الجيوش العربية التي حاصرتها ، وبعد ان تسربت الى العرب اسرارها صنعوا مثلها وطاروا بها ولكنها سقطت في البسفور بعد ان قطعت مسافة وكادت ان تحقق اهدافها .

ومهما كان الحال فالنصوص التاريخية لم تؤكد اشتراك الحسين (ع) في تلك الغزوة ، وهذا هو الراجح لا لان قائدها يزيد ومسيِّرها معاوية كما يذهب الى ذلك بعض من لا يدرك حقيقة اهل البيت (ع) من الشيعة وغيرهم ، ذلك لان اهل البيت (ع) كانوا يتفانون في سبيل الاســـلام سواء كان القائد صالحا او فاسدا كما يؤكد ذلك تاريخهم الغنـــي بالتضحيات في سبيله ، بل لان الحسين (ع) لم يكثر الاتصال بمعاوية، ولم يثبت تردده على الشام خلال حكم معاويـــة ، ولو صح اشتراك الحسين كجندي في جيش يقوده يزيد بن معاوية [illegible] اجهزة الامويين بكل وسائلها ، ولما خفي على احد من المؤرخين ، في حين ان اكثرهم لم يذكره مع المشتركين في تلك الغزوة ، بل لم يذكره في عداد المشتركين فيها سوى ابن كثير وابن عساكر كما ذكرنا ومجرد ذلك لا يكفي لاثبات امر من هذا النوع كما وان اهمال اكثر المؤرخين لذلك لا يصلـح لان يكون دليلا على العدم ما لم يقترن ببعض القرائن والملابسات .

الحسين مع عمال معاوية

لقد روى بعض المؤرخين انه حصل بين الحسين (ع) والوليد بن عتبة بن ابي سفيان وكان يوم ذاك امير المدينة لعمه معاوية بن ابي سفيان، نزاع على ارض كانت بينهما ، وقد احتال الوليد على الحسين واستعان عليه بسلطانه ، فقال له الحسين : وبالله لتنصفني من حقي ، او لآخذن سيفي ثم اقوم في مسجد رسول الله (ص) وأدعو بحلف الفضول ، وكان عبد الله بن الزبير حاضرا ، فقال : وأنا احلف بالله ان دعا به لآخذن سيفي وأقف معه حتى ينتصف من حقه او نموت معا ، وبلغت مقالتهما المسور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك، ثم بلغت عبد الرحمن بن عثمان التيمي فقال مثل ذلك ، فلما بلغ هذا الموقف الوليد بن عتبة انصف الحسين ورد اليه ماله .

وجاء في شرح النهج لابن ابي الحديد انه كان بين معاوية والحسين (ع) نزاع على ارض في الحجاز فقال الحسين (ع) لمعاوية : اما ان تشتري مني واما ان تردها علي او تجعل بيني وبينك احد الاثنين عبد الله بن عمر او عبد الله بن الزبير ، والا فالرابعة وهي الصيلم ، فقال معاوية وما الصيلم ؟ قال : اهتف بحلف الفضول ، ثم قام من مجلسه

مغضبا فمر بعبد الله بن الزبير وأخبره بحواره مع معاوية ومقالته له ، فقال ابن الزبير: والله لان هتفت به وأنا مضطجع لاقعدن او قاعد لاقومن او قائم لامشين ، او ماش لاسعين حتى تنفذ روحي مع روحك او لينصفنك ، ولما بلغت مقالتهما معاوية قال : لا حاجة لنا بالصيلم وأرسل الى الحسين (ع) ان ابعث فخذ مالك فقد ابتعناه منك .

وحلف الفضول هذا هو الحلف الذي تداعت بعض القبائل من قريش لمكافحة الظلم والعدوان وقد اجتمعوا من اجله في دار عبد الله بن جدعان وتعاهدوا على ان لا يجدوا مظلوما في مكة الا ويردوا عليه ظلامته ، او صاحب حق الا ويقفوا الى جانبه .

وجاء عن النبي (ص) انه قال : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله لاجبت ، وانما قال ذلك ، لان هذا الحلف يتفق في اهدافه مع الاسلام الذي يدعو لاحقاق الحق ونصرة المظلومين والمستضعفين ، ويقال في سبب تسميته بهذا الاسم ان رجالا من وجوه مكة تحالفوا على رد المظالم يقال لهم فضيل وفضال وفضل ومفضل فسمي لذلك بحلف الفضول .

جود الحسين وعبادته

لقد جاء في الفصل السابع من مناقب آل الرسول لمحمد بن ابـــي طلحة الشافعي : قد اشتهر عن الحسين انه كان يكرم الضيف ويمنـــح الطالب ويصل الرحم ويعطي الفقير ويسعف السائـــل ويكسو العاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشفق على اليتيم ويعين اصحاب الحاجات وقلما وصله مال الا فرقه .

وقد روى الرواة ما جرى له ولاخيه الحسن وعبد الله بن جعفر مع العجوز التي ذبحت لهم الشاة وهم في طريقهم لمكة وما جرى لهم معها حينما رأوها في المدينة بعد ذلك وهي في اسوأ الحالات من البـــؤس والفقر ، وقد اعطاها الحسن (ع) الف شاة وألف دينار ، وأعطاها كل من الحسين وعبد الله بن جعفر مثل ذلك ، فرجعت مع زوجها الى بلادهـــا بثلاثة آلاف شاة وثلاثة آلاف دينار .

وجاء في كتاب عقد اللآلي في مناقب الآل ان الحسين كان جالسا في مسجد النبي (ص) بعد وفاة اخيه الحسن في ناحية ، وعبد الله بن الزبير وعتبة بن ابي سفيان في ناحية اخرى فجاء اعرابي على ناقة ، فعقلها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة وسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال

له الاعرابي : لقد قتلت ابن عم لي وطالبني اهله بديته فهل لك ان تعطيني شيئا منها ، فرفع عتبة رأسه الى غلامه وقال له : ادفع له مائة درهم ، فرفضها الاعرابي واتجه الى عبد الله بن الزبير ، وقال له مثل مقالته لعتبة فأمر له بمائتي درهم فرفضها الاعرابي وقال ان مثل هذا المبلغ لا يصنع لي شيئا ، ثم اتجه الى الحسين (ع) فسلم عليه وعرض له حاجته فقال له: يا اعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف الا بمقدار المعرفة ، فقال له : سل ما تريد ، فقال الحسين : يا اعرابي ما النجاة من الهلكة ؟ قال التوكل على الله ، فقال له : اي الاعمال افضل ؟ فقال الثقة بالله ، فقال له الامام: اي شيء خير للعبد في حياته ؟ قال علم معه حلم ، قال فان خانه ذلك ؟ قال مال يزينه سخاء وسعة ، قال فان اخطأه ذلك ؟ قال الموت والفناء خير له من الحياة والبقاء ، ومضى الامام يسأله وهو يجيب حتى اعجب به الامام (ع) وقال لوكيله ادفع له عشرين الفا ، وقال له : عشرة منها لقضاء ديونك وعشرة تلم بها شعثك وتنفقها على عيالك فأنشأ الاعرابي يقول :

طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول ... فلذ لي الشعر والمنطق
هم الاكرمون هم الأنجبون ... نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام الى المكرمات ... وأنت الجواد فلا تلحق
ابوك الذي ساد بالمكرمات ... فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق

وجاء في تاريخ ابن عساكر ان سائلا خرج يتخطى ازقة المدينة حتى اتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب الان من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
انت ذو الجود وأنت معدنه ... ابوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين يصلي فخفف من صلاته وخرج الى الاعرابي فرأى

عليه اثر الضر والفاقة فرجع ونادى وكيله فأقبل اليه مسرعا ، فقال له : ما بقي معك من نفقتنا، قال مائتا درهم امرتني بصرفها على اهل بيتك ، فقال هاتها فقد اتى من هو احق بها منهم فأخذها ودفعها الى الاعرابي وأنشد يقول :

خذهـا واني اليـك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقـه
لو كان في سيرنا عصا تمد اذن ... كانت سمانا عليـك مندفقـه
لكن ريب المنـون ذو نكـد ... والكـف منا قليلة النفقـه

فأخذها الاعرابي وهو يقول :

مطهـرون نقيـات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
وأنتم اتتم الاعلون عندكـم ... علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبـه ... فما له في جميع الناس مفتخر

وجاءه رجل من الانصار يريد ان يسأله حاجة ، فقال له : يا اخـا الانصار : صن وجهك عن ذل المسألة وارفع الي حاجتك في رقعة فانـي آت فيها ما يسرك ان شاء اليه . فكتب اليه ان لفلان علي خمسمائة دينار وقد ألح بي فكلمه ان ينتظرني الى ميسرة ، فلما قرأ الرقعة ابو عبد الله دخل الى منزلهِ وأخرج صرة فيها الف دينار وقال له : هذه الف دينار منها خمسمائة لقضاء دينك والباقي تستعين بها على دهرك ، ولا ترفع حاجتك الا الى ثلاثة الى ذي دين او مروءة او حسب ، فأما ذو الدين فيصـون دينه ، وأما ذو المروءة فانه يستحي لمروءته ، وأما ذو الحسب فيعلم انك لم تكرم وجهك ان تبذله في حاجتك فهو يصون وجهك ان يردك بغير قضاء حاجتك .

وروى الرواة انه دخل على اسامة بن زيد في مرضه وهو يقول : واغماه ، فقال له الحسين : وما غمك يا اخي ؟ قال: ديني وهو ستون الف درهم ، فقال له الحسين (ع) : هو علي ، فقال له اسامة اخشى ان اموت

قبل وفائه ، فوفاها عنه من ساعته .

وجاء في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي عن انس بن مالك انه قال : كنت عند الحسين (ع) فدخلت عليه جارية له وبيدها باقة ريحان فحيته بها فقال لها : انت حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له جارية تحيئك بباقة ريحان وتحييك بها فتعتقها ، فقال هكذا ادبنا الله حيث قال : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها وأحسن منها عتقها .

وجنى بعض مواليه جناية توجب القصاص والتأديب فأمر بتأديبه ، فقال يا مولاي ، ان الله يقول : والكاظمين الغيظ ، فقال الامام (ع) : خلوا عنه فقد كظمت غيظي ، فقال والعافين عن الناس ، فقال (ع) : لقد عفوت عنك ، فقال والله يحب المحسنين ، فقال الامام : انت حر لوجه الله وأعطاه ما يكفيه في حياته .

وروى ابن عساكر في تاريخه انه كان يحمل اليه المال من البصرة وغيرها فلا يقوم من مكانه حتى يفرقه على الفقراء بكامله .

وقال ابن قتيبة في عيون الاخبار : ان معاوية وفد على المدينة في بعض سفراته الى الحجاز فبعث الى الحسنين وعبد الله بن جعفر وابن الزبير وابن عمر وعبد الله بن صفوان بهدايا مؤلفة من كسوة وطيب ومبالغ كبيرة من الاموال ، وقال لرسله اليهم : ليحفظ كل منكم ما يرى ويسمع ، فلما خرج رسله الى القوم ، قال لمن حضره : ان شئتم انبأتكم بما يكون من القوم ، فقالوا : اخبرنا بما ترى ، فقال : اما الحسن ، فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب ويهب الباقي لمن حضره ولا ينتظر غائبا ، وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع ابيه في صفين ، فان بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن ، وأما عبد الله بن جعفر فيقول : بابديح اقض به ديني ، وما يبقى فأنفذ به عداتي ، وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ، فان بقي شيء ادخره لنفسه ومون به عياله ، وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح فلا يلتفت اليه ، ثم يعاوده

الرسول فيقول لبعض غلمانه خذوا من رسول معاوية ما بعث به وصله الله وجزاه خيرا ولا يلتفت اليها وهي اعظم في عينيه من أحد ، ثم ينصرف الى اهله فيعرضها على عينيه ويقول : ارفعوها لعلي ان اعود بها على ابن هند يوما ما ، وأما عبد الله بن صفوان ، فيقول : قليل من كثير وما كل رجل من قريش وصل اليه هكذا ردوها عليه فان رد قبلنا ، فرجع رسله من عندهم بنحو ما قاله معاوية ، فقال لما سمع منهم : انا ابن هند اعلم قريش بقريش .

الى غير ذلك مما رواه الرواة عن جوده وكرمه ، ولكن اكثر تلك المرويات من نوع المراسيل التي لا تثبت في مقام النقد والتمحيص ، وبلا شك فان بعضها من صنع القصاصين الذين كانوا يستدرجون بمثل هذه الحكايات عطف الناس ، اما الرواية الاخيرة فمع انها من جملة مراسيل هذا الباب فمتنها يشير الى انها من موضوعات انصار الامويين ليثبتوا بها الذكاء وحدق الفراسة لمعاوية وليصفوا الحسن بأنه لا يفكر بأحد قبل النساء .

وتؤكد جميع المصادر الموثوقة ان الحسن والحسين (ع) كانا يبذلان كل ما لديهما في سبيل الله ويؤثران الفقير والمحروم على نفسيهما ، وكانا يقبلان صلات معاوية لانها من حقهما ، وهما اولى بها منه ومن امثاله ممن تقمصوا الخلافة وتسلطوا على الامة واستغلوا خيراتها ومقدراتها لشراء الانصار والأتباع والخونة كابن العاص وابن شعبة وأمثالهما .

كانا يقبلان صلات معاوية لايصالها الى اصحابها المحرومين والمساكين، وكانت كل حياتهما لله وفي سبيل الله، وقد شاع بين الرواة والمؤرخين ان الحسن (ع) كان يخرج من نصف ما يملك في كل عام للفقراء والمحتاجين ويمسك النصف الآخر لعياله .

وفي بعض الروايات انه كان احيانا يخرج من جميع ما يملك، وهكذا كان ابو عبد الله الحسين (ع) لا يدخر مالا ولا يحسب للمال حسابا ،

وقد تواترت الروايات عنه انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه والرواحل تقاد بين يديه ، وكلما مر هو وأخوه على راكب نزل عن راحلته ومشى معهما ، فاشتد ذلك على كثير من الناس ، فجاء وفد من الحجاج الى سعد بن ابي وقاص وقالوا له ان المشي قد اشتد علينا ولا يسعنا ان نركب وابنا رسول الله يمشيان ، فقال لهما سعد : ان المشي قد ثقل على الناس ، ولا يسع احدا ان يركب وأنتما تمشيان ، فلو ركبتما رحمة بالناس ، فقالا : قد جعلنا على انفسنا ان نمشي في طريقنا هذا ، ولكن تتنكب الطريق فسلكا طريقا آخر على غير الجادة حتى لا يراهما احد من الناس .

وجاء في رواية ابن عساكر عن ابي سعيد الخدري انه قال : رأيت الحسن والحسين (ع) وقد صليا مع الامام صلاة العصر في الكعبة ، ثم اتيا الحجر فاستلماه وطافا في البيت سبعا وصليا ركعتين وقد احاط بهما الناس حتى لا يستطيعان ان يمضيا ومعهما رجل من الركانات فأخذ الحسن بيد الركان ورد الناس عن الحسين حتى استطاع ان يخرج من بينهما ، وكان حيث يوجد يلتف حوله الناس كالحلقة هذا يستفتيه في امر دينه ، وهذا يأخذ من فقهه ، وهذا يستمع الى روايته ، وهذا لحاجته، وقد وصفه معاوية لبعض من سأله عنه فقال : اذا وصلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة ابي عبد الله الحسين (ع) مؤتزرا الى انصاف ساقيه . وكان الحسين (ع) الى جانب ذلك كله يصلي في اليوم والليلة الف ركعة كما جاء في المجلد الثاني من العقد الفريد لابن عبد ربه وغيره ، وقيل لعلي بن الحسين(ع) ما اقل ولد ابيك ؟ فقال : العجب كيف ولدت له لقد كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . ومما كان يناجي به ربه في جوف الليل : الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وأبليتني فلم تجدني صابرا فلا انت سلبت النعمة عني بترك الشكر ، ولا ادمت الشدة علي بترك

الصبر الهي ما يكون مَن الكريم الا الكرم •

وقد اشتهرت بين محدثي الشيعة ومختلف طبقاتهم مواقفه في عرفات ايام الموسم ومناجاته الطويلة وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل والناس من حوله ، تلك المناجاة التي ما قرأها قارىء وأمعن النظر في معانيها وما تهدف اليه الا وخشع قلبه وسالت الدموع من عينيه ، ولقد جاء فيها :

الهي لو حاولت واجتهدت مدى الأعصار والاحقاب لو عمرتها ان أؤدي شكر واحدة من نعمك ما استطعت ذلك الا بمنك الموجب علي شكرا جديدا ، اللهم اجعلني اخشاك كأني اراك ، واجعل غناي في نفسي واليقين في قلبي والاخلاص في عملي والنور في بصري والبصيرة في ديني •

اللهم حاجتي التي ان اعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وان منعتنيها لم ينفعني ما اعطيتني اسألك فكاك رقبتي من النار يا ارحم الراحمين •

اللهم ما اخاف فاكفني وما احذر فقني وفي نفسي وديني فاحرسني، وفي سفري فاحفظني وفي اهلي ومالي فاخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي وفي نفسي فذللني وفي اعين الناس فعظمني ومن شر الجن والانس فسلمني وبذنوبي فلا تفضحني وبسريرتي فلا تخزني ، وبعملي فلا تبتلني، ونعمك فلا تسلبني والى غيرك فلا تكلني الهي الى من تكلني الى قريب يقطعني ام الى بعيد يتهجمني ، ام الى المستضعفين لي وأنت ربي ومليك امري اشكو اليك غربتي وبعد داري وهواني على من ملكته امري •

يا من دعوته مريضا فشفاني وعريانا فكساني وجائعا فأشبعني وعطشان فأرواني وذليلا فأعزني وجاهلا فعرفني ووحيدا فكثرني وغائبا فردني ومقلا فأغناني ومستنصرا فنصرني وأمسكت عن جميع ذلك فابتدأني •

ومما جاء فيه : الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا في

فقري وأنا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي ، الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك ، الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما ايستني ذنوبي انطقني عفوك ، ومضى يقول : وقد اجتمع حوله الناس وقد شغلهم الاستماع له والتأمين على دعائه والبكاء لبكائه عن الدعاء لانفسهم على حد تعبير الراوي : الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ، ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل لك من حبه نصيبا الى غير ذلك من فقراته التي هي من انفع الدروس للانسان في دنياه وآخرته .

ومن وصاياه لبعض اصحابه : لا تتكلف بما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما لا تقدر عليه ، ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الخبراء الا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله ، ولا تتناول الا ما رأيت نفسك اهلا له .

وفي اقواله : من دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر ، وهذه الكلمة على اختصارها تضع الحد الفاصل بين العالم والجاهل ، ذلك ان الجاهل يستصوب رأيه دائما ويرى غيره مخطئا ولا ينظر الى الامور الا من زاوية تفكيره المحدود وفهمه الضيق لحقائق الامور ، والعالم يتهم نفسه دائما ويبحث عن رأي غيره لعله يرى فيه ما لم تتسع له افكاره ومداركه ، والى ذلك يشير الامام الصادق (ع) بقوله المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل واليه يشير الامام امير المؤمنين بقوله :

من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل

ومن اقواله : المؤمن لا يسيء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر ورب ذنب اهون من الاعتذار فيه ، وقال لبعض اصحابه : من

احبك نهاك ومن ابغضك اغراك .

وقال له رجل : انا اعصي الله ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة انتفع فيها يا ابن رسول الله ، فقال له : افعل خمسة اشياء واذنب ما شئت ، فقال له الرجل : هاتها يا ابا عبد الله ، فقال له : لا تأكل من رزق الله واذنب ما شئت ، فقال الرجل : ومن اين آكل اذن وكل ما في الكون لله ومن عطائه ، وقال له الامام : اخرج من ارض الله واذنب ما شئت ، فقال الرجل : وهذه اعظم من الاولى ، فأين اسكن وكل ما في الكون لله وحده ، فقال له الامام : اطلب موضعا لا يراك الله فيه واذنب ما شئت ، فقال الرجل : وهل تخفى على الله خافية ، فقال الامام: اذا جاءك ملك الموت (عزرائيل) ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت، والخامسة اذا اراد مالك ان يدخلك النار فلا تدخلها واذنب ما شئت ، فقال له الرجل : حسبي يا ابن رسول الله ، لن يراني الله بعد اليوم حيث يكره .

وله مناظرات مع احد زعماء الخوارج ومع معاوية وحاشيته ، وكلمات قصار في الحكم والمواعظ كان يلقيها على من يجتمع اليه بين الحين والآخر ورواها المحدثون والمؤرخون في مجاميعهم ولا يسعنا استقصاؤها مخافة التطويل والملل .

كما روى المؤرخون موقفه من ارينب بنت اسحاق التي هام بحبها يزيد بن معاوية زوجة عبد الله بن سلام الوالي على العراق على حد تعبير بعض المؤرخين وكيف احتال عليه معاوية ووعده ان يزوجه من ابنته اذا طلقها ، وبعد ان طلقها وخطب منه ابنته رفضت الزواج منه كما خطط لها معاوية وابن العاص ، وبالتالي لم ينجح معاوية في مكيدته فأرسل الى ارنب بعد انتهاء عدتها من يخطبها لولده يزيد ، وأرسل لها مهرا مغريا وكان الخاطب ابا الدرداء ، وفي رواية ابا هريرة ، وتشاء الصدف ان يلتقي بالحسين ويخبره بغايته فيكلفه الحسين ان يذكره لها،

ولما دخل عليها ذكر لها يزيد وما ينتظره من الملك بعد ابيه ، وذكر لها الحسين ومكانته من الاسلام ومن رسول الله (ص) كما ذكر لها عبد الله ابن عمرو وابن الزبير كما في بعض الروايات ، فقالت له على حد تعبير الراوي : زوجني بمن تختاره لي منهم ، ولو لم تأتني انت لارسلت اليك وأخذت رأيك في هذا الامر ، ومضى الراوي يقول : ان الوسيط الذي ارسله معاوية قال لها : لا اقدم احدا على فم قبله رسول الله فزوجها من الحسين (ع) ودفع لها الاموال التي حملها من معاوية وعاد الى معاوية ليخبره بما جرى له ، فقال له معاوية : يا ابا هريرة لقد صرفت اموالنا على غيرنا، فرد عليه بقوله : انك لم ترثها عن ابيك .

ولما يئس ابن سلام من ابنة معاوية وصرفه معاوية عن عمله ضاق به امره فرجع الى المدينة وكان قد اودع مطلقته اموالا فاستأذن الحسين(ع) ان يدخل عليها فأذن له ولما دخل واستلم منها وديعته تأوه كل منهما وخيم على عبد الله بن سلام صمت ينم عن حزنه لفراقها ورغبته في الرجوع اليها لو كان له من سبيل لذلك فطلقها الحسين (ع) قبل ان يمسها وأرجعها لزوجها وفوت على معاوية مكيدته .

وجاء في رواية النويري في المجلد السادس من نهاية الارب والامامة والسياسة لابن قتيبة ان الحسين كان يوم ذاك لا يزال يسكن الكوفة وكان عبد الله بن سلام واليا لمعاوية على العراق وان الحسين ارجعها اليه لما صرفه معاوية عن ولاية العراق ورجع الى الكوفة .

وجاء في رواية شهاب الدين احمد بن القليوبي في نوادره ان يزيد ابن معاوية رأى امرأة جميلة على حائط فهام بها وكانت زوجة لعدي بن حاتم وتكنى بأم خالد فمرض بسببها ولازم الفراش ولم يعرف الناس علته ، فأشار ابن العاص على معاوية ان تخلو به والدته وتسأله عما يشكوه ، ولما اجتمعت به وأخبرها بما في نفسه احتال ابن العاص على عدي ومناه بالزواج من ابنة معاوية ان هو طلق زوجته ام خالد ، وبعد

ان طلقها وتمت عدتها ارسل معاوية ابا هريرة ليخطبها ليزيد ، وفي المدينة مر على الحسين وابن الزبير وابن عمر فكلفوه بأن يذكرهم لها ، وتم الامر للحسين بعد ان ذكرهم لها ابو هريرة وتركت له ان يختار اصلحهم لها فاختار لها الحسين (ع) ، ورفضت بنت معاوية ان تتزوج من عدي كما ذكرت الرواية الاولى ، فاغتم لذلك وضاق به امره ، ولما رآه الحسين حزينا ارجع اليه زوجته ، وقيل يوم ذاك :

انعمي ام خالد رب ساع لقاعد

هذه الروايات على ما بينها من اختلاف وتضارب ليست بعيدة عما فطر عليه ابن هند من الغدر والمكر والاحتيال ، وما فطر عليه الحسين(ع) من كرم الاخلاق والوفاء ومحاربة الظلم والبغي ، ومن الجائز ان تتكرر الحادثة مع يزيد بن معاوية لانه كان مسترسلا مع شهواته الى ابعد الحدود ، غير ان ذلك لا يفيد اكثر من الظن بوقوع هاتين الحادثتين او احداهما ، ويبقى احتمال كونهما من صنع القصاصين او المحبين قائما وليس ببعيد .

موقف الحسين(ع)من ولاية العهد ليزيد بن معاوية

وقبل الحديث عن موقف الحسين (ع) من ولاية يزيد وما انتهى اليه امره لا بد وأن نعرف من هو يزيد بنظر الاسلام والمسلمين ورأي الاسلام في البيت الاموي بصورة عامة ، والذي لا يشك به احد من الباحثين والمؤرخين ان الامويين كانوا من ألد اعدائه وأنكد خصومه منذ ان بزغ فجره وحتى آخر مرحلة من مراحل حكمهم ، ولم يدخلوا فيه الا بعد ان استنفدوا جميع امكانياتهم في حربه وباؤوا بالفشل ، ولما دخلوا فيه مرغمين اخذوا يخططون لتشويه معالمه واعادة مظاهر الجاهلية بكل اشكالها بأسلوب جديد وتحت ستار الاسلام .

وكانت ترتعش اعصاب معاوية جزعا وهلعا عندما كان يسمع اسم محمد بن عبد الله (ص) ينطلق في اجواء العالم من اعلى المآذن في كل يوم مئات المرات كما حدث هو عن ذلك الى المغيرة بن شعبة في حديث ذكرناه في خلال حديثنا عن الحسن بن علي (ع) في الفصول السابقة ، وهكذا كان غيره من حكام ذلك البيت الذين حكموا باسم الاسلام وكانوا يعملون على تقويضه وابرازه على غير واقعه ، وتشويه قوانينه وتشريعاته ومثله ، ويزيد بن معاوية الذي وقف الحسين (ع) منه ذلك

الموقف الخالد ، كان كما يصفه المؤرخون والمحدثون مستهترا الى حد الاسراف في الاستهتار ، وممعنا في الفحشاء والمنكرات الى حدود الغلو في الامعان .

وقال فيه الامام ابو عبد الله الحسين (ع) حينما استدعاه الوليد ليلا ليأخذ منه البيعة ليزيد : ان يزيد بن معاوية رجل فاسق شارب للخمر وقاتل للنفس المحرمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله .

وقال فيه عبد الله بن حنظلة كما جاء في رواية ابن سعد من طبقاته، وكان عبد الله بن حنظلة قد بايع اهل المدينة حينما ارسل يزيد بن معاوية جيشه لقتالها قال عبد الله وهو يخاطب الغزاة : يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له ، فوالله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ان رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويترك الصلاة والصيام والله لو لم يكن معي احد من الناس لا بليت في الله فيه بلاء حسنا .

وقال المسعودي في المجلد الثاني من مروجه : كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب ، وأضاف الى ذلك: انه جلس ذات يوم على الشراب وعن يمينه ابن زياد بعد مقتل الحسين(ع) وأقبل على ساقيه وقال :

اسقني شربة تروي مشاشي ثم مل واسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم امر المغنين فغنوا في مجلسه ، ومضى يقول : وفي زمانه غلب على اصحابه وعلى الناس ما كان يفعله من المنكرات والفسق والفجور ، وظهر الغناء في مكة والمدينة وشرب الشراب واستعملت فيهما الملاهي بكل انواعها .

وكان له قرد يكنى ابا قيس يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكأ وهو قرد خبيث على حد تعبيره يحمله على اتان وحشية قد ريضت وذللت

لذلك بسرج ولجام يسابق عليها الخيل يوم الجلبة ، فجاء في بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى ابي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر منقوش بأنواع الالوان فقال في وضعه بعض شعراء الشام :

تمسك ابا قيس بفضل عنانهـــا فليس عليهـا ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سيقت به جيـــاد امير المؤمنين اتـــان

وقال ابن الطقطقي في ص ٤٩ من كتابه الفخري : كان يزيد بـــن معاوية يلبس كلاب الصيد اساور الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبدا يخدمه .

ووصفه ابن كثير في بدايته بأنه كان كثير اللحم عظيم الجسم وكثير الشعر مجدورا وقد طلق معاوية امه وهي حامل به ، وكان مع ذلـــك شاعرا مجيدا مكثرا من نظم الشعر في المجون والخلاعة ومن شعره في هذا الباب :

اقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صبابـات الهوى يترنـم
خذوا بنصيب من نعيـم ولـــذة فكـــل وان طال المـدى يتصرم

وروي من شعره في هذا الباب قوله ايضا كما يدعي الطقطقي .

جاءت بوجه كان البـدر برقعه نورا على مائس كالغصن معتدل
احدى يديهـا تعاطيني مشعشعة كخدها عصفرته صبغة الخجـل
ثم استبدت وقالت وهي عالمـة بما تقول وشمس الراح لم تقل
لا ترحلن فما ابقيت من جلـدي ما استطيع به توديع مرتحـــل
ولا من النوم ما القى الخيال به ولا من الدمع ما ابكي على الطلل

وجاء في الامامة والسياسة لابن قتيبة ان عتبة بن مسعود قـــال لعبد الله بن عباس : أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيـــان ويستهتر بالفواحش ؟ فقال له : فأين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن

يشرب الخمر او هو شر من شاربها . وكانت ولايته كما هو المشهور بين المؤرخين ثلاث سنين وستة اشهر ، ففي السنة الاولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام ، وفي السنة الثانية نهب المدينة وقتل اهلها وأباح نساءها ثلاثة ايام لجنده ، وفي الثالثة غزا الكعبة وسلط عليها المنجنيق وهدمها .

وقال محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي في كتابه الفخري : لقد كان يزيد بن معاوية موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكان يجيد نظم الشعر حتى قيل بدىء الشعر بملك وختم بملك ، ولم يتعرض لتاريخه احد الا وصفه بالاستهتار بالدين وتعاطي جميع المنكرات مما يشكل اجماعا من المؤرخين والباحثين على استهتاره بالقيم وامعانه في الفحشاء وجميع المنكرات .

ويرد بعض الكتاب من العرب والمستشرقين هذه الظاهرة البارزة في حياته الى تربيته ونشأته ، لان اباه معاوية طلق امه ميسون بنت بجدل الكلبية وهي حامل به فذهبت الى اهلها في البادية ووضعته فيها ، وبقي معها الى ان اجتاز سن الصبا ، ويدعي المؤرخون ان سبب طلاق معاوية لأمه ، هو انه دخل عليها وهي تنشد الابيات التالية :

ولبس عباءتي وتقر عيني	احب الي من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارياح فيه	احب الي من قصر منيف
وبكر تتبع الأظعان صعب	احب الي من بغل زفوف
وكلب ينبح الاضياف دوني	احب الي من هر الوف
وخرق من بني عمي فقير	احب الي من علج عنيف

فقال لها معاوية : ما رضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتني علجا عنيفا الحقي بأهلك فمضت الى بادية بني كلب ، وكانت قد غلبت عليها النصرانية ووضعته فيها وبقي معها حتى تجاوز دور الطفولة ، ورجح

جماعة من المؤرخين ان بعض نساطرة النصارى تولى تربيته وتعليمه فنشأ على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع على حد تعبير بعض الكتّاب والمحدثين . وأضاف الى ذلك بعض الكتاب انه اراد من كعب بن جعيل ان يهجو الانصار فامتنع عليه ، وأرشده الى الاخطل التغلبي وكان نصرانيا فأجابه الى ذلك ، وكان من آثار تربيته المسيحية انه كان يتزيد من تقريب المسيحيين ويستكثر منهم في بطانته الخاصة ، وبلغ من اطمئنانه اليهم ان عهد بتربية ولده الى مسيحي كما اتفق على ذلك المؤرخون، ولا يمكن ان تعلل هذه الصلة الوثيقة والتعلق الشديد بالاخطل وغيره الا بتربيته ذات الصبغة المسيحية واللون الغابي. وأضاف الى ذلك العلائلي ، في كتابه اشعة من حياة الحسين : اذا كان يقينا او ما يشبه اليقين ان تربية يزيد كانت مسيحية خالصة لم يبق ما يستغرب معه ان يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الاسلامية لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها اي حساب ولا يقيم لها وزنا ، بل الذي يستغرب ان يكون على غير ذلك .

بهذه الظاهرة حاول بعض الكتّاب ان يعلل استهتار يزيد بالاسلام ومقدساته وحرماته وهذا التعليل يمكن ان يكون له ما يبرره لو كانت لحياة البادية وللتربية المسيحية تلك الصبغة الشاذة التي برزت في حياة يزيد من مطلع شبابه الى ان اصبح وليا لعهد ابيه وحاكما من بعده ، في حين ان العرب في حاضرتهم وباديتهم كانت لهم عادات وأعراف كريمة قد اقرها الاسلام كالوفاء وحسن الجوار والكرم والنجدة وصون الاعراض وغير ذلك مما تحدث به التاريخ عنهم ، ولم يعرف عن يزيد شيء من ذلك ، كما وان التاريخ لم يحدث عنهم بأنهم استباحوا نكاح الاخوات والعمات كما حدث التاريخ عنه ، والذين ولدوا في البادية على النصرانية طيلة حياتهم قبل الفتح الاسلامي وعاشوا في ظل أعرافها وعاداتها حينما دخلوا في الاسلام تغلبوا على كل ما اعتادوه وألفوه عن

الآباء والاجداد ، هذا بالاضافة الى ان معاوية قد ولد على الشرك ونشأ عليه واشترك مع قريش في جميع مواقفها العدائية من الاسلام وكان في صباه ورجولته يتلقى من ابوين كانا من اشرس خلق الله وأشدهم عداوة للاسلام وللهاشميين والعلويين ، ولم يدخل هو وأبوه وأمه في الاسلام الا قبل وفاة النبي (ص) بسنتين ، وكانوا يبطنون الشرك ، ومع ذلك فقد كان عنده من الكياسة ما يسر له ان يتظاهر بما عليه الجماعة الاسلامية في اكثر الاحيان ، وحتى في سني امارته على الشام وحكمه للبلاد الاسلامية استطاع ان يخفي اكثر ما كان يكنه من سوء للاسلام وظهر للملأ الاسلامي بمظهر الحريص عليه مع انه نشأ وشب في وسط كان اهله من ألد اعدائه وأشرس خصومه ، على ان اكثر حكام الامويين كانوا من حيث تجاهرهم بالمنكرات واستهتارهم بمظاهر الاسلام واسرافهم في كل ما يتنافى مع تعاليم الاسلام ، كيزيد بن معاوية في حين انهم لم ينشأوا في البادية ولا في احضان المسيحيين .

ومجمل القول ان ما ذهب اليه بعض الكتّاب من تعليل تلك الظاهرة التي طغت على حياة يزيد بتربيته في البادية وفي وسط مسيحي لا تؤيده الارقام ولا يعتمد على اساس معقول ، ولا ارى سببا لذلك الا انه كان من الحمقاء المسيرين لشهواتهم واحقادهم لا يدرك من امور السياسة شيئا وليس أدل على ذلك من اقدامه على قتل الحسين ومن معه من اسرته وأصحابه وسبي نسائه وأطفاله وعرضهم على الجماهير من بلد الى بلد وهم ذرية الرسول وملايين المسلمين تقدسهم وتذكر فيهم رسول الله وكل ما في الاسلام من حق وخير ، واقدامه بعد ذلك على حرب اهل المدينة واباحة نسائهم لجيش الشام لانهم استعظموا قتل الحسين وأنكروه ، واقدامه على حصار مكة وتدمير الكعبه الى كثير من اعماله وتصرفاته التي لا يصح تفسيرها الا بالرعونة الحمق والجهل .

ومهما كان الحال فقد لاذ المسلمون بالحسين في الحجاز وخارجه

واستغاثوا به عندما رأوا ان معاوية بدأ بعد وفاة الحسن يمهد الامور لولده المستهتر الخليع ، وكان (ع) يوصيهم بالتريث والصبر ومعالجة الامور بالحكمة والتدبر وقد عبر عبد الله بن همام السلولي عن موقف المسلمين وتقمتهم على ولاية يزيد بالأبيات التالية :

فان تأتوا برملة او بهند ... نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعد ثلاثة متناسقينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا ... دماء بني أمية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم ... تصيدون الارانب غافلينا

وجاء في سيرة اهل البيت لابي علم : ان مروان بن الحكم كتب الى معاوية وكان عامله على المدينة، اما بعد فان عمرو بن عثمان ذكر ان رجالا من اهل العراق ووجوه اهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي (ع) وانه لا يؤمن وثوبه وقد بحثت عن ذلك فبلغني انه يريد الخلاف يومه هذا فاكتب الي برأيك، فكتب اليه معاوية : بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من امر الحسين فاياك ان تتعرض له بشيء واترك حسينا ما تركك ، فانا لا نريد ان تتعرض له ما وفى بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا فامسك عنه ما لم يبد لك صفحته .

وكتب الى الحسين (ع) : اما بعد فقد انتهت الي امور عنك ان كانت حقا فاني ارغب بك عنها ولعمر الله ان من اعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وان احق الناس بالوفاء من هو مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله بها فاذكر وبعهد الله اوف فانك متى تنكرني انكرك ومتى تكدني اكدك فاتق شق عصا هذه الامة وان يردهم الله على يديك في فتنة فقد عرفت الناس وبلوتهم ، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة جدك ولا يستخفنك السفهاء الذين لا يوقنون .

وكتب اليه الحسين (ع) في جوابه : اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر

فيه انه انتهت اليك عني امور انت لي عنها راغب وأنا لغيرها عندك جدير فان الحسنات لا يهدي اليها ولا يسدد لها الا الله تعالى . وأما ما ذكرت انه رقي اليك عني فانما رقاه اليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجميع وكذب الغاوون ما اردت لك حربا ولا عليك خلافا ، واني لا اخشى الله في ترك ذلك منك ومن الإعذار فيه اليك والى اوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشيطان ألست القاتل حجر بن عدي اخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لم تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافا بعهده .

أولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسيمه واخضر لونه فقتلته بعد ما امنته وأعطيته من العهود والمواثيق ما لو فهمته العصم لنزلت رؤوس الجبال .

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت انه ابن ابيك ، وقد قال رسول الله (ص) : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنّة رسول الله تعمدا وتبعت هواك بغير هدي من الله ، ثم سلطته على اهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وأرجلهم ويسمل اعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك .

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي (ع) ، فكتبت اليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ، ودين علي (ع) هو دين ابن عمه محمد رسول الله (ص) الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك لترجعا عن ضلالكما ، وبهذا الدين

جلست مجلسك الذي انت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف ابائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف . وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد واتق شق عصا المسلمين وان تردهم الى فتنة ، واني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها ، ولا اعظم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد (ص) افضل من ان اجاهدك ، فان فعلت فانه قربة الى الله وان تركت فاني استغفر الله لديني وأسأله توفيقه لارشاد امري .

وقلت فيما قلت : ان انكرتك تنكرني وان كدتك تكدني ، فكدني ما بدا لك فاني ارجو الله ان لا يضرني كيدك وان لا يكون على احد اضرمته على نفسك ، لانك قد ركبت جهلك وتجرأت على نقض عهدك ، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا فقتلتهم مخافة امر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل ان يفعلوا او ماتوا قبل ان يدركوا ، فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب ، واعلم ان لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، وليس الله بناس لاخذك لاوليائه على الظنة والتهمة ونفيهم من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك وهو غلام حدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما اراك الا قد خسرت نفسك وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقي .

ولما قرأ معاوية كتابه قال : لقد كان في نفسه خب ما اشعر به ، فقال له ولده يزيد : اجبه جوابا يصغر اليه نفسه تذكر اباه بشر فعله ، ثم دخل عليه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له معاوية : اما رأيت ما كتب لنا الحسين (ع) فقال : وما هو ، فاقرأه الكتاب ، فقال وما يمنعك ان تجيبه بما يصغر اليه نفسه ، فقال معاوية : لقد اشار علي يزيد بذلك ، وقد اخطأتما ، ارأيتما لو اني ذهبت لعيب علي محقا فما عسى ان اقول

فيه ، وعلي لا يحسن ان يعاب بالباطل وما لا يعرف ، ومتى ما عبت رجلا بما لا يعرفه الناس لم يحفل به ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما عسيت ان اعيب حسينا والله ما ارى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت ان اكتب اليه اتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ان لا أفعل .

ويروي الرواة انه جرى بين الحسين ومعاوية اكثر من حوار كان معاوية على ما يبدو يحاول من وراء ذلك ان يقف على ما يكنه الحسين تجاه البيعة ليزيد وموقعها من نفسه، وفي الوقت ذاته كان يأمل ان يخفف حدته حسب الامكان ، لانه يخاف منه اكثر من اي شخص سواه نظرا لمكانته الرفيعة في جميع الاوساط الاسلامية ، ولم تكن لتخفى على الحسين (ع) اساليب معاوية او ينخدع بنعومة الفاظه وطراوة حديثه ومراوغته وخداعه ، فرد عليه في مناسبة جرى فيها حوار بينهما وأخذ ورد ، بقوله : وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السبق لاترابهن والقينات وذات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصرا ، ودع منك ما تحاول فما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما انت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور وحنقا في ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص .

وقال ابن جرير الطبري في حوادث سنة ستين من تاريخه : ان معاوية في مرضه الاخير الذي توفي فيه دعا يزيد ابنه وقال : يا بني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الاشياء وذللت لك الاعداء وأخضعت لك أعناق العرب ، واني لا اتخوف ان ينازعك هذا الامر الذي استتب لك الا اربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، فأما عبد الله بن

عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق احد غيره بايعك، وأما الحسين ابن علي فان اهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسه وحقاً عظيما وأما ابن ابي بكر فرجل ان رأى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ليس له همة الا في النساء واللهو ، وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فاذا امكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه اربا اربا .

وفي رواية ثانية انه قال : وأما الحسين بن علي فرجل خفيف وأرجو ان يكفيكه بمن قتل اباه وخذل اخاه وان له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من رسول الله وما اظن اهل العراق تاركيه حتى يخرجوه فان قدرت عليه فاصفح عنه .

ولو صح انه اوصاه بالحسين (ع) فذاك لانه يعلم بأن قتل الحسين (ع) سيجر عليه وعلى البيت الاموي بكامله الخراب والدمار . على اني في شك من ذلك ، وما كان هو ليعفو ويصفح اذا تعارض وجود الحسين مع ملكه وسلطانه فكيف يوصي ولده بما لم يفعله هو مع اخصامه فلقد قتل الحسن بن علي من قبله كما قتل حجر بن عدي وأصحابه البررة والعشرات من الصلحاء والابرياء والقديسين ، وقتل بالاضافة الى هؤلاء سعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن خالد الوليد لانهما كانا يعارضان في استخلاف يزيد من بعده ، ومتى كان البيت الاموي يتعرف على العفو والصفح ويحسب للرحم الماسة التي تربطه بالبيت العلوي حسابا ، وأرجح ان هذه الوصية وضعت على لسان معاوية للتخفيف من مسؤوليته عما ارتكبه ولي عهده بالحسين وأهل بيته الاطهار .

والذي رواه ابن الاثير في المجلد الثاني من اسد الغابة يتناسب مع سياسة الامويين التي تقوم على الشدة والفتك واستعمال جميع اساليب

العنف في سبيل الملك والتسلط على الناس .

فقد جاء فيها ان الحسين امتنع عن البيعة ليزيد بن معاوية لما بايع له ابوه بولاية العهد وامتنع معه ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر وكان قد بايعه اكثر الناس فخرج معاوية الى الحجاز في الف فارس من جند الشام فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي (ع) فلما نظر اليه قال : لا مرحبا ولا اهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه ، فقال الحسين (ع) : مهلا يا معاوية اني والله لست اهلا لهذه المقالة ، فرد عليه معاوية بقوله : بلى وشر منها ، ولقيه ابن الزبير فقال له : لا مرحبا ولا اهلا خب صعب يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه ويدق ظهره نحياه عني وضرب وجه راحلته ، ثم لقيه عبد الرحمن ابن ابي بكر ، فقال له لا اهلا ولا مرحبا بشيخ قد خرف وذهب عقله وضرب وجه راحلته وفعل مع ابن عمر مثل ذلك .

ثم دخل المدينة فلم يأذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون ، فخرجوا الى مكة ، وخطب معاوية في الناس وذكر ولده يزيد وأطراه بالمديح والثناء ، ثم دخل على عائشة وكان قد بلغها انه ذكر الحسين وأصحابه وتوعدهم بالقتل ان لم يبايعوا فشكاهم اليها ، فقالت له : بلغني انك تتهددهم بالقتل ، فقال: يا ام المؤمنين ، لقد بايعت ليزيد وبايعه غيرهم أفترين ان انقض بيعة قد تمت ، فقالت : ارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله .

ثم قالت له تمازحه : ما يؤمنك اني قد اعددت لك من يغتالك بأخي محمد وقد فعلت به ما فعلت ، فقال لها : اني في بيتك آمن ، وخرج من بيتها وهو عازم ان يعامل المعارضين بالرفق اذا اذعنوا لطلبه ، وأرسل الى الحسين وبقية المعارضين وعرض عليهم وجهة نظره في اختيار يزيد ودعاهم الى مؤازرته والوقوف بجانبه واستعمل معهم نفس الاسلوب

الذي استعمله مع الامام الحسن (ع) حينما دعاه الى الصلح ، ومما قاله لهم : ان الامر في الواقع لكم والتخطيط بيدكم وليس ليزيد من الخلافة الا الاسم .

وكان من الطبيعي ان لا يقتنع الحسين ورفاقه بهذا الاسلوب ولا ينخدعوا بهذه العروض واقترحوا عليه ان يفعل كما فعل ابو بكر حيث اختار لها رجلا ليس من اهله ، او يفعل كما فعل ابن الخطـــاب حيث اختار ستة وجعلها فيهم ، فاستشاط غضبا وقال : لقد كنت اخطب احيانا فيقاطعني الرجل منكم بما اكره فلا الومه ولا اعنفه ، واني ذاهب انـــى المسجد لاعلن ما عزمت عليه ، فان قاطعني احد منكم وعارضني فيمـــا اقول فسوف يكون السيف اسبق الى عنقه من لفظه الى شفتيه ، ووكل بكل رجل منهم رجلا وأمره ان يقوم عليه بالسيف وأن يضرب عنقه ان هو عارضه ولو بكلمة واحدة .

واقتيد المعارضون الى المسجد وصعد معاوية المنبر وقال بعـــد ان حمد الله وأثنى عليه : انه قد نظر في امر المسلمين فلم يجد لهم من بعده اصلح من ولده يزيد بن معاوية ، ومضى يقول : لقد عرضت الامر على الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وابن ابي بكر على ان لا يقطـــع دونهم امرا ولا يقضي بغير رأيهم حاجة فوافقوا وتركوا لي ان افعـــل ما اراه .

ولكن الجماعة الذين ذكرهم بأسمائهم لم يتكلموا ولم يعارضوه لان السيوف كانت مشهورة على رؤوسهم كما نص على ذلك اكثر المؤرخين، وظن الناس انهم موافقون على مقالة معاوية فبايعوا وتم له ما اراد بهذا النوع من التضليل والخداع ، وأعلن موافقة المدينة على البيعة كغيرها من الامصار .

وعاد معاوية الى الشام وفي قرارة نفسه ان المعارضة ستنطلق اول ما تنطلق من العراق ، وانهم سيكتبون الى الحسين يدعونه ليبايعـــوه

وسيلبي طلبهم مهما كانت الظروف ، ولذا فقد اوصاه بالعفو عنـه اذا ظفر به كما يدعي جماعة من المؤرخين ، وقد ابديت رأيي في هذه الوصية من قبل ، ولو صحت ، فذاك لان قتل الحسين سيكـــون من امضى الاسلحة ضد البيت الاموي بيد كل طامع في الحكم لفترة طويلـــة من الزمن •

الحسين في عهد يزيد

لقد كانت وفاة معاوية بن ابي سفيان خلال سنة ستين من الهجرة ، وقد توج حياته الطويلة المليئة بالجرائم والمنكرات والتحدي الصريح لتعاليم الاسلام ومبادئه بتسليط ولده يزيد على المسلمين مع علمه بحاله ، وبالرغم من الاصوات التي تعالت من جميع الاقطار منكرة عليه هذا التصرف ، ولكنه اصر على ذلك وأخذ له البيعة من الناس بالوعد والوعيد ، وما ان استلم السلطة من بعده حتى سلط اجهزته على انتزاع الاعتراف من الحسين (ع) بشرعية ملكه مهما كانت النتائج ، وكتب الى عامله على المدينة ان يأخذ له البيعة من الحسين خاصة ومن الناس عامة. وأكد عليه بأن يأخذ الحسين اخذا شديدا لا هوادة فيه ولا رجعة حتى يبايع ، ولما وصلت رسالته الى الوالي ارسل الى مروان بن الحكم يستشيره في امر الحسين ، وهو يعلم ان الحسين لا يبايع ليزيد مهما كانت النتائج ، ولم يكن من الغريب على مروان اذ اشار عليه ان يحجز الحسين فان بايع والا ضرب عنقه وهو من ألد اعداء محمد وآل محمد. وفي الوقت ذاته لقد كان يطمع بالحكم ، وقد وقف موقف المعارض من استخلاف يزيد حينما استشاره معاوية بذلك ، ولهذا السبب عزله

معاوية عن المدينة وولاها غيره كما ذهب الى ذلـــك بعض المؤرخين والباحثين ، وهو يعلم بأن قتل الحسين سيكون له اسوأ النتائج علـى بيت ابي سفيان وسيكون من أفتك الاسلحة بيـــد المحبين والطامعين بالحكم كما كان الحال كذلك ، ومن غير البعيد ان يكون قد ادخل في حسابه ذلك حينما اشار على الوالي بقتل الحسين ان لم يبايع ليزيد بن معاوية بالاضافة الى ما انطوى عليه من الحقد على اهل البيت ، ولكن الوليد بن عتبة بن ابي سفيان كان اعقل من ان يستفزه مروان لارتكاب جريمة لا عهد للتاريخ بمثلها ، فأرسل الى الحسين يدعوه اليه ليلا فجاءه الرسول وهو في المسجد ، ولم يكن قد شاع موت معاوية بين الناس ، وجال في خاطر الحسين ان الوليد قد استدعاه ليخبره بذلك ويأخذ منه البيعة الى الحاكم الجديد بناء للاوامر التي جاءته من الشام ، فاستدعى الحسين مواليه واخوته وبني عمومته وأخبرهم بأن الوالي قد استدعاه اليه وأضاف : اني لا آمن ان يكلفني بأمر لا اجيبه عليه ، وأضاف : ان يحدث بيني وبينه خلاف ، ورغب اليهم ان يذهبوا معه ويقفوا علـــى باب الدار لا يبرحونها حتى يخرج اليهم ، ومضى يقول : واذا سمعتم صوتي قد ارتفع من داخل الدار فاقتحموها عليه ، فذهبوا معه ودخل الحسين وحده فنعى اليه الوالي موت معاوية ثم قرأ عليه كتاب يزيد الذي يأمره فيه بأخذ الحسين اخذا شديدا حتى يبايع وكان جواب الحسين(ع) ان هذا الامر لا يتم الا في العلن فاذا اصبح الصباح واجتمع الناس ننظر في هذا الامر ، وهنا التفت مروان بن الحكم وكان حاضرا وأشار على الوالي ان يحتجز الحسين حتى يبايع واذا امتنع ضرب عنقه . ومضى يقول : اذا خرج ولم يبايع لا تقدر عليه ابدا ، فقال الحسين (ع) : انت يا ابن الزرقاء تشير عليه بضرب عنقي، واحتدم النقاش بينهما ، ولم يجد الحسين بدا من ان يعلن رأيه للوالي في هذه البيعة بصراحة فقال (ع) : انا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجـل

فاسق فاجر مستهتر ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون ونرى وترون ، وخاف الوالي ان يتطور النقاش والنزاع بين الطرفين الى نتائج لا تعود عليه بالمصلحة ، وأحس ان حشودا من الهاشميين على الباب تنتظر الحسين (ع) فالتفت اليه وقال: انصرف يا ابا عبد الله راشدا وموعدنا غدا المسجد .

ولما خرج الحسين من مجلسه قال مروان للوالي : لقد خالفتني والله لا تتمكن من مثلها ابدا . فقال له : ويحك يا مروان أتشير علي بقتل الحسين ابن بنت رسول الله (ص) والله ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة .

وخرج الحسين من ساعته ليعد رواحله ويستعد للخروج من المدينة بعد ان أحس بحراجة الموقف ، وخلال ايام قلائل خرج من المدينة في جوف الليل بأهله واخوته وبني عمومته كما جاء في اكثر المرويات باتجاه مكة وهو يتلو قول الله تعالى : فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وسلك الجادة التي اعتاد الناس ان يسلكوها ، فقيل له : هلا تنكبت الطريق وسرت على غير الطريق كما فعل عبد الله بن الزبير ، وكان قد التجأ الى مكة قبل ان يقصدها الحسين بأيام قلائل فأبى ان يسير على غير الجادة وقال : والله لا افارق الطريق الاعظم حتى يقضي الله ما هو قاض ، ودخل مكة في اليوم الثالث من شعبان سنة ستين من الهجرة ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وخرج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة ولم يتخلف عنه من اخوته سوى اخيه محمد بن الحنفية الذي عاد الى المدينة

وهنا تختلف الروايات في اسباب تخلفه ففي بعضها انه كان مصابا بمرض يمنعه عن الحركة والقيام بأي عمل من الاعمال ، وفي بعضها ان الحسين تركه في الحجاز ليتتبع له اخبار القوم وتحركاتهم ، وقال له كما في بعض المرويات : اما انت يا اخي فلا عليك ان تبقى في المدينة

لتكون لي عينا عليهم فلا تخفي عني شيئا من اخبارهم ، وقال له محمد ابن الحنفية : يا اخي تنحّ ببيعتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث رسلك الى الناس فان بايعوك حمدت الله على ذلك وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب مروءتك ، فقال له الحسين : جزاك الله يا اخي خيرا فقد نصحت وأشفقت وأنا عازم على الخروج الى مكة انا واخوتي وبنو اخي وشيعتي ، والله يا اخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية ثم ودعه وأوصاه بكل ما اهمه كما تنص على ذلك اكثر المرويات .

وتنص اكثر الروايات التي تعرضت لموقف الحسين من بيعة يزيد ، ان عبد الله بن مطيع التقى بالحسين وهو في طريقه الى مكة ، فقال له : جعلت فداك اين تريد ، قال اما الان فمكة ، واما بعد ذلك فاني استخير الله ، قال عبد الله : خار الله لك وجعلنا الله فداك فاذا اتيت مكة فاياك ان تأتي الكوفة فانها بلدة مشؤومة بها قتل ابوك وخذل اخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه ، الزم الحرم فأنت سيد العرب لا يعدل بك اهل الحجاز احدا ويتداعى اليك الناس من كل جانب ، لا تفارق الحرم يا ابا عبد الله فداك عمي وخالي ، والله لئن هلكت لنسترقن بعدك .

الحسين (ع) في مكة

لقد خرج من المدينة بأهله واخوته وبني عمومته وبعض الخواص من شيعته وترك اخاه محمد بن الحنفية فيها ليخبره بتحركات القوم بعد ان ذهب الى قبر جده وأمه وأخيه فودعهم وشكا اليهم ما تلاقي الامة من عسف وجور واستهتار بالقيم والمقدسات ، ومضى في طريقه الى مكة في الاشهر التي يلتقي فيها المسلمون لاداء العمرة والحج فأقام فيها اربعة اشهر وأياما من ذي الحجة كان فيها مهوى القلوب والافئدة ، فالتف حوله المسلمون يأخذون عنه الاحكام ويتعلمون منه الحلال والحرام ، وكان ابن الزبير يقصده مع الناس في اغلب الاوقات ، ولم يتعرض له امير مكة يحيى بن حكيم وإنما ترك الحسين وشأنه عزله يزيد عنها واستعمل عليها عمرو بن سعيد بن العاص ، وفي رمضان من تلك السنة ضم اليه المدينة وعزل عنها الوليد بن عتبة لانه كان معتدلا في موقفه من الحسين ولم يستجب لطلب مروان كما نص على ذلك ابن قتيبة .

وقد عرف الناس في مختلف الاقطار امتناع الحسين (ع) عن البيعة فاتجهت اليه الانظار وبخاصة الكوفة وأهلها فقد كانوا يوم ذاك من اشد الناس نقمة على يزيد وأكثرهم ميلا الى الحسين (ع) فاجتمعوا في دار سليمان

ابن صرد الخزاعي فقام فيهم خطيبا وقال : انكم قد علمتم بموت معاوية واستيلاء ولده على الملك وقد خالفه الحسين بن علي وخرج في اهله من المدينة الى مكة ، وأنتم انصاره وشيعته وهو اليوم احوج الى نصرتكم ، فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه ، وان خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه ، فقالوا بأجمعهم : بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه . وبعد حوار ومشاورات استقر الرأي على ان يرسلوا وفدا من قبلهم الى مكة لمقابلته وكتبوا اليه مع الوفد كتابا من وجوههم وأشرافهم جاء فيه : اما بعد فالحمد لله انه ليس علينا امام غيرك فأقبل الينا لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج معه الى عيد وعندما يبلغنا قدومك نخرجه من الكوفة حتى يلحق بالشام. وراحت كتبهم تتوالى عليه من العشرة والعشرين والخمسين ، وفي اكثرها يقولون : لقد اخضر الجناب وأينعت الثمار ، وليس علينا امير غيرك فأقبل علينا فأنت احق خلق الله بالإمرة وأولاهم بالخلافة والامامة ، وظلت كتبهم تتوالى عليه بين الحين والآخر حتى بلغت من الكثرة حدا ملأ منها الحسين خرجين وحملهما معه الى العراق ليحتج بها عليهم اذا وجد منهم فتورا وانحرافا .

وتنص بعض المرويات انه تلقى رسائل بهذا المضمون من اهل البصرة والمدائن وغيرهما ، بالاضافة الى الوفود التي كانت تأتيه من العراق واليمن وسائر المناطق الاسلامية تعرض عليه ولاءها وبيعتها وتصف له تكتلهم ضد السلطة الحاكمة ، ومع ذلك فلم يفكر في اجابة طلبهم حتى يرى حقيقة امرهم ويختبرهم بشكل ملموس واضح لا لبس فيه ولا خفاء ، فكلف ابن عمه مسلم بن عقيل وكان من افضل ثقاته عنده وذوي الرأي والخبرة والشجاعة ، بالذهاب الى الكوفة فان رأى اهلها على مثل ما جاءت به كتبهم اخبره بحالهم ليكون في اثره .

ويبدو من بعض المرويات ان مسلم بن عقيل لم يكن متفائلا في سفره لما يعرفه من تقلب اهل العراق ومواقفهم الملتوية من عمه امير المؤمنين الذي كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل ، وخياتنهم لابن عمه الحسن حتى اضطروه الى ترك السلطة لمعاوية ، وقد صارح الحسين بذلك ولكنه لم يعفه من تلك المهمة واتهمه بالجبن وسوء الرأي ، ومضى وهو متشائم من هذه المهمة ، ولما مات احد دليليه في الطريق من العطش بعد ان ضلا عن الطريق ، كتب الى الحسين مرة اخرى يطلب منه اعفاءه ولكن الحسين (ع) اصر عليه بالمضي في طريقه الى الكوفة ، فمضى يجد السير حتى دخلها واستقبله اهلها بالترحاب فنزل ضيفا على المختار بن عبيدة الثقفي ، ومنها راح يستقبل الناس وينشر الدعوة الى الحسين (ع) فبلغ عدد من بايعوه على الموت اربعين الفا وقيل أقل من ذلك ، وأمير الكوفة ليزيد يوم ذاك النعمان بن بشير ، كان كما يصفه المؤرخون مسالما يكره الفرقة ويؤثر العافية ومتهما بالضعف وسوء التدبير وحاول انصاره من أتباع يزيد ان يجروه الى معركة مع انصار مسلم بن عقيل فأبى ان يعالج الامور بالشدة والقسوة .

ومضت الدعوة الى الحسين تتسع في الكوفة وجوارها والناس يهتفون باسمه حتى ضاق الامر على النعمان وحاشيته ، فكتب احد انصار الامويين كتابا ليزيد يخبره بما انتهى اليه مسلم وضعف النعمان ابن بشير وكان مما كتبه اليه: اذا كان لك في العراق حاجة فأرسل اليه من تثق بحزمه وقوته وصلابته ، ولما وصل كتابه الى يزيد بن معاوية جمع انصاره واستشارهم في الامر ، وكان سرجون الرومي من المقربين الى ابيه ، فقال ليزيد : ارأيت لو نشر لك معاوية وأشار عليك كنت تقبل قوله ، فقال نعم ، فأخرج كتابا كان قد كتبه معاوية قبيل وفاته وسلمه لسرجون بولاية عبيد الله بن زياد على الكوفة عندما تدعو الحاجة لذلك، فلم يتردد في العمل بمضمون الكتاب وأرسل الى ابن زياد من ساعته

يأمره بالذهاب الى الكوفة للاشراف على السلطة فيها وادارة شؤونها وترك له ان يستخلف مكانه على البصرة من يراه مناسبا لذلك ، وأمره بقتل مسلم بن عقيل ان امكنه الله منه ، وان يقاتل الحسين ويقتله ان هو تمكن منه ويبعث اليه برأسه ، وفور وصول الكتاب اليه ترك البصرة لاحد اعوانه ومضى في طريقه الى الكوفة في عدد قليل لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ودخلها ملثما متنكرا فظنه الناس الحسين بن علي (ع) فكان كلما مر على مجلس من مجالس اهل الكوفة قابلوه بالهتاف والترحيب وتعالت الاصوات من كل جانب مرحبا وألف اهلا بك يا ابن رسول الله حللت اهلا ونزلت سهلا، وهو صامت لا يتكلم ولا يسلم على احد الا بالايماء وقد امتلأ غيظا وحقدا ومضى يشتد حتى انتهى الى القصر وكان قد اغلقه النعمان خوفا من الجماهير المتحمسة للحسين (ع)، فأبى ان يفتحه له وقال : يا ابن رسول الله والله ما قاتلتك حتى تقاتلني ولا يحل لي ان افرط في اماتتي فاذهب عني وتنقل حيث شئت في الكوفة فوالله لا اقاتلك ما كففت عني ، ولم يعد عبيد الله يملك نفسه من الغيظ ، فقد رأى الجماهير في طريقه الى القصر تهتف مرحبة بالحسين، ورأى الوالي معزولا عن الناس ومحاصرا في قصره لا يملك من الامر شيئا وقد استولى عليه الخوف والقلق حتى لتكاد نفسه ان تذهب من جسده ، فقال له: افتح لا فتحت ، انا عبيد الله بن زياد وقد ولاني اميرك مقاليد هذا البلد .

الغدر بمسلم بن عقيل

وما كاد الوالي الجديد يضع أقدامه في القصر ويتسلم مقاليد السلطة حتى اخذ يفكر في امر مسلم ويستعمل جميع الاسلحة لتشتيت امر الناس وتفريقهم عن مسلم والقبض عليه مهما كانت النتائج ، وتسامع الناس بقدوم ابن زياد الى الكوفة وأهلها يعرفونه بالصرامة والحزم والشدة ، فكان من الطبيعي ان يحدث قدومه هزة في اوساط المعارضين لسياسته بقيادة مسلم بن عقيل وان يبحثوا عن وسيلة جديدة للسير في دعوتهم نحو الهدف المطلوب ، فانتقل مسلم الى دار هاني بن عروة وجعل يتستر في دعوته وتحركاته الا عن خلص اصحابه وأخذ ابن زياد يتحراه بوسائله الخاصة ، وبحيلة احكم حبكها وصياغتها استطاع ان يكتشف مخبأ مسلم بن عقيل وان يعلم بمقره وهاني يوم ذاك سيد بني مراد وصاحب الكلمة المسموعة في الكوفة والرأي المطاع ، وجرت أحداث وأحداث مشهورة بين المؤرخين ومحفوظة على ألسنة اكثر المتشيعين لصلتها بمأساة كربلا التي ما زالت منذ حدوثها حديث الاجيال ومن ابرز سمات التشيع لاهل البيت (ع) ، وستبقى ما دام على وجه الارض اناس يقدسون البطولات والتضحيات الجسام والمثل العليا التي تجسدت في

ثورة الحسين من ابرز الاحداث في تاريخ البشرية وأكثرها عطاء ونفعا، وحتى لا اطيل على القارىء سأكون سريعا الى ابعد الحدود في عرض تلك المرحلة التي ختم بها ابو الشهداء ثمانيّة وخمسين عاما من حياته كانت حافلة بالخير والجهاد والاحسان وبكل معاني النبل والفضيلة والخلق الكريم .

لقد استطاع الوالي الجديد ان يحكم الحيلة ليقبض على هاني بن عروة الذي آوى رسول الحسين (ع) وأحسن ضيافته واشترك معه في الرأي والتدبير ، فقبض عليه وقتله بعد حوار طويل جرى بينهما وألقى بجثمانه من اعلى القصر الى الجماهير المحتشدة حوله ، فاستولى الخوف والتخاذل على الناس وذهب كل انسان لبيته وكأن الامر لا يعنيه .

ولما علم مسلم بما جرى لهاني ورأى تخاذل مذحج الغنية بعددها وعدتها ، خرج في اصحابه ونادى مناديه في الناس وسار بهم لمحاصرة القصر واشتد الحصار على ابن زياد وضاق به امره ، ولكنه استطاع بدهائه ومكره ان يتغلب على المحنة ويخذل الناس عن مسلم ، فانصرفوا عنه، وبدخول الليل صلى بمن بقي معه وخرج من المسجد الجامع وحيدا لا ناصر له ولا مؤازر ، ولا من يدله على الطريق وأقفل الناس ابوابهم في وجهه فمضى يبحث عن دار يأوي اليها في ليلته تلك ، وفيما هو يسير في ظلمة الليل ، وجد امرأة على باب دارها وكأنها تنتظر شيئا فعرفها بنفسه وسألها المبيت عندها الى الصباح فرحبت به وأدخلته بيتها وعرضت عليه العشاء فأبى ان يأكل شيئا ، وعرف ولدها بمكانه وكان ابن زياد قد اعد جائزة لمن يخبره عنه ، وما كاد الصبح يتنفس حتى اسرع ولدها الى القصر وأخبر محمد بن الاشعث بمكان مسلم عقيل ، وفور وصول النبأ الى ابن زياد ارسل قوة كبيرة من جنده بقيادة ابن الاشعث الى المكان الذي فيه مسلم ، وما ان سمع بالضجة حتى ادرك ان القوم يطلبونه فخرج اليهم بسيفه وكانوا قد طوقوا الدار من كل جهاتها فانهزموا بين

يديه وهم اكثر من مائتي مقاتل ، ولما اعياهم امره امدهم ابن زياد بالخيل والرجال ، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم في الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من اعلى السطوح استسلم لهم مسلم بعد ان أمنه ابن الاشعث وأعطاه العهود والمواثيق بذلك .

ومضى معهم الى القصر فأدخل علي ابن زياد ولم يسلم عليه وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقا في بيانه قوي الحجة حتى اعياه امره واتنفخت اوداجه وجعل يشتم عليا والحسن والحسين ، ثم امر اجهزته ان يصعدوا به الى اعلى القصر ويقتلوه ويرموا جسده الى الناس ويسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه الى جانب هاني بن عروة ، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من امره شيئا وقد صور الفرزدق الشاعر هذه المأساة بقوله :

فانكنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانىء في السوق وابن عقيل
الى بطل قد غيَّر الموت لونه وآخر يهوي من طمار قتيل
فان انتم لم تثأروا لاخيكمُ فكونوا نساء ارضيت بقليل

وكان مسلم قد طلب من ابن الاشعث ان يكتب الى الحسين يخبره بما جرى له في الكوفة وينصحه بعدم الشخوص اليهم فوعده ابن الاشعث بذلك ، ولكنه لم يف بوعده .

خروج الحسين من مكة الى العراق

وتترك الكوفة قليلا يعيث بها ابن مرجانة ويتتبع شيعـــة الحسين ويطاردهم ونعود الى مكة لنتابع السير مع ركب الحسين حتى الطـف حيث المأساة الكبرى بأقصى ما يمكن من الاختصار ، لان تلك المأساة قد كتب فيها المجبون وغيرهم عشرات الكتب ، وما زالت حية وأمثولة رائعة من اروع ما قدمه الانسان حتى اليوم في ذهن القريب والبعيد .

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة ان الحسين (ع) قد دخل مكة في الايام الاولى من شهر شعبان سنة ستين من الهجرة ، وكان قد سبقه اليها بأيام قلائل عبد الله بن الزبير الذي كان كما يدعي المؤرخون ساخطا على ولاية يزيد ، وكان وجود الحسين في مكة ثقيلا عليه ، لان الناس لا يرونه شيئا ولا يحسون بوجوده ما دام الحسين موجودا ، وكان هـو يعرف ذلك ، ويعلم بأن المسلمين لا يعدلون بالحسين احدا ، وخلال المدة التي اقامها الحسين في مكة كان لا يفارق مجلسه يحدثه ويستمع منه ، ولما بلغه موقف اهل الكوفة ورسائلهم نصحه بالشخوص اليهم واجابـة طلبهم ، وقال له : لو كان لي مثل انصارك ما ترددت لحظة واحدة فـي اجابتهم وحتى لا يكون متهما عند الحسين في قوله هذا كان بعدما يشير

عليه بالذهاب الى الكوفة ويرجحها له ويتمنى ان يكون له مثل انصاره فيها وحتى لا يكون متهما يقول له : وان شئت فأقم هنا ونحن نبايعك ونقف الى جانبك حتى الموت .

ولم تكن لتخفى على الحسين (ع) دخيلته وما ينطوي عليه من غدر ودجل ونفاق ، كما لم تخف عليه المصلحة فيما عزم عليه ليستمدها من ابن الزبير وأمثاله ، بل كان على ثقة من امره في كل ما عزم عليه وتحرك من اجله محيطا بكل جوانب الموقف وتنائجه .

لقد رأى ان اقراره لبيعة يزيد يشكل خطرا على الاسلام لا يمكن تلافيه ورأى الانظار تتجه اليه من كل جانب وتنتظر موقفه الاخير منها ، وكان يعرف عن اهل العراق اكثر مما يعرفه غيره من الناس ، لقد حمل هو وأبوه وأخوه مرارة غدرهم وتخاذلهم ، ولم يكن يحتمل ان ينتصر بهم عسكريا على يزيد وأنصار يزيد ، ولكنه كان يرى ان عليه ان يسجل موقفا كريما من ولاية الظالمين كيزيد وغيره ولو بقتله وقتل اطفاله وسبي نسائه حتى لا يتسرب الى الاذهان ان الاسلام الذي يجسده الحسين(ع) يسمح بمثل هذه الولاية .

لقد عزم على الخروج الى العراق مهما كانت النتائج وكان مسلم بن عقيل رضوان الله عليه قد كتب اليه يستعجله القدوم ويخبره بما رأى وسمع من اقبال الناس عليه والحاحهم في طلبه ، وقد علم يزيد وأعوانه بكل ما يجري في الكوفة فاستغلوا موسم الحج ودسوا عددا كبيرا من اجهزتهم لقتله ولو كان متعلقا بأستار الكعبة ولما احس بذلك أحل من احرامه وخرج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة قبل ان يتم حجه مخافة ان يقتل في الحرم فيضيع دمه ولا يعطي ما اعطاه قتله بالنحو الذي تم عليه من النتائج التي اقضت مضاجع الطغاة والظالمين .

ولو تمكنت اجهزة يزيد من اغتياله في الحرم كما امرهم بذلك، وكما خطط ابوه من قبله لاغتيال علي (ع) وهو يصلي في بيت الله لقالوا

وأشاعوا انه اغتيل بسيف خارجي ، وتبرأوا من دمه كما تبرأوا من دم ابيه وراجت مقالتهم حتى اصبحت وكأنها من حقائق التاريخ .

وجاء في المرويات التي وصفت خروجه من مكة ووداعه لاخيه محمد ابن الحنفية انه قال لاخيه محمد في الليلة التي اراد الخروج فـــي صبيحتها : يا اخي لقد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت .

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة كما ذكرنا كان الحسين قد احرم للحاج فطاف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروةوقصر من شعره وأحل من احرامه وخرج بمن معه من اخوته وأبناء اخوته وبني عمومته وأصحابه ونسائه ، فكان الناس يخرجون الى عرفات والحسين خارج من مكة في طريقه الى العراق . وجاءه ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فنهاه عن الخروج وحذره من غدر اهل الكوفة وتخاذلهم ، وأشار عليه ان يتجنبهم فأبى الا المضي في طريقه ، كما جاءه عبد الله بن العباس وحذره من غدر اهل العراق ، وذكره بماضيهم الاسود مع ابيه وأخيه ، فأصر على رأيه ، فقال له ابن عباس : اما والله لو اعلم اني ان اخذت بشعرك وتلابيبك وصحت حتى يجتمع الناس علينا ، انك تطيعني وتنصرف عن رأيك لفعلت ، فرد عليه الحسين بقوله : ذاك امر قد قضاه الله ولا بد من تنفيذه .

ولما يئس ابن عباس من تراجعه ودعه وبكى وفي طريقه رأى ابـــن الزبير فقال :

يـــا لك من قبرة بمعمـــــــر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقـــــري هـــــذا حسين خارج فأبشري

ولم يكن ابن عباس وحده الذي نصح الحسين بالعدول عن الكوفة وحذره من غدرهم ونفاقهم فقد نصحه ايضا ابن جعفر ومحمد بن الحنفية

وعبد الله بن مطيع ، وكان عبد الله قد التقى به خارج مكة ، فقال له : اذكرك الله في حرمة الاسلام ان تنهتك ، انشدك الله في حرمة قريش وذمة العرب ، والله لئن طلبت ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك احدا فلا تأتِ الكوفة ولا تعرض نفسك لبني امية .

وممن اشار عليه ان لا يأتي الكوفة عبد الله بن عمر وكان قد سمع بخروجه من مكة فركب راحلته وخرج يطلبه مسرعا فأدركه في بعض المنازل ، فقال له : اين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : العراق ، فقال : ارجع الى حرم جدك ، فأبى عليه ، فلما رأى اصراره قال : يا ابا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله يقبله منك ، فكشف له الحسين عن سرته فقبلها عبد الله بن عمر ثلاثا وبكى، ثم قال: استودعك الله يا ابا عبد الله .

وكان آخر ما اجاب به المشيرين عليه بالبقاء في مكة : ان وجوده في مكة وغيرها لن ينجيه من بطش الامويين ، وانهم لا يزالون به حتى يبايع يزيد او يقتل حتى انه لو دخل في جحر ضب لدخلوا وراءه على حد تعبير الراوي .

ومضت قافلة الحسين (ع) في طريقها الى العراق تاركة وراءها اولئك المشيرين عليه بالبقاء في الحجاز يتلوون الما لحاله وينتظرون له المصير المحتوم على ايدي اولئك الطغاة ، وفيما هو يسير واذا به يلتقي بالفرزدق الشاعر فيسأله عن اهل الكوفة ، فيقول له : يا ابن رسول الله عد الى مكة فان ألسنة القوم وقلوبهم معك ، اما سيوفهم فمع بني امية عليك والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء ، فقال له الحسين (ع) : ما قضي كائن لا محالة وتركه ومضى ، واستمرت قافلته في طريقها وكلما رأى رجلا في الطريق سأله عن اهل العراق حتى احيط علما بكل ما جرى وبقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وما سبق ذلك

وتلاه من أحداث كما جاء في ص ٢١٦ و٢١٧ من المجلـــــد السادس تاريخ الطبري .

وجاء في اكثر المرويات التي تحدثت عن رحلة الحسين الى كربلا انه لما نزل الثعلبية عند المساء لحقه اثنان من بني اسد فسلما عليه وأخبراه بما جرى لمسلم وهاني فاسترجع مرارًا ، ثم قالا له : ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك الا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك في الكوفة ناصر ولا شيعة ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا او نذوق ما ذاق مسلم ، فنظر اليهم الحسين (ع) وقال : لا خير فـــي العيش بعد هؤلاء ، قالا فعلمنا انه قد عزم ولن يتراجع .

وقال له بعض اصحابه : والله ما انت كمسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع ، وفي زبالة بلغه مقتل عبد الله بن يقطر، وكان قد كتب معه كتابا لمسلم بن عقيل وجماعة من اهل الكوفة ، وذلك قبل ان يبلغه مقتل مسلم بن عقيل، فقبض عليه الحصين بن نمير في القادسية وأرسله الى عبيد الله بن زياد ، فقال له : اصعد المنبر والعن الحسين وأباه ثم انزل لأرى رأيي فيك، فصعد عبد الله المنبر فلما اشرف علـى الناس لعن معاوية ويزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ثم قال : ايها الناس اني رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) اليكـــم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي ، فأمر به عبيد الله وألقي من فوق القصر فتكسرت عظامه ، فجاءه رجل وذبحـــه فعاب الناس عليه ذلك .

وجاء في تاريخ الطبري ان الحسين (ع) لما بلغه مقتل مسلم وهاني وعبد الله بن يقطر وتوالت عليه اخبار الكوفة وتحيزها لصالح بني امية وقف خطيبا فيمن كان معه من اهله وأصحابه ومن انضم اليه في الطريق من الاعراب وأصحاب المطامع وأخبرهم بواقع اهل الكوفة وخذلانهـــم اياه، ثم قال : فمن احب منكم الانصراف فليس عليه منا ذمام ، فتفرق

الناس عنه يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين خرجوا معه من المدينة . وانما فعل ذلك لعلمه بأن من انضم اليه في الطريق من الاعراب وسكان البادية قد انضموا اليه لظنهم انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة اهلها ، فكره ان يسيروا معه بهذا الواقع ، لانه مقبل على خطر لا تثبت له غير النفوس التي تؤثر الآخرة على الدنيا ولا ترى الحياة مع الطغاة والظالمين الا شقاء وبرما .

وفيما هو يسير بمن بقي معه من خلص اصحابه وأهل بيته وبني عمومته واذا بالحسين وصحبه يرون اشباحا مقبلة من مسافات بعيدة ، وظنها بعضهم اشباح نخيل الكوفة وأشجارها ، ثم حدق الحسين (ع) في تلك الاشباح التي تقترب من قافلته ، فقال : ليست الكوفة ولا نخيلها كما تظنون بل هي هوادي الخيل وأسنة الرماح وأشباح الجنود، وخلال لحظات قليلة تبين للركب ان تلك الاشباح المطلة عليهم هي الف فارس من جند ابن زياد بقيادة الحر بن يزيد الرياحي ارسلها ابن زياد لتقطع الطريق على الحسين (ع) وتسيره كما تريد ، ولما اقتربوا من ركب الحسين (ع) سألهم عن المهمة التي جاؤوا من اجلها ، ، فقال لهم الحر : لقد امرنا ان نلازمكم ونجعجع بكم حتى نزلكم على غير ماء ولا حصن ، او تدخلوا في حكم يزيد وعبيد الله بن زياد ، وجرى حوار طويل بين الطرفين وجدال لم يتوصلا فيه لنتيجة حاسمة ترضي الطرفين ، فلقد ابى الحر ان يمكن الحسين من الرجوع الى الحجاز او سلوك الطريق المؤدية الى الكوفة ، وأبى الحسين (ع) ان يستسلم ليزيد وابن زياد ، وكان مما قاله الحسين وقد وقف بينهم خطيبا بعد ان قدمه الحر ليصلي بعامة الناس ، قال : اني لم آتكم حتى اتتني كتبكم وتوالت علي رسلكم ورسائلكم ، اما اذا كرهتموني فاني مستعد لان ارجع الى الحجاز او اذهب في بلاد الله العريضة ، وأمر عقبة بن سمعان بأن يخرج له كتب

القوم ، فقال له الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا لك يا أبا عبد الله.

وتابعت القافلة سيرها والحر يحاول منعها من دخول الكوفة ، وحاول انصار الحسين (ع) احراجه وجره الى معركة في قلب الصحراء وكان زهير بن القين متحمسا لذلك فقال للحسين (ع) : ان قتالهم الان ايسر علينا من قتال غيرهم ، ورفض الحسين هذه الفكرة لان القوم لم يعلنوا حربا عليه ، وقال : ما كنت لابدأهم بالقتال ، وما هي الا ايام قلائل سار فيها الطرفان في تلك الصحراء الفسيحة والحر يساير الحسين ويحذره من قتال بني امية ويذكره بغدر اهل الكوفة ومواقفهم مع ابيه وأخيه ، واذا (بعمر بن سعد) قد خرج من الكوفة في جيش تقدره بعض المرويات بثلاثين الفا وبعضها بأكثر من ذلك ، وفي رواية ثالثة ان ابن زياد قد استنفر الكوفة وضواحيها لحرب الحسين وتوعد كل من يقدر على حمل السلاح بالقتل والحبس ان هو لم يخرج لحرب الحسين، وكان من نتائج ذلك ان امتلأت السجون بالشيعة واختفى منهم جماعة ، وخرج من خرج لحرب الحسين من انصار الامويين وأهل الاطماع والمصالح وكانوا يشكلون اكبر عدد في الكوفة ، اما رواية الخمسة آلاف مقاتل التي تبناها بعض المؤرخين ، فمع انها من المراسيل لا تؤيدها الظروف والملابسات التي تحيط بحادث من هذا النوع الذي لا يمكن لاحد ان يقدم عليه الا بعد ان يعد العدة لكل الاحتمالات ويتخذ جميع الاحتياطات وبخاصة اذا كان خبيرا بأهل الكوفة وتقلباتهم وعدم ثباتهم على امر من الامور .

ومهما كان الحال فلقد قطعت الجيوش الزاحفة من الكوفة الطريق على الحسين (ع) واضطرته الى النزول في كربلاء في مكان لا يصلح للحرب وبعيد عن الماء وأخذوا يشددون عليه الحصار وحالوا بينه وبين الماء حسب الاوامر التي صدرت اليهم من عبيد الله بن زياد ، ولما رأى الحسين (ع) كثرتهم وتصميمهم على قتاله اذا لم يستسلم ليزيد بن

معاوية تعمم بعمامة رسول الله (ص) وركب ناقته وأخذ سلاحه ثم دنا من معسكرهم بحيث يسمعون صوته وراح يسألهم بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو اهله عن كتبهم التي ارسلوها اليه وعهودهم التي قطعوها على انفسهم ، ولما انكروا قوله : امر باحضارها وكانت في خرجين كبيرين فنشرها بينهم وهم يرون ويسمعون ونادى كل من كتب اليه باسمه وكان بينهم عدد كبير ممن كتبوا له وعاهدوا الله على نصرته بكل ما لديهم من حول وطول فصمتوا عند ذلك ولم يجيبوه ، ثم سألهم لماذا يريدون قتله هل لثأر لهم عنده ، ام لمال اغتصبه منهم ، ام لبدعة ادخلها في دين الاسلام ، وراح ينادي رجالا بأسمائهم يسألهم : هل يعرفون على ظهر الارض كلها ابن بنت نبي غيره ، وهل سمعوا جده نبيهم يقول : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، ومضى يقول لهم : اذا كنتم لم تسمعوا ذلك من الرسول (ص) ففي المسلمين اليوم من اذا سألتموهم اخبروكم بأن النبي (ص) قد قال ذلك مرارا كجابر بن عبد الله الانصاري وزيد بن ارقم وعد لهم جماعة من اتقياء الصحابة ، ثم قال في ختام حديثه : فان كنتم تنكرون كتبكم وتنقضون عهودكم فدعوني ارجع الى المكان الذي خرجت منه او اذهب في ارض الله الواسعة ، او التجيء الى ثغر من الثغور اجاهد فيه الكفار والمشركين حتى اموت ، قال ذلك لالقاء الحجة عليهم .

ولكن القوم مع ذلك كله ابوا الا الاصرار في غيهم والتمادي في باطلهم ، وأجابوه بمثل ما اجاب به اهل مدين نبيهم كما حكى الله عنهم في كتابه : ما نفقه كثيرا مما تقول ، وانا لنراك فينا ضعيفا ، فاما ان تستسلم لابن زياد يرى فيك رأيه او نقاتلك قتالا ادناه قطف الرؤوس وقطع الايدي والارجل .

وعاد الحسين (ع) الى مضاربه حزينا يقول لاصحابه : ان القوم قد

اصروا على القتال ولا يريدون غيري فان ظفروا بي لا حاجة لهم بكم ، فاذا جن الليل فليذهب كل منكم الى حيث يأمن ودعوني وهؤلاء القوم.

وأبى اصحابه الاوفياء وأهل بيته البررة ان يفارقوه او يبخلوا بأرواحهم عليه مع انه قد تجسد لهم المصير وأصبحوا واثقين به، والجود بالنفس اقصى غاية الجود ، وقالوا له بلسان واحد : والله لا نفارقك ولا نرضى بالعيش بعدك ولا بالدنيا بكل ما فيها بدلا عن الشهادة بين يديك . وقال له بعضهم : والله يا ابا عبد الله لو اني اعلم بأني اقتل ثم احيا ثم اقتل وأحيا يفعل ذلك بي سبعين مرة لتسلم انت ومن معك من هؤلاء الفتية ما ترددت من ذلك ، وتكلم اصحابه وأهل بيته بكلام يُشبه بعضه بعضا اكدوا فيه تصميمهم على القتال واستبشارهم بالموت بين يديه ، وتأثر الحر بن يزيد الرياحي بكلمات الحسين (ع) وندم على ما سبق منه معه ، وراح يدنو بفرسه من معسكر الحسين تارة ويعود الى موقفه اخرى وبدا عليه القلق والاضطراب حتى قال له احد رفاقه : والله ما رأيت منك مثل هذا الموقف ابدا ولو قيل لي من اشجع اهل الكوفة ما عدوتك، فعندها كشف له الحر عما يدور بنفسه ، وقال : والله اني اخير نفسي بين الجنة والنار وبين الدنيا والاخرة ، ولا ينبغي لعاقل ان يختار على الآخرة والجنة شيئا ، ثم ضرب فرسه والتحق بالحسين ووقف على باب فسطاطه فخرج اليه الحسين فانكب عليه الحر يقبل يديه ويسأله العفو والصفح ، ثم قال : انا الذي جعجت بك وحبستك عن الرجوع ، ولو كنت اعلم ان القوم يصلون معك الى هذا الحد ما فعلت ، فهل ترى لي من توبة ؟ فقال له الحسين : نعم يتوب الله عليك وهو التواب الرحيم ، فقال له الحر : والله لا ارى لنفسي توبة الا بالقتال بين يديك حتى اموت دونك ، ومضى الى الحرب فتحاماه الناس ، ثم تكاثروا عليه وقتلوه .

وكان قد جرى حوار بين الحسين (ع) وعمر بن سعد ومفاوضات

انتهت بأن يرجع الحسين الى مكة او يذهب في ارض الله الواسعة ، وكتب ابن سعد الى عبيد الله بن زياد لعنه الله وأخزاه لاقرار الاتفاق فقال : الان وقد علقت مخالبنا به يرجو النجاة لا والله حتى يجيئني اسيرا ذليلا فان شئت عفوت وان شئت قتلته ، وكتب الى ابن سعد بذلك ، فلما قرأ كتابه قال : هيهات ان يجيبهم الحسين الى ذلك ونفس ابيه بين جنبيه .

ولما بلغه فشل المفاوضات فضل الموت على حياة يكون فيها اسيرا لابن مرجانة ، وقال : والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد ، الا واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

وأصدر ابن زياد اوامره لابن سعد بأن يزحف بمن معه من اهل الكوفة على الحسين في التاسع من المحرم سنة احد وستين من الهجرة فزحفوا نحو خيام الحسين في مساء ذلك اليوم على حين غفلة من الحسين وأصحابه ، فخرج الحسين وأصحابه من مضاربهم كالليوث الضارية ، ورأى الحسين (ع) ان يستمهلهم تلك الليلة وأرسل اليهم اخاه العباس ، فأبى ابن سعد ان يمهلهم الى صبيحة اليوم الثاني ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي كما يروي الرواة : يا سبحان الله والله لو كانوا من الترك او الديلم وسألونا هذه المسألة لكان علينا ان نجيبهم لما طلبوه ، وبعد حوار وجدال بينه وبين قادة جيشه اجابهم لما يريدون الى صبيحة اليوم العاشر من المحرم .

وفي تلك الليلة جمع الحسين اصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا اسماعا وأبصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين ، اما بعد فاني لا اعلم اصحابا ولا اهل بيت أبر ولا اوفى من اصحابي وأهل

بيتي فجزاكم الله جميعا خيرا الا وان القوم لا يريدون احدا غيري ، واني قد اذنت لكم جميعا بالانصراف فانطلقوا فأنتم في حل مني ليس عليكم حرج ولا ذمام وهذا الليل قد غشيكم فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم ، فقال له اخوته وأبناؤه وأبناء عمومته : أنفعل ذلك لنبقى بعدك لا ارانا الله ذلك ابدا ، وتكلم بعدهم اصحابه وقالوا بلسان واحد: والله لا نفارقك يا ابا عبد الله حتى نكسر في صدورهم رماحنا ونضربهم بسيوفنا ما ثبتت قوائمها في ايدينا ولو لم يكن معنا سلاح نقاتلهم به نقذفهم بالحجارة حتى نموت معك، فشكرهم الحسين وجزاهم خيرا وبشرهم بما اعده الله لهم في جنانه .

وجلس في خبائه تلك الليلة وعنده جون مولى ابي ذر يصلح له سيفه وهو يتمثل بالابيات التالية :

يا دهر اف لك من خليل ... كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب او طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل ... وكل حي سالك سبيلي

فسمعته اخته زينب بنت علي (ع) فلم تملك نفسها ان وثبت تجر ذيلها حتى انتهت اليه ونادت : واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين، فنظر اليها الحسين (ع) وقال : يا اختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان ، ثم قال : لو ترك القطا لغفا وناما ثم عزاها بنفسه وأمرها بالصبر وأوصاها بعياله وأطفاله وبات ليلته هو وأصحابه يصلون ويقرأون القرآن حتى الصباح .

وبدخول اليوم العاشر من المحرم زحفت خيل ابن زياد نحو مضارب الحسين (ع) يتقدمها ابن سعد فوضع سهما في قوسه ورمى به خيام الحسين وقال : اشهدوا لي عند الامير اني اول من رمى الحسين

وأصحابه ، وتوالت السهام على مضارب الحسين وأخبيته من كل جانب، فنادى الحسين في اصحابه وقال : هذه رسل القوم اليكم فخرجوا من خيامهم ومضاربهم كالاسود الضارية لا يبالون بالموت ولا يحسبون لتلك الحشود الهائلة حسابا مستبشرين بلقاء الله سبحانه ، وكأنهم رأوا منازلهم مع النبيين والصديقين وعباده الصالحين ، وكان لا يقتل منهم احد حتى يقول : السلام عليك يا ابا عبد الله ويوصي اصحابه بأن يفدوه بالمهج والارواح ، واحتدمت المعركة بين الطرفين فكان لا يقتل الرجل من انصار الحسين (ع) حتى يقتل العشرة والعشرين ، وخلال ساعات معدودات قتلوا عن آخرهم ، وبقي الحسين في اهل بيته وبنيه واخوته، فتقدم الى القتال ببسالة لا يعرف لها الانسان نظيرا من قبل ، وكلما قتل منهم واحدا حمله الحسين وألقاه بين القتلى من اصحابه ، ولما برز اليهم ولده علي بن الحسين الاكبر وكان كما يصفه الرواة اشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسول الله ، وفيه يقول بعض المعاصرين له من الشعراء :

لم تر عين نظرت مثله من محتف يمشي ومن ناعل

وقد دعا عليهم الحسين ساعة خروجه ووداعه وقال : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز اليهم غلام اشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك وكنا اذا اشتقنا الى رسولك نظرنا الى وجهه ، اللهم امنعهم بركات الارض وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم ابدا ، وصاح بعمر بن سعد كما يدعي الرواة وقال : قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ، وحمل علي الاكبر على القوم وقاتلهم قتال الابطال الاشداء وظل يقاتلهم حتى قتل مائتين من اهل الكوفة كما جاء في المرويات التي وصفت معركة الطف وقتاله فيها .

وكان من ابرز المقاتلين مع الحسين من اهله واخوته العباس بن علي (ع) وهو واخوته الثلاثة الذين قتلوا قبله لأم واحدة وهي فاطمة بنت حزام التي تعرف بأم البنين ، ولما لم يبق مع الحسين احد من اصحابه وبنيه وأهله تقدم نحو الحسين (ع) يطلب منه الاذن في قتال القوم فبكى الحسين وعانقه ثم اذن له فكان يحمل على اهل الكوفة فينهزمون بين يديه كما تنهزم المعزى من الذئاب الضارية وضج اهل الكوفة من كثرة من قتل منهم ، ولما قتل قال الحسين (ع) : الان انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي .

وفي رواية ثانية انه خرج للقتال هو وأخوه الحسين فكانا لا يتجهان الى جهة الا تضعضعت والى كتيبة الا انهارت ، وأخيرا استطاعوا ان يفصلوا بينه وبين الحسين وكمنوا له وراء النخيل وقتلوه وبقي الحسين وحده بينهم فتدافعت عليه حشودهم كالسيل ، ووصفه حميد بن مسلم وهو يقاتل تلك الحشود الموتورة ، فقال : والله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وجميع اصحابه اربط جأشا ولا امضى جنانا ولا اجرأ مقدما منه ولقد كان يحمل عليهم وهم ثلاثون الفا فينهزمون بين يديه كالجراد المنتشر ، ثم يرجع الى مركزه بين مضاربه وجيش ابن زياد ويقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فلما رأى ابن سعد ذلك امرهم ان يرجموه بالحجارة ويرموه بالسهام فانهالت عليه سهامهم وحجارتهم من كل جانب حتى خارت قواه ، وحاول شمر بن ذي الجوشن بمن معه ان يهاجم خيامه فارتفعت اصوات النساء والاطفال ، فصاح (ع): ويحكم يا شيعة آل ابي سفيان ، ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احرارا في دنياكم وارجعوا الى احسابكم ان كنتم عربا كما تزعمون انا الذي اقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا ، فرجعوا عن خيامه

وقصدوه ومالوا عليه بالسهام والرماح والحجارة حتى خر صريعا من كثرة ما اصابه من طعن الرماح وضرب السيوف ، وجاء شمر ومعه جماعة وهو يجود بنفسه فأجهزوا عليه .

وقال ابن حجر في صواعقه : وكان من مظاهر غضب الله لمقتل الحسين ان اسودت السماء وشوهدت النجوم بالنهار وحاق عذاب الله بكل من اشترك في دمه ومضى يقول :

اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

وروى المقريزي عن السري انه لما قتل الحسين بكت السماء وكسفت الشمس وبكاؤها حمرتها، كما روي عن علي بن ميسرة انه قال : حدثتني جدتي انها كانت ايام قتل الحسين جارية شابة فبقيت السماء اياما كأنها علقة ، وروي ايضا عن الزهري انه قال : بلغني انه لم يقلب حجر من احجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم ، وأظلمت الدنيا ثلاثا وأمطرت السماء دما، كما روى الرواة عن وقوع أحداث اخرى كلها من المراسيل وليس ذلك على الله بعسير اذا اقتضت المصلحة حصول ذلك.

ولما قتل (ع) مال القوم على رحله فنهبوه وعلى ماله فسلبوه وعلى نسائه فنازعوهن حليهن وثيابهن حتى لقد كانت المرأة تتعلق بقميصها فيغصب منها فتبقى بلا خمار وازار ، وأمر عمر بن سعد عشرة من الفرسان فداسوا بخيولهم صدره وظهره كما اوصاهم ابن زياد ، ثم فصلوا رؤوس القتلى عن الاجساد ورفعوها على رؤوس الرماح ، وكانت الرؤوس ثمانية وسبعين رأسا تقاسمتها القبائل التي اشتركت في تلك المعركة فيما بينها ، ثم امر ابن سعد بالنساء فحملن على الاقتاب عاريات الرؤوس ، وبلغت به القسوة ان امرهم ان يمروا بهن على جثث القتلى فنظرت زينب الى جسد اخيها ممزقا من الرماح والسيوف وحوافر الخيول فرفعت كلتا يديها الى السماء وقالت : اللهم تقبل منا هذا

القربان ، ودفن ابن سعد قتلاه وترك الحسين وأصحابه وبعد ثلاثة ايام تم دفنهم بواسطة الامام زين العابدين (ع) كما جاء في اكثر الروايات ، وروى المؤرخون ان ابن سعد سرح بالرؤوس بعد انتهاء المعركة الى الكوفة وكان رأس الحسين مع خولي بن يزيد الاصبحي فوجد القصر مغلقا فأتى بالرأس الشريف الى منزله ووضعه تحت اجانة ودخل فراشه، ثم قال لامرأته : جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار.

وجاء في رواية الطبري انها غضبت لما اخبرها بأنه جاءها برأس الحسين فقالت : ويحك لقد جاء الناس بالذهب والفضة وجئتني برأس ابن بنت رسول الله ، والله لا يجتمع رأسي ورأسك في بيت ابدا ، وقامت من فراشه وخرجت الى الدار وقالت : ما زلت انظر الى نور يسطع مثل العمود من الاجانة واليها ورأيت طيورا بيضاء ترفرف حولها.

وروى الرواة ان ابن زياد اذن للناس اذنا عاما فدخلوا القصر ورأس الحسين (ع) بين يديه فجعل ينكت ثناياه بقضيب كان في يده ، فرآه زيد بن ارقم ، فقال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين ، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت رسول الله يقبلها مرارا ، ثم بكى بكاء عاليا فقال له ابن زياد : لولا انك شيخ قد كبرت وذهب عقلك لقتلتك ، فقام من مجلسه وهو يقول : يا اهل الكوفة اتتم العبيد بعد اليوم لقد قتلتم الحسين وأمرتم ابن مرجانة .

وفي رواية ثانية ان ابن زياد جعل ينكت ثنايا الحسين بقضيبه ويقول :

نفلق هاما من رجال اعزة علينا وقد كانوا اعق واظلما

وكان ابو برزة صاحب رسول الله حاضرا فقال له : لا تفعل ذلك يا ابن زياد فلقد رأيت شفتي رسول الله على هذا الثغر مكان قضيبك .

ولما ادخلوا السبايا على ابن زياد انحازت زينب بنت علي (ع) الى

ناحية من القصر وهي متنكرة فالتفت ابن زياد وقال : من هذه المتنكرة؟ فلم تجبه ، فأعاد عليها السؤال ثانيا وثالثا فلم تجبه ، فقال له بعض من كان في مجلسه : هي زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ، فأقبل عليها وقال : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب احدوثتكم ، فقالت عليها السلام : الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد (ص) وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يا ابن مرجانة ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ؟ فقالت : ما رأيت الا جميلا هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يا ابن مرجانة ، فغضب من جوابها اللاذع بحضور تلك الجموع المحتشدة في مجلسه وهم بضربها فقال له عمرو بن حريث : انها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فرجع يكلمها بأسلوب الشامت الحاقد وكأنه يريد اذلالها ، فقال لها : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من اهل بيتك ، فرقت عند ذلك وبكت ، ثم قالت : لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت اصلي فان يكن في هذا شفاؤك فقد اشتفيت .

كما جرى حوار عنيف بينه وبين الامام زين العابدين (ع) لم يخش فيه سطوته ولم ترهبه قوته فانتفخت اوداج ابن زياد من الغيظ وهم بقتله لولا ان السيدة زينب (ع) القت بنفسها عليه واختارت الموت دونه، وقالت له : حسبك من دمائنا ما سفكت فاذا اردت قتله فاقتلني دونه وقال له بعض من كان في مجلسه : يكفيه ما به من المرض ، فتركه عند ذلك وقال : عجبا للرحم لقد تمنت ان تموت دونه .

وقد تحدث الرواة عن مواقف للامام زين العابدين وللسيدة الكبرى زينب مع ابن زياد ويزيد ومع اهل الكوفة رجالا ونساء وقد ذكرها

المؤلفون فيما ذكروه عن أحداث كربلاء ونهضة الحسين وما تلاها ، واكتفيت بهذه اللمحات عن حياته ونهضته وما تلاها من أحداث مخافة التطويل والملل .

ومجمل القول ان مقتله قد هز العالم الاسلامي وزلزل الافئدة وخيل للناس من هول الصدمة التي اصابتهم كأن الشمس قد كسفت وان النجوم قد غارت وتناثرت وان السماء تمطر دما وان هواتف الجن تلاحقهم من كل مكان ، لقد قتلتم ابن نبيكم واستأصلتم عترة رسولكم فانتظروا العذاب والخزي في الدنيا والآخرة ، وحتى ان الامويين بعد ان رأوا موقف المسلمين في شرق الارض وغربها من هذا الحادث ونقمتهم على البيت الاموي ، اظهروا الندم واعلنوا براءتهم من كل ما حدث وراح يحيى بن الحكم شقيق مروان ينشد :

لهام بجنب الطف ادنى قرابة ... من ابن زياد الوغد ذي الحسب الدغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله اضحت بلا نسل

كما بكى معاوية بن يزيد بكاء شديدا ، ولما سئل عن سبب بكائه وجزعه قال : لا ابكي حسرة على ما فات وانما ابكي كمدا على من سيأتي من بني امية ، وأعلن بقية الصحابة يوم ذاك انهم رأوا النبي وهو اشعث اغبر وبيده قارورة فيها دم وانهم لما سألوه عن ذلك اجابهم بأنه شهد قتل الحسين وجمع من دمه في القارورة وسيطالب قاتليه يوم يعرضون على ربهم .

وأمام غضب المسلمين ونقمتهم على بني امية لم يجد يزيد بن معاوية بدا من ان يلقي مسؤولية قتله على ابن زياد ويقول : لعن الله ابن مرجانة ، والله ما امرته بقتله ولا رضيت به وقد حملني فاحتملت ما لا يطاق ، والله لقد وددت اني تنازلت عن كل شيء وان حسينا لم يقتل ، قال ذلك كما ذكرنا ، بعد ان بلغه ان قتله قد هز جميع المسلمين وانهم

في مختلف المناطق يتأهبون للثورة عليه ، وكان قد قربه وأدناه وشكره على ما صنع قبل ان تأتيه الاخبار عن موقف المسلمين ونقمتهم عليه كما ذكرنا .

رأس الحسين (ع)

لقد اجمع المؤرخون على ان عبيد الله بن زياد اوصى ابن سعد حينما ارسله لحرب الحسين (ع) ان يمثل به ويرسل اليه برأسه تنفيذا لامر يزيد بن معاوية لعنه الله واجزاه ، وان عمرو قد مثل بالحسين وأهل بيته وأصحابه وأرسل رؤوسهم الى الكوفة وأرسلها ابن زياد الى الشام مع السبايا او قبلها كما في بعض المرويات ، وانه قد دفن اشلاء قتلاه وترك الحسين والقتلى من بنيه وأصحابه على رمال كربلاء وتم بعد ذلك دفن جسد الحسين والعباس وأصحاب الحسين حيث قبورهم الان بلا شك في ذلك عند احد من المحدثين والمؤرخين .

اما رأس الحسين فقد ارسل الى الشام مع بقية الرؤوس كما ذكرنا ووضعه يزيد بين يديه في طست وجعل ينكث ثناياه بقضيب كان في يده، ويتمثل بقول القائل كما يروي بعض الرواة :

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لاهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وقد دفن الرأس بعد ذلك ، ولكن متى وفي اي مكان فلقد اختلف المؤرخون والرواة في ذلك وتعددت اقوالهم حتى بلغت تسعة اقوال كما

احصاها بعض المؤلفين ، والذي يراه اكثر الشيعة اعتمادا على بعض المرويات انه مدفون مع الجسد في كربلاء وان الامام زين العابدين قد استوهبه من يزيد فوهبه اياه وفي طريقه الى المدينة مر على كربلاء وألحقه بالجسد الشريف .

والقول الثاني ان يزيد بن معاوية ارسله الى المدينة وكان الوالي عليها عمرو بن سعيد بن العاص ودفنه عمرو بن سعيد الى جانب قبر امه وأخيه الحسن في البقيع ، وممن ذهب الى ذلك ابو الفداء في تاريخه وعمر بن الوردي في المجلد الاول من تاريخه ايضا وعلي بن عبد الله السمهوري في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، وأضاف الى ذلك ان ابن ابي الدنيا قال وجدوا في خزانة ليزيد بن معاوية راس الحسين(ع) فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس .

وقيل كما جاء في اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين : ان يزيد بن معاوية امر ان يطاف برأسه في البلاد فلما انتهى الى عسقلان دفنه اميرها بها . ولما غلب الافرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه عدة مراحل ووضعه في كيس من حرير اخضر على كرسي من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة بالقرب من خان الخليلي .

وقال صاحب مرشد الزوار الى طريق الابرار كما نقل عنه مؤلف نور العين في مشهد الحسين : ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين ان هذا الرأس الذي بالقاهرة هو رأس الحسين (ع) وكان بعسقلان وفي عهد الظاهر الفاطمي كتب عباس الى الظاهر يقول : ان الافرنج لقد اشرفوا على الاستيلاء على عسقلان وان بها رأسا يقال انه رأس الحسين ابن علي فارسل اليه من تختار ليأخذه ، فبعث اليه مكنون الخادم مع جماعة من الخدم فحمل الرأس من عسقلان الى مصر ثم ادخل الى القصر

واستقر فيه كما هو الان وبنى الظاهر مسجد الفاكهاني ليجعله فيه ، وبنى طلائع بن رزيك مسجدا بظاهر باب زويلة ايضا وهو المسمى بجامع صالح ليجعله فيه ، ثم استقر رأيهم على ان يجعلوه في القصر في قبة تعرف بقبة الديلم وكانت دهليزا من دهاليز الخدمة ونظم المهذب بن الزبير بهذه المناسبة قصيدة طويلة يقول فيها :

لهف نفسي لرؤوس نقلت بعد مثواها هنا ثم هنا

وقال المقريزي في المجلد الاول من خططه ان الافضل بن امير الجيوش خرج في عسكر كبير الى بيت المقدس وبه سقمان وايلغاري ابنا ارتق في جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك ، وفي قاموس الأعلام لسامي بك ان ارتق هو مؤسس دولة بني ارتق الذين حكموا ديار بكر وحلب وماردين، وقد حكم سقمان وايلغاري ابنا ارتق من سنة ٤٨٤ الى سنة ٥١٦ ، فراسلهما الافضل بن امير الجيوش يلتمس منهما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه فقاتل البلد ونصب عليها المنجنيق وأخيرا فلم يجدا بدا من الاذعان اليه وسلماه القدس ، وعاد في عساكره فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين (ع) فأخرجه وعطره وحمله في سفط الى اجل دار بها وعمر المكان الذي كان فيه الرأس فلما تكامل البناء حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى ان وضعه في محله ، وفي سنة ٥٤٨ نقل الرأس من عسقلان الى القاهرة وكان الذي نقله من عسقلان الى القاهرة الامير سيف المملكة والقاضي المؤتمن بن مسكين ودفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل يقبل الارض امام القبر .

ويبدو من المعنيين بتحقيق هذه الامور ان الرأس الشريف مر بمرحلتين حتى استقر في القاهرة اذا صح انه فيها ، الاولى انه دفن اولا في دمشق في مكان قريب من باب الفراديس بأمر من يزيد بن معاوية، او انه وجد في خزائنه فأخذ منها ودفن .

وممن رجح دفنه في دمشق ابن ابي الدينار البلاذري في تاريخه والواقدي ايضا ، وهؤلاء بين من ذهب الى انه مدفون بباب الفراديس وبين من ذهب الى ان يزيد بن معاوية دفنه في قبر ابيه ، وبين من ذهب الى انه دفن في المسجد وقيل في سور البلد ، وبعد ذلك نقل من دمشق الى عسقلان بواسطة الفاطميين ، وبقي بها الى القرن الخامس الهجري ، وممن ذهب الى ذلك عثمان مدوخ في كتابه العدل الشاهد في تحقيق المشاهد ، فقد قال في كتابه بعد ان عرض هذه المراحل : والدليل على ذلك ان بعض العلماء عمد الى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجعله خزانة لحفظ الكتب فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير مكتوب عليه بالنقش في الحجر ما فهموا منه ان هذا مشهد رأس الحسين السبط فرفعوا ذلك الى والي الشام فذهب ورأى ذلك بنفسه وأمرهم ان لا يحدثوا في المكان شيئا ، ثم رفع الامر الى السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، فأمر بكشف ذلك المكان بحضور جمهور من العلماء والامراء ووجوه الناس وكشفوا الحجر الذي عليه الكتابة فوجدوا فجوة خالية ليس فيها شيء وبعد ان رآها الحاضرون امر بسدها كما كانت ، ورفع ذلك الى السلطان عبد المجيد فأمر بصنع طوق من الفضة حول الحجر ، ومضى المؤلف يقول : وكنت اعلم مقدار وزنه وأظنه سبعة آلاف درهم ، واستطرد يقول : ان هذه الامارة تدل على ان هذا الرأس دفن بدمشق وبعدها بنحو مائة عام ظهر مشهد عسقلان وانتقل من عسقلان الى القاهرة بواسطة الملك الصالح طلائع في نصف القرن السادس .

وأكد وجوده في القاهرة حيث مشهده الان (عبد الرحمن كتخدا القر دغلي) لما اراد توسيع المسجد المجاور للمسجد الشريف ، قيل ان هذا المشهد لم يثبت فيه دفن فأراد تحقيق ذلك فكشف مشهد الحسين بحضور الناس ونزل فيه الاستاذ الجوهري الشافعي والاستاذ الشيخ

الجلوي المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين فشاهدا كرسيا من الخشب الساج عليه طست من الذهب فوقه ستار من الحرير الاخضر وفي داخله الرأس الشريف فأخبر الناس بذلك فبنى المسجد والمشهد وأوقف لهما اوقافا لا يزال ريعها ينفق عليهما .

وقيل ان الرأس مدفون بمسجد الرقة في المدينة المشهورة كما نص على ذلك عبد الله بن عمر الوراق في كتابه المقتل ، فقد جاء فيه : لما ارسل ابن زياد رأس الحسين الى يزيد بن معاوية قال : لابعثنه الى آل ابي معيط بدلا عن رأس عثمان وكانوا في الرقة فبعثه اليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم ادخلت تلك الدور في المسجد وهو الى جانب سدرة هناك .

وقيل انه في دمشق ولم يخرج منها وروى الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابي بكر انه قال : كنت في القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد ونهبوا خزائنه في دمشق فأخذت سفطا وقلت فيه غنائي وركبت فرسي وجعلته بين يدي وخرجت من باب توما ففتحته واذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه هذا رأس الحسين بن علي فنزلت عن فرسي وحفرت له بسيفي ودفنته .

وقيل ان سليمان بن عبد الملك قد دفنه بعد ان بقي في خزائن الامويين الى عهده ، فلما تغلب المسودة سألوا عن موضعه ونبشوه وأخرجوه ، وقيل انه بقي مدفونا الى عهد تيمورلنك فنبشوه وأخذوه الى بلادهم ودفنوه فيها كما اكد جماعة منهم ابن تيمية ان المكان الموجود في القاهرة ليس لرأس الحسين وقيل غير ذلك عن الرأس الشريف ومكانه ولم يتقدم احد ممن تبنوا تلك الاقوال بدليل قاطع ولا برواية يمكن الاطمئنان اليها وحتى ان من قال من الشيعة بأنه دفن مع الجسد الشريف في كربلاء لم يقدم دليلا مقنعا على ذلك ، والقدر المتيقن ان الجسد الشريف قد دفن حيث مشهده الان وان الرأس الكريم قد حمل الى

الشام مع السبايا .

اما خروجه من الشام الى عسقلان او الرقة او المدينة او القاهرة ، او انه بقي في خزائن بني امية وغير ذلك فليس فيما بأيدينا من المصادر ما يوجب الاطمئنان الى شيء من ذلك ، ومن الجائز القريب ان يكون يزيد بن معاوية قد دفنه في الشام اما الى جانب المسجد او في مقبرتها، لانه قد احس بالنقمة العارمة عليه في مختلف المناطق الاسلامية وأدرك ان نتائج قتل الحسين ستكون قاسية عليه وعلى البيت الاموي بصورة عامة، لذلك فقد كان يحاول تلافي اخطار جريمته التي لم يسجل التاريخ لها مثيلا ويتملق الى الامام زين العابدين والى السبايا ويتنصل من ابن زياد ويلعنه في المجتمعات ويقول : لقد حملني ابن مرجانة ما لا اطيق .

ومن البعيد في مثل هذا الجو المشحون بالقلق والاضطراب ان يترك رأس الحسين (ع) بين يديه او في خزائنه في حين ان بقاءه يثير الاحزان ويعيد الى الاذهان صورا لتلك المأساة التي أحس المسلمون بمرارتها وأحس هو وأسرته بأخطارها ، ويترك آثارا سيئة لا يمكن تلافي نتائجها، لذلك فاني ارجح ان يكون دفنه قد تم خلال الايام الاولى من دخوله الى الشام ، اما في باب الفراديس او في مقبرتها او في مكان ما ، اما نقله بعد ذلك الى عسقلان ومنها الى القاهرة او الى مكان آخر فليس بمحال، ولكن ثبوته يحتاج الى دليل وما ذكروه لا يصلح ان يكون دليلا . وعلى اي الاحوال فاذا حل الحسين في بقعة صغيرة من بقاع الارض فقد حل في الوقت ذاته في قلوب آلاف الملايين من المؤمنين الطيبين واذا خفيت تلك الرقعة الصغيرة على الباحثين والمؤرخين وحتى على انصاره ومحبيه فالقلوب التي احتلها الحسين واتخذته امامها وقائدها ومثلها الاعلى لا تخفي حبها وولاءها وتقديسها للحسين وأنصار الحسين ولكل من يسير على درب الحسين بفخر واعتزاز ، لقد احتل الحسين كل قلب يبتسم للحق والخير والعدالة ونصرة الضعيف والمظلوم ويحقد على

الظالمين والطغاة المستبدين والخونة والمنافقين ويضحي في سبيل الله بنفسه وبكل ما يملك من مال وبنين ، وبما ان قلبي من تلك القلوب التي احتلها فاني اقول بفخر واعتزاز للباحثين عن مكانه :

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق ارض او بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي [1]

---

١ ــ لقد اعتمدنا في ما كتبنا عن رأس الحسين (ع) على ما جاء في كتاب الحسين بن علي لعلي جلال الحسيني ص ١٣٩ وما بعدها .

بين صلح الحسن وثورة الحسين (ع)

لقد اختلفت مواقف الكتّاب والمتحدثين عن صلح الحسن وثورة الحسين (ع) فاستصوب صلح الحسن (ع) وخطأ الحسين في ثورته جماعة ووقف جماعة منهم موقفا معاكسا فخطأوا الحسن وصوبوا الحسين (ع) كما استصوب موقفهما فريق ثالث ، وأكثر المستشرقين قد خطأوا الحسين في ثورته ووافقهم على ذلك جماعة من الكتّاب العرب القدامى والمحدثين ، وقد ذكرنا في الفصول السابقة خلال حديثنا عن صلح الحسن بن علي (ع) وتسليمه السلطة لمعاوية بن هند ، انه كان حكيما في هذا الموقف الى ابعد الحدود وقد املته مصلحة الاسلام العليا عليه ، ولو انه استمر في مناهضة معاوية في ذلك الجو المهيأ لانتصار معاوية عليه وبعد ان اعلن معاوية عن رغبته في الصلح وان الحسن سيكون الآمر الناهي وينحصر دور يزيد في التنفيذ لا غير ، لو انه استمر في مناهضته والحال هذه مع تفكك جيشه وانحياز اكثره لجانب معاوية لكان استئصال الحسن واخوته وأهل بيته وخلص شيعته وتحوير الاسلام كما يريد من ايسر الامور على معاوية ، ولو حدث ذلك وليس لدى معاوية ما يمنعه من ذلك لحقق معاوية احلام اسلافه الذين حاربوا

الاسلام عشرين عاما او تزيد ولم يعد يرهب احدا من المسلمين في شرق الارض وغربها كائنا من كان ، ومع وجود الحسنين والبقية الباقية من اتقياء المسلمين وحرصهم على إحياء السنّة ومحاربة الظلم والطغيان فلقد احدث امورا تمس الشريعة والاسلام في الصميم، ولها دلالتها الواضحة على تشويه الاسلام واستغلاله من اجل الملك وأهواء الحاكمين ، وقد ذكرنا فيما مضى انه لم يكن يستطيع ان يخفي عن خاصته ما في نفسه من حسد وحقد على محمد بن عبد الله (ص) لان اسمه يردد من على المآذن والمنابر في كل يوم مئات المرات الى غير ذلك مما ذكرناه في الفصول السابقة من الارقام التي تمثل موقف الحسن من معاوية بن ابي سفيان كانت تمليه مصلحة الامم العليا التي كانت تتحكم بتصرفات اهل البيت وتحركاتهم في جميع الاحوال .

اما الذين تناولوا ثورة الحسين بالنقد والتجريح فهم بين من تناولها بدافع التعصب الاعمى ومشايعة الامويين كأبي بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم ، حيث امتدح يزيد ورأى خروج الحسين عليه خطأ لا مبرر له ومضى يقول : واذا كانت الخلافة قد خرجت من اخيه ومعه جيوش الارض وكبار الخلق يطلبونه فكيف ترجع اليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة كانوا ينهونه وينهون عنه ، وأضاف الى ذلك:

لقد كان اولى بالحسين ان يتبع حديث جده حيث قال : ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ، فكان اولى به ان يسعه بيته ويبايع ، ولم يكن يزيد هو الذي قتله ولا واليه عبيد الله بن زياد ، بل قتله من استدعاه ثم اسلمه من اوباش اهل الكوفة .

وقد حذا حذو ابن العربي ابن حزم الاندلسي وابن تيمية وغيره من الظاهريين والسلفيين واباضية الخوارج الذين بلغ بهم التطرف والغلو اقصى حدودهما فقدسوا يزيد لانه قتل الحسين واتخذوا من يوم

عاشوراء عيدا يباركونه لان الحسين بن علي قد قتل فيه ولا يزالون يحتفلون بهذا اليوم حيث يوجدون في اطراف الجزائر وغيرها ولعل اليوم العاشر من المحرم من اعظم الاعياد في الجزائر حتى يومنا الحالي.

وقد احتج اصحاب هذا الرأي على ما يبدو من مؤلفاتهم بما حاصله ان الحسين (ع) قد رفض بيعة يزيد وفرق الجماعة وأراد اشعال الفتنة بين المسلمين ، وان يزيد ووالية على الكوفة لم يبدأه بالشر والفتنة بل هو الذي بدأهما ومن فعل ذلك حل دمه حفظا لوحدة الامة وذودا عن سلطانها وكرامتها عملا بقول جده: من اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي مجتمعة فاضربوه بالسيف كائنا من كان ، وشاع عن هؤلاء المغالين في تعصبهم للبيت الاموي كابن تيمية والغزالي وغيرهما انهم يقولون : لقد قتل الحسين بسيف جده الى غير ذلك من المقالات التي تنم عن حقدهم وعدائهم السافر لعلي وآل علي عليهم السلام .

والشيء الغريب من هؤلاء الذين برروا جرائم يزيد بما نسبوه الى الرسول (ص) ولم يطبقوا الحديث المزعوم على معاوية بن ابي سفيان ، مع انه خالف الامة وفرق كلمتها وشق عصاها وهي مجتمعة على علي (ع) امام المسلمين وسيدهم وقد بايعه من بايع ابا بكر وعمر وابن عفان وباركت خلافته جميع الاقطار الاسلامية ، كما خالف الامة والجماعة بعدوانه الاثيم على سبط الرسول وسيد شباب اهل الجنة الحسن بن علي (ع) بعد ان بايعه ما بقي من المهاجرين والانصار وجميع الاقطار الاسلامية التي كانت مجتمعة على ابيه ، وأغرى انصاره وجنده بالاموال والوعود الكاذبة حتى اضطره الى ترك السلطة بشروط كان من اهمها وأبرزها ان يترك الامر بعده له او للمسلمين ليختاروا من يرونه صالحا لدينهم ودنياهم ، فنقض جميع شروطه وسعى في قتله ثم فرض ولده الخليع المستهتر على المسلمين وهم له كارهون وخائفون على شريعة محمد بن عبد الله اكثر من خوفهم على انفسهم ، ومع ذلك فقد بقي عند

الجمهور الاعظم من اهل السنّة من صحابة الرسول الكرام وعدولهم الاتقياء ، في حين ان الحديث المزعوم يأمر بقتله ، هذا بالاضافة الى ان حديث النبي لعمار المعترف به عندهم يدمغه بالبغي ، والباغي يجب قتاله وقتله بحكم القرآن .

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله .

وهل رجع معاوية عن بغيه الى الله وقد نقض شروط الصلح وأمر بسب علي على منابر المسلمين الى ان يشب على ذلك الصغير ويهرم عليه الكبير ، وقتل المئات من الصلحاء والابرياء كحجر بن عدي وأمثاله ، كما قتل امام المسلمين الحسن بن علي.(ع) بنص الرسول على امامته ، والحق زيادا بأبيه مخالفا بذلك حكم القرآن وسنّة الرسول (ص) واجماع الامة وبدد اموال المسلمين ووزعها على انصاره وأتباعه ، ولم يخرج من الدنيا الا بعد ان سلط ولده على رقاب المسلمين وهم له كارهون .

ومجمل القول ان الحديث على تقدير صحته ناظر الى من يحاول تفريق امر الامة المجتمعة على الامام القائم بأمر الله العامل بشريعته الحريص على مصالح المسلمين وحقوقهم ، اما اذا كان الحاكم ظالما متجاهرا بالفسق والفجور يتحدى الشريعة ومبادئها كيزيد فعلى الامة بحكم القرآن والاسلام ان تقاتله والا كانت شريكة في كل اعماله وتصرفاته ، وقد خرج الحسين (ع) على حكومة يزيد بهذا الواقع ، مع علمه بأن المعركة العسكرية ليست لصالحه ، ولكن نتائجها ستكون لصالح الاسلام والمسلمين كما سنثبت ذلك بالارقام بعد هذا العرض السريع لآراء الناقدين والمخطئين .

لقد ذكرنا ان الذين تناولوا ثورة الحسين بالنقد والتجريح بين من تناولها بدافع العصبية للامويين والتشيع لهم ، وبين من تناولها من الناحية السياسية والعسكرية كأكثر المستشرقين وبعض العرب المحدثين

من غير ان يقدروا الظروف التي كانت تحيط بالحسين (ع) ودوافعه الدينية والنتائج التي اسفر عنها مقتله ، في حين ان التاريخ لا يعرف معركة لاقت هزيمة كمعركة الحسين مع اخصامه وتركت من الاثر في مجال السياسة والعقيدة ما تركته تلك المعركة ولا معركة اقضت مضاجع المنتصرين ونهشوا اصابعهم من الندم كما جرى للمنتصرين في معركة كربلاء .

ومع كل ما سجله التاريخ من المكاسب فقد نظر اليها هذا الفريق من الكتّاب تلك النظرة السطحية واتهموه بالقصور وسوء التقدير لموقفه الذي حكم عليه ان يشهد مصرع اولاده واخوته وأهله امام عينيه وسيلحقهم لا محالة على حد تعبير بعضهم .

وقال فلهوزن في كتابه الخوارج والشيعة : لقد مد الحسين بن علي يده كالطفل ليأخذ القمر وادعى اعرض الدعاوى ولكنه لم يبذل شيئا في سبيل تحقيق ادناها بل ترك للآخرين ان يعملوا من اجله كل شيء ، ولم يكد يصطدم بأول مقاومة حتى انهار فأراد الانسحاب ولكن كان ذلك متأخرا فاكتفى بأن راح ينظر الى انصاره وهم يموتون في القتال من اجله وأبقى على نفسه حتى اللحظة الاخيرة ، ومضى يقول : لقد كان مقتل عثمان بن عفان مأساة ، اما مقتل الحسين فكان قطعة مسرحية انفعالية ، ولكن عيوب الحسين الشخصية تختفي امام هذه الواقعة وهي ان دم النبي (ص) يجري في عروقه وانه من اهل البيت (ع) .

ويرى المستشرق جولدتسهر في كتابه العقيدة والشريعة ، ان الحسين في ثورته على حكومة يزيد قد انساق لطيش الشيعة وقصر نظرهم حين اشركوه في تلك المعارك الدامية مع البيت الاموي .

وأما سير وليم مور ، فقد نظر اليها نظر من بيده النفوذ والسلطان فكل حركة ثورية في نظره تعد فتنة ، ومضى يقول : ان الحسين بانسياقه الى تدبير الخيانة سعيا وراء العرش قد ارتكب جريمة هددت

كيان المجتمع وتطلبت من اولي الامر في الدولة الاموية التعجيل بقمعها.

وسلك لامنس نفس المسلك فانتقد خروج الحسين بلهجته التي اعتاد عليها في معالجة بحوثه الاسلامية المليئة بالدس والكذب والافتراء على الاسلام ورجالاته وأهل بيت النبي (ص) .

وقد نظر هؤلاء الى الحسين (ع) كرجل يطلب الملك بتلك الحفنة من اهله وأنصاره كما هي عادتهم في معالجة المسائل بطريقة بعيدة عن الواقع ومنطق الاحداث التي ترافقها في حين ان الباحث باستطاعته ان يعثر على اكثر من شاهد على ان الحسين (ع) في خروجه وموقفه العسكري من اخصامه لم يكن يقصد ان يحقق نصرا عسكريا ولا ان يستولي على السلطة ، ذلك لانه على ما يبدو من تصريحاته ومواقفه كان يعلم بأنه سيقتل في طريقه هذا ، ولم يخرج على يزيد بن معاوية الا بعد ان ادرك ما يحيط بالامة الاسلامية من اخطار لا يمكن تلافيها الا بتلك التضحية التي عزم عليها ونفذها ، وبامكان الباحث ان يجد عددا من الشواهد على انه كان يعلم بالمصير الذي انتهى اليه قبل خروجه من مكة .

فمن ذلك انه رفض كل مشورة وجهت اليه بعدم الخروج الى العراق في حين ان الذين اشاروا عليه اكثرهم من محبيه كعبد الله بن عباس وابن جعفر وابن الحنفية وعبد الله بن مطيع الذي اشار عليه مرتين بأن لا يفكر في الخروج الى العراق ، مرة وهو بطريقه الى مكة ، والاخرى حيث التقى به وهو في طريقه الى العراق ، وأبا هرة الاسدي وعبد الله ابن سليم ، وابن المشمعل والفرزدق وغيرهم ممن صوروا له موقف اهل الكوفة على واقعه وحذروه من المصير الذي لاقاه ، وفي ذلك ما يكفيه لان يعيد النظر في امر الكوفة لو كان طامعا في الخلافة .

كما وان خطبته في مكة قبيل خروجه تكاد تكون صريحة في انه كان على صلة بكل ما جرى، وقد افتتحها بقوله خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وقال فيها : الا ومن كان باذلا فينا مهجته موطنا

على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحا ان شاء الله .

وقال لاخيه محمد بن الحنفية في المرة الثانية التي راجعه فيها بخصوص عدم الذهاب الى الكوفة ، فقال له : اتاني رسول الله بعدما فارقتك وقال يا حسين اخرج فان الله شاء ان يراك قتيلا ، فقال له محمد اخوه : اذا كنت تخرج للقتل فما معنى حملك هذه النسوة ، فقال : لقد شاء الله ان يراهن سبايا ، كما قال لابن عباس وهو يتململ بين يديه ليثنيه عن عزمه : ان رسول الله امرني بأمر وأنا ماض اليه .

وقال لشخص التقى فيه بالطريق وأخبره بحال الكوفة وحذره من المضي في طريقه : ليس يخفى علي الرأي ولكن الله لا يغلب على امره.

وقال في بعض المناسبات : والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، ولو كنت في حجر هامة من هوام الارض لاستخرجوني وقتلوني ، وقوله في كتاب كتبه لمن تخلف عنه من الهاشميين : اما بعد فان من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يدرك الفتح الى غير ذلك من كلماته ومواقفه التي لا تترك مجالا للشك في انه كان يعلم بالمصير الذي انتهى اليه ولم يكن يطلب السلطة او يحلم بالانتصار على القوم ، وانما خرج لامر يتصل بالاسلام مباشرة وتلافيا للاخطار الجسيمة التي احاطت به خلال حكم معاوية وما سيحيط به من استهتار يزيد وسوء نواياه ، لان اطماع معاوية كانت تتسع لاكثر من الملك ، وكان يحاول مع الاستيلاء على السلطة تضليل الجماهير وتشويه وجه الاسلام ومعتقداته، فأعلن اكثر من مرة على جماهير الناس ان الخلافة بينه وبين علي (ع) قد احتكما فيها الى الله وقضى له فيها عليه .

وحينما اراد البيعة لولده يزيد من اهل الحجاز اعلن ان اختيار يزيد للخلافة كان قضاء لا مرد له وليس للعباد خيرة من امرهم فيها ، كما كان يحاول في كل مناسبة ان يقر في اذهان المسلمين ان كل ما يصدر عن الخليفة ولو كان معصية لله هو من القضاء المبرم المكتوب على العباد ،

ليبعث اليأس والتخاذل في النفوس والاستسلام للحاكمين مهما اسرفوا في المعاصي والمنكرات والظلم والعدوان ، وحتى لا يكـــون مسؤولا تجاه الرأي العام عن سوء تصرفاته ، لان تصرفاتهم اذا كانت بحكـــم القضاء المبرم ولا شأن لهم بها فلم يعد ما يوجب ادانتهم عليها واعطاءهم حقة العصاة المتمردين على الله .

وكان ولده يزيد اكثر استهتارا منه ، ولعله اخبث نية وعقيدة كمـا يبدو مما وصفه به عبد الله بن حنظلة المعروف والده بغسيل الملائكـة حيث قال كما يروي الرواة عنه : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ان رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات ويشرب الخمور ويتجاهر بترك الصلاة والصيام والله لو لم يكن معي احد من الناس لابليت الله فيه بلاء حسنا .

لقد نظر الناقدون للحسين (ع) لثورته من الناحية العسكرية التي يجب ان تتوفر لها مقومات الثورة والظروف الملائمة كما هي عادتهم في احكامهم على جميع الانتفاضات العسكرية عندما تفشل الثورة ولـــم تحقق الربح المطلوب فاعتبروه مغامرا من اجل الحكم ويتصرف في ضمن هذا الاطار الخاص من غير ان يعد العدة لذلك ، في حين انهم لو امعنوا في تفكيرهم وتجردوا في دراستهم لوجدوه من غير هؤلاء ولعلموا بأن تحركاته كانت منسجمة مع واقعه كمسؤول عن الاسلام وابن لصاحب الرسالة قد اتجهت اليه الانظار وحده من كل الجهات وربطت مصـــير الاسلام بموقفه في تلك الفترة العصيبة من التاريخ .

ولو بايع الحسين (ع) يزيد كما يطلب الناقدون لثورته وكما فعل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما من المتخاذلين لو فعل ذلك لكان من ايسر الامور على يزيد ان يضفي على خلافته صفة الشرعية ويكسم الافواه عن كل تصرفاته وأعماله المعادية للاسلام ، ولكنه في امتناعه عن البيعـــة

وخروجه بأهل بيته وبتلك الحفنة من انصاره واستشهاده بالنحو الذي جرى له بعد ان اقام الحجة عليهم ولم يترك لهم منفذا يبرر اقدامهم على قتله وقتل اولاده وأنصاره وسبي نسائه قد افسد جميع تدابير معاوية وولده من بعده وأدان الدولة الاموية بانتهاكها لقوانين الاسلام وشرائعه وامتهانها لمثله العليا وجميع مقدساته ، ولم يجد وسيلة تفضح مخططاتهم ومواقفهم العدائية من الاسلام اجدى من بذل دمه وتعريض نسائه للسبي من بلد الى بلد ، وأصبح الجمهور الاعظم من المسلمين الذي استسلم لخلافة معاوية بعد عام الجماعة اصبح بعد مقتل الحسين في صيف المعارضين لحكم الامويين يعبر عن معارضته لحكمهم الظالم بالسيف حينا وبالانكار باللسان والقلب حينا آخر واشتعل في نفوس الجماهير حزن عميق لم يخمد لهيبه طوال تلك القرون وحتى يومنا الحالي، وأحس المسلمون في مختلف مناطقهم بوقع تلك الصدمة وآثارها السيئة التي سوف لا ينجو منها احد اذا لم يثار المسلمون لكرامة الاسلام وكرامتهم.

وقد عبر اهل الكوفة عن عميق شعورهم بالاثم بقولهم : دعونا ابن بنت نبينا وبخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا واسيناه بمالنا فما عذرنا عند لقاء نبينا ، وكانت انتفاضة التوابين وبعدها حركة المختار التي استطاع بها ان يستأصل جميع من اشتركوا في معركة الطف ، كما خرج اهل الحجاز وفيهم البقية من اصحاب الرسول (ص) فخلعوا طاعة يزيد وأداروا الامويين بما ارتكبوه من الحسين وأنصاره وعياله ، وتوالت بعده الحركات والثورات ضد الامويين وأصبحت دماء الحسين امضى وأشد فتكا من جميع الاسلحة ، وقام بها ملك العباسيين والفاطميين ، وتستر بها كل طامع في الحكم ، وحتى ابن الزبير العدو اللدود لعلي وآل علي (ع) قد استغلها لصالحه .

وفي رأيي ان مقتل الحسين (ع) كما ارسى دعائم الاسلام وفضح مخططات الامويين وأيقظ المسلمين قد ادان اعداء امير المؤمنين عليا (ع) من اهل الشام وخاذليه من اهل العراق على السواء ، حيث كاد ان يضيع المغزى من حروب علي وصلح الحسن (ع) بين كيد الاعداء وخيانة الانصار وتضليل معاوية للجماهير بأساليبه المعروفة ، فلما قتل الحسين وطاف بنو امية برأسه ونسائه في البلدان ظهر لاكثر المسلمين ان الصراع بين العلويين والامويين هو امتداد للصراع الذي كان بين محمد بن عبد الله (ص) وأبي سفيان بن حرب ومن على شاكلته من القرشيين والمشركين .

ومجمل القول ان نهضة الحسين (ع) كانت تخطيطا محكما في منتهى الدقة ، لانه لو اخذ برأي الناصحين له بالجلوس في بيته والاستسلام لاعطى لحكومة يزيد صفة الشرعية ولو خرج الى اليمن او بلد آخر يطلب الانصار والأتباع لطالت الحرب بينه وبين الامويين واتهم باثارة الفتنة وشق العصا وضاعت عدالة قضيته ، وقد رفض الا ان يحمل معه اهله ونساءه ليشهد العالم على ما سيقترفه بنو امية مما لا يبرره دين ولا وازع من ضمير وانسانية وحتى لا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء حين يفقد الشاهد على كل ما جرى بينه وبين اخصامه .

وقالت الدكتورة بنت الشاطىء في كتابها بطلة كربلاء : لقد افسدت زينب اخت الحسين على ابن زياد وبني امية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وان كل الاحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وابن الزبير وسقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وتأصل مذهب الشيعة انما كانت زينب بطلة كربلاء باعثة ذلك ومثيرته .

وقال الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية : واذا كان قد هزم في معركة حربية او خسر قضية

سياسية ، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الاثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين (ع) فقد اثار مقتله ثورة ابن الزبير وخروج المختار، ولم ينقض ذلك حتى انقضى الامر الى ثورات اخرى الى ان زالت الدولة الاموية بعد ان اصبحت ثارات الحسين هي الصرخة المدوية لتدكّ العروش وتزيل الدول فقام بها ملك العباسيين ثم الفاطميين واستظل بها الملوك والامراء بين العرب والفرس والروم .

ومضى يقول في كتابه المذكور : لقد استطاع الحسين (ع) ان يجعل اولئك الذين لم يأبهوا لمقتل ابيه ، ولم يعبأوا للذل الذي تركه اخوه يذوقونه تحت رحمة الامويين استطاع وان كلفه ذلك حياته ان يجعل الذين خانوا اباه وغدروا بأخيه في حزن مقيم وعبرة لا تسكن وندب لا يذهب مهما طالت السنون وانقضت القرون .

كما استطاع ان يركز حملة من السخط والكراهية على الامويين بعد ان كادت تصبغ على خلافتهم صفة الشرعية بعد عام الجماعة ، وأضاف الى ذلك: لقد اصبح الحسين عند المسلمين امام كل حركة قامت كدك العروش وخلع الملوك الذين تسنموا الحكم باسم الخلافة ، وفي مجال العقيدة فالتشيع حسيني اذ هو اعظم ائمة الشيعة على حد تعبيره على الاطلاق بعد والده ، اذ كان لمقتله من الاثر في العقيدة ما لم يتركه اي امام من ائمة الشيعة على الاطلاق بعد علي (ع) .

واستطرد في حديثه عن نتائج نهضة الحسين وآثارها الخالدة يقول: من اجل هذا كله ادرك مستشرق الماني لم ينظر الى خروج الحسين نظرة عسكرية بحتة ادت الى الحكم السطحي عليها كما فعل غيره من المستشرقين ، اذ اعتبرها المستشرق (ماريني) بتدبير من الحسين توخاه منذ اللحظة الاولى وعلم موعد النصر فيه ، فحركة خروجه على يزيد انما كانت عزمة قلب كبير عز عليه الاذعان وعز عليه النصر العاجل فخرج

بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الاجل بعد موته ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة .

وقال الدكتور احمد صبحي : ولم يكن خروج الحسين بعد ذلك كله كمن يقوم بعمل انتحاري يحسب عليه من قبيل القاء نفسه في التهلكة ، فقد قطع على اعدائه كل عذر ، ولم يدع لهم حجة تبرر اقدامهم على قتله حين عرض عليهم شروطه وحين تحمل العطش هو ومن معه وفي معسكره من النسوة والاطفال ، وحين لم يبدأهم بقتال حتى اغلق عليهم باب كل عذر وحين وقف فيهم خطيبا قبل نشوب القتال وسألهم فيم يقتلونه وليس لهم ثأر عنده ولم يغتصب منهم مالا وهم لا يشكون انه ابن بنت نبيهم ، ومع ذلك فهذه كتبهم التي تملأ خرجين كبيرين كلها تدعوه للخروج وقد نثرها بين ايديهم .

وهكذا فان حركة الحسين السياسية والعقائدية تفصح عن بواعث خروجه التي لم يفصح عنها هو حين خالف الناصحين والمشيرين ، فضلا عن ان خروجه على يزيد لم يكن هناك من محيص عنه لما يترتب على بيعته من الاخطاء الجسيمة التي لا تبررها تقية ولا تشفع لها الاعذار ، واستطاع بحركته ان يسلط معاول الهدم على دولة بني امية وأن يغير مجرى التاريخ الذي اراد الامويون ان يخطوه بأيديهم .

لقد جاء في الاستيعاب لابن عبد البر عن الحسن البصري ان الذين قتلوا مع الحسين من اهل بيته رجال ما على وجه الارض يومئذ لهم شبيه .

وجاء في شرح النهج لابن ابي الحديد انه قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد : ويحكم أقتلتم ذرية رسول الله (ص) فقال عضضت بالجندل : انك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة ايديها في مقابض سيوفها كالاسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا وتلقي انفسها على الموت لا تقبل الامان ولا ترغب في المال ولا يحول

حائل بينها وبين الورود على حياض الميتة او الاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويدا لاتت على العسكر بكامله فما كنا فاعلين لا ام لك .

وذكر منهم بعض المؤرخين والاصفهاني في مقاتل الطالبيين علي بن الحسين الاكبر ، وكان له من العمر تسع عشرة سنة ، وفي رواية ثانية ثلاث وعشرون سنة وأمه ليلى بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وتؤكد المرويات الكثيرة انها كانت مع الحسين في كربلاء وشهدت مصرع ولدها .

وعبد الله بن الحسين وكان طفلا صغيرا وقد تناوله الحسين من اخته زينب ليودعه في آخر ساعة من حياته فأصيب بسهم في رقبته وهو في حضن ابيه ، وجاء في اكثر المرويات ان الحسين اخرجه من الخيمة وطلب له من القوم ماء بعد ان اضر به العطش فرماه حرملة بن كاهل بسهم اصاب رقبته ومات من ساعته ، وأمه الرباب بنت امرىء القيس بن عدي .

وفي رواية حميد بن مسلم وهو الذي احصى اكثر حوادث الطف ان الحسين (ع) دعا بغلام صغير فأقعده في حجره فرماه عقبة بن بشير بسهم فذبحه فأخذ الحسين من دمه بكفيه ورمى به نحو السماء وقال : اللهم لا يكون اهون عليك من فصيل ناقة صالح .

العباس بن علي المعروف بأبي الفضل ويلقب بالسقا ، وجاء في عمدة الطالب لابن مهنا : انه كان يأتي بالماء لاخيه وعائلته خلال الايام الاخيرة التي اشتد فيها الحصار على الحسين وفي المرة الاخيرة خرج في طلب الماء كعادته ولم يرجع ودفن في مكانه بالقرب من الشريعة وأمه ام البنين، وقتل قبله من اخوته لأمه وأبيه ثلاثة بين يدي الحسين ، وكان وسيما جميلا يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الارض كما وصفه المؤرخون ، ويلقب بقمر بني هاشم والسقا ، وقد بكاه الحسين على صبره وجلده ، وقال : الان انكسر ظهري، وله من العمر حين قتل اربع وثلاثون سنة .

عبد الله بن علي بن ابي طالب وأمه ام البنين ، وقد قدمه العباس وقال له : تقدم بين يدي الحسين لاحتسبك عند الله فتقدم وقاتل قتال الابطال فتكاثروا عليه وقتلوه .

جعفر بن علي شقيق العباس ايضا وكان في مطلع شبابه لم يبلغ العشرين كما وصفه المؤلفون في أحداث كربلاء فقاتل القوم قتال الابطال المستميتين وقتل بعد ان تكاثروا عليه ، كما تقدم بعده اخوه عثمان بن علي وقتل ايضا وهؤلاء الثلاثة والعباس من ام فاطمة بنت حزام وبهم كانت تكنى وتعرف بأم البنين . ويروي الرواة انها بعد قتلهم كانت تخرج الى البقيع وتندبهم فيجتمع عليها العدو والصديق ويبكون لحالها وبكائها وكانت تقول في ندبتها :

لا تدعوني ويـــك ام البنين ... تذكريني بليـــــوث العرين
كانت بنـــون لي ادعـــى بها ... واليـــوم اصبحت ومالي بنون

محمد الاخضر بن علي بن ابي طالب وأمه اسماء بنت عميس كما في رواية الطبري وقيل انه لأم ولد وأبو بكر بن علي وأمه ليلى بنت مسعود وجاء في رواية المدائني انه وجد بين القتلى ولم يعرف قاتله وأبو بكر بن الحسن وكان غلاما لم يبلغ الحلم قتله كما يدعي ارباب المقاتل عقبـــة القنوي القاسم بن الحسن شقيق ابي بكر بن الحسن ، وجاء في رواية حميد بن مسلم انه قال : خرج علينا غلام كأن وجهه شقة قمر وفي يده سيف وعليه قميص وازار وفي رجليه نعلان قد انقطع شسع احدهما لا انسى انها كانت اليسرى ، فقال عمرو بن سعد بن نفيل الازدي : والله لاشدن عليه وكان الى جانبي ، فقلت يكفيه هؤلاء الذين تراهم قـــد احتوشوه من كل جانب ، فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف فوقع لوجهه وصاح يا عماه ، فوالله لقد تجلى الحسين له كما تجلـــى الصقر ، ثم شد شدة الليث فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فاطنها من

لدن المرفق وتنحى عنه وحملت خيل بني سعد لتخلصه من الحسين فاستقبلته بصدورها ووطئته بأقدامها حتى مات ، فلما انجلت الغبرة فاذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول : بعد القوم قتلوك يا بني عز على عمك ان تدعوه فلا يجيبك او يجيبك فلا يغني عنك .

ومنهم عبد الله بن الحسن ، وعوف بن عبد الله بن جعفر ومحمد بن عبد الله بن جعفر ، وثلاثة من اولاد عقيل وهم عبد الله وجعفر وعبد الرحمن ، وفي رواية ابن كثير في البداية والنهاية ان من بين القتلى ولد لجعفر بن عقيل يدعى خالد بن جعفر ، كما قتل معه محمد بن ابي سعيد ابن عقيل وعبد الله بن مسلم ، ومحمد بن مسلم ، وعبيد الله بن جعفر ابن ابي طالب ، فيكون مجموع القتلى من العلويين كما احصاهم محمد فتح بدران وفؤاد علي وفا في كتابيهما غصن الرسول والحسين بن علي واحدا وعشرين قتيلا .

وسلم من اولاد الحسين الامام زين العابدين (ع) وكان مريضا كما تنص على ذلك اخبار معركة الطف وحاول ابن زياد بعد وصول السبايا الى الكوفة ودخولهم عليه ان يقتله ، ولكن عمته زينب قد تعلقت به وألقت بنفسها عليه وقالت : اذا اردت قتله فاقتلني قبله فتركه لها ، وكان يوم ذاك متزوجا وله من اولاده محمد الباقر وهو طفل في حدود السنتين او اكثر من ذلك بقليل .

وجاء في رواية ابن قتيبة في الامامة والسياسة عن الامام محمد بن علي الباقر (ع) انه قال : دخلنا على يزيد بن معاوية ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قمص فقال اخلصتم انفسكم لعبيد اهل العراق وما علمت بخروج ابي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل .

وقد ذكرنا سابقا انه كان يحاول بكلماته هذه ونحوها ان يتنصل من

قتل الحسين بعد ان أمر به وخطط له ، لانه احس بالنقمة عليه من كل الجهات وان الاخطار قد احدقت به وبأسرته ، وأدرك ان المسلمين مهما تحملوا منه ومن ابيه من انواع الظلم والجور لا يتحملون قتل الحسين وسبي نسائه .

التفسير الشيعي لمقتل الحسين
بنظر الدكتور احمد صبحي وغيره

وقبل الحديث عن رأي الدكتور صبحي وغيره في التفسير الشيعي لمقتل الحسين (ع) اود ان اشير الى رأي الشيعة في مقتل الحسين كما يعتقده الشيعة وان كنت قد تحدثت عن ذلك خلال الفصول السابقة بما يكفي لدحض مزاعم المفترين الذين يحاولون تشويه العقيدة الشيعية بقصد او بدون قصد لوجود بعض المرويات بين احاديثهم لا يعتمد عليها الشيعة ولا يحسبون لها حسابا ، والتمني على المؤلفين في هذه المواضيع ان لا يتسرعوا في احكامهم قبل التتبع والتحقيق حتى لا تأتي احكامهم بهذا المستوى الرخيص .

يعتقد الشيعة ان الحسين بن علي (ع) هو الامام الثالث بعد ابيه وأخيه الحسن وقد نص على امامته وامامة اخيه الحسن (ع) جدهما المصطفى (ص) في حديث قد اشتهر بين جميع المحدثين من سنيين وشيعيين وصححه اكثر محدثي السنّة ، الحسن والحسين امامان قاما او قعدا ، وقد ذكرناه من مصادره في الفصول الاولى من هذا الكتاب ، كما ذكرنا بعض ما جاء عن جده فيه وفي اخيه وأبيه من المرويات التي تكاد ان

تكون متواترة في معناها .

وكان المسلمون طيلة حياته يقدسونه ويعظمونه ويرون فيه شبح جده لا لانه ابن الرسول المقرب ، بل لانه كان يجسد سيرة جده وتعاليم الاسلام والمثل العليا في سيرته وسلوكه وجميع مواقفه كما اشرنا الى بعض هذه الجوانب من سيرته خلال حديثنا عنه في الفصول السابقة .

ولما اصبح الحكم بيد الامويين وأسرفوا في تعاطي المنكرات ، واستهتروا بالقيم وتعاليم الاسلام ، ومارسوا اسوأ انواع الظلم والجور مع الصلحاء والابرياء ولاذ المسلمون بالحسين حفيد الرسول وحامي الشريعة لم يجد بدا من الوقوف في وجه اولئك الطغاة مهما كلفه ذلك من ثمن ، وقد استعرض جميع جوانب الموقف السلبي من حكومة يزيد ابن معاوية وجميع ما يمكن ان ينتجه من الآثار لمصلحة الاسلام، فلم يجد اجدى وأنفع من تضحيته بنفسه وبتلك الحفنة من بنيه وأهله وأنصاره وتعريض نسائه وأطفاله للسبي من بلد الى بلد ، فمضى بمن معه من بنيه واخوته وبني عمومته وأصحابه وهو على بينة من امره ويقين من مصيره غير مبال بنصح من نصحه بعدم الخروج ولا بلوم من لامه عليه فعاش بطلا ومات بطلا وأبى الا ان يكون القدوة الحسنة والاسوة الصالحة والمثل الاعلى لكل ابي كريم يؤثر الموت تحت ظلال الاسنة على الحياة مع الطغاة المستبدين ، ومضى في الطريق الذي يفرضه عليه الواجب وهو يقول : لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

ولم يحدث التاريخ عن معركة كان لها من الآثار الطيبة الخيرة لمصلحة المهزومين كما كان لمعركته مع الامويين ، ولم تقم ثورة من بعده الا واستمدت من مبادئه وعزيمته ونضاله .

ولرب نصر عاد شر هزيمة تركت بيوت الظالمين طلولا

من هذه الزاوية ينظر الشيعة الى مقتل الحسين وهم اذ يحتفلون بذكراه في كل عام وفي كثير من الاوقات يحرصون على ان تبقى تلك

الجذوة المشتعلة متقدة لا تخبو ولا تخمد لتستمد منها الاجيال نهضتها وقوتها في وجه الظلم والطغيان في كل عصر ومكان .

وكان الائمة من اهل البيت يحرصون على بقاء هذه الذكرى حية خالدة فأمروا باحيائها وانتشارها لانها لا تنفصل عن اهداف الاسلام العليا ومقاصده السامية ، وقال الامام الصادق (ع) لجماعة من اصحابه في اليوم العاشر من المحرم : اتذكرون ما صنع بجدي الحسين (ع) لقد ذبح والله كما يذبح الكبش وقتل معه سبعة عشر شابا من بنيه وأهل بيته واخوته ما لهم على وجه الارض من مثيل .

ويرى العارفون من الشيعة ان الامام (ع) لم يقصد بذلك ان يثير عواطفهم وأحزانهم ويستدرجهم للبكاء والنحيب ، بل يريد من ترديد تلك المآسي على مسامعهم ان يغرس في نفوسهم عظمة الحق الذي قتل الحسين وأهل بيته من اجله والاستهانة في سبيله بكل شيء كما صنع الحسين وضحى بكل ما لديه من مال وبنين وأخيرا بنفسه الكريمة .

ويقول الامام الرضا (ع) وهو يحدث جماعة من اصحابه عما جرى على الحسين وأهله وبنيه ويعيد الى اذهانهم أحداث كربلاء : قولوا متى ما ذكرتموهم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما فهو يريد من اصحابه وشيعته ومن عامة المسلمين ان يكونوا مع الحسين بأرواحهم وعزيمتهم مع العاملين بمبادىء القرآن وسنن الانبياء والمصلحين العاملين لخير الانسان في كل زمان ومكان لأن الحسين بثورته على الظلم كان يجسد هذه النواحي من الاسلام .

يريد الامام الرضا ان يقول لاصحابه وشيعته : في كل زمان ظالم كيزيد وجبابرة كبني امية فكونوا في كل زمان على الظالمين والجبابرة والطغاة كما كان الحسين في زمانه على يزيد وأعوانه الى كثير من امثال هذه المواقف التي كان الائمة (ع) يحاولون فيها ان يشحنوا النفوس بالنقمة على الظالمين والاستهانة بكل شيء في سبيل الحق وكرامة

الانسان وحريته .

واذا اساء بعض عوام الشيعة فهم الاهداف لنهضة الحسين وانحرفوا في الذكريات التي تقام للحسين في كل عام هنا وهناك عن اهدافها الصحيحة وأدخلوا عليها بعض ما لا يجدي شيئا فذاك لا يعبر عن رأي الشيعة ولا عن عقيدتهم في الحسين ومقتله وآثاره .

ولقد كتب الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الامامة عن الشيعة وأئمتهم وكان منسجما مع الواقع ومجردا في بعض فصول كتابه كباحث يريد الحقيقة ويتحراها حيث كانت وهذا ما نقدره فيه ومن كل كاتب مهما كان لونه وجنسه ، ولكنه في بعضها الآخر يبدو وكأنه يكتب بغير الروح والعقلية التي كتب فيها تلك الفصول والى القراء مثلا من ذلك ، لقد جاء في ص ٣٤٤ من كتابه المذكور تحت عنوان التفسير الشيعي لمقتل الحسين :

يعتقد الشيعة انه لما اظهر النبي (ص) الحزن والجزع لوفاة ولده ابراهيم وبكى على قبره قائلا : ان العين لتدمع وان القلب ليخشع وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون اطلعه الله على سر وفاته ونزل عليه جبرائيل فقال له : ان الرب يقرؤك السلام ويقول لك : اما ان تختار حياة ابراهيم فيرده عليك حيا ويورثه النبوة من بعدك فتقتله امتك من بعدك ويدخلها الله النار ، او يبقى ميتا ويبقى لك الحسين فيجعله الله اماما ثم يقتله نصف امتك بين قاتل له ومعين عليه وخاذل له وراض بقتله فيدخلهم الله النار فاختار اهون الضررين بأمته ورضي بمقتل الحسين ، وأضاف الى ذلك ان العقيدة الشيعية في مقتل الحسين لم تجد انسب من عقيدة النصارى في مقتل المسيح فهو قد ضحى مختارا ليخلص شيعته المذنبين كما يقول النصارى في المسيح ، ونقل عن المستشرق رونلدسن في كتابه عقيدة الشيعة ما يتضمن هذا المعنى .

ومضى يقول : ولا يخفي الشيعة هذا التشابه الذي اوجدته فكرة

الخلاص بين التشيع والمسيحية اذ يذكرون اوجه الشبه بين المسيح والحسين فيقولون : لم يولد قط لستة اشهر من الحمل الا عيسى بن مريم والحسين ، واستطرد الدكتور صبحي يقول : ان بعض الهنود المعاصرين وصف الحسين بأنه الباعث الاصلي على الوجود والرابطة الجوهرية بين العلة والمعلول والحلقة الذهبية بين الله والانسان ، وانتهى من ذلك الى ان الكاتب الهندي الشيعي قد اضفى على الحسين صفات إلهية نجد نظيرا لها في عقيدة المسيحيين في المسيح الى غير ذلك مما جاء في كتابه حول هذا الموضوع مما لا عين له ولا اثر بين معتقدات الشيعة في مقتل الحسين لشيء منه كما وان ما ذكره من الحوار بين جبرائيل والنبي بخصوص حياة ابراهيم وموته لا وجود له بين المرويات الشيعية الصحيحة ولا يلزم به احد منهم ، والتفسير الصحيح لمقتل الحسين (ع) عند الشيعة وعلمائهم وأئمتهم الكرام لا يعدو ما ذكرناه اكثر من مرة خلال حديثنا عن سيرته الغنية بالمثل والتضحيات والآداب والاخلاق وكل ما يرفع من شأن الانسان في دنياه وآخرته .

الشيعة والثلث الاول من شهر المحرم

لقد كانت الايام الاولى من شهر المحرم ولا تزال مأتما سنويـــا للاحزان والآلام عند الشيعة منذ قتل الحسين (ع) في العاشر منه ، وكان ائمة الشيعة يحرصون على بقاء تلك المأساة ماثلة في الاذهان بما لها من المعاني السامية ، وتنص المرويات الشيعية على ان الامـــام علي بن الحسين (ع) كان يرد تلك المأساة ويذكر ما صنع الامويون بأبيه ويبكي لذلك حتى اصبح البكاء لقبا من القابه ، وهكذا كان غيره مـن الائمة فاتخذ الشيعة تلك الايام من شهر المحرم ايام حزن ونياحة على الحسين يجتمعون ويذكرون ما جرى عليه وعلى اهل بيته من القتل والتنكيل والسبي ويذهب الكثيرون منهم الى قبره لزيارته في كل عام ، ولم تكن السلطات الحاكمة تمنع احدا او تعارضهم في ذلك ، ولما جاء المتوكـل العباسي المعروف بعدائه الشديد للعلويين هدم قبر الحسين ومنع الناس من زيارته وهددهم بالقتل ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم اذا اقاموا مأتما او ذهبوا لزيارته .

وجاء في تاريخ ابن الاثير وهو يستعرض حوادث سنـــة ٢٣٦ ان المتوكل العباسي كان شديد البغض لعلي وأهل بيته ويقصد من يبلغه عنه

انه يتولى عليا والحسين بمصادرة ماله وقتله . وأضاف الى ذلك انه كتب الى واليه على مصر يأمره باخراج آل ابي طالب من مصر الى العراق وكانوا في مصر يتظاهرون بالولاء لعلي (ع) ويذكرون ما صنع بالحسين في كربلاء ، فأخرجهم امير مصر اسحاق بن يحيى لعشر خلون من رجب سنة ٢٣٦ ، واستتر من كان فيها على رأي اهل البيت وحلت بالشيعة والعلويين ازمة فائقة في عهده من الظلم والجور الذي احيط بهم من تعصب المتوكل وولاته في مختلف الامصار والاقطار .

وانفرجت الازمة التي اجتاحتهم بموت المتوكل واستيلاء ولده المنتصر على السلطة من بعده ، كما ذهب الى ذلك ابن الاثير وغيره من المؤرخين ، فقد قال في حوادث سنة ٢٤٨ ان المنتصر امر بزيارة قبر الحسين وعلي (ع) وآمن العلويين وأطلق سراحهم ورد عليهم فدكا [illegible] وكان اول ما احدثه ان عزل عن المدينة صالح بن علي الذي كان يتتبعهم بكل انواع الاذى والظلم والجور وعين مكانه علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، ولما دخل عليه يودعه وهو في طريقه الى المدينة قال له : يا علي اني موجهك الى لحمي ودمي وساعدي فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملني فيهم .

واستمر امر الشيعة اينما حلوا يحتفلون بذكرى الحسين الاليمة وبكل مظاهر التشيع عندما يتاح لهم ذلك سواء في ذلك البلاد التي غلب عليها كالعراق وافريقيا في ظل الفاطميين وغيرهما من المقاطعات التي كان الشيعة فيها قلة بجانب غيرهم ، كما كان حالهم في مصر يوم كانت في سلطة كافور الاخشيدي الذي كان كما كان يصفه بعض المؤرخين شديد التعصب على الشيعة، ومع ذلك فقد اظهروا من الصلابة والتماسك مع قلتهم بالنسبة الى غيرهم ما اضطر كافور لمصانعتهم والتغاضي عما يقومون به من مظاهر الحزن والجزع لما اصاب اهل البيت .

ولم تنفرج الازمة في مصر الا بعد ان تغلب عليها الفاطميون وحكمها المعز لدين الله الفاطمي فارتفعت معنويات الشيعة بوجوده بعد ان هيأوا لهم الاجواء المناسبة واشتركوا معهم في احياء تلك الذكرى وبذلوا في سبيلها الاموال بسخاء .

وقال المقريزي في خططه : كان الفاطميون في يوم عاشوراء ينحرون الابل والبقر ويكثرون النوح والبكاء وما زالوا على ذلك حتى انقرضت دولتهم، وأضاف الى ذلك بروايته عن ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله ، انه في يوم عاشوراء سنة ٣٦٣ انصرف خلق من الشيعة الى قبري أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالقيام والبكاء على الحسين وكسروا اواني السقائين ، وفي سنة ٣٩٦ جرى الامر على ما كان يجري في كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والبكاء والنشيد ، واستطرد المقريزي في وصف ما كان عليه حال الفاطميين من مظاهر الحزن حكومة وشعبا في العاشر من المحرم الى ان قال : اذا كان يوم العاشر احتجب الخليفة عن الناس فاذا ارتفع النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ثم صاروا الى مشهد الحسين فاذا جلسوا فيه جعلوا ينشدون الشعر في رثاء اهل البيت ولا يزالون على ذلك الى ان تمضي عليهم ثلاث ساعات ، ثم يستدعيهم الخليفة الى القصر فيدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت بالحصر فيجلس القاضي والداعي الى جانبه وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القرآن ثم ينشد المنشدون ، ويتقدمون بعد ذلك للمائدة المؤلفة من الاجبان والالبان والعسل وغير ذلك. وبعد الفراغ من الاكل انصرف النواح وطافوا بالقاهرة وقد اغلق البياعون محلاتهم وحوانيتهم ذلك النهار بكامله الى غير ذلك من المظاهر التي دأبت عليها الدولة الفاطمية في مصر طيلة حكمها .

ولما جاء دور الايوبيين حاربوا جميع تلك المظاهر وأصبح اليـــوم العاشر من المحرم يوم فرح وسرور يتباهون فيه بالملابس الفاخرة وأنواع الطعام والحلوى والاواني الجديدة ليرغموا بذلك أنوف الشيعة على حد تعبير المقريزي في خططه .

وفي عهد بني بويه كان الشيعة والحكام يمثلون دور الفاطميين في مصر ، وجاء في تاريخ ابي الفداء خلال حديثه عن احداث سنة ٣٥٢ ان معز الدولة كان في اليوم العاشر من المحرم يعطل الاسواق ويأمر الناس ان يخرجوا بالنياحة والنساء ناشرات الشعور قد شققن ثيابهن ولطمن وجوههن على الحسين (ع) ، وأيد ذلك ابن كثير في بدايته وهـــو يتحدث عن دولة بني بويه وما كانت تصنعه في بغداد في اليوم العاشر من المحرم والايام الاولى منه في كل عام الى غير ذلك مما رواه الرواة عن مظاهر الحزن التي كان الشيعة وحكامهم يظهرون بها ، وكان السنّة وحكامهم يقابلون ذلك بالفرح والسرور تحديا للشيعة وعاداتهم ، ومنه سبحانه نستمد التوفيق وان يلهمنا السداد في القول والاخلاص فـــي العمل والتوفيق لان نستلهم من ثورة الحسين معاني التضحية في سبيل الحق والمظلومين والمعذبين انه قريب مجيب .

٤

الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)

المعروف بين المحدثين بابن الخيرتين فأبوه الحسين بن علي بن ابي طالب ، وأمه من بنات ملوك الفرس، وجاء في ربيع الابرار للزمخشري: ان لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب بنو هاشم ومن العجم فارس وفيه يقول ابو الاسود الدؤلي :

وان وليدا بين كسرى وهاشم لاكرم من نيطت عليه التمائم

وقد اتفقت الروايات على ان امه من أشراف الفرس، ولكنها اختلفت في تاريخ استيلاء المسلمين عليها وزواجها من الحسين (ع) وفي اسمها ، ففي البحار عن جعفر بن بابويه ان اسمها شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار ، وفي الكامل لابن الاثير ان اسمها سلافة وخولة وبرة .

وجاء في رواية الكافي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال : لما قدمت بنت يزدجرد على عمر بن الخطاب غطت وجهها وقالت باللغة الفارسية ما معناه : اسود يوم هرمز وأساء الدهر اليه والزمان عليه حيث صار اولاده اسارى تحت حكم رجل كهذا! وأشارت الى عمر بن الخطاب ، فظن عمر وهي تتكلم انها تشتمه ، فأوضح له امير المؤمنين مرادها .

وفي رواية المفيد ، ان عمر بن الخطاب اراد بيعها ، فقال له امير

المؤمنين : ان بنات الملوك لا تباع ولو كن كفارا ، ولكن اعرض عليها ان تختار احدا لنفسها فمن اختارته فزوجها منه واحسب ذلك من عطائه فخيرها فاختارت الحسين ، فتزوجها وأمره امير المؤمنين بخفظها والاحسان اليها ، وقال له كما يدعي الراوي : يا ابا عبد الله لتلدن لك خير اهل الارض ، فأولدها عليا زين العابدين (ع) وكان يقول له الحسين : انت ابن الخيرتين ، فخيرته من العرب قريش ومن قريش بنو هاشم ومن العجم فارس .

وأيد مضمون هذه الرواية احمد بن علي بن مهنا في كتابه عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، وأضاف الى ذلك : وقيل انها اسرت في خلافة علي بن ابي طالب (ع) وكان الحارث بن جابر الحنفي قد بعث اليه ببنتي يزدجرد فأعطى واحدة منهما لابنه الحسين فأولدها الامام علي ابن الحسين ، وأعطى الثانية لمحمد بن ابي بكر فأولدها القاسم بن محمد الفقيه المعروف في عهد التابعين ، وأيد هذه الرواية ابن الكلبي كما نقل عنه علي جلال الدين الحسيني في كتابه الحسين بن علي ، كما ايد الرواية الاولى الشبلنجي في نور الابصار والزمخشري في ربيع الابرار، وأضافا الى ذلك انه لما اتى عمر بن الخطاب بسبي فارس كان في السبي ثلاث بنات ليزدجرد فباع السبي ، ولما اراد ان يبيع بنات يزدجرد قال له امير المؤمنين : ان بنات الملوك لا يعاملن كغيرهن ، بل يقومن ومهما بلغ ثمنهن اداه من يختارهن من المسلمين فقومهن جماعة ممن كانوا في المجلس وأخذهن امير المؤمنين علي بن ابي طالب وأعطى واحدة منهن للحسين فأولدها الامام زين العابدين وواحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالم بن عبد الله ، وواحدة لمحمد بن ابي بكر فأولدها القاسم بن محمد فكان هؤلاء الثلاثة ابناء خالة .

وجاء في رواية ابن بابويه ان عبد الله بن عامر لما فتح خراسان في خلافة عثمان بن عفان اخذ بنتين لكسرى وأرسلهما لعثمان فأعطى واحدة

للحسن وواحدة للحسين وماتتا في النفاس ، وأيد مضمون هذه الرواية بعض الرواة في رواية رواها عن الامام الرضا(ع) جاء فيها انه قال لمحمد ابن سهل بن قاسم النوشجاني : ان بيننا وبينكم نسبا ، قال وما هو ؟ قال ان عبد الله بن عامر بن كرز اصاب بنتين ليزدجرد بن شهريار فبعث بهما الى عثمان فوهب احداهما للحسن والاخرى للحسين فماتتا في النفاس وصاحبة الحسين قد نفست بعلي بن الحسين .

ويبدو انه لا خلاف بين الرواة والمؤرخين في ان ام السجاد من بنات ملوك فارس وانها وصلت الى الحسين (ع) هي وأختاها او اختها بالأسر ، وأبرز نقاط الخلاف في انها سبيت في عهد عمر بن الخطاب او في عهد عثمان ، او في عهد امير المؤمنين (ع) بواسطة عامله على بعض بلاد المشرق الحارث بن جابر الحنفي ، والذي يرجح احدى الروايتين الاخيرتين ان الامام زين العابدين كان حين وفاة ابيه بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين من عمره ، وبين معركة الطف ووفاة عمر ابن الخطاب قرابة اربعين عاما او اقل من ذلك بقليل .

وجاء في بعض المرويات ان ام السجاد توفيت بعد ان ولدته بأيام قليلة ، ولما قتل محمد بن ابي بكر في مصر تزوج الحسين (ع) اختها فتولت هي تربيته ، وقال بعض الرواة انها بقيت مع الحسين وأدركت معركة الطف وألقت بنفسها في الفرات من شدة ما دخلها من الحزن على الحسين (ع) وقيل غير ذلك ولا يهمنا تحقيق هذه الناحية ، ويدعي الرواة انه لم يكن احد من اهل المدينة يرغب في نكاح الجواري حتى ولد علي بن الحسين فصاروا يرغبون في الزواج منهن .

ومهما كان الحال فلقد ذهب اكثر الرواة الى ان ولادته كانت بين الخامس والعاشر من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين او سبع وثلاثين من الهجرة ، وقيل في النصف من جمادى الثانية ، وكان له من العمر حينما قام بأعباء الامامة بعد مقتل ابيه بناء على ذلك اثنان وعشرون عاما او

ثلاثة وعشرون وبناء على ان ولادته كانت سنة ثلاثين كما قيل يكون في الثلاثين من عمره حين وفاة ابيه ، واستمرت امامته اربعة وثلاثين سنة عاصر فيها ملك يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، وتوفي مسموما كما جاء في اكثر الروايات الشيعية في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت وفاته في النصف الاول من شهر المحرم سنة خمس وتسعين هجرية وقيل غير ذلك .

ومن اشهر ألقابه زين العابدين والسجاد وذو الثفنات والبكاء والعابد ، ومن اشهرها زين العابدين وبه كان يعرف كما يعرف باسمه ، وجاء في المرويات عن محمد بن شهاب الزهري انه كان يقول : ينادي مناد يوم القيامة ليقم سيد العابدين في زمانه فيقوم علي بن الحسين(ع)، كما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي ان رسول الله (ص) سماه بهذا الاسم .

وجاء في تسميته بذي الثفنات كما في حلية الاولياء والكافي للكليني ان الامام الباقر (ع) قال : كان لابي في موضع سجوده آثار ثابتة يقطعها في كل سنة من طول سجوده وكثرته ، وفي رواية الصدوق انه كان يقطعها ويجمعها وأوصى ان تدفن معه في قبره ، فلما مات دفنت معه.

ويروي الرواة عن سبب تسميته بالبكاء عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) انه قال : بكى علي بن الحسين على ابيه عشرين سنة ما وضع خلالها بين يديه طعام الا بكى ، وقال له بعض مواليه : جعلت فداك يا ابن رسول الله ، اني اخاف ان تكون من الهالكين ، فقال : انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون، اني لم اذكر مصرع ابي واخوتي وبني عمومتي الا خنقتني العبرة .

وفي رواية ثانية ان احد مواليه قال له : اما آن لحزنك ان ينقضي ولبكائك ان يقل ، فقال له : ويحك ، ان يعقوب النبي كان له اثنا عشر ولدا فغيب الله عنه واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة البكاء واحدودب

فطهره وابنه حي في دار الدنيا ، وأنا نظرت الى ابي واخوتي وعمومتي وسبعة عشر شابا من بني عمومتي مجزرين كالاضاحي ، ونظرت الى عماتي وأخواتي وقد احاط بهم اهل الكوفة وهن يستغثن ويندبن قتلاهن، والله ما ذكرت ذلك اليوم الا وخنقتني العبرة .

وجاء عن ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال : البكاؤون خمسة : ادم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد (ص) وعلي بن الحسين ، اما ادم فلقد بكى واشتد حزنه لما اخرجه الله من الجنة ، واما يعقوب فلقد بكى على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن وقيل له : تالله تذكر يوسف حتى تكون صرخا او تكون من الهالكين ، وأما يوسف فانه بكى على ابيه حتى تأذى من كان معه في السجن ، وأما فاطمة فقد بكت على ابيها حتى لحقت به وقد تأذى اهل المدينة من بكائها وقالوا لها : لقد آذيتنا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج الى مقابر الشهداء تبكي يومها فاذا جاء الليل رجعت الى بيتها ، وأما علي بن الحسين (ع) فلقد بكى على ابيه اكثر من ثلاثين سنة ولم يقدم له طعام وشراب الا وقال : كيف آكل وقد قتل ابو عبد الله جائعا وكيف اشرب وقد قتل ابو عبد الله عطشان ، الى غير ذلك مما رواه الرواة عن حزنه وبكائه عند كل مناسبة تذكره بما جرى وأهل بيته من المآسي والمصائب التي تحمل مرارتها طيلة حياته وكان كلما اجتمع اليه جماعة او وفد من وفود الاقطار يردد عليهم تلك المأساة ويقص عليهم من اخبارها ويخرج الى السوق احيانا فاذا رأى جزارا يريد ان يذبح شاة او غيرها يدنو منه ويقول : هل سقيتها الماء ؟ فيقول له: نعم يا ابن رسول الله ،انا لا نذبح حيوانا حتى نسقيه ولو قليلا من الماء ، فيبكي عند ذلك ويقول : لقد ذبح ابو عبد الله عطشان .

وجاء عنه انه دخل يوما فرأى غريبا فسلم عليه ودعاه الى بيته لضيافته ، وقال له بحضور جمع من الناس : اترى لو اصابك الموت

وأنت غريب عن اهلك هل تجد من يغسلك ويدفنك ؟ فقال الناس : يا ابن رسول الله كلنا يقوم بهذا الواجب ، فبكى وقال : لقد قتل ابو عبد الله غريبا وبقي ثلاثة ايام تصهره الشمس بلا غسل ولا كفن .

وكان في اكثر مواقفه هذه يحاول ان يشحن النفوس ويهيئها للثورة على الظلم والظالمين الذين يستبيحون المحارم ويستهترون بالقيم والاديان في سبيل عروشهم وأطماعهم وقد اعطت هذه المواقف ثمارها وهيأت الجماهير الاسلامية في الحجاز والعراق وغيرهما للثورة فأعلنت الكوفة عصيانها وأظهر اهلها الندم لموقفهم المتخاذل من الحسين ، وأحس اهل المدينة بأن تلك الصدمة قد اصابت الاسلام في الصميم فأنكروا على يزيد طغيانه وطردوا ولاته وكانت تلك المعركة التي استباح فيها قائده مسلم بن عقبة مدينة الرسول وقتل من اهلها اكثر من عشرة الاف من علماء المسلمين وخيارهم .

صفته ولباسه

لقد جاء في صفته عن الفرزدق الشاعر انه كان وسيما جميلا من احسن الناس وجها وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة ، يعني بذلك ان اثر السجود كان بارزا بين عينيه ولذلك لقب بذي الثفنات وقال في وصفه كما جاء في قصيدته الميمية المشهورة :

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
الله شرفه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم

وكان مع ذلك افضل اهل زمانه في اخلاقه وصدقاته وعطفه على الفقراء وأنصحهم للمسلمين معظما مهابا عند القريب والبعيد يشتري كساء الخز بخمسين دينارا ، ثم يبيعه بعد فصل الشتاء ويتصدق بثمنه على الفقراء ، وفي الصيف يلبس افخر الثياب ويقول : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق كما نص على ذلك ابن سعد في طبقاته .

وجاء عن الامام الباقر (ع) انه قال : كان ابي علي بن الحسين (ع) اذا انقضى الشتاء يتصدق بكسوته على الفقراء ، واذا انقضى الصيف يتصدق بها ايضا ، والخز هو الغالب عليها ، وقيل له : انك تعطي

ثيابك من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لبسها ، فلو بعتها وتصدقت بثمنها، فقال : اني اكره ان ابيع ثوبا صليت فيه ، وتواتر عنه انه كان يلبس افخر انواع الثياب ، واذا وقف بين يدي الله اغتسل وتطيب ، وهكذا كان اكثر الائمة (ع) في لباسهم ومظهرهم .

ومن ذلك يظهر ان الزهد في الدنيا الذي كان شعارهم لا يعني ترك الطيبات ولا التقشف في العيش ، بل يعني العمل بما اراد الله واجتناب ما حرمه ونهى عنه وعدم التطلع الى ما في ايدي الناس من متاع الدنيا وطيباتها ، وقد جاء في الحديث : اعلى درجات الزهد ادنى درجات الورع .

ويروي الرواة ان ابن عيينة قال لابي عبد الله الصادق (ع) ان جدك علي بن ابي طالب (ع) كان يلبس الخشن وأنت تلبس القهوي المروي ، فقال : ويحك يا ابن عيينة ان عليا كان في زمن ضيق فاذا اتسع الزمان فأبرار الزمان اولى به .

وقال الامام الصادق في وصفه لجده علي بن الحسين (ع) : كان جدي اذا مشى كأن الطير على رأسه لا يسبق يمينه شماله ولا يخطر بيده وعليه السكينة والوقار .

وفي رواية عبد الله بن سليمان انه قال : كنت مع ابي في المسجد فدخل علي بن الحسين ولست اثبته وعليه عمامة سوداء وقد ارسل طرفيها بين كتفيه فقلت لرجل قريب مني : من هذا الرجل الذي ارى ؟ فقال لي : مالك لم تسألني عن احد دخل هذا المسجد غير هذا الشيخ، فقلت له : اني لم ار احدا دخل المسجد احسن منه هيئة فلذلك سألتك عنه ، فقال : انه علي بن الحسين (ع) .

الامام علي بن الحسين في الكوفة والشام

لقد نشأ علي بن الحسين في بيت النبوة ومهبط الوحي في البيت الذي تحمل اقسى ما يتصور من الالم والمحن والمصائب في سبيل الله، واستقبل في طفولته الطرية محنة جده الاعظم وهو يتخبط بدمه في بيت الله ، وبعدها وهو مقبل على الشباب محنة عمه الحسن وهو يلفظ كبده من السم الذي دسه اليه معاوية بن هند آكلة الاكباد ، وشاهد فـــي شبابه وهو طريح الفراش مر المرض الذي كان يفتك بجسمـــه مصرع ابيه واخوته وبني عمومته وسبي عماته وأخواته من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام ورؤوس الاهل والاصحاب على الرماح يتقدمها رأس ابيه ، وشاهد عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية ينكثان ثنايا ابيه تشفيا وانتقاما وقد عرضاه على السيف اكثر من مرة ولكن مشيئة الله كانت تحول بينهم وبين ما يريدون .

وجاء في طبقات ابن سعد ان علي بن الحسين اكبر ولد ابيه وكان مع ابيه بطف كربلاء وقد انهكته العلة والمرض ، وروى عنه ابو مخنف انه قال : اني لجالس في تلك العشية التي قتل ابي في صبيحتها وعنـــدي عمتي زينب تمرضني اذ اعتزل ابي في خباء له وعنده جون مولى ابي

ذر الغفاري يعالج له سيفه ويصلحه وأبي يقول :

يـا دهر أف لك مـن خليـل ... كـم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيـل ... والدهر لا يقنع بالبديـل
وكـل حي سالـك سبيل ... مـا اقرب الوعد من الرحيل

فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد وقع. وأما عمتي زينب فانها لما سمعت ما سمعت لم تملك نفسها ان وثبت تجر ذيلها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين. فنظر اليها ابي وقال: يا أخيه لا يذهبن بحلمك الشيطان وأوصاها بالصبر وحفظ العيال .

وقد روى الامام علي بن الحسين الكثير من اخبار الطف وما جرى فيه من المعارك وخطبة ابيه في اهل الكوفة قبيل وفاته ، وفي اللحظـات الاخيرة من حياة ابيه دخل عليه وأوصاه بوصاياه وسلمه مواريث النبوة وكانت آخر وصية اوصاه بها : يا بني اوصيك بما اوصى به جدك رسول الله عليا حين وفاته وبما اوصى به جدك علي عمك الحسن وبما اوصاني به عمك ، اياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله ، ثم ودعه ومضى الى المعركة الاخيرة التي قتل فيها .

وهو الذي دفن اباه الحسين والقتلى من اهله وأنصاره كما في اكثر الروايات الشيعية وأخبر بني اسد بقبور الشهداء وأسمائهم وكانوا قد حضروا لدفنهم في اليوم الثالث او الثاني عشر من المحرم ، واذا صح انه هو الذي تولى دفنهم فخروجه بالطريقة التي يرويها الرواة لا تفسير لها الا بمشيئة الله . ولما دخل هو وعماته الكوفة اجتمع عليهم النـاس فهالهم ذلك المشهد وجعلوا يبكون وينوحون ، فأومأ الـى الناس ان اسكتوا ، ووقف وهو عليل قد انهكه المرض فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه ، ثم قال : ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم

يعرفني فأنا اعرفه بنفسي ، انا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، انا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب مالهِ وسبي عياله ، انا ابن المذبوح بشط الفرات ، انا ابن من قتل جرا وكفى بذلك فخرا ، ومضى يذكر اهل الكوفة بكتبهم ومواعيدهم وبما ارتكبوه من الفظائع حتى ضج الناس بالبكاء والعويل كما يدعي الراوي ، وان كنت اشك في كل ما قيل حول خطبه وخطب عماته ، لان ابن زياد لا يمكنهم من مثل هذه المواقف التي تهيج عليه الرأي العام وتلهب المشاعر وقد اتخذ كل الاحتياطات عند دخولهم الكوفة حتى لا يترك مجالا لمتنفس .

ولما ادخل مع عماته على ابن زياد لعنه الله وأخزاه قال له كما يروي الرواة : من انت ؟ قال : انا علي بن الحسين ، فرد عليه بقوله : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ، فأجابه الامام : كان لي اخ يسمى عليا قتله الناس ، فقال ابن زياد : بل الله قتله ، فقال الامام : الله يتوفى الانفس حين موتها ، فغضب ابن زياد وقال : أبك جرأة على رد جوابي، وأمر جلاوزته بقتله فتعلقت به عمته زينب واعتنقته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت والله لا افارقه فان اردت قتله فاقتلني معه، فرق لها وتركه .

ولما كتب يزيد بن معاوية الى عبيد الله يأمره بارسال رأس الحسين ورؤوس القتلى مع السبايا الى الشام ، ارسلهم اليه مع مخفر بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذي الجوشن وجماعة من جنده ، وكان كما يصفه الرواة مقيدا بالحديد ، ولما بلغوا بهم الشام خرج اهلها الى استقبالهم بأبهى مظاهر الزينة والفرح .

وجاء في كامل البهائي والبحار عن سهل بن سعد الساعدي انه قال: خرجت الى بيت المقدس ، فلما توسطت الشام فاذا بمدينة مطردة الانهار كثيرة الاشجار وقد علق اهلها الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون ، والنساء تلعب بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي : لا

ارى لاهل الشام عيدا لا نعرفه ، فأقبلت على قوم يتحدثون وقلت لهم : يا قوم ألكم بالشام عيد لا نعرفه ، فقالوا : يا شيخ نظنك غريبا ، فقلت لهم : انا صاحب رسول الله (ص) سهل بن سعد الساعدي وقد رأيت رسول الله وسمعت حديثه ، فقالوا : يا سهل مـا اعجبـك ان السماء لتمطر دما والارض لتنخسف بأهلها ، فقلت لهم ولم ذاك ؟ فقالوا : هذا رأس الحسين بن علي يهدى من ارض العراق الى يزيد بن معاوية ، فقلت واعجباه رأس الحسين والناس يفرحون كما ارى ، من اي باب يدخل ؟ فأشاروا الى باب يقال له باب الساعات ، فبينما نحن في الحديث واذا بالرايات يتلو بعضها بعضا ، وفارس بيده رمح منزوع السنان عليه رأس الحسين (ع) من اشبه الناس وجها برسول الله (ص) ووراءه نسوة على جمال بغير وطاء فدنوت من اولاهن وقلت : يا جارية من انت ، قالت : انا سكينة بنت الحسين ، فقلت لها : ألك حاجة الي انا سهل بن سعد ممن رأى جدك رسول الله ، قالت : يا سهل قل لصاحب هـذا الرأس يتقدم بالرأس امامناً حتى يشتغل الناس بالنظر اليه عن النظر الى حرم رسول الله ، قال سهل بن سعد : فدنوت من صاحب الرأس وقلت له : هل لك ان تقضي حاجتي وتأخذ مني اربعمائة دينار ، قال : وما هي؟ قلت : تقدم الرأس امام الحرم ، ففعل ذلك ودفعت اليه المبلغ ، وفـي رواية ثانية ان الذي طلب من سهل ان يدفع شيئا الى حامل الرؤوس هو الامام زين العابدين (ع) ثم دعا يزيد بن معاوية أشراف الشام ووجوهها وأجلسهم حوله وأمر بادخال علي بن الحسين والرؤوس والسبايـا فأدخلوهم عليه مربطين بالحبال ، فقال له علي بن الحسين : انشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا على مثل هذه الحالة فلم يبق احد ممن كان حاضرا الا بكى كما جاء في بعض المرويات ، فأمر يزيد بالحبال فقطعت ، وأنشد حينما وضعت الرؤوس بين يديه :

نفلق هاما من رجال اعزة علينا وقد كانوا اعق وأظلما

وكان يحيى بن الحكم شقيق مروان بن الحكم في المجلس فأنشد حينما رأى يزيد يترنح فرحا وسرورا :

لهام بادنى الطف أدنـى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
امية اضحى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله اضحت بلا نسل

فضربه يزيد في صدره وقال : اسكت ، والتفت الى علي بـن الحسين وقال : ابوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت ، فقال علي بن الحسين : ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ، فقال يزيد لابنه خالد : رد عليه فلم يدر خالد ما يقول ، فقال له يزيد قل له : ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير .

فقال له الامام زين العابدين : يا ابن معاوية وهند وصخر لم تنزل النبوة والامرة لآبائي وأجدادي من قبل ان تولد ، ولقد كان جدي علي ابن ابي طالب في بدر وأحد والاحزاب في يده راية رسول الله (ص) وأبوك وجدك في ايديهما راية الكفار ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من ابي وأهل بيته لهربت في الجبال وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور فابشر بالخزي والندامة اذا اجتمع الناس ليوم الحساب .

وقد روى الرواة ان يزيد بن معاوية امر احد انصاره ان يصعد المنبر وينال من علي والحسن والحسين ويثني على معاوية ، فصعد الخطيب المنبر وأفاض في ذلك على معاوية واطرائه ونال من علـي والحسن والحسين ، فقال له الامام السجاد : ويلك ايها المتكلـم لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار ، ثم التفت الى يزيد وقال : اتسمح لي ان اصعد هذه الاعواد وأتكلم بكلمات فيها لله

رضا ولهؤلاء الجلوس اجر وثواب ، فلم يأذن له يزيد بذلك ، فقال له من في المجلس : ائذن له يا امير لنسمع ما يقول ، فرد عليهم يزيد بن معاوية بقوله : اذا صعد المنبر لا ينزل الا بفضيحتي وفضيحة آل ابي سفيان ، فقيل له : وما قدر ما يحسن هذا الغلام ، فقال كما يزعم الرواة : انه من اهل بيت زقوا العلم زقا ، فلم يزالوا به حتى اذن له فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال : ايها الناس لقد اعطينا ستا وفضلنا بسبع اعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار (ص) ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا اسد الله واسد رسوله ومنا سيدة النساء ومنا سبطا هذه الامة ثم قال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي انا ابن مكة ومنى انا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الزكاة بأطراف الردى ، انا ابن خير من ائتزر وارتدى انا ابن خير من انتعل واحتفى ، انا ابن خير من طاف وسعى انا ابن خير من حج البيت الحرام ولبى ، انا ابن من حمل على البراق في الهوا ، انا ابن من اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، انا ابن من بلغ به جبرائيل الى سدرة المنتهى ، انا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ، انا ابن من صلى بملائكة السما انا ابن من اوحى الجليل ما اوحى ، انا ابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى ، انا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله الا الله ، انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين وبايع البيعتين وطعن برمحين وهاجر الهجرتين وقاتل ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين ولم يزل يقول انا انا ويعدد على الحضور مآثر جديه رسول الله وأمير المؤمنين وأبيه ابي عبد الله ويذكر ما جرى في طف كربلا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد ان ينتقض اهل الشام عليه كما تدعي الرواية فأمر المؤذن ان يؤذن ليقطع حديثه فلما

قال المؤذن: الله أكبر قال (ع) : لا شيء اكبر من الله ، ولما قال : اشهد ان لا إله الا الله قال الامام (ع) : شهد بها لحمي ودمي وبشري وشعري ، ولما قال : اشهد ان محمدا رسول الله ، التفت علي بن الحسين الى يزيد بن معاوية وقال : محمد هذا جدي ام جدك ، فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت ، وان زعمت انه جدي فلم قتلت عترته .

وانتهى الراوي عند هذا الحد من الحوار بين الامام زين العابدين ويزيد بن معاوية ، وأضاف انه كان في مجلس يزيد حبر من احبار اليهود فقال ليزيد: من هذا الغلام ؟ فقال : هو علي بن الحسين ، وسأله اليهودي عن جده وأبيه وأمه فأخبره بنسبه حتى انتهى الى رسول الله (ص) فقال اليهودي : يا سبحان الله لقد قتلتم ابن بنت نبيكم بهذه السرعة بئسما خلفتموه في ذريته والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطا من صلبه لظننا انا كنا نعبده من دون الله ، وأنتم قد فارقتم نبيكم بالامس ووثبتم على ابنه فقتلتموه فسوءة لكم من امة .

ومضى الراوي يقول : ان الامام زين العابدين خرج في بعض الايام من المكان الذي اعده يزيد للاسرى ، فبينما كان يسير في بعض الاسواق واذا بالمنهال بن عمر يستقبله ويسأله عن حاله ، فقال له الامام (ع) : احسبنا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم ثم قال له الامام : يا منهال ، امست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها ، وأمسينا معشر اهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون هكذا امسينا وأصبحنا يا منهال .

وفي رواية ثانية ان الامام (ع) قال له : كيف يصبح من كان اسيرا ليزيد بن معاوية بالاضافة ما ذكرنا .

وكان يزيد بن معاوية قد وعد علي بن الحسين ان يقضي له ثلاث

حاجات كما جاء في الملهوف ، فقال له يوما : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن ، فقال له : الاولى ان تريني وجه ابي لاتزود من النظر اليه ، والثانية ان ترد علينا ما اخذ منا ، والثالثة ان كنت عزمت على قتلي ان ترسل مع هؤلاء النسوة من يردهن الى حرم جدهن رسول الله، فقال له يزيد كما يزعم الراوي : اما رأس ابيك فلن تراه ابدا ، وأما النساء فلا يردهن غيرك الى المدينة ، وأما ما اخذ منكم فأنا اعوضكم عنه أضعاف قيمته ، فقال له الامام (ع) : اما مالك فلا نريده وهو موفور عليك ، وانما طلبت منك ما اخذ منا لان فيه مغزل جدتي فاطمة ومقنعتها وقلادتها وقميصها فأمر يزيد برد ذلك عليه وأضاف اليه مائتي دينار فأخذها وفرقها على الفقراء .

ويروي بعض الرواة ان يزيد بن معاوية خيَّر الامام زين العابدين بين البقاء بالشام والرجوع الى المدينة فاختار الرجوع اليها فجهزهم يزيد ابن معاوية وأرسل معهم من يتولى ادارة شؤونهم ورعايتهم خلال طريقهم وطلبوا من الدليل ان يعرج بهم على كربلا فأجابهم لذلك وكان جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم قد شدوا الرحال لزيارة الحسين (ع) فوردوا كربلا قبل وصول السبايا اليها بيوم واحد وفيما كان جابر بن عبد الله ومن معه يجولون بين القبور واذا بموكب الامام قد أطل عليهم من ناحية الشام ، فقال له قائده وكان جابر مكفوف البصر : اني ارى سوادا قد طلع علينا من ناحية الشام فخاف ان يكون الموكب لاحد من أتباع يزيد او ابن زياد ، فقال جابر : اذهب وأتنا بخبره مسرعا فان كان من أتباع ابن زياد لعلنا نأوي الى ملجأ ، وان كان لعلي ابن الحسين وعماته وأخواته فأنت حر لوجه الله ، فمضى وما لبث ان رجع مسرعا وهو يقول : يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته ، فقام جابر يمشي حافي الاقدام مسرعا حتى دنا من الامام زين العابدين ، فوقع عليه يقبله ويبكي فارتج

المكان من كثرة البكاء ، وقال له الامام (ع) : يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا وذبحت اطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا .

وقال ابن طاووس في كتابه الملهوف انهم لما وصلوا الى كربلاء وجدوا جابر بن عبد الله وجماعة من بني هاشم ورجالا من آل الرسول (ص) قد اقبلوا لزيارة قبر الحسين فتلاقوا بالبكاء والعويل وأقاموا المأتم واجتمع اليهم من كان في جوار كربلا من القبائل النازلة على الفرات ، وبعد ايام قلائل مضى الموكب في طريقه الى المدينة كما جاء في المرويات التي وصفت رحلة السبايا من العراق الى الشام ومنها الى الحجاز على طريق كربلا .

وروى الرواة مواقف للامام زين العابدين (ع) في طريقه الى الشام وفي دمشق ايضا ونسبوا له وللرأس الشريف من الكرامات في الطريق ومجلس يزيد بن معاوية بأسانيد لا تثبت في مقام النقد والتمحيص وليس ذلك بغريب عليهم ولا ببعيد على الله سبحانه ان يستجيب لاوليائه بعد ان استجابوا له وبذلوا اعز ما يملكون مع انفسهم في سبيله .

ومما لا شك فيه ان يزيد بن معاوية وأعوانه الطغاة قد مثلوا مع الحسين في كربلا ومع السبايا في الكوفة وفي الشام اقبح الفصول والادوار بنحو لم يعرف له تاريخ العرب نظيرا من قبل وليس ذلك بغريب على يزيد المستهتر الخليع الذي كان شاذا حتى بالقياس الى طغاة اسرته ، اما التفاصيل التي رواها المؤلفون في مقتل الحسين وما تلاه من الاحداث فأكثر المرويات التي تعرضت لها من نوع المراسيل والقليل المسند منها على ما في بعضه من العيوب لا يغطي جميع تلك التفاصيل ولا نصفها ، كما واني لا اشك في ان للمحبين والقصاصين دورا فيما يرويه الرواة من تلك الاحداث التي امتلأت بها المؤلفات في معركة الطف .

الامام علي بن الحسين في المدينة

يدعي بعض الرواة ان الامام زين العابدين (ع) لما اصبح قريبا من المدينة حط رحله وضرب فسطاطه وأنزل النساء فيه وكان معه بشر بن جذيم ، فقال له : يا بشر رحم الله اباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه ؟ قال بلى يا ابن رسول الله ، قال : فادخل المدينة وانع ابا عبد الله ، قال بشر : فركبت فرسي ومضيت حتى دخلتها فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وانشأت اقول :

يا اهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج ... والرأس منه على القناة يدار

ثم قلت : يا اهل المدينة هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله اليكم اعرفكم مكانه ، وأضاف الى ذلك الراوي انه لم تبق في المدينة مخدرة الا وبرزت من خدرها ، ولم يبق في المدينة احد الا وخرج وهم يبكون ويندبون .

قال بشر بن جذيم : وبعد ان نعيته لاهل المدينة ولم يبق احد الا وخرج ضربت فرسي ورجعت فوجدت الناس قد اخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وجعلت اتخطى الرقاب حتى دنوت من الفسطاط الذي

فيه الامام علي بن الحسين فخرج بعد ان ازدحم الناس حول فسطاطه فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وأخرج الخادم له كرسيا وضعه له فجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت اصوات الناس بالبكاء من حوله يعزونه بأبيه فأومأ بيده الى الناس ان اسكتوا وقال : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين بارىء الخلق اجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الامور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة .

ثم قال : ايها القوم ان الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الاسلام عظيمة قتل ابو عبد الله وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

ايها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، ام اي فؤاد لا يحزن من اجله ، ام اي عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها وأي قلب لا يتصدع لقتله ، وأي فؤاد لا يحن اليه ، وأي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصم .

ايها الناس اصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الامصار من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الاسلام ثلمناها ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هذا الا اختلاق ، والله لو ان النبي (ص) تقدم اليهم في قتالنا كما تقدم اليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فانا لله وانا اليه راجعون من مصيبة ما اعظمها وأوجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها فعند الله نحتسب ما اصابنا وما بلغ منا انه عزيز ذو انتقام .

فأثار خطابه الاسى والحزن في نفوس تلك الجماهير التي احتشدت من حوله وارتج المكان بالبكاء والعويل وأحس المسلمون بمرارة تلك

الصدمة العنيفة التي اصابت الإسلام في الصميم ومشت في أوصالهم الهامدة جذوة جديدة وفي ضمائرهم المشلولة روح النضال والدفاع عن كرامتهم التي باتت تهددها الاخطار من كل الجهات ، ودب الشعور بالاثم في ضمير كل مسلم استطاع نصره فلم ينصره وسمع دعواته فلم يجبها ، وبدأ المجتمع الاسلامي يشهد من حين لآخر تلك الانتفاضات التي كان يقوم بها اولئك الذين دب فيهم الشعور بالاثم والتقصير وأحسوا بأن كرامة كل مسلم قد اصبحت تحت أقدام يزيد بن معاوية والامويين بعد ان اقدم على قتل الحسين ريحانة الرسول وسبي نسائه فكانت ثورة التوابين والمختار بن عبيدة الثقفي والمسلمين في المدينة وما حولها على يزيد بن معاوية خلال سنوات ثلاث مضت على مقتل الحسين وكان مقتله يلهب القائمين بها ويدفعهم على الاستماتة للتكفير عن تخاذلهم عن نصرته والخضوع للظالمين وأعوانهم وتوالى الثائرون بعد ذلك على دولة الامويين بدون انقطاع تقودهم معركة كربلاء بمعانيها السامية الخيرة للتضحية والبذل بسخاء في سبيل ما يرونه حقا حتى تحطمت دولة الامويين وقامت دولة العباسيين على حساب كربلاء وما جرى فيها للحسين وصحبه الكرام ، واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء بدون انقطاع ضد الظلم والطغيان والفساد عشرات السنين بل ومئات السنين .

ودخل الامام زين العابدين المدينة بعد ان اتم خطابه وهو يكفكف دموعه فرآها موحشة قد خيم على اهلها الحزن والاسى ووجد ديار اهله خالية تنعى سكانها وانصرف عن شؤون الناس ولم يكن يعنيه شيء من الدنيا وأهلها وظل في السنين الاولى من اقامته يبكي على ابيه ومن استشهد معه من اخوته وبني عمومته حتى عده المحدثون مع البكائين وقالوا : بأنه بكى على ابيه عشرين عاما او اكثر من ذلك .

وجاء في حلية الاولياء بسند ينتهي الى ابي حمزة الثمالي عن الامام

جعفر بن محمد الصادق (ع) انه قال : سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه فقال : لا تلوموني فان يعقوب النبي (ص) فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ، وقد نظرت الى اربعة عشر رجلا من اهل بيتي قتلى على رمال كربلا أفترون حزنهم يذهب من قلبي .

وروى ابن شهراشوب عن الامام الصادق (ع) انه ما وضع بين يديه طعام الا بكى فقال له مولى من مواليه : جعلت فداك يا ابن رسول الله اني اخاف ان تكون من الهالكين، فقال : انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ، اني لم اذكر مصارع بني فاطمة الا وخنقتني العبرة .

وروى الصدوق في الخصال انه بكى على ابيه عشرين سنة وقال له مولاه : اما آن لحزنك ان ينقضي ، فقال له : ويحك ، ان يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله عنه واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه وشاب رأسه واحدودب ظهره من الحزن وابنه حي في دار الدنيا وأنا نظرت الى ابي وأخي وعمي وسبعة عشر رجلا من اهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ، وقد اشتهر عنه ذلك بين الرواة وبين كل من تعرض لسيرته وتاريخه ، وكان مع ذلك لا يترك مناسبة الا ويذكر فيها ما جرى لابيه وأسرته في كربلا ، وأحيانا كان يطلب المناسبة ويبحث عنها ليحدث بما جرى على اهل بيته ، فيذهب الى سوق الجزارين في المدينة ويقف معهم يسألهم عما اذا كانوا يسقون الشاة ماء قبل ذبحها ، وعندما يسمعهم يقولون : انا لا نذبح حيوانا قبل ان نسقيه ولو قليلا من الماء يبكي ويقول : لقد ذبح ابو عبد الله غريبا عطشان فيبكون لبكائه حتى ترتفع الاصوات بالنحيب ويجتمع الناس عليه .

وكان اذا رأى غريبا في الطريق دعاه الى ضيافته وطعامه ، ثم يبكي ويقول : لقد قتل ابو عبد الله غريبا جائعا عطشان في طف كربلاء الى غير ذلك من المواقف التي كان يقفها في السنين الاولى بعد مقتل ابيه

ليشحن النفوس بالحقد على الظالمين والكراهية ليزيد ودولته ويهيئها للثورة عندما يحين وقتها ، وقد ساهمت عمته زينب الكبرى في هذا النوع من التحرك السياسي المغلف بهذا اللون من الحزن المثير لعواطف الجماهير وغضبها ونقمتها على يزيد وحكومته ، وخيم على المدينة جو من القلق ينذر بتفجير الموقف بين حين وآخر ، مما دعا عمرو بن سعيد الاشدق بصفته المسؤول الاول في المدينة ليزيد بن معاوية ان يكتب اليه كتابا يكشف له فيه ما سينجم عن مواقف العقيلة زينب بنت علي (ع) من اخطار تحيط به وبعرشه .

ومما جاء فيه : ان وجودها بين اهل المدينة يهيج الخواطر وهي فصيحة عاقلة لبيبة وقد عزمت هي ومن معها على الثورة لتأخذ بثأر اخيها الحسين ، فكتب اليه في جوابه يأمره بأن يضع حدا لنشاطها ويفرق بينها وبين الناس [1] .

ومن المعلوم ان النشاط الذي كانت تقوم به السيدة زينب (ع) لم يكن يعدو ترديد تلك المأساة والنوح والبكاء المتواصل الذي الهب النفوس وهيأها للثورة على يزيد وحكومته الجائرة التي لم تعد تهاب احدا بعد قتل الحسين (ع) واستطاع الامام زين العابدين (ع) وعمته العقيلة تعبئة النفوس للثورة ، ولكنها كانت تبحث عن مبرر للانفجار .

---

١ ــ زينب الكبرى لجعفر نقدي ص ١٢٠ و١٢٢ ، وبطلة كربلاء للدكتورة بنت الشاطىء .

لمحات عن الانتفاضات التي اعقبت مقتل الحسين (ع)

لقد روى بعض الرواة ان عثمان بن محمد بن ابي سفيان والي المدينة ارسل وفدا من اهل المدينة ليزيد بن معاوية فيهم عبد الله بن حنظلة الانصاري المعروف بغسيل الملائكة وعبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، والمنذر بن الزبير ورجال من أشراف المدينة ، فلما قدموا على يزيد بن معاوية اكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم، وقد رأوا استهتاره بالدين والاخلاق وجميع القيم والمقدسات ، فلما رجعوا الى المدينة اظهروا شتم يزيد وعيبه ، وأعلنوا على اهل المدينة ما شاهدوه من استهتاره وفسقه ومجونه وخلعوا طاعته وكان قتل الحسين من ابرز اسبابه بالنقمة عليه كما يبدو ذلك من المؤرخين كالمسعودي وغيره واستغله حتى اعداء العلويين لصالحهم حيث وجدوا النفوس مشحونة بالنقمة والكراهية ليزيد وأسرته ، فقد قال الطبري في تاريخه وابن الاثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية : انه لما قتل الحسين (ع) في سنة احدى وستين قام عبد الله بن الزبير في اهل مكة وعظم مقتله وعاب على اهل الكوفة خاصة ولام اهل العراق عامة ولعن من قتله ، وقال : ان اهل العراق اهل غدر وفجور ، وان اهل الكوفة شرار اهل العراق،

لقد دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه وقالوا له : اما ان تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد فيمضي فيك حكمه ، واما ان تحارب ، فرأى والله انه هو وأصحابه قليل في كثير ، وان كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب احدا انه مقتول ، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسينا وأخزى قاتل حسين لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا بالنهار صيامه ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالصيام شرب الخمور ، يعرض في ذلك بيزيد ابن معاوية لعنه الله ، الى كثير من المواقف التي كان يتظاهر فيها بالحسرة والالم لقتل الحسين ويحرض فيها على من امر بقتله .

ومجمل القول انأهل المدينة بعد ان اوغر صدورهم قتل الحسين(ع) وعبأتهم مواقف الامام السجاد وعمته العقيلة ووفد على يزيد جماعة منهم ، وبالرغم من انه اكرمهم وأغدق في عطائهم والاحسان اليهم خلعوا بيعته بعد رجوعهم وقال عبد الله بن حنظلة : لقد جئتكم من عند رجل لو لم اجد الا بنى هؤلاء لقاتلته بهم وقد اعطاني وأكرمني وما قبلت عطاءه الا لأتقوى به .

وقال المنذر بن الزبير وكان احد الوافدين على يزيد بن معاوية : انه قد اجازني بمائة الف وما يمنعني ما صنع بي ان اخبركم خبره وأصدقكم عنه ، والله انه ليشرب الخمر ، والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وانه ليفعل جميع المنكرات ويستحل المحارم ، وتكلم اعضاء الوفد بكلام يشبه بعضه بعضا .

وجاء في المجلد الثاني من تاريخ الخميس ان اكابر اهل المدينة نقضوا بيعة يزيد وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين وسوء سيرته وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع العدوي كما في رواية المسعودي وطردوا عامله عليها عثمان بن محمد بن ابي سفيان وحصروا بني امية في دار مروان ، ثم اخرجوهم من المدينة وكان ذلك سنة ثلاث

وستين، وجاء في ص ١٠٣ من كتاب الفخري لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ان اهل المدينة خرجوا على يزيد بعد مقتل الحسين سنة اثنتين وستين اي بعد مقتله بسنة واحدة .

وفيها كانت وقعة الحرة وهي موضع خارج المدينة ، ولما خرج مروان وبنو امية الى الشام تركوا عيالهم في المدينة ، فكلم مروان بن الحكم عبد الله بن عمر بان يترك عياله وحرمه عنده فأبى عليه ، فكلم الامام علي بن الحسين فوافق على ذلك وبقيت عائلة مروان في رعايته الى ان انتهت المعركة ولما بلغ يزيد ما فعله اهل المدينة ارسل اليهم جيشا بقيادة مسلم بن عقبة المري ، وحينما انتهى جيشه الى الحرة خرج اهل المدينة لقتاله بقيادة عبد الله بن حنظلة فاقتتل الطرفان قتالا شديدا كانت الغلبة فيه لجيش الشام فقدم عبد الله اولاده الثمانية وقتل معهم .

وقال المسعودي في مروج الذهب : انه قتل في تلك المعركة خلق كثير من الناس من بني هاشم وقريش والانصار وغيرهم من سائر الناس، ومضى يقول : فممن قتل من آل ابي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وجعفر بن محمد بن عليّ بن ابي طالب ، ومن بني هاشم من غير آل ابي طالب الفضل بن العباس بن ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابي لهب وبضع وتسعون رجلا من قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن ادركهم الاحصاء دون من لم يعرف ، وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن ابى ذلك امرهم مسلم بن عقبة على السيف غير علي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس . وأضاف الى ذلك ان الناس نظروا الى علي بن الحسين السجاد قد لاذ بقبر النبي (ص) وهو يدعو فأتي به الى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ فتبرأ منه ومن آبائه ، فلما رآه وقد اشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه،

ثم قال له : سلني حوائجك فلم يسأله في احد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه ، وفي رواية ثانية انه قال له : لعل اهلك فزعوا ، فقال له الامام علي بن الحسين : اي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله ورده عليها .

وقال المسعودي : انه لما انصرف علي بن الحسين (ع) قيل له رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت ؟ قال : كنت اقول اللهم رب السموات السبع وما اظللن والارضين السبع وما اقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين اعوذ بك من شره وادرأ بك في نحره اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره .

وقيل لمسلم بن عقبة : رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتي به اليك رفعت منزلته ، فقال : ما كان لرأي مني لقد ملىء قلبي منه رعبا .

وقيل كما في رواية الطبري : ان يزيد بن معاوية اوصاه بعلي بن الحسين وانه جاءه مع مروان وابنه عبد الملك ، ولما رآه معهما قال : لقد جئتني بين هذين ، والله لو كان الامر اليهما لقتلتك ولكن امير المؤمنين يزيد قد اوصاني بك فذلك نافعك عندي لا مجيئك معهما .

وليس ببعيد على يزيد ان يوصي به وبالعلويين خيرا لا لانه يفعل الخير او يتمناه لاحد ولا لانه يتمنى الحياة او يريدها لاحد من آل علي ومن ذرية محمد بن عبد الله (ص) بالذات وحتى لجميع الناس ، بل لانه احس بوطأة جريمته التي ارتكبها في كربلا مع الحسين وآل الحسين وأدرك ان الاخطار قد اصبحت تهدد عرشه من جميع الجهات والاصوات التي تنادي بالثارات للحسين يدوي صداها في جميع انحاء الدولة وتجد ترحيبا وتجاوبا من الجميع ، ولم تكن ثورة اهل المدينة الا من اجل الحسين وآله الذين سقطوا على رمال كربلاء وستليها ثورات وانتفاضات ضد الحكم الاموي الظالم تستمد شرعيتها فيما تستمده من مصرع

الحسين والمبادىء التي من اجلها كان مصرع الحسين ، وأظن ان يزيد ابن معاوية بعد أحداث كربلاء اصبح يدرك كل ذلك ، ولعله بعد تنائجها المريرة قد ادرك سر وصية ابيه بالحسين قبيل وفاته يوم قال له : ان اهل الكوفة لا يدعونه حتى يخرجوه اليهم ، فاذا ظفرت به فلا تمسه بسوء فان له رحما ماسة .

ان معاوية لم يكن اكرم نفسا من ولده يزيد ولا اطيب قلبا منه ، ولم يكن هو وأبوه وأسرته يحسبون للرحم حسابا في يوم من ايام الاسلام منذ ان بزغ فجره خلال معاركهم مع النبي وعلي بن ابي طالب ، وما يوم هند وأبي سفيان من الحمزة بن عبد المطلب في معركة احد ببعيد عن الاذهان ، ولكنه كان ابعد نظرا وأكثر احساسا بنتائج الاحداث ومضاعفاتها من ولده ، وكان مع ذلك حريصا على بلوغ اهدافه بأقرب الوسائل وأيسرها اذا وجد سبيلا لذلك .

فمن غير البعيد ان يوصي يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبه بعلي ابن الحسين (ع) بعد ان كان لمعركة كربلاء ذلك الصدى الواسع في جميع الاوساط وبعد ان ارتفعت الاصوات هنا وهناك يالثارات الحسين، وأصبح حتى من كان الحسين (ع) اثقل عليهم من يزيد بن معاوية يتباكون عليه ويحرضون على يزيد وغيره من طغاة الامويين . ومهما كان الحال فلقد سلم علي بن الحسين وأهل بيته من شر مسلم بن عقبة وسلم كل من التجأ الى بيته من اهل المدينة ، وقد اشتهر بين الرواة والمؤرخين ان الذين انضموا الى علي بن الحسين (ع) يزيدون على اربعمائة عائلة .

وجاء في ربيع الابرار للزمخشري انه لما ارسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لقتال اهل المدينة واستباحتها كفل الامام زين العابدين اربعمائة امرأة مع اولادهن وحشمهن وضمهن الى عياله وقام بنفقتهن واطعامهن الى ان خرج جيش بن عقبة من المدينة ، وقد اقسمت واحدة منهن انها

ما رأت في دار ابيها وأمها من الراحة والعيش الهنيء ما رأته في دار علي ابن الحسين .

ويروي ابن قتيبة ان عدد من قتل من ابناء الانصار والمهاجرين والوجوه بلغ الفا وسبعمائة ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والاطفال ، ومضى يقول : لقد دخل رجل من جند مسلم بن عقبة على امرأة نفساء من الانصار ومعها صبي لها فقال : هل من مال ؟ فقالت: لا والله ما تركوا لنا شيئا ، فقال : والله لتخرجين الي شيئا او لاقتلنك وصبيك هذا ، فقالت له : ويحك انه ولد بن ابي كبشة الانصاري صاحب رسول الله ، فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها وضرب به الحائط فانتثر دماغه على الارض .

ولم يسلم احد من اهل المدينة نساء ورجالا من جيش اهل الشام خلال المعركة والايام الثلاثة التي اباحها مسلم بن عقبة سوى من خرج منها هاربا ومن التجأ الى الامام علي بن الحسين (ع) .

وفيما كان يزيد بن معاوية يتعقب الثائرين في المدينة كان التوابون في الكوفة منذ سنة احدى وستين يعدون العدة للثورة على يزيد وأعوانه وقد بدأوا يحسون بمرارة تلك الفاجعة منذ اللحظة الاولى التي وقف فيها الامام زين العابدين موقفه الاليم في جموعهم التي احتشدت في شوارع الكوفة ومداخلها تستقبل الرؤوس والاسرى وكان مما خاطب به اهل الكوفة :

ايها الناس انشدكم الله هل تعلمون انكم كتبتم الى ابي وخدعتموه وأعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه ، فتبا لما قدمتم لانفسكم وسوءة لرأيكم بأية عين تنظرون الى رسول الله (ص) اذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من امتي .

قال الرواة : فارتفعت اصوات الناس بالبكاء من كل ناحية وقال بعضهم لبعض : هلكتم وما تعلمون .

وقد رآتهم العقيلة زينب بنت علي (ع) يبكون ويعولون فقالت : اي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فلقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل ابدا ، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة وسيد شباب اهل الجنة .

ويروي الرواة ان الشيعة في الكوفة بعد هذه المواقف تلاقوا بالتلاوم والندم وخلقت في نفوسهم شعورا بالاثم وتأنيبا للنفس ورغبة عارمة في التكفير وقال قائلهم : دعونا ابن بنت نبينا وقد قتل بيننا فبخلنا عنه بأنفسنا فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا ؟ لا والله لا عذر دون ان تقتلوا قاتليه والمؤلبين عليه او تقتلوا في طلب ذلك عسى ان يتوب الله علينا .

وقال سليمان بن صرد الخزاعي : كنا نمد اعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر نحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا وعجزنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه ودمه ، الا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله وما اظنه راضيا حتى تناجزوا من قتله او تبيدوا ، ومضى يقول : الا لا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه امرؤ قط الا ذل .

وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن معه من الشيعة في المدائن كما كتب الى المثنى بن محربة العبدي في البصرة يدعوه الى الاخذ بثأر الحسين ومضى سليمان بن صرد هو ومن معه في الكوفة منذ قتل الحسين يستعدون ويجمعون الاموال والرجال حتى اجتمع لهم جيش عرف في التاريخ بجيش التوابين ولم يكتموا امرهم عن احد ، بل خرجوا يشترون السلاح ولوازم الحرب وهم ينادون من كل جانب : اللهم انا لا نريد الدنيا ولا لها نعمل ونريد ان نخرج وانما

نريد ان نطلب بدم الحسين، وكانت دعوتهم تتسع يوما بعد يوم حتى دخلت كل بيت في الكوفة والبصرة والمدائن ووجدت تجاوبا واقبالا وبخاصة بعد ان هلك يزيد بن معاوية وبلغ عدد المبايعين لسليمان بن صرد ورفاقه اكثر من ستة عشر الفا .

وما ان دخلت سنة ٦٥ حتى كانت صيحتهم يالثارات الحسين تزلزل الارض تحت بني امية وأعوانهم وشهدتهم الكوفة بأسلحتهم وعتادهم ساعين في احيائها وشوارعها يدعون الناس للتوبة الى الله مما صنعوه مع الحسين (ع) والخروج معهم لحرب الظالمين .

وفي ليلة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وستين خرجوا من الكوفة الى قبر الحسين (ع) وهم يتلون الآية : فتوبوا الى ربكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم .

فلما بلغوا القبر الشريف صاحوا صيحة واحدة باكين ناديين وأقاموا عنده يوما وليلة وهم يقولون : ربنا انا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ، وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين ، وانا نشهدك انا على مثل ما قتلوا عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

وغادروا القبر متجهين الى الشام تاركين الكثيرين ممن باشروا القتال في كربلاء وراءهم في الكوفة ، وكان مروان بن الحكم بعد ان استولى على السلطة قد ارسل جيشا من الشام لقمع الثورة في الكوفة بقيادة عبيد الله بن زياد فالتقى الفريقان في مكان يدعى (عين الوردة) واندفع الثوار كالموج مستبسلين يقابلون تلك الالوف التي زحفت من الشام بقيادة ابن زياد ودارت بينهما معارك طاحنة كادت تقضي على ابن زياد وجيشه لولا المدد الذي كان يصلهم بين الحين والآخر ، وظلوا يقاتلون اياما حتى ابيدوا عن آخرهم وفي ذلك يقول اعشى همدان في رثائهم من قصيدة طويلة :

فجاءهم جمع مـن الشام بعده جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى ابيدت سراتهم فلم ينج منهم ثم غـير عصائب
وغودر اهل الصبر صرعى فاصبحوا تعاودهم ريح الصبا والجنائب

لقد مضى التوابون شهداء الندم والتوبة ، وتركوا وراءهم الندم ميراثا للابناء من بعدهم والاحفاد يصلي بناره الجيل بعد الجيل .

ثورة المختار

ودخلت سنة ست وستين للهجرة وفيها خرج المختار بالكوفة ودعا الناس للطلب بثأر الحسين وأظهر الحزن والجزع وجعل يردد في المجتمعات والمحافل حديث كربلاء وما ارتكبه اهل الكوفة فيها من الجرائم فمال اليه الشيعة واستولى على بيت المال ففرق ما فيه من الاموال على اهلها فانحاز الى جانبه اكثرهم واستتب له الامر وأراد ان يدعم مكانه في الكوفة وبخاصة عند شيعتها باظهار الدعوة الى علي بن الحسين (ع) فأرسل اليه كتابا ومالا كثيرا وعرض عليه ان يأخذ له البيعة في الكوفة ويدعو الناس اليه ، وهنا يدعي جماعة من المؤرخين ان الامام (ع) قد رفض الاموال ولم يجب على كتابه وسبه على رؤس الملأ في مسجد رسول الله (ص) ، ولما يئس منه المختار كتب الى عمه محمد ابن الحنفية يعرض عليه البيعة ، فاستشار ابن الحنفية الامام زين العابدين فأشار عليه ان يرفض بيعته ولا يجيبه الى شيء مما عرضه عليه ، وان يظهر للناس عيبه والبراءة منه ، ورجح له ابن عباس ان لا يقف منه هذا الموقف ويبقى على صلة به تحسبا مما ينتظره من ابن الزبير لانه استقل بالحجاز واشتد امره فيها ، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب

المختار ، كما يدعي المسعودي وغيره .

وسواء صح ذلك ام لم يصح فلقد تتبع المختار قتله الحسين (ع) والمشتركين في حربه ولم ينج منهم الا من فر من الكوفة والتحق بالشام او بابن الزبير ، ونادى منادي المختار في الكوفة وأنحائها من اغلق عليه بابه فهو آمن الا من اشترك في قتال آل محمد (ص) وكان يوصي اصحابه بأسرهم ليأتوه بهم احياء فاذا اوقفوهم بين يديه يصنع بهم مثل ما صنعوه مع الحسين وأصحاب الحسين (ع) .

وكان عمر بن سعد خائفا يترقب دوره ساعة بعد ساعة فأرسل اليه المختار من قتله وجاءه برأسه فوضعه بين يديه فنظر اليه ولده حفص وكان في مجلس المختار ، فقال له اتعرفه ؟ قال : نعم ولا خير في العيش من بعده ، فقال له المختار : ومن أنبأك انك تعيش من بعده ؟ ثم امر بقتله ووضع رأسه الى جانب رأس ابيه ، وقال هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء وبكى، ومضى يقول: والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا بانملة من انامله وأرسل برأسيهما الى علي بن الحسين (ع) وقيل ارسلهما الى محمد بن الحنفية .

وطلب المختار فيمن طلبهم من قتلة الحسين والمشتركين في معركة كربلاء محمد بن الاشعث وكان في قرية له خارج الكوفة ، فلما احس بالطلب خرج من قصره متخفيا والتحق بمصعب بن الزبير كغيره ممن فروا من الكوفة ، فهدم المختار داره وبنى بأحجارها وطينها دار حجر بن عدي الكندي وكان قد هدمها زياد بن عبيد فيما هدمه من دور الشيعة في الكوفة يوم كان فيها واليا لمعاوية .

وظل المختار يتحين الفرصة التي تمكنه من عبيد الله بن زياد ، ولما بلغه انه قد سار من الشام في جيش عظيم الى العراق وبلغ الموصل واستولى عليها ارسل ابراهيم بن الاشتر في جيش من فرسان الكوفة وأهل البصائر والتجربة لحرب ابن زياد وذلك اثمان بقين من ذي الحجة

سنة ست وستين فالتقيا بمكان يقال له الخازر بالقرب من الموصل ودارت بين الطرفين معارك لم يعرف التاريخ اشد ضراوة منها واستمرت الى ظلام الليل وثبت عبيد الله لابراهيم بن الاشتر وهو لا يعرفه فقتله ابراهيم وانهزم من بقي من اهل الشام تاركين آلاف القتلى على شواطىء نهر الخازر وكانت المعركة الحاسمة يوم العاشر من المحرم سنة سبع وستين وظن ابراهيم بن الاشتر انه قد قتل عبيد الله بن زياد بيده، فقال لاصحابه : التمسوا في القتلى رجلا ضربته بالسيف فنفحني منه ريح المسك شرقت يداه وغربت رجلاه على شاطىء النهر ، فالتمسوه فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد قطعته ضربة بن الاشتر نصفين فقطعوا رأسه وأرسلوه الى المختار فأرسله المختار الى علي بن الحسين في المدينة فأدخل الرأس عليه وهو يتغدى ، فقال : يا سبحان الله لقد ادخل رأس ابي على صاحب هذا الرأس وهو يتغدى كما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات ورواية ابن عبد البر في الاستيعاب .

وروى الكشي في كتابه اخبار الرجال عن عمر بن علي بن الحسين (ع) انه لما ارسل المختار رأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد الى علي بن الحسين خر ساجدا وقال : الحمد لله الذي ادرك لي ثاري من اعدائي وجزى الله المختار خيرا .

وجاء عن الامام الصادق (ع) انه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس سنين حتى قتل عبيد الله بن زياد .

وجاء عن فاطمة بنت علي امير المؤمنين (ع) انها قالت : ما تحنأت امرأة منا ولا اجالت في عينها مرودا ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد الى المدينة .

وروى ابن الاثير ان ابن الزبير قال لابن عباس : الم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال : ابن ابي عبيد ، قال : لقد بلغني

قتل المختار ، قال : كأنك انكرت تسميته كذابا ، قال : ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه الشتم والشماتة .

وقد وردت اخبار كثيرة عن الائمة (ع) في مدحه والترحم عليه واستقامته كما ورد في مقابلها ما يشير الى انحرافه ونسب اليه المؤرخون والباحثون في احوال الفرق الاسلامية من الاباطيل والآراء ما لا يتفق مع الاسلام وأصوله .

وزكاه جماعة من أعلام الشيعة ونزهوه مما نسب اليه كالعلامة الحلي وابن طاووس والمحقق الاردبيلي وغيرهم من اعيان العلماء كما ذكر ذلك السيد عبد الرزاق المكرم في كتابه تنزيه المختار .

لقد كان المختار خصما عنيدا للامويين والزبيريين وكلاهما كانا يتزاحمان على العراق وقد انتزعه منهما على حساب العلويين وأظهر الولاء والتشيع لاهل البيت بلا شك في ذلك ولم يترك احدا ممن اشترك في معركة كربلاء الا ونكل به ، في حين ان عبد الله بن الزبير المفتون في الحكم والامويين كانا على خلاف في كلّ شيء الا في كره العلويين والهاشميين فأولئك كانوا يلعنون عليا على منابرهم وقتلوا عترة النبي بالاضافة الى مواقفهم من محمد ودعوته منذ بعثه الله ، وابن الزبير حينما حكم في الحجاز لولا المختار لمثل دور الامويين معهم وزاد على ذلك ان ترك ذكر النبي (ص) في خطبة الجمعة معتذرا عن ذلك بأن له اهيل سوء اذا ذكره يرفعون رؤوسهم فخرا واعتزازا فليس ببعيد عليهما والحال هذه ان ينسبوا الى المختار ما ليس فيه ما دام يناصر عدوهم المشترك ، ويضعوه في صفوف المشعوذين والمضللين . والذين كتبوا التاريخ كانوا مسيرين لنزعاتهم وللحكام لا للحق والواقع كما هو ثابت لكل من اخذ الظروف التي كانت تحيط بالمؤرخين القدامى بعين الاعتبار . ومهما كان حاله فلقد وقف موقفا من الطغاة والظالمين ومن قتلة الحسين وآله وأصحابه الكرام لا ينساه له التاريخ ولا الرسول

الاعظم وآبناؤه ائمة الهدى (ع) وخفف عن اهل البيت (ع) من آلام تلك الفاجعة التي حلت بهم فبي كربلاء وبكى لها النبي (ص) قبل وقوعها بعشرات السنين وبقيت مرارتها في قلوب الائمة من اهل البيت وشيعتهم طيلة حياتهم وستبقى مثلا كريما يستمد من فصولها ومعانيها كل ثائر على الظلم والطغيان فرحمه الله وجزاه جزاء المحسنين والمجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم انه بعباده رؤوف رحيم •

لمحات عن أخلاق الامام زين العابدين (ع) وصفاته

لقد كانت فاجعة مقتل ابيه واخوته وبني عمومته التي شاهدهـــا بعينه وتجرع مرارتها وهو مريض يعاني من وطأة المرض خلال تلـــك الاحداث ، لقد كانت تلك الفاجعة اقسى من ان تتركه يطلب بعد ذلك شيئا من السلطة او يثق بالنـــــاس ، او يشارك في شيء من شؤون السياسة ، واتجه الى القيام بشؤون الامامة الروحيـــة كالعبادة ونشر الاحكام والاخلاق وتفقد الفقراء والمساكين وما الى ذلك من المهمات التي اتجه اليها وتفانى في سبيلها مبتعدا عن السياسة والسياسيين وأسس مدرسة الفقه والحديث التي كانت تضم الكثير من الموالي والتابعين وقد احصى الشيخ الطوسي في رجاله وغيره من المؤلفين في الرجال اكثر من مائة وستين من التابعين والموالي كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه في مختلف المواضيع وعدوا منهم سعيد بن المسيب وابن جبير ، وجبير بن مطعم والقاسم بن محمد بن ابي بكر وجابر بن عبد الله الانصـــاري ويحيى بن ام الطويل وأمثال هذه الطبقة من أعلام التابعين .

وجاء في طبقات ابن سعد ان علي بن الحسين (ع) كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا ، وقال المبرد في الكامل : ان رجلا مـــن

قريش قال : كنت اجالس سعيد بن المسيب ، فقال لي يوما : من اخوالك ؟ فقلت امي فتاة وكأني نقصت من عينه فأمهلته حتى جاء علي ابن الحسين (ع) فسلم عليه ثم نهض فقلت : يا عم من هذا ؟ قال : هذا الذي لا يسع مسلما ان يجهله ، هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، قلت من امه ؟ قال فتاة ، قلت يا عم رأيتني نقصت من عينك لما علمت اني لام ولد .

وفي محاضرات الراغب الاصفهاني ومناقب ابن الجوزي ، ان عمر ابن عبد العزيز وقد قام من مجلسه علي بن الحسين (ع) قال لمن حوله : من اشرف الناس ؟ فقال من في مجلسه من المنزلفين والنفعيين : انتم يا امير المؤمنين ، فقال : كلا اشرف الناس هذا القائم من عندي آنفا ، من احب الناس ان يكونوا منه ، ولم يحب ان يكون من احد .

وروى الشيخ الصدوق في كفاية العلل بسنده الى سفيان بن عيينة انه قال : قلت لمحمد بن شهاب الزهري : لقيت علي بن الحسين ؟ قال : نعم لقيته وما لقيت احدا افضل منه ، والله ما علمت له صديقا في السر ولا عدوا في العلانية ، فقيل له : وكيف ذلك ، فقال : لاني لم ار احدا وان كان يحبه الا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده ، ولا رأيت احدا وان كان يبغضه الا وهو لشدة مداراته له يداريه .

وقال المفيد في ارشاده : لقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة وحفظ عنه من المواعظ والادعية وفضائل القرآن والحلال والحرام ما هو مشهور بين العلماء ، ومضى يقول : ان عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط (ع) قال : كانت امي فاطمة بنت الحسين (ع) فما جلست اليه قط الا قمت بخير قد افدته اما خشية لله تحدث في قلبي لما ارى من خشيته لله او علم قد استفدته منه .

وقد اجمع المؤرخون على انه قد انصرف الى العبادة والعلم والدراسة لانه وجد في ذلك غذاء لقلبه وسلوة لنفسه ، وكان يقدر العالم سواء

أكان رفيعا في اعين الناس ام كان غير رفيع ما دام عنده علم ينتفع به الناس ، واذا دخل المسجد يتخطى الناس حتى يجلس الى جانب زيد بن اسلم ، فقال له نافع بن جبير عاتبا : غفر الله لك انت سيد الناس تتخطى خلق الله وأهل العلم وقريشا حتى تجلس مع هذا العبد الاسود ، فقال له الامام (ع) : العلم يقصد حيث كان ، كما كان يقصد سعيد بن جبير حيث وجد وهو من الموالي ويقول اريد ان اسأله عن اشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة انه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء .

وكان الى جانب انصرافه الى نشر العلم والفقه رحيما بالناس جوادا سخيا حليما لم يحدث التاريخ عن احد بمثل ما حدث عنه ، فقد روى عنه الكليني في الكافي انه قال : ما تجرعت جرعة احب الي من جرعة غيظ لا اكافيء بها صاحبها ، ووقف عليه رجل من بني عمومته فأسمعه كلاما مرا وشتمه ، فلم يكلمه ، فلما انصرف قال لجلسائه : قد سمعتم ما قال هذا الرجل ، وأنا احب ان تبلغوا معي حتى تسمعوا ردي عليه ، فمضوا معه وهو يقول : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . فخرج الرجل متوثبا للشر وهو لا يشك انه انما جاءه مكافيا له على بعض ما كان منه ، فقال له علي بن الحسين (ع) : يا اخي انك كنت قد وقفت علي آنفا وقلت ما قلت فان كنت قد قلت ما في فأنا أستغفر الله منه ، وان كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك ، فأقبل عليه الرجل معتذرا وقال : لقد قلت ما ليس فيك وأنا احق به .

ويروي الرواة عن حلمه وسماحته ان جارية كانت تحمل ابريقا وتسكب منه الماء لوضوئه فسقط من يدها على وجهه فشجه وسال دمه فرفع رأسه اليها لائما ، فقالت له الجارية : ان الله يقول : والكاظمين الغيظ ، فقال : قد كظمت غيظي ، فقالت : والعافين عن الناس ، فقال: عفا الله عنك ، فقالت : والله يحب المحسنين ، فقال: انت حرة لوجه الله.

وجاء في مناقب ابن شهراشوب وكشف الغمة ان ضيوفا طرقوا

الامام (ع) فاستعجل خادما له بشواء كان في التنور فأقبل به الخادم مسرعا فسقط السفود منه على رأس طفل له ، فقتله فتحير الخادم واضطرب ، فلما نظر اليه الامام وهو بتلك الحالة فقال له : انك لم تتعمده اذهب فأنت حر لوجه الله .

وأضاف الرواة الى ذلك ، انه كان له مولى يعمل في ضيعة له فأفسد فيها كثيرا فاغتاظ منه الامام وضربه بسوط كان في يده ، فلما رجع الى منزله ارسل في طلب المولى فجاءه خائفا ووجد الامام عاريا والسوط بين يديه فظن انه يريد عقوبته ، فقال له : قد كان مني اليك ما لم يتقدم مني مثله وكانت هفوة وزلة فدونك السوط واقتص لنفسك مني ، فقال : يا مولاي والله لقد ظننت انك تريد عقوبتي وأنا مستحق للعقوبة ، فكيف اقتص منك ، قال : ويحك اقتص ، فقال : معاذ الله ، انت في حل وسعة ، فلما امتنع المولى ، قال له الامام (ع) : اما اذا ابيت فالضيعة صدقة عليك .

وجاء في رواية الواقدي ان هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان واليا على المدينة لعبد الملك بن مروان وقد اساء جوار الامام ولحقه منه اذى شديد على حد تعبير الراوي، فلما توفي عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك وأوقفه للناس لكي يقتصوا منه ، فقال والله اني لا اخاف الا من علي بن الحسين ، فمر عليه الامام وسلم عليه وأمر خاصته ان لا يتعرض له احد بسوء ، وأرسل له: ان كان اعجزك مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسد حاجتك فطب نفسا منا ومن كل من يطيعنا ، فقال له هشام بن اسماعيل : الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وفي رواية الطبقات الكبرى لابن سعد ان عبد الله بن علي بن الحسين (ع) قال : لما عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن ولاية المدينة وأوقفه الوليد الى الناس ليقتصوا منه ، وكان يسيء الى ابي ، جمعنا ابي علي بن الحسين وقال : ان هذا الرجل قد عزل وقد

اوقفه الوليد للناس فلا يتعرض له احد منكم بسوء ، فقلت يا ابت ، وليمَ والله ان اثره عندنا لسيء وما كنا نطلب الا مثل هذا اليوم ، قال: يا بني نكله الى الله ، فوالله ما تعرض له احد من آل الحسين بسوء حتى تصرم امره .

ولم يكتف السجاد بذلك بل ارسل اليه كما ذكرنا يعرض عليه من الاموال ما يسعه ويسد حاجته مع انه كما تنص المرويات كان لا يخاف الا منه لكثرة ما كان يسيء اليه ويؤذيه ، وقد صنع قبل ذلك مع الد اعداء اهل البيت وأنكد خصومهم مروان بن الحكم الذي اشار على الوليد بقتل الحسين وظهر بمظهر الشامت يوم بلغه قتل الحسين وانضم الى الناكثين والقاسطين في البصرة وصفين وظل الى جانب معاوية يتتبع اهل البيت بالاذى والاساءة ويحاول التنكيل بهم وبشيعتهم بكل ما لديه من الوسائل ، ومع ذلك فقد صنع معه علي بن الحسين مثلما صنعه مع هشام وبالغ بالاحسان اليه كما بالغ هو بالاساءة اليه والى ابيه وعمه وجده وذلك يوم ثار اهل المدينة على الامويين وضيقوا عليهم ولم يعد لهم ملجأ بها ، فقد ضاقت الامور بمروان بن الحكم يوم ذاك فراح يستعطف ابناء المهاجرين والانصار فلم يجد من يحمي له عيال الامويين ونساءهم ويمنع عنهم الثائرين غير علي بن الحسين فضمهم الى عياله وعاملهم بما كان يعامل به اسرته وعياله ونساءه وأقسمت احدى بنات مروان او احدى نساء الامويين انها ما رأت في دار ابيها وأمها من الراحة والعيش الهنيء ما رأته في دار علي بن الحسين زين العابدين يوم ذاك .

واذا كان ذلك غريبا وبعيدا عن اخلاق الناس وطبائعهم ، فليس بغريب على من اجتباهم الله وخصهم بالكرامة والعصمة وجعلهم فوق مستوى الناس في مواهبهم وأخلاقهم وجميع صفاتهم ، ان اخلاق الامام زين العابدين من اخلاق جديه محمد بن عبد الله وعلي امير المؤمنين ومواهبه

من مواهبهما ، لقد عفا رسول الله عن ابي سفيان رأس الشرك والنفاق وأحسن اليه بعد ان ظفر به ، كما عفا عن زوجته هند بنت عتبة وأحسن اليها بعد ان شقت بطن الحمزة واستخرجت كبده منها ونهشتها بأسنانها وحملتها الى مكة تتشفى بالنظر اليها ، وعفا عن الحكم والد مروان يوم ظفر به في مكة وقد كان يؤذيه ويقصده بكل انواع الاساءة ، وبعد ان اظهر الاسلام بعد فتح مكة كان يستهزىء به ويفتري عليه فلم يزد النبي (ص) على ان نفاه وولده الى الطائف كما عفا عن جميع مشركي مكة وجبابرتهم وعن كل من كان يسيء اليه وقال كلمته المشهورة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقد عفا جده امير المؤمنين عن مروان وقد قاد الجيوش لحربه في البصرة بعد ان ظفر به ووقع اسيرا في قبضته وتركه مع علمه بأنه سينضم الى معاوية ويحاربه في صفين وغيرها . وبعد ان استتب الامر لمعاوية واختاره واليا على المدينة كان يؤذي الامام الحسن ويجرعه الغيظ وكانت مجزرة كربلاء من اعز امانيه وأحبها اليه ، وكان امير المؤمنين (ع) يقول : [اذا ظفرت بعدوك فليكن العفو أحلى الظفرين] فلا غرابة اذا احسن الامام زين العابدين لمن اساء اليه .

وقد روى الرواة عشرات الحوادث عن عفوه وسماحته ، كما رووا عن كرمه ومعروفه ، فما علم ان على احد دينا وقصده مستعينا به الا اداه عنه ، وما قصده معسر الا ووسع عليه ، ولا سائل الا وأعطاه ما يغنيه عن سؤال غيره ، ودخل يوما على محمد بن اسامة بن زيد يعوده فوجده يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : دين علي خمسة عشر الف دينار ، فقال الامام : هي علي بكاملها ووفاها عنه من ساعته .

وكان اذا جاءه سائل يقول : مرحبا بمن يحمل زادي ليوم القيامة ، ولا يأكل طعاما حتى يتصدق بمثله ، ويعول مع ذلك بمائة بيت في المدينة كما في رواية احمد بن حنبل والصدوق عن الامام الباقر (ع) .

وقال ابو نعيم في حلية الاولياء : كانت بيوت في المدينة تعيش من صدقات علي بن الحسين (ع) ولا تدري من اين تعيش فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كان يأتيهم فعلموا بأنه هو الذي كان يعيلهم ، وقالوا فقدنا صدقة السر حتى فقدنا علي بن الحسين زين العابدين .

وجاء في رواية الصدوق عن سفيان بن عيينة ان محمد بن شهاب الزهري رأى علي بن الحسين (ع) في ليلة باردة وعلى ظهره دقيق وهو يمشي فقال : يا ابن رسول الله ما هذا ؟ قال : اريد سفرا اعددت له اذا احمله الى موضع حريز ، قال : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى عليه الامام (ع)، فقال : دعني احمله عنك فاني ارفعك عن حمله ، فقال: لكني لا ارفع نفسي عما ينجيني من سفري ويحسن ورودي على ما ارد عليه اسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني ، فلما كان بعد ايام لقيه ابن شهاب وقال : يا ابن رسول الله لست ارى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا ، قال : بلى يا زهري ، ليس هو كما ظننت ولكنه الموت وله استعد ، انما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى في الخير .

وكان يطرق بيوت الفقراء وهو متلثم وأكثرهم كانوا يقفون على ابواب بيوتهم ينتظرونه فاذا رأوه تباشروا به وقالوا : جاءنا صاحب الجراب .

وروى ابن طاووس في الاقبال بسند ينتهي الى الامام الصادق (ع) ان علي بن الحسين اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا امة واذا اذنب عبد له او أمة يسجل ذلك عليهم ، فاذا كان اخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ، ثم يعرض عليهم سيئاتهم فيعترفون بها ، فيقول لهم : قولوا يا علي بن الحسين ان ربك قد احصى عليك كل ما عملت كما احصيت علينا كل ما عملنا ، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، وتجد كل ما عملت لديه حاضرا كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح

وهو واقف بينهم يبكي ويقول : ربنا انك امرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا كما امرت فاعف عنا فانك اولى بذلك منا ومن المأمورين ، ثم يقبل عليهم ويقول : لقد عفوت عنكم فهل عفوتم ما كان مني اليكم اذهبوا فقد اعتقت رقابكم طمعا في عفو الله وعتق رقبتي من النار ، فاذا كان يوم العيد اجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في ايدي الناس .

وكان يقول : ان لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان سبعين الف عتيق من النار ، فاذا كان آخر ليلة منه اعتق الله فيها مثلما اعتق في جميعه ، واني لأحب ان يراني الله وقد اعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا رجاء ان يعتق رقبتي من النار .

وروى الرواة انه كان اذا توضأ للصلاة اصفر لونه فيقال له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول : أتدرون بين يدي من اريد ان اقف ، واذا قام الى الصلاة اخذته رعدة فيقال له : مالك يا ابن رسول الله ؟ فيقول : ما تدرون لمن اريد ان اناجي . ووقع حريق في داره وهو ساجد ، فاجتمع الناس وقالوا : النار النار يا ابن رسول الله ، فلم يكترث ولم يرفع رأسه حتى اطفئت فقيل له : ما الذي الهاك عنها ؟ فقال: الهتني النار الكبرى .

الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تحدثت عن بره ومعروفه وسماحته وعبادته وسخائه . ومما يؤكد مضمون تلك الروايات ما شاع بين القريب والبعيد والعدو والصديق من المؤرخين والمحدثين من انه كان افضل الناس وأروع الناس وأكرم اهل زمانه .

وكان مع كل ذلك مهابا معظما فقد دخل على عبد الملك بن مروان وكان حاقدا عليه فلما نظر اليه مقبلا عليه قام اليه وأجلسه الى جنبه وأكرمه ، فقيل له في ذلك فقال لما رأيته امتلأ قلبي رعبا . ولما دخل على مسلم بن عقبة في المدينة قال لقد ملىء قلبي منه خيفة .

وجاء في رواية السبكي في طبقات الشافعية ان هشام بن عبد الملك

حج في بعض السنين فطاف حول البيت وحاول ان يلمس الحجر الاسود فلم يجد لذلك سبيلا من كثرة الزحام فوضع له من كان معه كرسيا في ناحية من نواحي الحرم وجلس عليه ينتظر ان يخف الزحام عن الحجر ليلمسه ووقف حوله اهل الشام ، وفيما هو ينظر الى الناس اذ اقبل الامام زين العابدين وكان من احسن الناس وجها وأطيبهم ارجا على حد تعبير الراوي فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر انفرج له الناس عنه ووقفوا له اجلالا وتعظيما حتى اذا استلم الحجر وقبله والناس وقوف ينظرون اليه وكأنما على رؤوسهم الطير فلما مضى عنه عادوا الى طوافهم ، هذا وهشام بن عبد الملك ومن معه من اهل الشام يرون كل ذلك ونفس هشام يعبث فيها الحقد والحسد ، اما من كان معه من وجوه الشام فكانوا لا يعرفون الرجل الذي هابه الناس وأفرجوا له عن الحجر ، والخليفة حاول هو وجنده ان يجدوا ممرا الى الحجر فلم تجدهم المحاولة ، فالتفت احدهم الى هشام بن عبد الملك وسأله : من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فقال لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان الفرزدق الشاعر حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامي : ومن هو يا ابا فراس ؟ فقال الفرزدق : هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ومضى على البديهة في وسط تلك الجموع المحتشدة يقول :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم

يفضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينمى الى ذروةالعز التي قصرت ... عنها الأكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الانبياء له ... وفضل امته دانت له الامم
ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
الله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدم

الى آخر القصيدة التي تبلغ نحوا من ثلاثين بيتا تقريبا كما في رواية ابن الجوزي والسبكي في طبقات الشافعية .

وقد روى هذا الموقف للفرزدق مع هشام بن عبد الملك اكثر المؤرخين والمحدثين بتفاوت يسير في الشكل الذي وقع عليه الحادث وفي عدد الابيات التي انشدها ابو فراس في ذلك الموقف متحديا بها سلطان اولئك الحكام الجبابرة المعتزين بملكهم وجندهم فلم يغن عنهم الجند والملك شيئا في ذلك الموقف الذي تتدافع فيه الجماهير وتتسابق لاستلام الحجر ، حتى اذا اقبل الامام (ع) المعتز بالله وحده انفرجت له الحشود المتدفقة كالسيل وانكشفت له عن ركن البيت ووقف الناس كلهم وكأن الارض تشدهم الى اعماقها حتى اذا قضى الامام حاجته وترك المكان عاد الناس يتسابقون ويتدافعون كحالتهم الاولى ، هذا وأهل الشام ينظرون الى هذا المشهد الغريب وينتظرون من يعرفهم بالشاب الذي هابه الناس وعظموه بعد ان تجاهله خليفتهم وقال لا اعرفه. لقد كان يتمنى ان لا يعرفه اهل الشام لانه كان هو وأسلافه من بني امية يزعمون لاهل الشام بأنهم آل الرسول الذي امر الله بمودتهم ، ولم يكن يحسب ان ابا فراس سيصفعه بتلك الصفعة التي كانت عليه اشد من الصاعقة وهو يقول :

وليس قولك من هـذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم
هذا علـي رسول الله والده امست بنور هداه تهتدي الامم
هذا ابن فاطمة ان كنت تجهله بجده انبياء اللـه قد ختمـوا

ويدعي الرواة ان هشام بن عبد الملك قد غضب على الفرزدق ، وأمر بحبسه بعسفان وهو مكان بين مكة والمدينة وأوصى بالتضييق عليـه وأضاف الرواة الى ذلك ان الامام علي بن الحسين (ع) ارسل له الف دينار فردها الفرزدق وقال للرسول : اني لم اقل ما قلت الا غضبا للـه ولرسوله ولا آخذ على طاعة الله اجرا ، فأعادها الامام (ع) وأرسـل اليه : نحن اهل بيت لا يعود الينا ما اعطينا فقبلها الفرزدق وبقي فـي حبس هشام مدة من الزمن وأخيرا هجاه بقوله :

أيحبسني بين المدينة والتـي اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبهـا

ويدعي الرواة انه لما بلغه هجاؤه امر باخراجه من السجن فرحم الله الفرزدق وأجزل ثوابه ، فلقد كان في موقفه الذي وقفه مع هشام بن عبد الملك من افضل المجاهدين في سبيل الله بمقتضى ما جاء عـن النبي (ص) انه قال :

افضل المجاهدين في سبيل الله الحمزة بن عبد المطلب ورجل قـال كلمة حق في وجه سلطان جائر .

ويروي بعض الرواة انه بلغ عبد الملك بن مروان ان سيف رسـول الله (ص) موجود عند الامام علي بن الحسين (ع) فبعث اليه يستوهبه اياه وألح عليه في الطلب فأبى عليه فكتب اليه عبد الملك يهدده ويتوعده بقطع رزقه من بيت المال ، وفي رواية ثانية انه ارسل الى الحجاز من يأتيه به مقيدا الى الشام ، فأجابه الامام (ع) بكتاب جاء فيه : اما بعد فان الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا

يحتسبون ، وقال تعالى في كتابه :

ان الله لا يحب كل خوان فخور فانظر اينا اولى بهذه الآية .

والرواية التي تنص على انه ارسل من يحمله اليه مقيدا ذكرها ابن الجوزي في تذكرته عن ابن حمدون في كتابه التذكرة عن الزهري .

وجاء فيها ان عبد الملك حمل علي بن الحسين مقيدا من المدينة ووكل به حفظة قال الزهري : فاستأذنتهم في وداعه فأذنوا لي فدخلت عليه والقيد في رجليه والغل في يديه فبكيت وقلت وددت اني مكانك وأنت سالم ، فقال : يا زهري اتظن ان ما ترى علي وفي عنقي يكرثني ، اما لو شئت لما كان ، وانه ليذكرني عذاب الله ، ومضى محمد بن شهاب يقول : ثم انه اخرج يديه ورجليه من القيد وما مضت الا اربع ليال واذا بالموكلين به قد رجعوا الى المدينة يطلبونه فلم يجدوه فسألت بعضهم فقال لقد فقدناه فلم نجده ووجدنا الحديد الذي كان في يديه ورجليه . وأضاف الى ذلك الزهري : اني قدمت بعد ذلك على عبد الملك ابن مروان فسألني عنه فأخبرته بخبره ، فقال : لقد جاءني يوم فقده الاعوان فدخل علي وقال : ما انا وأنت ، فقلت له : اقم عندي ، قال : لا احب ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة .

وروى له بعض الرواة غير هذه من الكرامات بأسانيد لا تثبت في مقام النقد والتمحيص . وحسبنا اظن ان بعض الكرامات المنسوبة اليه والى غيره من صنع القصاصين الذين اتخذوا القصص مهنة يستدرون بها عطف عوام الناس وضعفائهم ، والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك ، في حين اني اعتقد بأنهم لو سألوا الله سبحانه لاعطاهم ما يريدون ولكنهم كانوا يصبرون على الشدائد والنكبات رغبة بما اعده الله سبحانه للصابرين الراضين بقضائه . كما يؤكد ذلك تاريخهم المجيد الناصع الغني بالفضائل والبر والاحسان والتضحيات في سبيله .

وجاء عن الامام محمد الباقر ان علي بن الحسين (ع) قال : مرضت

يوما ، فقال لي ابي ما تشتهي يا بني ؟ فقلت له اشتهي ان اكون ممن لا اقترح على الله ربي ما يدبر لي ، فقال لي: احسنت يا بني: لقد ضاهيت ابراهيم الخليل حيث قال له جبرائيل : هل من حاجة ؟ فقال : لا اقترح على ربي حسبي الله ونعم الوكيل .

وكان يتمنى على محبيه وشيعته ان لا يبالغوا في الحديث عنهم وأن يكونوا معتدلين في تعظيمهم ، فقد روى ابن سعد في طبقاته ان الامام زين العابدين كان يقول : ايها الناس احبونا حب الاسلام ، فوالله ما برح حبكم لنا حتى اصبح علينا عارا وبغضتمونا الى الناس .

وفي رواية ثانية انه كان يقول لشيعته : لنا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله وولادة طيبة ، وكأنه يتمنى ان يقفوا عند هذه المزايا وكفى بها شرفا وفخرا ولا يحدثوا الناس بما لا تتحمله عقول العامة .

وجاء في مناقب ابن شهراشوب انه قيل له: مالك يا ابن رسول الله اذا سافرت كنمت نفسك اهل الرفقة ، فقال : اني اكره ان آخذ برسول الله (ص) ما لا اعطي مثله .

وفي رواية ثانية انه قال : سافرت مرة مع قوم يعرفونني فاعطوني برسول الله (ص) ما لا استحق فصار كتمان امري احب الي .

الصحيفة السجادية

لقد وجد الامام علي بن الحسين في عصر قد استسلم الناس فيه لشهواتهم وطغت عليهم سيرة حكامهم فابتعدوا عن مفاهيم الرسالة وأخلاق الاسلام وآدابه . ولم يتسن له ان يرتقي المنابر ويقف في المجتمعات لارشاد الناس الى ما يصلحهم من اخلاق الاسلام وآدابه وأحكامه وانقاذهم من أئمة الجور الذين شوهوا وجه الاسلام ببيلوكهم وطغيانهم وتمادوا في استهتارهم بالقيم وانتهاك الحريات والحرمات ، فجعل ينشر رسالة الاسلام ويدعو الناس الى الرجوع الى دينهم وكتابهم وأخلاقهم وسيرة نبيهم ويدعو الحكام الى احقاق الحق واقامة العدل وانصاف المحرومين والمعذبين ويلفت الانظار الى ما يجب ان يتوفر في الحكام وما لهم على الرعية من حقوق وواجبات في مقابل قيامهم بحفظ الامن ونشر العدل وحفظ الثغور وما الى ذلك مما يضمن للدولة حقها ولكل انسان كرامته وحقه في الحياة .

لقد كان الامام علي بن الحسين (ع) يحرص على ان يضع الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم وما يجب عليهم لله والناس ولكن بأسلوب يختلف عن اساليب الوعاظ والمرشدين

والقصاصين ، لقد استعمل اسلوب الحوار مع الله ومناجاته واستعطافه وتمجيده في ستين دعاء عرفت بالصحيفة السجادية رواها عنه الامـــام الباقر (ع) وولده زيد بن علي وثقات اصحاب الائمة وتداولها الشيعة من بعده ولا تزال من المقدسات عند خيار الشيعة يواظبون على ادعيتها في الليل والنهار والغدوات والاسمار وطلب الحوائج وغير ذلك .

ومما جاء في بعض ادعيتها في ليالي رمضـــــان : إلهي ما اردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك اذ عصيتك وأنا بك شاك ولا بنكالك مستخف ، ولا لعقوبتك معترض ولكن سولت لي نفسي ، وأعانني على ذلك سترك علي ، فأنا الان من عذابك من ينقذني ، وبحبل من اعتصم ان انت قطعت حبلك عني ، فواسوأتاه غدا إذا قيل للمخفين جـــوزوا وللمثقلين حطوا ، امع المخفين اجوز ، ام مع المثقلين احط ، وفي هذا الدعاء يقول :

اللهم ارحمني اذا انقطعت حجتي وكل عن جوابك لساني ، وطاش عند سؤالك اياي لبي ، الهي ان عفوت فمن اولى منك في العفو وان عذبت فمن اعدل منك في الحكم ارحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي وارحمني صريعا علـــى فراشي تقلبني ايدي احبتي ، وتفضل علي ممدودا على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وتحنن علي محمولا قد تناول الاقرباء اطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت الجديد وفي اللحد غربتي ووحشتي .

ويمضي الامام (ع) في الدعاء لنفسه وأهله واخوانه وجيرانه وجميع المسلمين ثم يقول :

الهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتني بجرمي لاطالبنك بكرمك ولئن ادخلتني النار لاخبرن اهل النار بحبي لك ، الهي ان كنت لا تغفر الا لاوليائك وأهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون ، وان كنت لا تكرم الا اهل الوفاء بك فبمن يستغيث

المسيئون ، الهي ان ادخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك وان ادخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك ، وانا والله اعلم ان سرور نبيك احب اليك من سرور عدوك اللهم اعطني بصيرة في دينك وفهما في حكمك وفقها في علمك وورعا يحجزني عن معصيتك ، اللهم اني اعوذ بك من الكسل والجبن والبخل والغفلة والقسوة والذلة والمسكنة والفقر والفاقة وأعوذ بك من نفس لا تقنع وبطن لا يشبع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع وعمل لا ينفع ، اللهم انك انزلت في كتابك العفو وأمرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فاعف عنا فانك اولى بذلك منا .

من دعائه في الآداب والأخلاق

اللهم اوسع علي من رزقك ولا تفتني بالبطر واعزني ولا تبتلني بالكبر ، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن ، اللهم لا ترفعني عند الناس درجة الا حطتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزا ظاهرا الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها ، اللهم لا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها ، ولا عائبة أؤنب بها الا احسنتها ، ولا اكرومة في ناقصة الا اتممتها ، ووفقني لطاعة من سددني ومتابعة من ارشدني، وسددني لان اعارض من غشني بالنصح واجزي من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبذل وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان اشكر الحسنة وأغضي عن السيئة .

وفي هذه المناجاة يقول :

اللهم اجعلني احول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة وأتضرع اليك عند المسكنة ولا تفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت ولا بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت فأستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يا ارحم الراحمين .

مما كان يدعو فيه لمن ظلمه وأساء اليه

ولم يكتف هو بالاحسان الى من كان يسيء اليه ، بل كان يطلب لهم العفو والمغفرة من الله سبحانه ويقول :

اللهم وايما عبد نال مني ما حظرت عليه فاغفر له ما ألم به مني واجعل ما سمحت به من العفو عنهم وتبرعت به من الصدقة عليهم في ازكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك وينجو كل منا بمنك .

وكان مع كل ذلك يرى نفسه مقصرا في حقوق الناس ويعتذر الى الله من ذلك ويقول في بعض ادعيته :

اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره ومن معروف اسدي الي فلم اشكره ومن مسيء اعتذر الي فلم اعذره ومن ذي فاقة سألني فلم اوفره ومن عيب مسلم ظهر لي فلم استره ومن كل اثم عرض لي فلم اهجره ، واجعل ندامتي على ما وقعت فيه من الزلات وعزمي على ترك ما يعرض لي من السيئات توبة توجب لي محبتك يا محب التوابين .

وكان يدعو في خلواته مع الله سبحانه للمحاربين والمرابطين على
د البلاد التي تفصل بين بلاد المسلمين وبلاد المشركين والكفـــار
أله سبحانه لهم الصبر والتأييد والنصر على اعداء الاسلام .

من دعائه للمرابطين والمحاربين في الثغور

اللهم صل على محمد وآل محمد وحصن ثغور المسلمين بعزتك وأيد حماتها بقوتك واسبغ عطاياهم من جدتك وكثر عدتهم واشحذ اسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حومتهم والف جمعهم ودبر امرهم واعضدهم بالصبر وأعنهم بالنصر وأنسهم عند لقاء العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون واجعل الجنة نصب اعينهم حتى لا يهم احد منهم بالادبار ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار ، اللهم وايما غاز غزاهم من اهل ملتك او مجاهد جاهدهم من اتباع سنتك ليكون دينك الاعلى وحزبك الاقوى وحظك الاوفى فلقه اليسر وهيء له الامر وتوله بالنجح وافرغ عليه الصبر وسهل له النصر وتخير له الاصحاب واسبغ عليه في النفقة ومتعه بالنشاط وانسه ذكر الاهل والولد وتوله بالعافية واصحبه السلامة واعفه عن الجبن والهمه الجرأة وارزقه الشدة وأيده بالنصرة واجعل فكره وذكره وظعنه واقامته فيك ومنك يا ارحم الراحمين .

ومضى في دعائه للمرابطين والمجاهدين فقال :

اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف المسلمين وخذهم

بالنقص عن تنقصهم وثبطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم ، اللهم اخـــل قلوبهم من الامنة وأبدانهم من القوة ، واذهل قلوبهم عن الاحتيال واوهن أركانهم عن منازلة الرجال وجبنهم عن مقارعة الابطال واقطع عنهم المدد وأملأ افئدتهم بالرعب واقبض ايديهم عن البسط . اللهم وايما مسلم خلف غازيا او مرابطا في داره ، او تعهد خالفيه في غيبته ، او اعانـــه بطائفة من ماله او امده بعتاد او شحذه على جهاد ، او اتبعه في وجهه دعوة او رعى له من ورائه حرمة فاجزله مثل اجره وزنا بوزن ومثلا بمثل وعوضه من فعله عوضا حاضرا يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما اتى به الى ان ينتهي به الوقت الى ما اجريت له من فضلك وأعددت له مـــن كرامتك .

اللهم وايما مسلم اهمه امر الاسلام واحزنه تحزب اهل الشرك عليهم فنوى غزوا بجهاد فقعد به ضعف او ابطأت به فاقة او اخره عنه حادث او عرض له دون ارادته مانع فاكتب اسمه في العابدين واوجب له ثواب المجاهدين واجعله في نظام الشهداء والصالحين .

ومما كان يدعو به لوالديه :

اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف وأبرهما بر الام الرؤوف واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما اقر لعيني من رقدة الوسنان واثلج لصدري من شربة الظمآن حتى أؤثر على هواي هواهما وأقدم علـــى رضاي رضاهما واستكثر برهما بي وان قل واستقل بري بهما وان كثر .

اللهم اشكر لهما تربيتي وأثبهما على تكرمتي واخفض لهما مـــــا حفظاه مني في صغري ، اللهم وما مسهما مني من اذى او خلص اليهما عني من مكروه او ضاع قبلي لهما من حق فاجعله حطة لذنوبهما وعلوا في درجاتهما وزيادة في حسناتهما يا ارحم الراحمين .

وتشتمل الصحيفة السجادية بالاضافة الى هذه المقتطفات من بعض الادعية على عشرات الادعية في طلب الرزق وقضاء الدين وطلب الحوائج

والعفو والمغفرة ودفع كيد الاعداء ولصحابة النبي والتابعين ينبغـــي للانسان ان يدعو به لوالديه ولاولاده وجيرانه وعند الصباح والمساء من كل يوم وعند ذكر الموت وأيام شهر رمضان ولياليه وغير ذلك مـــن محتويات تلك الصحيفة التي جمعت الكثير من الاحكـــام والآداب والاخلاق وكل ما يرفع من مستوى الانسان ويقربه من الله سبحانه .

رسالة الحقوق

لقد روى المحدثون في مجاميعهم ان الامام زين العابدين بعد ان عاصر الاحداث التي مرت على آبائه ورأى ما تعانيه الامـــة في ظل العهد الاموي من جور واضطهاد وما يحاوله اولئك الحكام من تحوير وتحريف لمفاهيم الرسالة وضع رسالة لاصحابه وشيعة آبائه تتضمن ما يجب عليهم وما يجب لهم تشتمل على خمسين مادة وقد عرفت برسالة الحقوق على لسان المحدثين رواها عن الامام (ع) الصدوق في الخصال بسند معتبر كما يصفه اكثر المؤلفين في احوال الامام زين العابدين كما رواها علي بن شعبة الحلبي في كتابه تحف العقول بسند ينتهي الى ابي حمزة الثمالي وقد افتتحها الامام (ع) بقوله : اعلم رحمك الله ان للـه عليك حقوقا محيطة بك في كل حركة تحركتها او سكنة سكنتهـا او منزلة نزلتها او جارحة قلبتها او آلة تصرفت بها وأكبر حقوق الله عليك ما اوجبه عليك لنفسك من قرنك الى قدمك على اختلاف جوارحـــك فجعل لبصرك عليك حقا ولسمعك عليك حقا وللسانك عليك حقا وليدك عليك حقا ولرجلك عليك حقا ولفرجك عليك حقا ، ثم ينتقل الامام من حقوق الجوارح الى حقوق الافعال ، ومنها ينتقل الى ما على الانسان

من حقوق لمجتمعه واخوانه وجيرانه وسلطانه وأعوانه وجلسائه وأصحابه وشركائه وخدمه وزوجاته وغير ذلك ، ومما جاء فيها عن حقوق السلطان.

وتلطف لاعطائه من الرضا ما يكفه عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله ، ولا تعانده كانك ان فعلت ذلك عققته وعققت نفسك فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكة فيك ، وكنت خليقا ان تكون معينا له على نفسك وشريكا له فيما اتى اليك ولا قوة الا بالله .

وقال وهو يتحدث عن حق المعلم : ومن حقه عليك التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع اليه والاقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم ، بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكي له قلبك وتجلي له بصرك بترك الملذات ونقص الشهوات . ولا ترفع في وجهه صوتك ، ولا تجيب احدا حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه احدا وان تدافع عنه اذا ذكر عندك بسوء وتستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوا وتعادي له وليا .

وقال (ع) فيما يجب للامهات على الاولاد : فحق امك ان تعلم انها حملتك حيث لا يحمل احد احدا وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم احد احدا ووقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة فرحة محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة واخرجتك الى الارض ، فرضيت ان تشبعك وتجوع وتكسوك وتعرى وترويك وتظمى وتظلك وتضحي وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها فانك لا تطيق شكرها ولا تقدر عليه الا بعون الله وتوفيقه .

وقال فيما يجب للاخ على اخيه : انه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجي اليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ولا عدة لظلم خلق الله ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة له

والاقبال عليه في الله فان انقاد لربه وأحسن الاجابة له والا فليكن الله آثر عندك وألزم عليه منه .

وقال (ع) في حقوق الجيران : ومن حق الجار عليك حفظه غائبا وكرامته شاهدا ونصرته ومعونته في الحالين ، لا تتبع له عورة ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها فان عرفتها منه عن غير ارادة منك ولا تكلف كنت لما علمت حصنا حصينا وسترا ستيرا لو بحثت الأسنة عنه ضميرا لم تتصل اليه لانطوائه عليه ، ولا تستمع عليه من حيث لا يعلم ، ولا تسلمه عند الشدائد ، ولا تحسده عند نعمة ، وان تقيل عثرته وتغفر زلته ، ولا تدخر حلمك عنه اذا جهل عليك .

وقال (ع) فيما يجب للصاحب : ان له عليك ان تصحبه بالفضل ما وجدت اليه سبيلا ، والا فلا اقل من الانصاف ، وان تكرمه كما يكرمك ولا يسبقك الى مكرمة فان سبقك كافأته ، وتلزم نفسك على نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربه ومعونته على نفسه فيما يهم به من معصية ربه .

وقال في تحديد موقف الانسان مما في يده من الاموال : ان عليك ان لا تأخذه الا من حله ولا تنفقه الا في حله ولا تحرفه عن مواضعه ، ولا تجعله اذا كان من الله الا اليه وسببا الى الله ، ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك ولا يعمل فيه بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة وتبوء بالاثم والحسرة والندامة مع التبعة .

وقال (ع) فيما يجب على الانسان لمن نصحه : وعليك ان تلين له جناحك وتشرئب له قلبك ، وتفتح له سمعك حتى تفهم منه نصيحته وتنظر فيها فان كان وفق لها ، والا رحمته ولم تتهمه وعلمت انه لم يألك نصحا ، الا ان يكون عندك مستحقا للتهمة فلا تعبأ بشيء من امره على كل حال ولا قوة الا بالله .

وقال (ع) وهو يتحدث عن حق من ادخل السرور على غيره : فان

كان تعمد المسرة لك حمدت الله اولا ثم شكرته على ذلك وكافأته على فضل الابتداء وأرصدت له المكافأة ، وان لم يكن تعمدها حمدت الله اولا ثم شكرته اذ كان سببا من اسباب نعم الله عليك ورجوت له بعد ذلك خيرا فان اسباب النعم بركة حيثما كانت وان كان لم يتعمد .

وقال (ع) فيما يجب لاهل الذمة : فالحكم فيهم ان تقبل منهم ما قبل الله وكفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده ، وتحكم فيهم بما حكم به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله حائل ، فلقد قال رسول الله : من ظلم معاهدا كنت خصمه فاتق الله فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله .

وقد اشتملت رسالة الامام على خمسين حقا كما ذكرنا في مختلف المواضيع واقتصرنا منها على هذه النماذج تهربا من ملل القراء .

من كلماته القصار

لقد جاء عنه انه قال لبعض بنيه : يا بني ان الله رضيني لك ولـــم يرضك لي فأوصاك بي ولم يوصني بك عليك بالبر فانه تحفة كبيرة .

وقال : طلب الحوائج الى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحيـــاء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر ، وقلة طلب الحوائج هو الغنى الحاضر .

وقال : ان احبكم الى الله احسنكم عملا ، وان اعظمكم عند الله عملا اعظمكم فيما عند الله رغبة ، وان انجاكم من عذاب الله اشدكم خشية لله ، وان اقربكم من الله اوسعكم خلقا ، وان ارضاكم عند الله اسعاكم على عياله ، وان اكرمكم على الله اتقاكم لله .

وقال (ع) لبعض بنيه : يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقال : من هم يا ابتاه ؟ فقال : اياك ومصاحبة الكذاب فانه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، واياك ومصاحبه الفاسق فانه يبيعك بأكلة وما دونها ، فقال له ولده : ومـــا دونها ؟ قال : يطمع فيها ولا ينالها ، واياك ومصاحبة البخيل فانه يخذلك فيما انت احوج ما تكون اليه ، واياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد ان

ينفعك فيضرك ، واياك ومصاحبة القاطع لرحمه فاني وجدته ملعونا في كتاب الله .

وقال (ع) ثلاث من كن فيه من المؤمنين كان في كنف الله وآظله يوم القيامة في ظل عرشه وأمنه من فزع اليوم الاكبر : من اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه ، ورجل لم يقدم يدا ولا رجلا حتى يعلم انه قدمها في طاعة الله او في معصيته ، ورجل لم يعب اخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه ، وكفى بالرجل شغلا بعيب نفسه عن عيوب الناس .

وقال لابنه الباقر (ع) : افعل الخير الى كل من طلبه منك ، فان كان من اهله فقد اصبت موضعه ، وان لم يكن من اهله كنت انت من اهله ، وان شتمك رجل عن يمينك ثم تحول الى يسارك واعتذر اليك فاقبل عذره .

وقال طاووس اليماني : رأيت رجلا يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من صلاته فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين (ع) فقلت له : يا ابن رسول الله رأيتك على تلك الحالة ، ولك ثلاث ارجو ان تؤمنك من الخوف ، احدها انك ابن رسول الله ، والثانية شفاعة جدك والثالثة رحمة الله عز وجل .

فقال : يا طاووس ، اما اني ابن رسول الله فذاك لا يؤمنني وقد سمعت الله يقول : فلا انساب بينهم يومئذ ، وأما شفاعة جدي ، فلا تؤمنني لان الله يقول : لا يشفعون الا لمن ارتضي ، وأما رحمة الله تعالى ، فان الله يقول : انها قريبة من المحسنين ولا ارى اني من المحسنين .

وفي رواية ثانية عن طاووس اليماني انه قال : سمعت علي بن الحسين (ع) يقول في دعائه : سبحانك تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعص ، تتودد الى خلقك بحسن الصنيع كأن بك اليهم حاجة وأنت

سيدي الغني عنهم ، ثم خر ساجدا ، قال طاووس : فدنوت منه وأخذت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال : من الذي اشغلني عن ذكر ربي ، فقلت : انا يا ابن رسول الله ، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا ان نفعل مثل هذا ونحن عاصون حافون سيدي ابوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله ، قال طاووس فالتفت الي وقال :

هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث ابي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن اطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه وأساء ولو كان سيدا قرشيا ، اما سمعت قوله تعالى :

فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، والله لا ينفعك غدا الا ما تقدمه من عمل صالح .

وجاء في الكافي بسنده الى ابي حمزة الثمالي ان علي بن الحسين(ع) كان يقول في مناجاته ويبكي : سيدي تعذبني وحبك في قلبي ، اما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك .

وكان عليه السلام يوصي اصحابه بأداء الامانة ويقول : فوالذي بعث محمدا بالحق لو ان قاتل ابي الحسين (ع) ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته اليه .

ويوصي بشكر المحسن ويقول : ان الله يوم القيامة يقول لعبده اشكرت من احسن اليك فيقول له بلى شكرتك يا الهي فيقول لم تشكرني اذا لم تشكره .

وجاء عنه انه قال لولده الامام ابي جعفر الباقر (ع) حين حضرته الوفاة : يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله ، وانه كان يقول : من استجار بأحد اخوانه ولم يجره فقد قطع ولاية الله عنه .

ويقول : ان لله عبادا يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ومن ادخل على مؤمن سرورا فرج الله قلبه يوم القيامة .

ويقول ايضا ان لسان ابن ادم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا وانما يثاب المرء ويعاقب بلسانه .

ويروي الرواة ان جماعة من اهل العراق دخلوا على الامام علي بن الحسين (ع) وذكروا ابا بكر وعمر وعثمان بسوء ونالوا منهم ، فقال لهم : ألا تخبروني من انتم ، انتم من المهاجرين الاولين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون قالوا : لا ، قال : افأنتم من الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، فقالوا : لا ، فقال : اما انتم فقد تبرأتم من ان تكونوا من هذين الفريقين وأنا اشهد انكم لستم من الذين قال الله في حقهم ، **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا اخرجوا عني فلا بارك الله فيكم .**

اولاده

قال المفيد في ارشاده وابن الصباغ في الفصول المهمة ان اولاده كانوا بين ذكر وانثى خمسة عشر احد عشر ذكرا وأربع بنات ، اكبرهم سنا وقدرا الامام محمد بن علي الملقب بالباقر وأمه فاطمة بنت الحسن السبـط .

وجاء في طبقات ابن سعد ان فاطمة بنت الحسن (ع) قد اولدت له اربعة الحسن والحسين الاكبر ومحمد الباقر وعبد الله وبه كانت تكنى، والظاهر ان محمد الباقر (ع) اكبر اولاده فقد ولد له سنة سبع وخمسين هجرية وكان له من العمر عندما قتل جده الحسين (ع) في كربلاء ثلاث سنوات ، وله من الذكور زيد بن علي وعلي بن علي وأمهما ام ولد كما في تذكرة الخواص .

وقال ابن الخشاب في كتابه مواليد اهل البيت : ان اولاده كانوا ثمانية ولم يكن له انثى وقيل غير ذلك ، وكان اشهرهم وأجلهم الامام الباقر وسنتحدث عنه في فصل خاص من هذا الكتاب ، وأما زيد بن علي الشهيد فقد نشأ في بيت الامام زين العابدين حفيد علي بن ابي طالب باب مدينة العلم ، في هذا البيت الذي يعد مهد العلم والحكمـة

نشأ زيد بن علي وتكونت ميوله ومنازعه واتجاهاته ، وبلا شك في انه حفظ القرآن الكريم في المراحل الاولى من دراسته واتجه من بعد القرآن الى الحديث يتلقاه عن ابيه وأصبح بعد فترة من الزمن فقيها واسع العلم والمعرفة يأخذ بكتاب الله وسنّة رسوله ويروي الحديث لغيره ، واذا كان ابوه قد تركه يافعا في حدود الرابعة عشرة من عمره فان اخاه الامام محمد الباقر خليفة ابيه في الامامة والفقه والحديث كان يتعاهده ويزوده بكل ما يحتاج اليه فأخذ عنه الكثير من الفقه والحديث والتفسير حتى اصبح من مشاهير علماء عصره ومرجعا لرواد العلم والحديث في المدينة وغيرها ، ويدعي بعض الرواة انه سافر الى البصرة والتقى بعلمائها وناظر واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة يومذاك ناظره في اصول العقائد ، فلقد كانت البصرة موطن الفرق المختلفة في العقائد الاسلامية واليها كان يذهب ابو حنيفة في صدر حياته يوم كان متجها الى علم الكلام ، حتى لقد روي انه ذهب اليها اثنتين وعشرين مرة للمناظرة في الكلام مع المعتزلة والفورية والجهمية والمتكلمين في الصفات وغيرهم ، ولم يكن خروج زيد الى البصرة ليتتلمذ على واصل بن عطاء كما يدعي الشهرستاني في الملل والنحل ، ولا ليأخذ من غيره لانه كان في مثل سنه بل للحوار والمناقشة بعد ان ظهرت بين علمائها بعض النزعات الغريبة عن الاسلام وأصوله .

ولم يكن زيد بن علي على ما يبدو من تاريخه متجها للسياسة او يعمل للاستيلاء على السلطة بل اضطروه اليها وظلوا يلاحقونه حتى لم يجد وسيلة ولا ملاذا غير قتالهم بتلك الفئة القليلة بعد ان غدر به اهل العراق كما غدروا بآبائه من قبل .

لقد بدأوا يتحرشون بزيد بن علي بسبب تردده على الكوفة وفيها اكبر عدد من شيعة اهل البيت ، ولم يكن خالد القسري الوالي على العراق متعصبا ضدهم ، بل كان يحسن اليهم ويحسن وفادتهم ، وأتيح

لهم ان يتصلوا خلال عهده بزيد بن علي وغيره من العلويين فلم يرض يوسف بن عمر الثقفي عن هذه السياسة ورأى ان فيها خطرا على الحكم الاموي فكتب الى هشام بن عبد الملك ، ان اهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كان همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى تطلعـــوا الى طلب الخلافة ، وكانت معاملة خالد القسري للشيعة من العوامل التي دفعت هشام بن عبد الملك الى عزله وتولية يوسف بن عمر الثقفي الذي بذل كل جهد في اضطهادهم، وكتب في محاولة منه للوقيعة بزيد حيث كان يتردد على الكوفة كتب الى هشام بأن خالد القسري قد اودع ستمائة الف درهم عند زيد بن علي بن الحسين وان زيدا ينكر هذه الوديعة ، فبعث هشام الى زيد بن علي (ع) يستدعيه اليه ، فقدم زيد من المدينة الى دمشق وأكد لهشام بن عبد الملك ان لا علم له بما يدعيه يوسف بن عمرو الثقفي ، فعرض عليه هشام بن عبد الملك ان يذهب بنفسه الـى يوسف بن عمر الثقفي ليواجهه بما يدعيه ، ولكن زيدا ابى اشد الاباء وأدرك انه المقصود بكل هذه المحاولات وان يوسف بن عمر اذا قبض عليه سوف ينفذ فيه رغبة الامويين ، واستحلف هشاما ألا يبعث به الى يوسف بن عمر غير ان هشاما اصر على رحيله الى العراق وامتنع زيد بن علي من ذلك ، ولما وجد ان محاولته باءت بالفشل اراد ان يتحداه ويحط من شأنه وكان مجلسه حافلا بأعيان اهل الشام وخاصته ، فقال لـه : بلغني انك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن امة ، فقال له زيد بن علي : ويلك يا هشام أمكان امي يضعني ؟ والله لقد كان اسحاق ابن حـــرة واسماعيل ابن امة فلم يمنعه ذلك من ان بعثه الله نبيا وجعل من نسله سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله ، ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات اتق الله يا امير المؤمنين في ذرية نبيك ، فغضب هشـــام وقال : ومثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟ فرد عليه زيد بقوله : انه

لا يكبر احد فوق ان يوصى بتقوى الله ولا يصغر دون ان يوصي بتقوى الله .

وفي رواية ثانية ان هشام بن عبد الملك قال ليزيد وهو يحاوره بعد ان افحمه زيد : ما فعل اخوك البقرة ، يعني بذلك الامام محمد الباقر (ع) ، فقال له زيد : لقد سماه رسول الله باقر العلم وأنت تسميه البقرة لشد ما اختلفتما فسترد النار ويرد الجنة ، فقال له هشام اخرج يا ابن الزانية فخرج زيد بن علي من مجلسه وهو يقول :

شرده الخوف وازرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى ... تنكثه اطراف مرد حداد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة ... يترك آثار العدى كالرماد

ومضى في طريقه الى الكوفة وقال ما احب امرؤ الحياة الا ذل وبايعه اهلها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن المستضعفين وانصاف المظلومين، وأشار عليه جماعة من العلويين والهاشميين بعدم الركون الى اهل العراق والاطمئنان اليهم وذكروه بما جرى لهم مع جده امير المؤمنين وعمه الحسن وجده الحسين ، ولكنه أصر على المضي في طريقه ولقي تأييدا واسعا من الفقهاء وخيار المسلمين .

وجاء عن ابي حنيفة انه قال : ان خروجه يضاهي خروج جده رسول الله يوم بدر وأرسل اليه مبلغا من المال يستعين به على قتال الظالمين ، ويروي بعض المؤرخين انه خرج بنفسه الى البصرة ودعاهم الى نصرته على بني امية وأرسل رسله الى المدائن والموصل وغيرهما ، وانتشرت دعوته في سواد العراق ومدنه وامتدت الى ما وراء العراق . ولما بلغ امره هشام بن عبد الملك ارسل الى واليه على العراق يوسف بن عمر يأمره بالتضييق عليه ومطاردته ، فاتخذ يوسف بن عمر جميع الاحتياطات

لتخذيل الناس عنه ، وأدرك زيد خطورة الموقف فتعجل الخروج ، فدس اليه يوسف بن عمر من يسأله عن رأيه في ابي بكر وعمر ، فقال زيد : رحمهما الله ما سمعت احدا من آبائي يتبرأ منهما فتفرق عنه عدد كبير من اصحابه ، ولهذه المناسبة لحقهم اسم الرافضة لانهم رفضوا القتال مع زيد بن علي ، ولما احتدمت المعركة بينه وبين يوسف بن عمر لم يثبت معه سوى مائتين وثمانية عشر رجلا فأصابه سهم اودى بحياته فدفنه اصحابه في مجرى ماء حتى لا يصلب او يحرق ولكنهم عرفوا به بعد ذلك فأخرجوه ومثلوا به وأرسلوا رأسه الى الشام ومنها الى المدينة ، وأما جسده فبقي مصلوبا خمسين شهرا كما جاء ذلك في مروج الذهب وغيره ، ولما جاء عهد الوليد بن يزيد كتب الوليد الى عامله على الكوفة ان يحرقه بخشبته ففعل به ذلك .

وأحدث قتله استياء عاما في اكثر المناطق الاسلامية وجدد احزان اهل البيت وبكاه الامام الصادق وترحم عليه وجلس للعزاء وروى فضيل ابن يسار انه دخل على الامام الصادق (ع) بعد ما قتل زيد بن علي ، فقال لي : يا فضيل قتل عمي زيد بن علي ، قلت : نعم يا ابن رسول الله، قال : رحمه الله ، اما انه كان مؤمنا وكان عارفا عالما وكان صدوقا ، اما انه لو ملك لعرف كيف يضعها .

وقال الامام الرضا (ع) ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وانه كان اتقى لله من ذلك انه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد .

وجاء في رواية ثالثة ان الامام الصادق (ع) قال : رحم الله زيدا انه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفا بما دعا اليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عم ان رضيت ان تكون المصلوب بالكناسة فشأنك ، فلما ولّى قال الامام (ع) ويل لمن سمع داعيته ولم يجبه .

وجاء في رواية ابي حمزة الثمالي انه قال : دخلت على سيدي

ومولاي علي بن الحسين فوجدته جالسا وعلى فخذه صبي وهو مشغوف به يقبله ويحنو عليه فقام الصبي يمشي فعثر في عتبة الدار فقام الامام مهرولا فأخذه وجعل يمسح دمه بخرقة ويقول : يا بني اني اعيذك بالله ان تكون المصلوب في الكناسة ، فقلت له وأي كناسة هذه فقال (ع) : يصلب ابني هذا في موضع يقال له الكناسة من أعمال الكوفة ، ومضى يقول : والذي بعث محمدا بالحق لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتول مسحوب ثم بدفن وينبش ويصلب في الكناسة ، ثم يحرق بعد ذلك ويذرى في الهواء ، قلت : جعلت فداك ما اسم هذا الغلام ؟ فقال : هو ابني زيد ، وكان يحدث ويبكي على حد تعبير الراوي .

وأضاف الى ذلك ابو حمزة الثمالي ان الامام قال لي : أتحب ان احدثك بحديث ابني هذا ؟ قلت : بلى ، قال : بينما انا ساجد في محرابي في بعض الليالي اذ ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة وكان رسول الله (ص) وعلي والحسن والحسين وفاطمة كلهم مجتمعون وقد زوجوني فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى واذا بهاتف يقول: اتحب ان ابشرك بولد اسمه زيد ، فاستيقظت من نومي وقمت وصليت صلاة الفجر واذا انا بطارق يطرق الباب فخرجت اليه واذا معه جارية وهي مخمرة بخمار ، فقلت له : ما حاجتك فقال اريد علي بن الحسين (ع) فقلت : انا هو ، فقال : انا رسول المختار اليك وهو يقرأك السلام ويقول قد وقعت هذه الجارية بأيدينا فاشتريناها بستمائة دينار وقد وهبتها لك ، وهذه ايضا ستمائة دينار اخرى استعن بها على زمانك ، فدفع لي المال وسلمني الكتاب الذي حمله من المختار والجارية ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : حورية ، فقلت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد علقت مني بهذا الغلام فلما وضعته سميته زيدا وسترى ما قلت لك . قال ابو حمزة الثمالي : فوالله لقد رأيت زيدا

مقتولا ثم دفن وأخرج من قبره وصلب ولم يزل مصلوبا حتى عشعشت الفاختة في جوفه ، ثم احرق وذري في الهواء .

ومهما كان الحال فلقد كان زيد بن علي من ابرز اخوته بعد اخيه الامام محمد الباقر وأعظمهم قدرا وأوسعهم آفاقا في فقه اهل البيت وأصول العقائد الاسلامية التي سلك فيها مذهب آبائه الائمة الكرام وناظر فيها المعتزلة والقدرية وغيرهما من المنحرفين عن المنهج السليم ، ولم يكن يفكر في الثورة على حكام عصره لولا انهم اضطروه الى ذلك وطاردوه وفرضوا عليه القتال فرضا وكان يدعو الى الرضا من اهل البيت (ع) ولو ظفر لوفى كما وصفه الامام الصادق (ع) ولم يدع الامامة ولا ادعاها له احد في حياته وقد ظهر القول بإمامته بعد مقتله بمدة من الزمن يوم كان العباسيون يعملون على تشتيت التشيع لائمة الشيعة وخلق الاضداد والمعارضين لهم وتطور بعد ذلك حتى اصبح مذهبا مستقلا يستمد قوته وبقاءه من انتسابه لاحد عظماء اهل البيت ويلتقي مع فقه الامامية وأصولهم في اكثر المسائل والمباحث كما يبدو ذلك من فقه الزيدية الذين اعتمدوا آراء زيد بن علي (ع) اساسا لفقههم، ومن المجموعة الفقهية التي رواها عنه تلاميذه وألصقهم به ابو خالد عمرو ابن خالد الواسطي .

فرحم الله زيد بن علي الذي حمل رسالة آبائه فناضل وجاهد حتى قتل على منهاج المجاهدين في سبيل الله وأصبح من الخالدين .

عبدالله وعمر والحسين أبناء علي(ع)

وممن تحدثت عنهم كتب الانساب من اولاد الامام علي بن الحسين (ع) عبد الله بن علي الملقب بالباهر وكان فاضلا فقيها روى عن آبائه عن رسول الله احاديث كثيرة على حد تعبيرهم ، وجاء في بعض المرويات انه قيل لابي جعفر الباقر: اي اخوانك احب اليك وأفضل فقال : اما عبد الله فيدي التي ابطش بها ، وأما عمر فبصري الذي ابصر به ، وأما زيد فلساني الذي انطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وكان عبد الله يلي صدقات رسول الله وصدقات امير المؤمنين كما جاء في الارشاد للمفيد وغيره .

وأما عمر بن علي فقد جاء في وصفه انه كان فاضلا جليلا ورعا سخيا تولى صدقات النبي وصدقات جده امير المؤمنين (ع) وكان يشترط على من يبتاع ثمارها ان يثلم في الحائط ثلمة لكي تأكل منها المارة ولا يرد احدا عنها ، ويروى عنه انه قال : المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا انزلونا بالمنزل الذي انزلنا الله به ولا تقولوا فينا ما ليس بنا ان يعذبنا الله فبذنوبنا وان يرحمنا فبرحمته وفضله علينا .

وأما الحسين بن علي بن الحسين (ع) فقد قال المفيد عنه في ارشاده انه كان فاضلا ورعا روى حديثا كثيرا عن ابيه علي بن الحسين وعمته فاطمة بنت الحسين (ع) التي اودعها الحسين عند خروجه من المدينة الى كربلاء وصيته ، وروى عن اخيه ابي جعفر الباقر وعده الشيخ الطوسي في رجاله من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام .

وكانت وفاة الامام علي بن الحسين خلال شهر المحرم من سنة خمس وتسعين مسموما بأمر الوليد بن عبد الملك بن مروان كما يرى ذلك اكثر المحدثين والرواة ، وجاء في بعض الروايات عن محمد بن شهاب الزهري انه قال لي الوليد بن عبد الملك يوما : لا راحة لي وعلي ابن الحسين موجود في دار الدنيا وقبيل وفاته جمع اولاده وأوصاهم بتقوى الله وطاعة اخيهم الامام محمد الباقر كما اخبر اعيان شيعته بإمامته من بعده .

وخرج من هذه الدنيا بعد جهاد شاق طويل ومرير لانقاذ البشرية مما كانت تعانيه ، وظل طيلة حياته بعد ابيه يذكر الناس بمأساة كربلاء ويبكي لها لتبقى حية خالدة تدفعهم للثورة على الظلم والتضحية في سبيل الله ، وواظب على العبادة في ليله ونهاره حتى سمي بالسجاد ولقب بزين العابدين واتنسب الى النبي (ص) والى كسرى ملك الفرس فعرف بابن الخيرتين .

لمحات من سيرة الإمام محمد بن علي الباقر (ع)

لقد ولد الامام محمد بن علي المعروف بالباقر في المدينة المنـــورة سنة سبع وخمسين بعد هجرة النبي (ص) من مكة الى المدينة في مطلع رجب من ذلك العام وقيل في مطلع صفر وكانت وفاته بعد مضي مائة وأربعة عشر سنة على هجرة النبي من مكة في السابع من شهـــر ذي الحجة وقيل في ربيع الاول من ذلك العام عن سبعة وخمسين عاما ادرك فيها جده الحسين (ع) وبقي معه نحوا من اربع سنين ، ومع ابيـــه السجاد بعد جده خمسا وثلاثين سنة ، وعاش بعد ابيه ثمانية عشر عاما وقيل تسعة عشر كما في رواية الكافي وهي مدة امامته ، وكانت وفاته في السنين الاخيرة من ملك هشام بن عبد الملك وقيل في مطلع حكم ابراهيم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وفي ايام طفولته وهو في مطلع الصبا كانت المحنة الكبرى التي مرت على اهل البيت في كربلاء وقتل فيها جده الحسين ومن معه من اخوته وبني عمه وأصحابه وتجرع من مرارتها وآلامها ما تجرعه غيره من النساء والاطفال ، وشاهد بعدهـــا جميع الرزايا والمصائب التي توالت على بيته وعلى ابيه من اولئـــك الحكام الطغاة الذين انغمسوا في الشهوات وتنكروا للقيم والاخلاق

وجميع المبادىء التي جاء بها الاسلام وجاهد الرسول من اجلها عشرين عاما او تزيد .

لقد انصرف الامويون عن مفاهيم الرسالة ومارسوا الرذيلة بكل اشكالها ومظاهرها معلنين بالفسق والفجور في قصورهم ونواديهم وأينما حلوا وارتحلوا ، وقد غمر هذا التيار الذي طغى على قصور الخلفاء والحكام والولاة اكثر المسلمين فمارسوا ملذات العيش ومغريات الدنيا وجميع المنكرات وقديما قيل : الناس على دين ملوكهم .

لقد اختار حكام الامويين لبناء دولتهم اساليب العنف والظلم والاضطهاد وقتل الابرياء والصلحاء وتبذير الاموال في سبيل عروشهم وشهواتهم ، ولحق العلويين وشيعتهم النصيب الاكبر من تلك السياسة الخرقاء لا لشيء الا لانهم يتمتعون بكل ما يشدهم الى الناس ويؤهلهم لخلافة الرسول وقد استعرض الامام الباقر (ع) في حديث له مع بعض اصحابه الاوضاع في ذلك العصر كما جاء في شرح النهج وصور لهم اولئك الحكام وقسوتهم على الشيعة واسرافهم في اراقة الدماء وشراءهم الذمم بالاموال وأطايب الطعام للدس والكذب في حديث الرسول ، واستعرض في حديثه الدور الذي قام به الحجاج بن يوسف مع الشيعة حتى شردهم في البلاد وأذاقهم جميع انواع البلاء وصنوف العذاب وبلغ بهم الحال ان الرجل كان يتمنى ان يقال له زنديق ولا يقال له مؤمن شيعي .

في هذا الجو المشحون بالظلم والفساد وجد الامام الباقر ورحل والده عن الدنيا وله من العمر اربعون عاما وبقي بعده ثمانية عشر عاما كما ذكرنا كان يتلوى خلالها على شيعة آبائه وعلى الضعفاء والمساكين وعلى مصير الاسلام ان استمر اولئك الحكام في سيرتهم وطغيانهم وقد علمته الاحداث الماضية مع آبائه وخذلان الناس لهم في ساعات المحنة ان ينصرف عن السياسة وشؤون السياسيين ، فاتجه الى خدمة الاسلام

عن طريق الدفاع عن اصوله ومبادئه ونشر تعاليمه وأحكامه ، ومناظرة الفرق التي انحرفت في تفكيرها واتجاهاتها ، بعد ان انتشر الاسلام يمينا وشمالا وخضعت لسلطانه امم وشعوب ذات ماض يزخر بالحضارة والعمران ، وقد حدث انقلاب في التفكير وجميع اسباب الحياة ، وبرزت بين ذلك الوان من النزعات والاتجاهات تجر من ورائها الالحاد والزندقة ، ولعل الحكام انفسهم كانوا من وراء ذلك التحول الذي طرأ على الفكر الاسلامي وامتد حتى اصبح يهدد العقيدة الاسلامية في جوهرها ، لان الذين اثاروا تلك الافكار ومهدوا لها اكثرهم من العناصر التي لا تدين بالاسلام ومن الذين التحقوا بقصور الخلفاء وخرجوا منها بتلك الافكار ، ومن اعز اماني الحكام ان ينصرف المسلمون عن تصرفاتهم وجورهم الى الصراع في هذه الميادين .

في حين ان بعض المسائل التي احتدم فيها الصراع وبلغ أشده كمسألتي الجبر والارجاء كان رواجهما وانتشارهما لمصلحة الحكام قبل غيرهم من العصاة ، لان الجبر يضع عنهم مسؤولية تصرفاتهم الجائرة والارجاء يضعهم في صفوف المؤمنين في الوقت الذي لا يعترف لهم المعتزلة بالايمان ولا الخوارج بالاسلام .

في هذا الجو المشحون بالصراع العقائدي وجد الامام الباقر (ع) وكانت مصلحة الاسلام تفرض عليه ان ينصرف الى الدفاع عن العقيدة ونشر تعاليم الاسلام فالتف حوله الآلاف من العلماء وطلاب العلم والحديث من الشيعة وغيرهم .

وجاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي بعد ان فسر التبقر بالتوسع في العلم ان الامام محمد الباقر انما وصف بهذه الصفة لتبقره في العلم، وقال ابن سعد في طبقاته : انه كان عالما عابدا ثقة عند جميع المسلمين وروى عنه ابو حنيفة وغيره من ائمة العلم والمذاهب .

وجاء عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : لقد اخبرني رسول

الله بأني سأبقى حتى ارى رجلا من ولده اشبه الناس به وأمرني ان اقرأه السلام واسمه محمد يبقر العلم بقرا ، ويقول الرواة ان جابر بن عبد الله كان آخر من بقي من اصحاب رسول الله ، وفي آخر ايامه كان يصيح في مسجد رسول الله يا باقر علم آل بيت محمد ، فلما رآه وقع عليه يقبل يديه ورجليه وأبلغه تحية رسول الله (ص) .

وجاء في تذكرة ابن الجوزي عن عطاء احد اعلام التابعين انه قال : ما رأيت العلماء عند احد اصغر علما منهم في مجلس ابي جعفر الباقر (ع) لقد رأيت الحكم بن عيينة عنده كأنه عصفور مغلوب لا يملك من امره شيئا .

وقال واصفوه : لقد كان الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع) من بين اخوته خليفة ابيه علي بن الحسين (ع) ووصيه والقائم بالامامة من بعده وقد برز عليهم جميعا بالفضل والعلم والزهد والسؤدد ، وكان انبههم ذكرا وأجلهم عند العامة والخاصة وأعظمهم قدرا ، ولم يظهر من ولد الحسن والحسين (ع) من العلوم والآثار والسنّة والتفسير والسيرة وسائر الفنون ما ظهر عنه ، وقد روى عنه معالم الدين من بقي الى عصره من الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وقال فيه القرطبي :

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من لبى على الأجبل

ومدحه مالك بن اعين الجهني بالابيات التالية :

اذا طلب الناس علم القران ... كانت قريش عليه عيالا

وان قيل اين ابن بنت النبي ... نلت بذاك فروعا طوالا

نجوم تهلل للمدلجين ... جبال تورث علما جبالا

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز ان علي بن الحسين قد رحل عن دنيا الناس الى جوار ربه ، قال : لقد ذهب سراج الدنيا وجمال الاسلام وزين العابدين ، فقيل له : لقد ترك ولده ابا جعفر وفيه بقية ، فكتب اليه

كما جاء في رواية اليعقوبي، كتابا يختبره فيه فأجابه الامام ابو جعفر الباقر جوابا يعظه فيه ، فقال عمر : اخرجوا لي كتابه الى سليمان ، فأخرج اليه فوجدوه قد كتب اليه يقرظه ويمدحه ، فانفذ عمر بن عبد العزيز الى عامله في المدينة وقال له : احضر محمد بن علي وقل له هذا كتابك الى سليمان تقرظه وتمدحه وهذا كتابك الى عمر بن عبد العزيز مع ما اظهر من العدل والاحسان تعظه وتخوفه ، فأحضره العامل وأخبره بما كتب اليه ، فقال الباقر (ع) : ان سليمان كان جبارا فكتبت اليه بما يكتب الى الجبارين وان صاحبك اظهر العدل والاحسان فكتبت اليه بما يكتب الى المحسنين فكتب اليه عامل المدينة بجواب الامام (ع) فلما قرأه قال : ان اهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل .

وقال فيه محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ كما جاء في مرآة الجنان محمد بن علي بن الحسين القرشي الهاشمي المعروف بالباقر سمي بذلك لانه بقر العلم اي شقه فعرف اصله وخفاياه وهو تابعي جليل وامام بارع مجمع على جلالته معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم سمع جابرا وانسا وجماعات من كبار التابعين ، وروى عنه ابو اسحاق السبيعي وعطاء بن ابي رباح وعمر بن دينار الاعرج والزهري وربيعة الرأي وجماعة آخرون وكبار الائمة .

وقال فيه ابن العماد الحنبلي في المجلد الاول من الشذرات : ابو جعفر بن علي بن الحسين كان من فقهاء المدينة وقيل له الباقر لانه بقر العلم وتوسع فيه وعرف اصله وهو احد الائمة الاثني عشر وأضاف الى ذلك ان عبد الله بن عطاء قال فيه : ما رأيت العلماء عند احد اصغر منهم عند محمد بن علي الباقر (ع) .

وقال فيه محمد بن طلحة القرشي العدوي الشافعي كما جاء في مطالب السؤال : محمد بن علي الباقر هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورفعه ومتفوق دره وراضعه ومنمق درره وراصعه صفا قلبه وزكا

عمله وطهرت نفسه وشرفت اخلاقه وعمرت بطاعة الله اوقاته ورسخت في مقام التقوى قدمه فالمناقب تسبق اليه والصفات تشرف به له القاب ثلاثة : باقر العلم ، والشاكر والهادي وأشهرها الباقر وسمي كذلك لتبقره في العلم وتوسعه فيه .

وقال فيه محمود بن عبد الفتاح الحنفي كما جاء في كتاب جوهرة الكلام : محمد بن علي بن الحسين سمي بالباقر من بقر الارض اي شقها وأنار مخبآتها ومكامنها فكذلك هو اظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الاحكام والحكمة واللطائف ما لا يخفى الا على منطمس البصيرة، ومن ثم قيل هو باقر العلم وجامعه ورافعه صفا قلبه وزكا عمله وعلمه وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت اوقاته بطاعة مولاه .

كنيته ابو جعفر لا غير وألقابه ثلاثة الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الاول ومضى يقول : ويكفيه ما رواه ابن المديني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد قال له وهو صغير : يسلم عليك رسول الله فقيل له يا جابر وكيف ذاك ؟ قال : كنت جالسا عنده والحسين (ع) في حجره يداعبه فقال لي : يا جابر يولد له مولود اسمه علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده علي ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فان ادركته يا جابر فاقرأه مني السلام . الى غير ذلك مما ورد على لسان من ترجمه من المتقدمين والمؤلفين في تراجم الاعلام في وصفه وتقريظه .

ونكتفي بهذا المقدار مما قيل فيه تهربا من ملل القراء في حين اني لا ارى للاطالة في هذه النواحي من فائدة وهو اشهر من ان يعرف ويوصف .

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

جامعة أهل البيت

لا احسب احدا بريئا من مرض الجهل والتعصب يتهمني بالغلو او التحيز اذا اعطيت لتلك الحلقات التي كانت تجتمع في مسجد المدينة الى الامام ابي جعفر الباقر بالذات : اسم الجامعة ، لانها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم ، وتخرج منها منذ ان أسسها الامام الباقر حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها في عهد ولده الامام الصادق آلاف العلماء في مختلف المواضيع . وقد وصفها الاستاذ عبد العزيز بقوله : وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جامعة اهل البيت أفلاذ اكبادها وتخرج منها كبار العلماء والمحدثين والرواة ، وقد ادرك الحسن بن علي الوشا تسعمائة شيخ في مسجد الكوفة يتدارسون ويروون الحديث عن جعفر بن محمد وأبيه (ع) .

وهو القائل في حديث له مع بعض اصحابه : لقد ادركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ، والحسن بن علي الوشا هذا قد عاصر الامام الرضا (ع) وبينه وبين مدرسة الامامين

الباقر والصادق نحو من ثلاثين عاما وقد احصيت مؤلفات المتخرجين من تلك الجامعة فبلغت ستة آلاف كتاب منها اربعمائة كانت تعرف بالاصول على لسان محدثي الشيعة ، ولعل اكثر محتويات الكتب الاربعة الكافيومن لا يحضره الفقيه والوافي والاستبصار مأخوذة منها.

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن جامعة اهل البيت التي اسسها الامام الباقر(ع) ان نشير الى ان المهمة التي قام بها الامامان الباقر والصادق(ع) وأعطت تلك النتائج الكبرى هي من اولى المهمات التي تعني كل واحد من ائمة الشيعة ، ولكن الظروف التي تهيأت للامامين الباقر والصادق لم تتهيأ لغيرهما من الائمة (ع) ذلك لان سني امامة الباقر (ع) قد رافقتها بوادر النقمة العارمة على سياسة الامويين والدعوة في مختلف الاقطار للتخلص منهم وكان سوء صنيعتهم مع العلويين من اقوى الاسلحة بيد اخصامهم الطامعين بالحكم ، مما دعاهم الى اتخاذ موقف من الشيعة وأئمتهم اكثر اعتدالا مما كانوا عليه بالامس ، ولما جاء عهد الامام الصادق (ع) كانت الدولة الاموية تلفظ أنفاسها الاخيرة وتعاني من انتصارات اخصامها العباسيين هنا وهناك وبالتالي تقلص ظلها وتم الامر للعباسيين .

في هذه الظروف الخاصة انطلق الامامان الباقر والصادق (ع) لاداء رسالتهما وتم لهما ذلك بين عهدين عهد تحيط به الكوارث والهزائم ، وعهد ظهرت فيه تباشير النصر وأحلام السيطرة على الحكم ، وقامت الحكومة الجديدة على حساب العلويين ، ولم تتهيأ مثل هذه الظروف لاحد من أئمة الشيعة ، ولما استتب الامر للعباسيين الذين تستروا بأهل البيت وشيعتهم عادوا يمثلون اقبح الادوار التي مثلها الامويون معهم حتى قال قائلهم :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

لقد تأسست جامعة اهل البيت في وقت كانت الدولة الاموية تحيط

بها الاخطار من جميع جهاتها واتسعت لاكثر من اربعة آلاف طالب ، ولكن ذلك قد كان بعد ان مضى على المسلمين اكثر من قرن من الزمن لا عهد لهم فيه بفقه يختص بأهل البيت ، ولا بحديث يتجاهر الرواة في نسبته اليهم سوى ما كان يروى عنهم احيانا بطريق الكتابة في الغالب لان الامويين كانوا جادين في القضاء على كل آثارهم والتنكيل بكل من يتهم بولائهم .

ولو اتيح للائمة بعد علي (ع) ان ينصرفوا الى الناحية التي اتجه لها الامامان الباقر والصادق لكان فقه اهل البيت هو الفقه السائد والمعمول به عند عامة المسلمين ، لانه من فقه امير المؤمنين (ع) وأمير المؤمنين كان صاحب الرأي الاول والاخير في الفقه والقضاء بلا منازع، وقد ترك منه في المدينة والكوفة ما يكفي لحل جميع ما يعترض المسلمين من المشاكل حيث كانوا ، ولكن اخصامه عملوا على طمس آثاره وخلقوا له الانداد والاضداد بوسائلهم المعروفة كما وقفوا لابنائه من بعده وشيعتهم بالمرصاد وكانوا يحاسبون ويعاقبون كل من ينسب اليهم رأيا او يروي عنهم حديثا ، في حين انهم اباحوا لكل متعلم اوعالم ان يقول ويروي ما يشاء ويفتي بما يريد في العواصم الاسلامية الكبرى وغيرها، فسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير والزهري ومحمد بن شهاب، ويحيى بن سعيد وعطاء وغيرهم من الموالي والاحرار كانوا ائمة الافتاء في مكة والمدينة وابراهيم النخعي والشعبي كانا بالاضافة الى غيرهما في الكوفة بالرغم من ان النخعي قد اخذ الفقه ممن اخذه عن علي (ع) ولكنه كان ينسب رأي علي (ع) احيانا لنفسه فعدوه لهذه الغاية ممن يجنحون الى العمل بالرأي ، كما كان فقيه البصرة الحسن البصري ، وفقيه اليمن طاووس، وهكذا فرضوا لكل بلد عالما او اكثر ليرجع اليه الناس في الحلال والحرام ، اما فقهاء الشيعة الذين عاصروا هذه الطبقة تقريبا كسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأمثالهما فمع انهم كانوا من

البارزين بين علماء ذلك العصر في الفقه وغيره الا انه لم يكن لفقههم صبغة التشيع الصريح ، وقد شاع عن سعيد بن المسيب انه كان يجيب احيانا برأي غيره من علماء عصره او برأي من سبقه من الصحابة والتابعين مخافة ان يصيبه ما اصاب سعيد بن جبير ويحيى بن ام الطويل وغيرهما ممن تعرضوا للقتل والتشريد لا لشيء سوى تشيعهم لعلي وبنيه (ع) .

ومجمل القول لقد شاء الله لجامعة اهل البيت ان تعيش آمنة مطمئنة ولو لفترة من الزمن تلك الفترة ليست شيئا بالنسبة لما تركته من الآثار في شرق البلاد وغربها في ثلث قرن من الزمن تقريبا لا اكثر .

وشاء الله لمذهب اهل البيت وفقههم فقه علي بن ابي طالب الذي اخذه عن الرسول بلا واسطة ان ينسبا الى حفيده جعفر بن محمد الصادق الذي اشترك مع ابيه في تأسيسها واستقل بها بعد وفاته ، لا لان له رأيا في اصول المذهب او فقهه يختلف فيهما عن آبائه وأحفاده وهو القائل حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله هو قول الله ، لا لذلك بل لانه وأباه تهيأ لهما ما لم يتهيأ لغيرهما واستطاعا في تلك الفترة القصيرة المشحونة بالاحداث التي كانت كلها لصالحهما ان يملآ شرق الارض وغربها بآثار اهل البيت وفقههم ويحققا ما لم يتيسر تحقيقه لمن سبقهما ومن جاء بعدهما لذلك نسبا الى الامام الصادق كما يبدو ذلك لكل من تتبع آراء اهل البيت في فقههم ومعتقداتهم .

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن الامام الباقر ودوره في تأسيس تلك الجامعة ان نشير الى بعض اولئك الذين تخرجوا منها وحملوا آثارها الى مختلف الاقطار . فمن هؤلاء ابان بن تغلب بن رياح ابو سعيد البكري الذي عاصر ثلاثة من ائمة الشيعة وأخذ عنهم ، ويبدو من كتبوا في احوال الرواة ان صلته بالامام الباقر كانت اطول من صلاته

بالسجاد والصادق (ع) وأخذ عنه اكثر مما اخذ عنهما ، وروى النجاشي عن ابراهيم بن يزيد النخعي ان ابان بن تغلب كان مقدما في كل فن من العلوم وعد منها الفقه والحديث والادب واللغة والنحو وأضاف الى ذلك انه ألف كتبا كثيرة منها كتاب في تفسير غريب القرآن . وقال له الامام ابو جعفر الباقر : اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك .

وقال المؤلفون في احوال الرواة : انه كان اذا دخل على الامام الصادق صافحه واعتنقه وأمر له بوسادة ورحب بقدومه ، واذا دخل مسجد النبي (ص) اخليت له سارية النبي (ص) وتقوضت اليه الحلق .

وجاء في حديث لعبد الرحمن بن الحجاج أنه قال : كنا في مجلس ابان بن تغلب فجاءه شاب وقال: يا ابا سعيد اخبرني كم شهد من اصحاب النبي (ص) علي بن ابي طالب في مواقفه ؟ فقال ابان بن تغلب: كأنك تريد ان تعرف فضل علي (ع) بمن تبعه من اصحاب النبي (ص) فقال هو ذاك ، فقال له ابان : والله ما عرفنا فضلهم الا باتباعهم اياه.

ونص المؤلفون في علمي الدراية والرجال انه روى عن الامامين الباقر والصادق اكثر من ثلاثين الف حديث في مختلف المواضيع وأكثرها في الفقه ، وقال لمن عاتبه في روايته عن الامام الباقر : كيف تلومني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء الا قال قال رسول الله، وقال الامام الصادق لسليم بن ابي حية : ائت ابان بن تغلب فانه قد سمع مني حديثا كثيرا فما روى لك فاروه عني .

وقد وثقه علماء السنّة ومحدثوهم مع اعترافهم بتشيعه ووصفه الذهبي في ميزان الاعتدال بالصلابة في تشيعه وصدق الحديث ، وقال: لنا صدقه وعليه بدعته ويعني الذهبي بالبدعة تفضيله لعلي (ع) على كبار الصحابة وموالاته له .

وقد عد له ابن النديم في الفهرست ثلاثة كتب ، كتاب في القراءات

وكتاب في معاني القرآن وكتاب في اصول الحديث على مذهب الشيعة.

ومن تلامذة الامام الباقر زرارة بن اعين ، وكان مرجعا في الفقه والرواية على مذهب اهل البيت (ع) وفيه يقول الامام الصادق (ع) : لولا زرارة لظننت ان احاديث ابي ستذهب ، ومما يدل على جلالة قدره وعلو شأنه قول الامام الصادق فيه وقد عرض عليه يونس بن عمار ما رواه زرارة عن ابيه الباقر (ع) من انه لا يرث مع الاب والام والابن والبنت احد من الناس ، فقال الامام الصادق (ع) : اما ما رواه زرارة عن ابي جعفر فلا يجوز لي رده .

وجاء في رواية ابراهيم بن عبد الحميد وغيره ان ابا عبد الله الصادق (ع) كان يقول : رحم الله زرارة بن اعين لولا زرارة ونظرائه لاندرست احاديث ابي ، وقال فيه وفي جماعة من اصحابه منهم ابو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم ويزيد بن معاوية العجلي : لولا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا الفقه ، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء ابي (ع) على حلاله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرة .

وقال له الصادق (ع) في بعض مجالسه كما جاء في ترجمته : انك والله احب الناس الي وأحب اصحاب ابي الي حيا وميتا ، وقد ترك كتابين احدهما في الجبر والتفويض ، والثاني في الاستطاعة ، كما جاء في سفينة البحار للقمي واتقان المقال للشيخ محمد طه نجف وهو احد الستة من اصحاب ابي جعفر الباقر الذين اجمع الرواة على صحة ما صدر عنهم .

ومن اعيان تلامذته محمد بن مسلم الثقفي ، وفيه وفي زرارة ومحمد ابن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق ويزيد العجلي يقول الامام الصادق : اربعة احب الناس الي أحياء وأمواتا ، وقال ابن ابي يعفور للامام الصادق (ع) : ليس كل ساعة القاك وأتمكن من القدوم عليك ، ويجيء الرجل من اصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه ،

قال (ع) فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فانه قد تسمع من ابي وكان عنده وجيها .

وروى عنه جماعة انه قال : اني لنائم ذات ليلة على السطح اذ طرق الباب طارق فأشرفت من على السطح فاذا الطارق امرأة ، فقالت لي عروس ظهر بها الطلق فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرك في بطنها يذهب ويجيء فما اصنع بها ؟ فقلت يا امة الله ، سئل محمد بن علي بن الحسين (ع) عن مثل ذلك ، فقال يشق بطن الميت ويستخرج منه الولد افعلي مثل ذلك ، انا يا امة الله في ستر من وجهك الي ، فقالت: رحمك الله ، لقد جئت ابا حنيفة اسأله فقال ما عندي في هذا شيء ، ولكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفي فانه يخبرك فما افتاك به من شيء فعودي الي .

وكان محمد بن مسلم يقول : ما شجر في رأيي شيء الا سألت عنه ابا جعفر الباقر حتى سألته عن ثلاثين الف حديث ، وسألت ولده ابا عبد الله عن ستة عشر الف حديث كما جاء ذلك في رواية الكشي وأكثر المؤلفين في الرجال .

ومنهم محمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق ، فقد نص ابو العباس النجاشي انه اخذ العلم عن ثلاثة من الائمة علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، ولقب بالطاق لانه كان صرافا في محل يدعى باب الطاق من محلات الكوفة ، وهو احد الاربعة الذين دعا لهم الامام الصادق وترحم عليهم أحياء وأمواتا .

وجاء عن ابي خالد الكابلي انه قال : رأيت ابا جعفر صاحب الطاق في الروضة وقد قطع اهل المدينة ازراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه وقلت له ان ابا عبد الله نهانا عن الكلام ، فقال : لقد امرك ان تقول لي ، فقال لا والله ولكنه امرني ان لا اكلم احدا ، قال : فاذهب واطعه فيما امرك ، قال الكابلي : فدخلت على أبي عبد الله

الصادق (ع) فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وما اجابني به ، فتبسم ابو عبد الله (ع) وقال : يا ابا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض وأنت اذا قصوك لن تطير .

ويبدو من تتبع اخباره انه كان قوي الحجة كثير الجدل ينهزم امامه الخصم بالغا ما بلغ من العلم ، لذلك فان الامام لم يمنعه من الجدل والمناظرة ، وانما كان يمنع عنها من لا يثبتون امام الخصم ولا يعرفون اساليب المناظرة والاحتجاج كما يدل على ذلك قوله لابي خالد الكابلي: ان مؤمن الطاق يكلم الناس فيطير وأنت اذا قصوك لن تطير .

وجاء في اخباره انه دخل على بعض زعماء الخوارج في الكوفة ، فقال له: انا على بصيرة من ديني وقد سمعتك تصف العدل فأحببت الدخول معك ، فقال الخارجي لاصحابه : ان دخل هذا معكم نفعكم، فقال له مؤمن الطاق : لِمَ تبرأتم من علي بن ابي طالب واستحللتم قتله وقتاله ، قال الخارجي : لانه حكم الرجال في دين الله ، قال وكل من حكم في دين الله استحللتم قتله ، قال : نعم ، فقال له : فاخبرني عن الدين الذي جئت اناظرك به لادخل معك فيه ، ان غلبت حجتي حجتك من يوقف المخطىء منا عند خطئه ويحكم للمصيب بصوابه ، فأشار الضحاك الى رجل من اصحابه وقال : هذا هو الحكم بيننا ، فتوجه عند ذلك مؤمن الطاق الى من كان حاضرا من الخوارج وقال : ان زعيمكم هذا قد حكم في دين الله ، فضربوه بسيوفهم حتى سكت، وله مواقف كثيرة مع زعماء الفرق وعلماء المذاهب كان يخرج منها ظافرا منتصرا على خصومه ، ويبدو من مواقفه ومناظراته انه كان ذكيا قوي الحجة يأخذ خصمه من حيث لا يشعر ويخصمه بمنطقه كما يشير الى ذلك موقفه المتقدم مع الخارجي .

ومنهم يزيد العجلي وقد نص المؤلفون في احوال الرواة على انه كان من البارزين بين اصحاب الامام الباقر (ع) ولازم الصادق بعد

وفاة ابيه كما هو الحال في كثير من اصحابه الذين امتدت بهم الحياة وأدركوا شطرا من حياته وبعضهم بقي الى عهد الامام الكاظم وروى عنه ايضا .

وقد عده الامام الصادق من النجباء والامناء على حلال الله وحرامه كما جاء في رواية جميل بن دراج عنه .

وجاء في رواية داوود بن سرجان ان الامام الصادق (ع) كان يقول: ان اصحابي لو سمعوا وأطاعوا لاودعتهم ما اودع ابي اصحابه ، وأضاف الى ذلك : ان اصحاب ابي كانوا زينا لنا أحياء وأمواتا . وعد الامام منهم يزيد العجلي ووصفهم بالقوامين بالقسط والصدق والسابقين الى الخيرات . .

ومنهم جابر الجعفي الذي روى عن الامام الباقر نحوا من خمسين الف حديث في مختلف المواضيع كما نصت على ذلك المؤلفات في احوال الرواة ، ولو افترضنا وليس ببعيد ان هذا العدد مبالغ فيه ، فمما لا ريب فيه في انه كان قد اكثر من الرواية عنه ، وقلما يجد المتتبع بابا من ابواب الفقه وغيره من المواضيع الاسلامية الا ويجد له رواية او اكثر فيه .

ومنهم الفضيل بن يسار ، وأبو بصير الاسدي ، وعبد الله بن مسكان ، وابان بن عثمان الاحمر ، وحريز بن عبد الله ، وعبد الله بن جندب ، وعلي بن النعمان وصفوان الجمال ، وهؤلاء الثلاثة عبد الله وعلي بن النعمان وصفوان الجمال كانوا قد تعاهدوا في بيت الله على ان من مات منهم قبل الآخر صلى عنه من بقي بعده وصام عنه وحج له . وأعطى عنه من ماله مقدار ما كان يعطيه في كل عام من الزكاة ، وقام بجميع ما كان يقوم به من اعمال الخير ، فمات عبد الله بن جندب وعلي ابن النعمان قبل صفوان بن مهران ، فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة ويصوم في كل سنة ثلاثة اشهر ، ويزكي عنه وعن

صاحبيه ، وكل ما كان يأتي به من اعمال الخير عن نفسه يأتي بمثله عنهما ، الى غير هؤلاء من المئات الذين تخرجوا من جامعة اهل البيت وأخذوا الفقه والحديث عن الامامين الباقر والصادق ، وألفوا مما سمعوه منهما عشرات الكتب كما نصت على ذلك المؤلفات التى تحدثت عن تاريخهم وآثارهم .

من اجوبة الامام ومناظراته

لم يكن دور الامام الباقر مقتصرا على الفقه والحديث كما ذكرنا ، بل كان هو وأصحابه يناظرون في اصول الاسلام ويحاولون تركيزها في النفوس حتى لا تتعرض لما اثير في ذلك العصر من الجدل والنزاع في اصول العقائد .

وجاء في الوافي لمحسن الفيض وغيره من كتب الحديث ان نافع بن عبد الله الازرق كان يقول : لو علمت ان بين قطريها احدا تبلغني اليه المطايا يخصمني ان عليا قتل اهل النهروان وهو غير ظالم لهم لرحلت اليه ، فقيل له ولا ولده ، فقال في ولده عالم ؟ فقيل له هذا اول جهلك، وهل يخلون من عالم في كل عصر ؟ فقال : ومن عالمهم اليوم ؟ قيل له محمد بن علي بن الحسين ، فرحل اليه في جمع من اصحابه حتى اتى المدينة فاستأذن على ابي جعفر ، فقال وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن آبائي ، ثم قال الامام لغلامه : اخرج اليه وقل له : اذا كان الغد فأتنا، فلما اصبح دخل عليه عبد الله في اصحابه ، وكان الامام (ع) قد جمع ابناء المهاجرين والانصار ، فقال لمن حضر منهم : من كانت عنده منقبة لعلي بن ابي طالب اقسمت عليه الا ذكرها، فتحدث جماعة منهم بما

اشتهر من فضله ومناقبه، فلم ينكر نافع بن عبد الله بن الازرق شيئا مما ذكروه، ولكنه نسب له الكفر لانه وافق على التحكيم في صفين فذكره الامام (ع) بحديث خيبر وقول النبي (ص) : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، واعترف ابن الازرق بصحة الحديث .

فقال له ابو جعفر : اخبرني عن الله سبحانه احب عليا يوم احبه وهو يعلم انه يقتل اهل النهروان ، او انه لا يعلم ، فسكت الخارجي ، ولم يعرف بماذا يجيب ، فان قال بأن الله لا يعلم فقد نسب اليه الجهل : وان قال بأنه يعلم ، فاذا لم يكونوا مستحقين للقتل يكون علي بن ابي طالب قد ارتكب خطأ كبيرا وظلما فاحشا بقتلهم فكيف احبه الله وهو ظالم لعباده ، والله لا يحب الظالمين المجرمين ، ولا مفر له عن الاعتراف باستحقاقهم للقتل فخرج من مجلس الامام مخصوما مدحورا .

وجاء في توحيد الصدوق عن عبد الله بن سنان عن ابيه انه قال : كنت في مجلس الامام محمد الباقر (ع) فجاءه احد الخوارج وقال له : يا جعفر اي شيء تعبد ؟ قال له : اعبد الله ، فقال : هل رأيته ؟ فقال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه الناس موصوف بالآيات لا يجور في حكم ذلك هو الله لا إله الا هو، فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وفي توحيد الصدوق عن محمد بن مسلم انه قال : سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل : يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، فقال (ع) : اليد في كلام العرب القوة والعظمة ، قال سبحانه : والسماء بنيناها بأيد اي بقوة ، وقال تعالى : وأيدهم بروح منه اي بقوة ، ويقال لفلان : عندي اياد كثيرة اي فواضل واحسان وله عندي يد بيضاء اي نعمة .

وسأله عمرو بن عبيد عن قوله سبحانه : ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ، ما ذلك الغضب ؟ فقال ابو جعفر (ع) : الغضب هو العقاب يا عمر ، انه من زعم ان الله عز وجل زال من شيء الى شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين ، ان الله لا يستفزه شيء ولا يغيره شيء .

وجاء في الارشاد للمفيد عن محمد بن ابي عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج عن ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال : ان محمد بن المكندر كان يقول : ما كنت ارى ان مثل علي بن الحسين يدع خلفا افضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن علي (ع) فأردت ان اعظه فوعظني ، خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد ابن علي (ع) وكان رجلا بدينا وهو متكيء على غلامين له ، فقلت شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لاعظنه فدنوت منه وسلمت عليه فسلم علي بنهر وقد تصبب عرقا فقلت : اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحالة ، قال: فخلى عن الغلامين يديه ثم تساند وقال : لو جاءني والله الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله اكف بها نفسي عنك وعن الناس ، وانما كنت اخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله ، فقلت: يرحمك الله اردت ان اعظك فوعظتني .

وابن المكندر هذا كان يميل الى التصوف كطاووس اليماني وابراهيم بن ادهم وغيرهما وكان قد ترك التكسب وانصرف الى العبادة وعاش كلا على الناس فكان جواب الامام (ع) تعريضا به وتنبيها له على خطئه في هذا الاسلوب لان السعي في طلب الرزق ليستغنى به عن الناس من افضل العبادات ، وقد جاء عن النبي (ص) انه كان يقول : ملعون ملعون من القى كله على الناس ، وقال عمل يوم خير من عبادة سنة ولذلك قال له ابن المكندر : اردت ان اعظك فوعظتني .

وجاء في رواية المفيد ان نافع بن الازرق جاءه يوما يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له الامام ابو جعفر الباقر وهو يحدثه: يا نافع قل لهذه المارقة بِم استحللتم فراق امير المؤمنين وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والتقرب الى الله بنصرته واذا قالوا لك لانه حكم الرجال في دين الله ، فقل لهم : قد حكم الله تعالى في الشريعة رجلين من خلقه فقال : وابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما.، وحكم رسول الله (ص) سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما امضاه الله ، اوما علمتم ان امير المؤمنين انما امر الحكمين ان يحكما بالقرآن ولا يتعدياه واشترط رد ما خالف القرآن من احكام الرجال ، وقال حين قالوا له حكمت على نفسك من حكم عليك ، قال : ما حكمت مخلوقا وانما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من امر بالحكم بالقرآن واشترط رد ما خالفهلولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان ، فقال نافع بن الازرق : هذا والله كلام ما مر بمسمعي قط ولا خطر مني على بال وهو الحق .

وروى الكليني في الكافي عن ابي حمزة الثمالي انه قال : كنت جالسا في مسجد محمد رسول الله (ص) اذ اقبل رجل فسلم فقال من انت يا عبد الله ؟ قلت : رجل من اهل الكوفة فما حاجتك ، قال : اتعرف ابا جعفر محمد بن علي ؟ قلت : نعم فما حاجتك اليه اذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل ، فقال لي : انتم يا اهل الكوفة قوم لا تطاقون اذا رأيت ابا جعفر فاخبرني ، فما انقطع كلامه حتى اقبل ابو جعفر وحوله اهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبا منه فجلست اسمع الكلام وحوله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت الى الرجل وقال له : من انت ؟ فقال : انا قتادة بن دعامة البصري ، فقال له ابو جعفر (ع) : انت فقيه اهل البصرة ؟ قال : نعم ، فقال : ويحك يا قتادة ان الله عز

وجل خلق خلقا فجعلهم حججا على خلقه فهم اوتاد في ارضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه اظلة عن يمين عرشه . فسكت قتادة طويلا ثم قال : اصلحك الله ، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء ومع ابن عباس فما اضطرب قلبي من احد منهم ما اضطرب منك ، فقال له ابو جعفر (ع) : أتدري اين انت ؟ انت بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثم ونحن اولئك. فقال له قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين .

ثم قال له قتادة : فاخبرني عن الجبن ، فتبسم ابو جعفر الباقر (ع) وقال : رجعت مسائلك الى هذا ، قال : ضلت عني ، قال له الامام(ع): لا بأس به ، فقال قتادة : انه ربما جعلت فيه انفحة الميتة ، قال : ليس بها بأس ، ان الانفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم انما تخرج من بين فرث ودم ، ومضى يقول : ان الانفحة بمنزلة دجاجة ميتة اخرجت منها بيضة فهل تأكل تلك البيضة ، فقال له قتادة : لا ولا آمر بأكلها ، فقال له ابو جعفر : ولِمَ ؟ قال لانها من الميتة ، فقال له الامام (ع) : فان حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة اتأكلها ؟ قال: نعم ، قال : فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة وكذلك الانفحة ، فاشتر الجبن من اسواق المسلمين ومن ايدي المصلين ولا تسأل عنه الا ان يأتيك من يخبرك عنه .

وروى الرواة ان عبد الله بن معمر الليثي قال لابي جعفر الباقر (ع): بلغني انك تفتي في المتعة ، فقال : لقد احلها الله في كتابه وسنها رسول الله (ص) وعمل بها اصحابه ، فقال له عبد الله : وقد نهى عنها عمر بن الخطاب ، فقال له الامام : انت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله (ص) ، فرد عليه عبد الله بن معمر بقوله: ايسرك ان نساءك

فعلن ذلك ، فقال له الامام (ع) : وما ذكر النساء يا احمق ، ان الذي احلها في كتابه وأباحها لعباده اغير منك ومن نهى عنها تكلفا ، بل يسرك ان بعض حرمك تحت حائك من حاكة يثرب نكاحا ، قال : لا ، قال : فلِمَ تحرم ما أحل الله ، قال : لا أحرم ولكن الحائك ما هو لي بكفء ، قال ابو جعفر (ع) : فان الله ارتضى عمله ورغب فيه وزوجه حورا أفترغب عمن رغب الله فيه وتستنكف ممن هو كفء لحور الجنان كبرا وعتوا ، فضحك عبد الله وقال : ما احسب صدوركم الا منابت اشجار العلم فصار لكم ثمره وللناس ورقه .

وجاء في رواية ابي بصير ان الامام الباقر جلس يوما في الحرم ومعه جماعة من اصحابه فأقبل طاووس اليماني في جمعة من الناس وقال لابي جعفر : اتأذن لي في السؤال ، فقال : قد اذنت لك فسل عما تريد ، قال : اخبرني متى هلك ثلث الناس ، فقال الامام (ع) : لعلك وهمت يا شيخ وأردت ان تقول ربع الناس ، فقال : نعم لقد اردت ذلك يا ابن رسول الله ، فقال الامام (ع) : لقد هلك ربع الناس يوم قتل قابيل هابيل ذلك انه لم يكن على وجه الارض غير ادم وحواء وقابيل وهابيل ، فهلك ربعهم بموت هابيل ، فقال طاووس : فأيهما كان ابا للناس القاتل او المقتول ، فقال الامام (ع) : لا هذا ولا ذاك بل شيث بن ادم ، فقال : فلِمَ سمي ادم ادم ؟ قال : لان طينته رفعت من اديم الارض السفلى ، فقال : لِمَ سميت زوجته حواء ، قال (ع) : لانها خلقت من ضلع حي يعني ضلع ادم ، قال : فلِم سمي ابليس بهذا الاسم ؟ قال : لانه ابلس من رحمة الله عز وجل فلا يرجوها ، قال : فلِمَ سمي الجن جنا ؟ قال : لانهم استجنوا فلم يروا ، قال : فاخبرني عن اول كذبة كذبت من صاحبها ، قال : كذبة ابليس حين قال : انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال : فاخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين ، قال (ع) : المنافقون حين قالوا نشهد

الملك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، قال : فاخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو ، فقال الامام : هو طور سيناء اطاره الله عز وجل على بني اسرائيل حين اظلهم بجناح منه فيه الوان العذاب حتى قبلوا التوراة ، وذلك قوله تعالى : واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم ، قال الطاووس : فاخبرني عن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ذكره الله في كتابه ، فقال الامام (ع) : هو الغراب حين بعثه الله ليرى قابيل كيف يواري سوأة اخيه هابيل حين قتله وذلك قوله تعالى : فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه ، قال فاخبرني عمن انذر قومه وهو ليس من الجن ولا الانس ولا الملائكة وقد ذكره الله في كتابه ، فقال الامام : هو النملة حين قالت : يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، قال : فاخبرني عن صلاة مفروضة بدون وضوء وصائم صام ولم يمتنع عن الاكل والشرب ، فقال الامام (ع) : اما الصلاة بغير وضوء فهي الصلاة على النبي وآله ، واما الصوم فقد حكاه الله سبحانه عن مريم بقوله : اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا .

وقد سأله كما يدعي الراوي عن شيء يزيد وينقص وشيء يزيد ولا ينقص وشيء ينقص ولا يزيد ، فقال له ان الذي يزيد وينقص هو القمر والذي يزيد ولا ينقص هو البحر ، والذي ينقص ولا يزيد هو العمر .

وجاء في بعض المرويات عن ابي محمد الحسن العسكري (ع) انه قال : كان محمد بن علي بن الحسين في مجلسه يوما فقال ان رسول الله (ص) لما امر بالمسير الى تبوك امر بأن يخلف عليا في المدينة فقال علي : يا رسول الله ما كنت احب ان اتخلف عنك في شيء من امورك وان اغيب عن مشاهدتك والنظر الى هديك وسمتك ، فقال رسول الله (ص) : يا علي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى

الا انه لا نبي بعدي ، تقيم يا علي وان لك من الاجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ، ولك مع ذلك اجر كل من خرج مع رسول الله موقنا طائعا ، وان لك على الله يا علي لمحبتك ان تشاهد من محمد سمته في سائر احواله ولا يفوتك شيء بقدرة الله ومشيئته فقام اليه رجل وقال : يا ابن رسول الله كيف يكون وهذا للانبياء لا لغيرهم. فقال الامام (ع) : هذا هو معجزة لمحمد رسول الله لا لغيره لان الله يمكنه من ذلك بدعاء محمد (ص) .

ثم قال الامام الباقر : ما اكثر ظلم هذه الامة لعلي بن ابي طالب وأقل انصاره ، انهم يمنعون عليا ما يعطونه لسائر الصحابة وهو افضلهم ، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره ، فقيل له : وكيف ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال : لانكم تتولون محبي ابي بكر بن ابي قحافة وتتبرأون من اعدائه كائنا من كان ، كذلك تتولون عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وتتبرأون من اعدائهما كائنا من كان حتى اذا صار الى علي (ع) قلتم نتولاه ولا نتبرأ من اعدائه بل نحبهم فكيف يجوز هذا لهم ورسول الله (ص) يقول : في علي (ع) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله ، افترونه يقول ذلك ، ولا يعادي من عاداه ولا يخذل من خذله ليس هذا بانصاف .

ومضى الامام يقول كما يدعي الراوي : ثم انهم اذا ذكروا ما اختص الله به عليا بدعاء رسول الله (ص) وكرامته على ربه تعالى جحدوه ويقبلون ما يذكر لغيره من الصحابة ، فما الذي منع عليا (ع) ما جعله لسائر اصحاب رسول الله (ص) هذا عمر بن الخطاب اذا قيل لهم انه كان على المنبر في المدينة يخطب في الناس واذا به ينادي يا سارية الجبل ، فلما اتم خطابه وفرغ من الصلاة سألوه عما قاله وهو يخطب فقال : اعلموا اني وأنا اخطب اذ رمقت ببصري نحو الجهة التي خرج فيها اخوانكم الى غزوة الكافرين بنهاوند بقيادة سعد بن وقاص ففتح الله

لي الاستار والحجب وقوي بصري حتى رأيتهم اصطفوا بين يدي جبل هنـاك .

وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية ومن معه من المسلمين ويحيطوا بهم ، فقلت : يا سارية الجبل ليلتجىء اليه ويكون الجبل في ظهره ويمنعهم بذلك من ان يحيطوا به ، وقد منح الله اخوانكـــم المؤمنين اكتاف الكافرين وفتح الله عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة اكثر من خمسين يوما ، وأضاف الى ذلك الامام ابو جعفر الباقر كما جاء في الرواية فاذا جاز مثل هذا لعمر بن الخطاب فكيف لا يكون مثله لعلي ابن ابي طالب (ع) ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون .

وحدث زرارة عنه فقال : كنت جالساً الى جنب ابي جعفر الباقر وهو مستقبل القبلة فقال : اما ان النظر اليها عبادة فجاءه رجل من بجيلة فقال : يا جعفر ان كعب الأحبار كان يقول : ان الكعبة تسجـــد لبيت المقدس في كل غداة ، فقال ابو جعفر (ع) : فما تقول انت فيما قـال كعب ؟ فقال الرجل : صدق كعب الاحبار ، فرد عليه ابو جعفر (ع) بقوله : كذبت وكذب كعب الاحبار معك وغضب وقال زرارة : ما رأيته استقبل احدا بقوله كذبت غيره .

الامام الباقر مع عبد الملك بن مروان

يدعي بعض الرواة ان عبد الملك بن مروان كان يحاول ان يكون أقل عنفا من أسلافه مع العلويين وانه كتب الى عامله في الحجاز كتابا جاء فيه : جنبني دماء ال ابي طالب فاني رأيت ال حرب لما تهجموا بها لم ينصروا ، واذا صح عنه انه كان ارفق بالعلويين وشيعتهم من اسلافه ، فذلك لانه قد ادرك مدى الاستياء الذي خلفته سياسة معاوية وولده يزيد معهم وما ترتب عليها من الانتفاضات في مختلف انحاء الدولة لاسيما وقد ظهر منافسه الجديد في الحجاز واتسعت اطماعه للعراق وغيرها من المناطق ولكن هذه المظاهرة من عبد الملك لم ترافقه طيلة حكمه ، فما ان تم له القضاء على خصمه ابن الزبير حتى كتب الى عماله وأمرهم بالشدة والقسوة على شيعة اهل البيت وأمر الحجاج بأن يذهب الى العراق وقال له : احتل لقتلهم فقد بلغني عنهم ما اكره ، واذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل لها اهل البصرة ، وراح يراقب تحركات الائمة وتصرفاتهم وأمر واليه على الحجاز ان يرسل اليه زين العابدين وكان حاقدا عليه كما ذكرنا ذلك خلال حديثنا عن سيرته وكانت للحجاج مواقف مع شيعة العراق لم يحدث التاريخ

[illegible]وأ منها ، ومع ما كان منه مع الائمة وشيعتهم ، فلقد كان يلجأ [illegible]م في بعض المهمات التي تهمه ولا يجد المخرج منها لعلمه بمكانتهم [illegible]م لا يبخلون في النصيحة على احد ولو كان من ألد اخصامهم [illegible]دائهم وبخاصة اذا كانت لمصلحة الاسلام .

[illegible] فقد جاء في حياة الحيوان للشيخ كمال الدين الدميري وفي شذرات [illegible]هب للمقريزي وغيرهما عن الكسائي انه قال : دخلت على الرشيد [illegible]ت يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقا [illegible]امر بتفريقه وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله كثيرا ، ثم قال لي : [illegible] علمت اول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة ؟ قلت : سيدي [illegible]و عبد الملك بن مروان ، قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قلت : لا [illegible]م لي غير انه اول من احدث هذه الكتابة ، فقال : سأخبرك بذلك ، [illegible]د كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك [illegible]الروم وكانت تطرز بالرومية وطرازها (اب وابن وروح القدس) فلم [illegible]زل كذلك في صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك [illegible]عبد الملك بن مروان فتنبه له وكان فطنا ، فبينما هو ذات يوم اذ مر به [illegible]قرطاس فنظر الى طرازه فأمر ان يترجم الى العربية ففعل ذلك فأنكره وقال : ما اغلظ هذا في امر الدين والاسلام ان يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الاواني والثياب وهما يعملان في مصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وقد طرزت بسطر مثبت عليها ، فكتب الى اخيه عبد العزيز بن مروان وكان عامله على مصر بابطال ذلك الطراز وأن يأمر صناع القراطيس ان يطرزوها بسورة من القرآن وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير ، وكتب الى عماله في الآفاق بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب والحبس ، فلما ثبتت القراطيس بالطراز

الجديد وحمل الى بلاد الروم وانتشر خبره ووصل الى ملكهم وترجم له انكره واستشاط غيظا ، فكتب الى عبد الملك ان عمـــل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم يزل يطرز بطـــراز الروم الى ان ابطلته انت ، فان كان من قبلك من الخلفاء اصاب فقد اخطأت انت ، وان كنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين ايهما شئت وأحببت ، وبعث اليه مع الكتاب هدية ثمينة وطلب اليه رد الطراز الى ما كان عليه فرد عليه عبد الملك كتابه وهديته فأرسل اليه ملك الروم ثانيا وثالثا وفي كل مرة يكتب اليه ويضاعف الهدية وعبد الملك يرفضها وأخيرا تهدده ملك الروم بأن ينقش على الدراهم والدنانير شتم النبي (ص) ودار حوار بين الطرفين لم ينته الى حل للازمة وبقي ملك الروم علـــى اصراره وكانت الدراهم والدنانير التي يتعامل بها المسلمون في جميع بلادهم من صنع الروم ، فضاق بعبد الملك امره واستشار حاشيته وأصحابه وذوي الرأي من المسلمين فلم ينتهوا الى نتيجة تحسم النزاع وتحفـــظ للمسلمين كرامتهم ، ولما ضاق بعبد الملك امره استشار روح بن زنباع ، فقال له : انك لتعرف المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه ، فقال له : ويحك من هو ؟ فقال : عليك بالباقر من اهل بيت النبي (ص) ، فقال : صدقت ولكنه ارتج علي الرأي فيه، فكتب الى عامله في المدينة ان اشخص الي محمد بن علي بن الحسين (ع) مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهـــازه وبثلاثمائة الف درهم لنفقته ، ولما عرض الوالي على الامام الباقر كتاب عبد الملك شد الرحال واتجه الى الشام ، ودخل على عبد الملك فاستقبله ورحب بقدومه وقص عليه ما جرى له مع ملك الروم وطلب منه المخرج من تلك الازمة التي استعصى عليه حلها ، فقال له الباقر (ع) : لا يعظم هذا عليك ، الرأي ان تدعو في هذه الساعة من يضرب لك الدراهم والدنانير وتنقش على احد وجهيها صورة التوحيد وعلى الوجه الثاني محمد رسول الله ، وتجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيـــه

السنة التي يضرب فيها ، ثم وضع له الامام (ع) خطة يستحيل معها التلاعب في وزن الدراهم والدنانير او تزويرها كما بيّن له الكيفية التي تتم صنع النقود الاسلامية فيها بصنع صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان على حد تعبير الراوي ، ثم قال له الامام (ع) : فاذا فعلت ذلك فأمر بوجوب التعامل بها وتهدد المخالفين بأشد العقوبات وبذلك تقطع الطريق على ملك الروم وتستغني عن نقوده ، فاستحسن ذلك عبد الملك وباشر فعلا بما اشار به الامام الباقر (ع)، وخلال اشهر قليلات انتهى كل شيء وأصدر اوامره الى جميع الاقطار الاسلامية بالتعامل بالدنانير والدراهم الاسلامية وابطال ما كان متعارفا من استعمال الطروز الرومية ، وقيل لملك الروم : افعل ما كنت تهدد به ملك العرب ، فقال : انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لاني كنت قادرا عليه والمال وغيره برسوم الروم ، فأما الان فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام ، هذا مجمل ما رواه الدميري في حياة الحيوان عن المحاسن والمساوىء للبيهقي ورواه غيره بهذا المضمون عن شذرات العقود للمقريزي .

وفي رواية ثانية تتلخص فيما يلي : على اثر صراع عنيف واشتباكات بين الدولتين الرومانية والاسلامية على حدودهما هدد ملك الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الاسلامية وكان المسلمون يتعاملون بها اذا لم يتخل المسلمون عن الحدود المتنازع عليها فاضطرب عبد الملك لان عملا من هذا النوع يؤدي الى شلل الاقتصاد الاسلامي ، فجمع اعيان المسلمين واستشارهم في المخرج من هذه الازمة ، فلم ينتهوا الى نتيجة حاسمة ، فأشاروا عليه بالرجوع الى الامام الباقر (ع) ، فأرسل اليه كتابا يدعوه فيه الى الحضور ، فلبى الامام الدعوة ووفد على الشام ، فعرض عليه عبد الملك ما جرى له مع الروم وما انتهى اليه الحال فقال له الامام (ع) : لا يهولنك ما ترى

ارسل الى ملك الروم واستمهله مدة من الزمن لترى رأيك فيما عرضه عليك وخلال تلك المدة ارسل الى عمالك في جميع المقاطعات وامرهم بأن يجمعوا الذهب والفضة حتى الاقراط من آذان النساء حتى اذا توفرت لك الكمية الكافية باشر بصك الدرهم والدينار، وحدد له الامام وزنهما وكيفيتهما وأمره ان يكتب على احدى الجهتين محمد رسول الله وترك له ان يكتب على الجهة الثانية ما يريد ، وأضاف الامام الى ذلك، ما حاصله ، وعند الفراغ من ذلك ضع الدرهم والدينار في ايدي المسلمين وامنع من التعامل بغيرهما حتى لا يبقى لملك الروم سلطان عليك ، فلم يجد عبد الملك بديلا لهذا الرأي وباشر بتنفيذه في الحال.

وخلال اشهر معدودات كان النقد الجديد في ايدي المسلمين يتعاملون به بدلا من النقد الروماني ، وأرسل عبد الملك الى ملك الروم يرفض طلبه بتعديل الحدود بين الدولتين ، وكانت الدولة الرومانية تحسب ان الضغط الاقتصادي بالنحو الذي هددت به المسلمين ورقة رابحة بيدها ولكنها فشلت في ذلك بعد ان استغنى المسلمون بنقدهم الجديد وثروتهم الجديدة ، فعادت تفكر في اسلوب جديد للضغط على المسلمين فلم تر بديلا للضغط العسكري ، فأرسلت فرقا من المردة وكانوا قد التحقوا بالدولة الرومانية بعد الفتح الاسلامي ، ارسلتهم للتخريب في بلاد الشام فسلكوا السواحل يقتلون ويفسدون حتى انتهوا الى سواحل لبنان ، فأرسل عبد الملك جيشا لمطاردتهم فقتل منهم جماعة وأسر آخرين ، والتجأت فلولهم الى الكهوف والغابات في جبال لبنان ولم تكن مسكونة يوم ذاك ، فكانوا يظهرون من اوكارهم بين الحين والآخر للقنص والسلب والتخريب بتوجيه من الرومان ، فاذا داهمتهم الحاميات الاسلامية عادوا الى الكهوف والغابات . واستمروا على ذلك شطرا من الزمن الى ان الفوا تلك المناطق واستوطنوا بها وخضعوا لحكم الدولة الاسلامية بعد ان وجدوا ان لا مفر لهم من ذلك ، وانتعشوا في

عهد الصليبيين الذين حكموا لبنان زمنا طويلا ، وعندما خرجوا منه تركوا من احفادهم عشرات الالوف ، وارتفع عددهم على مرور الزمن حتى اصبح نحوا من ربع سكان لبنان في عصرنا الحالي ، ولا يزالون يتباهون بأجدادهم المردة الذين دخلوا البلاد يوم ذاك بالنحو الذي وصفته بعض الروايات .

هذا مجمل ما جاء في بعض المرويات حول النقد الاسلامي ، وجاء في بعض المرويات ان اول من امر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بن ابي طالب (ع) في البصرة سنة اربعين من الهجرة ، وكان رأس البغل قد ضرب الدراهم لعمر بن الخطاب بسكة الفرس ، ومن ذلك الدرهم المعروف بالبغلي . ومن الجائز ان يكون الامر كذلك ولكنه بقي التعامل بالنقد الروماني الى جانب تلك النقود ، ولما ضرب السكة عبد الملك باشارة الامام الباقر منع من التعامل بغيرها . والشيء الذي يدعو الى التساؤل ولا بد من الوقوف عنده هو ان الروايات تنص على ان تاريخ النقد الاسلامي يعود لسنة ستة وسبعين للهجرة يوم قام عبد الملك بهذه المهمة باشارة من الامام الباقر ، والباقر يوم ذاك كان في التاسعة عشرة من عمره ولم يكن قد اشتهر امره وكان والده الامام زين العابدين لا يزال حيا وعاش الى سنة خمس وتسعين هجرية وبعدها انتقلت الامامة الى محمد الباقر (ع) وذلك بعد وفاة عبد الملك بخمسة عشر عاما او اقل من ذلك ومن الجائز ان يكون المشير على عبد الملك قد ارشده الى الامام علي بن الحسين (ع) لانه الامام يوم ذاك والمعروف في الاوساط الاسلامية كما يجوز وليس ببعيد ان يكون الامام الباقر (ع) كما نصت على ذلك الرواية لانه كان معروفا في الاوساط الاسلامية ، ومؤهلات الائمة (ع) لا تقاس بعدد السنين ، كما يبدو ذلك للمتتبع في تاريخهم المجيد وآثارهم الخالدة التي اختص الله بها بنيه وورثهم اياها .

ما جاء عنه من الحكم والآداب والمواعظ

لقد جاء عنه انه قال : ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر الا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل او كثر .

وقال : عالم ينتفع بعلمه افضل من الف عابد ، والله لموت العالم احب الى ابليس من موت سبعين عابدا ، وقال لاحد بنيه : يا بني اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر انك ان كسلت لم تؤد حقا ، وان ضجرت لم تصبر على حق .

وقال (ع) لجابر الجعفي :

يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون ، هل هي الا مركب ركبته او ثوب لبسته او امرأة احببتها ، يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ففازوا بثواب الابرار ، ان اهل التقوى ايسر اهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة ان نسيت ذكروك وان ذكرت اعانوك قوالين بحق الله قوامين بأمر الله .

يا جابر انزل الدنيا كنزل نزلت فيه وارتحلت منه ، او كمال احببته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، انما هي مع اهل اللب

والعالمين بالله تعالى كفيء الظلال فاحفظ ما استرحاك الله من دينه وحكمته .

وكان عليه السلام يقول :

ما من شيء احب الى الله عز وجل من ان يسأل ولا يدفع القضاء الا الدعاء ، وان اسرع الخير ثوابا البر واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

وجاء في وصيته لاحد اصحابه : اوصيك بخمس ان ظلمت فلا تظلم، وان خانوك فلا تخن ، وان كذبت فلا تغضب ، وان مدحت فلا تفرح ، وان ذممت فلا تجزع ، وفكر فيما قيل فيك فان عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق اعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من اعين الناس ، وان كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير ان تتعب بذلك، ولو اجتمع عليك اهل مصرك وقالوا انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا انك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه خائفا من تخويفه فاثبت وابشر فانه لا يضرك ما قيل فيك ، وان كنت مباينا للقرآن فما الذي يغرك من نفسك ان المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم اودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر ويفزع الى التوبة والمخافة ، يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصا الى الشكر واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازراء على النفس وتعرضا للعفو ، الى ان يقول : واياك والثقة بغير المأمون ، واعلم انه لا علم كطلب السلامة ، ولا عقل كمخالفة الهوى ولا فقر كفقر القلب ولا غنى كغنى النفس ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك ولا نعمة كالعافية،

ولا عافية كمساعدة التوفيق ولا شرف كبعد الهمة ولا زهد كقصر الامل ولا عدل كالانصاف ولا جور كموافقة الهوى ولا طاعة كأداء الفرائض ولا مصيبة كعدم العقل ولا معصية كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي انت عليها ولا جهاد كمخالفة الهوى ولا قوة كرد الغضب ولا ذل كذل الطمع ، واياك والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجري لاهله بالخسران .

وقال (ع) لبعض اصحابه : خذ الكلمة الطيبة ممن قالها وان لم يعمل بها فان الله يقول : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله .

وروى عنه جماعة من اصحابه انه قال : ايدخل احدكم يده في جيب صاحبه فيأخذ منها ما يريد وهو لا يعلم ؟ فقالوا لا يا ابن رسول الله، فقال : اذهبوا فلستم اخواننا كما تزعمون .

وقال لبعض اصحابه : اعتزل ما لا يعنيك وتجنب عدوك واحذر صديقك ، ولا تصحب الفاجر وتطلعه على سرك ، واستشر في امرك الذين يخشون الله واذا استطعت ان لا تعامل احدا الا ولك الفضل عليه فافعل ، وثلاثة من مكارم الاخلاق ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك ، ويقول : الظلم ثلاثة ظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله ، وظلم لا يدعه الله ، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فظلم العباد بعضهم لبعض .

وقال عليه السلام مرة لاصحابه وهو يعظهم ويحثهم على التعاون :

ما من عبد يمتنع من معونة اخيه المسلم والسعي في حاجته قضيت او لم تقتض الا ابتلي بالسعي في حاجة فيما يؤثم عليه ولا يؤجر ، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله الا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما اسخط الله .

وقال (ع) : لا يكون العبد عالما حتى لا يكون حاسدا لمن فوقه ولا محقرا لمن دونه ، ويقول : ثلاث خصال لا يموت صاحبهن ابدا حتى يرى وبالهن ، البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله فيها ، وان اعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمو احوالهم ويثرون ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليذران الديار بلاقع من اهلها .

وقال مخاطبا لمن يدعون التشيع لهم :

والله ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير .

وقال في وصفهم ايضا : انما شيعة علي (ع) المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتزاورون لاحياء الدين ، اذا غضبوا لم يظلموا واذا رضوا لم يسرفوا بركة على من جاوروا وسلم لمن خالطوا .

وكان يقول : ان هذا اللسان مفتاح كل شر وخير فينبغي للمؤمن ان يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضته فان رسول الله (ص) قال : رحم الله مؤمنا امسك لسانه عن كل شر فان ذلك صدقة منه على نفسه ، ولا يسلم احد من الذنوب حتى يخزن لسانه من الغيبة فيقول في اخيه ما ستره الله عليه فان قال ما ليس فيه فقد بهته ، وان اشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره عليكم بصدق الحديث والورع والاجتهاد وأداء الامانة الى من ائتمنكم عليها برا كان او فاجرا ، فلو ان قاتل علي بن ابي طالب ائتمنني على امانة لاديتها اليه .

وكان مما اوصى به ولده الامام جعفر الصادق (ع) ان الله خبأ ثلاثة اشياء في ثلاثة اشياء خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئا

فلعل رضاه فيه ؟ وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئا فلعل سخطه فيه ، وخبأ اولياءه في خلقه فلا تحقرن احدا فلعله ذلك الولي .

وقد نص على امامته بالاضافة الى نص الرسول (ع) عليه الامام علي ابن الحسين (ع) كما جاء في الكافي وغيره من مجاميع الحديث برواية العدول الثقاة من رواة احاديث اهل البيت (ع) كما نص هو في المرحلة الاخيرة من حياته على خليفته الامام جعفر بن محمد (ع) وانتقل الى جوار ربه وهو ابن سبع وخمسين سنة في عهد هشام بن عبد الملك وقيل في عهد يزيد بن عبد الملك سنة ١١٤ وقيل غير ذلك وترك سبعة اولاد بين ذكر وانثى اكبرهم جعفر بن محمد الصادق وبه كان يكنى من زوجته فاطمة او قريبة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر المكناة بأم فروة وأمها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر والى ذلك يشير الامام الصادق بقوله : ان ابا بكر ولدني مرتين .

(٦)

الإمام الصادق جعفر (ع)

ولد الامام الصادق (ع) في اوائل النصف الثاني من شهر ربيع الاول وقيل في مطلع رجب من سنة ثلاثة وثمانين للهجرة كما جاء في رواية المفيد والكليني وقيل سنة ثمانين ، وخرج من الدنيا وافدا على ربه سنة ١٤٩ عن عمر يتراوح بين الثامنة والستين والخامسة والستين حسب اختلاف الروايات في تاريخ ولادته اقام منها مع جده علي بن الحسين (ع) اثني عشر سنة او خمسة عشر سنة في بيت لا عهد له الا بالمصائب والنوازل جديد عهد بمأساة الدهر فاجعة كربلاء ، وفي مطلع شبابه تجرع آلام تلك الكارثة التي حلت بعمه زيد بن علي وكان وقعها شديدا عليه وعلى اهل البيت (ع) وسمع انين المظلومين والمعذبين من شيعة آبائه الكرام ، وأقام بعد جده مع ابيه الباقر تسع عشرة سنة كان فيها ناضج التفكير متكامل المواهب يقصده العلماء والمحدثون ليأخذوا من علمه وحديثه في مختلف المواضيع ، واشترك مع ابيه في تأسيس تلك الجامعة التي ملأت الدنيا بآثارها ، وأقام بعد ابيه اربعا وثلاثين سنة وهي مدة امامته عاصر خلالها هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص ، وابراهيم

ابن الوليد ومروان بن محمد وعبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالسفاح ، وكانت وفاته بعد مضي عشر سنين من خلافة المنصور العباسي .

لقد ادرك الامام ابو عبد الله الصادق (ع) نحوا من ثمانية وأربعين عاما من عهد الامويين كانت مليئة بالاحداث التي تبعث الالم في نفسه وتنكد عليه عيشه ، لقد كان يرى المضطهدين من خيار الامة وصلحائها يساقون الى الموت والسجون زرافات ووحدانا ، ويرى بين الحين والآخر بين عمومته من الطالبيين شبابا وشيوخا مطاردين ومشردين يساقون الى الموت شهيدا بعد شهيد وهو يتحمل مرارة ذلك ولا يستطيع ان يدفع عنهم شر اولئك الطغاة المستهترين بالدين ومقدساته وبالامة ومقدراتها وبالانسان وكرامته ، والى جانب ذلك فقد اجحفوا على الامة في فرض الضرائب وأساؤوا جباية الخراج وفرضوا ما يشبه الجزية على من يدخل في الاسلام من اهل الكتاب الذين كانوا يدخلون فيه فرارا من اعباء الجزية التي كانت تستنزف جميع امكانياتهم .

فقد حدث الجهشياري انهم كانوا يأخذون الجزية ممن لم تجب عليهم ، وأمر عبد العزيز بن مروان باحصاء الرهبان في مصر فأخذت منهم الجزية وهي اول جزية اخذت في الاسلام من الرهبان على حد تعبيره ، ومضى يقول : ان الامويين فرضوا ضرائب اضافية كالرسوم على الصناعات والحرف وعلى من يتزوج او يكتب عرضا وأرجعوا الضرائب الساسانية التي تسمى هدايا النيروز وأول من طالب بها معاوية وفرضها على اهل السواد في النيروز .

وقدم دهقان هرات الى اسد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك على هرات بهدايا المهرجان وبلغت الف الف كما جاء في المجلد الخامس من كامل ابن الاثير .

وجاء في الطبري ان والي هرات وفد على هشام ومعه دهقان سنة

١٢٠ بالهدايا وكان بها قصران قصر من ذهب وقصر من فضة وأباريق من ذهب وفضة وصحون من ذهب وفضة وغير ذلك من الديباج .

وبعث عبد الملك الى عامله في الجزيرة يأمره باحصاء الجماجم واعتبار الناس كلهم عمالا وان يجمع ما يجنيه كل انسان في مجموع السنة ، ويأخذ منه ما يبقى من نفقته ، فأحصاهم العامل واعتبرهم عمالا بأجر معين واستثنى من مجموع الدخل السنوي نفقتهم وكسوتهم في تمام السنة فوجد انه يبقى لكل فرد اربعة دنانير فألزمهم بدفعها كما جاء في كتاب الامام الصادق والمذاهب الاربعة [1] .

وجاء في الكتاب المذكور عن الجهشياري ان اسامة بن زيد وفد على سليمان بن عبد الملك بما اجتمع عنده من الخراج وكان واليا له على مصر فقال له : يا امير المؤمنين اني ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت فان رأيت ان ترفق بها وترفه عليها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها وصلاح معاشها فافعل فانه يستدرك ذلك في العام المقبل، فقال له سليمان : هبلتك امك احلب الدر فاذا انقطع فاحلب الدم .

وكان الخلفاء احيانا يتركون لعمالهم جميع ما تحت ايديهم من تلك الاموال وقد يبلغ احيانا حدود الملايين من الدراهم وبلغ ما تحت يد الوالي في خراسان عشرين الف الف درهم ، فتركها له وكان عنده من العروض مثلها فقال يوما لكاتبه : اني لاعجب كيف يجيئني النوم وهذا المال عندي ، فقال له : وكم مبلغه ؟ قال : اني قدرت ما عندي لمائة سنة في كل يوم الف درهم لا احتاج منه الى شراء رقيق ولا كراع ولا عرض من العروض ، فقال له كاتبه : انام الله

---

١ ــ انظر جـ٢ ص ٤٠ من الكتاب المذكور .

عينك ايها الامير لا تعجب من نومك وهذا المال عندك ولكن اعجب من نومك اذا ذهب ثم نمت فذهب ذلك المال كله وآل امره ان باع فضة مصحفه ليأكل بثمنها وكان يركب حمارا صغيرا وآثار الفقر بادية عليه ، فلقيه مالك بن دينار وقال له : ما فعل المال الذي قلت فيه ما قلت ، قال : كل شيء هالك الا وجهه [1] .

واستمر الحال على ذلك حتى ضج الناس من جورهم وخافوهم على اموالهم ودمائهم ، ولما جاء دور عمر بن عبد العزيز عالج مشكلة الخراج والضرائب والجزية فيما عالجه من المظالم فكتب الى عامل الكوفة : اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة في احكام الله وسن فيهم سنة خبيثة عمال السوء ، وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكن شيء اهم اليك من نفسك فلا تحملها قليلا من الاثم ، ولا تحمل خرابا على عامر وخذ منه ما اطاق واصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذن اجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور الفتوح والبيوت ولا درهم النكاح ، ولا خراج من اسلم من اهل الارض واتبع في ذلك امري فاني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تعجل في امر حتى تراجعني فيه ، كما كتب الى بقية عماله بمثل ذلك فأحس الناس بالراحة وحلاوة طعم الحياة خلال تلك الفترة القصيرة من خلافته ، كما احس بوطأتها ومرارتها بنو امية وأتباعهم الذين كانوا يعبثون بالامة ومقدراتها وكرامتها ، وعادت الامور اسوأ مما كانت عليه بعد وفاته وانتهى بذلك عهد كان كالحلم اللذيذ العابر ، فلقد اعاد يزيد ابن عبد الملك سيرة الماضين من آبائه وأجداده بأقبح مما كانت عليه ، وكتب الى الولاة وحكام المقاطعات كتابا جاء فيه :

---

١ ــ نفس المصدر عن الجهشياري .

اما بعد فان عمر بن عبد العزيز كان مغرورا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى اخصبوا ام اجدبوا احبوا ام كرهوا عاشوا ام ماتوا ، فعظمت المحنة على الناس واشتد البلاء وشاع الدمار بين جميع فئات الشعب وعمت الفوضى ووقف الكثير من المسلمين الى جانب كل ثائر واندلعت الثورات في اكثر انحاء البلاد ، فكانت ثورة في الاردن وأخرى في مصر وقد قتل اهلها اميرهم حفص بن الوليد الحضرمي ، وثالثة في حمص فقتلوا عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي ، وأخرج اهل المدينة عاملهم ، ووقع الخلاف بين الامويين انفسهم فدارت في الشام معركة قتل فيها ثمانية عشر الفا كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير ، واندلعت الثورة في فلسطين وقتل فيها خلق كثير كما يصفها ابن الاثير في الكامل وغيره ، وتولى قيادة الثوار في نواحي خراسان ابو مسلم الخراساني بعد ان قام بجولة في ربوع ايران يصور للمسلمين ظلم بني امية للناس وقتلهم ذرية النبي (ص) لشيعتهم واستهتارهم بالقيم والمقدسات وكانت المعارك الدامية بينه وبين انصار الامويين وفي الوقت ذاته نهض العباسيون في البلاد العربية وقادوا الثورة بأنفسهم واستغلوا جرائم الامويين مع اهل البيت وانتشروا في طول البلاد وعرضها يرددونها على الجماهير الحاقدة على بني امية من جراء جورهم واستهتارهم بالمقدسات وكرامة العباد ، وتستر بنو العباس في بداية امرهم بما لحق العلويين من ظلم وحيف كما ذكرنا وتباكوا على قتلاهم وأظهروا الدعوة لهم ، ولما انهارت الدولة الاموية وأحسوا بالنصر المؤكد اتفقوا على عبد الله بن محمد بن علي السفاح وانتخبوه زعيما للدولة الجديدة سنة ١٣٢ في الكوفة ، وكان مروان ابن محمد في مكان يعرف بالزاب من بلاد الموصل فوجه اليه السفاح جيشا من الكوفة عاصمتهم الاولى بقيادة عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس فكانت بينهما معارك ضارية فر على اثرها مروان

ابن محمد وتلت معارك بين الطرفين قتل فيها مروان في قرية من قرى مصر على يد رجل من اهل الكوفة ومضى السفاح وقادة جيوشه في طلب فلول الامويين وقتل أتباعهم وأعوانهم المنتشرين في البلاد ولم يعد لاحد ما يعنيه سوى ان ينجو بنفسه ، وخرجوا رجالا ونساء هائمين على وجوههم فالتجأوا لبلاد الشرك فأخرجهم حكامها منها ، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد ، قد قادا تلك الفرقة الهائمة فعرض لهما طريقان بينهما جبل فسار كل واحد منهما في طريق وهما يظنان انهما سيلتقيان بعد ساعة او ساعات قليلة فسارا يومهما ولم ينتهيا الى طريق يجمعهما ولم يقدرا على الرجوع وظلا اياما يسيران ولا يعلم احد منهما عن الآخر شيئا ، فالتقى عبد الله ومن معه بفرقة من جنود الاحباش فقتلوا عبد الله بن محمد وأسروا اصحابه وبعد ان جردوهم من كل ما معهم وحتى من ثيابهم تركوهم يسيرون في البراري وقد اضر بهم العطش والجوع حتى كان الرجل يبول بيده ويشرب منه وأخيرا جمعتهم الصدف مع عبيد الله وقد ناله اكثر مما نالهم ومعه عدة من حرمه وقد تقطعت أقدامهم من المشي وشربوا البول حتى تفطرت شفاههم ووافوا المندب فأقاموا بها شهرا ، وجمع الناس لهم من المؤن والملبس ما يسد ضروراتهم ويستر ابدانهم وخرجوا من المندب يريدون مكة في زي الحمالين على حد تعبير اليعقوبي في تاريخه وابن عبد ربه في العقد الفريد .

وجاء في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ان عامر بن صالح الخراساني احد القادة في جيش صالح بن علي السفاح ، انه لما قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني امية دخل دار مروان وجلس على سريره ودعا بنسائه ووضع رأس مروان في حجر ابنته وأقبل عليها يوبخها ، فقالت له : يا عامر ان دهرا انزل مروان وأقعدك على سريره حتى تعشيت

ناه لقد ابلغ في موعظتك وعمل في ايقاظك وتنبيهك انعقلت وفكرت.
وقتل سليمان بن علي في البصرة جماعة من بني امية وأمر بهم فجروا
رجلهم الى الصحراء فأكلتهم الكلاب والوحوش ، واختفى كثير منهم ،
م يظهروا الا بعد ان استتب الامر لبني العباس وطوى التاريخ حديث
لتهم فيمن طوى من الجبابرة والطغاة ، وقامت على انقاضهم دولة
برى كما هي سنّة التاريخ منذ وجد الانسان على وجه البسيطة ، يهلك
لوكا ويستخلف آخرين ، ولن تجد لسنّة الله تحويلا .

والذي اردناه من هذا العرض السريع لهذا الجانب من سيرة الامويين
ن الامام الصادق (ع) قد رافق جميع تلك الاحداث ووقف بعيدا عنها
ومن الحكام والسياسيين يتحين الفرص المؤاتية لاداء رسالته حتى اذا
وجد الدولة الاموية تتخبط في مشاكلها ووجد الجو الذي بدأت تباشيره
في عهد ابيه مهيأ له هب لاداء رسالته بكل ما لديه من قوة وتوافد عليه
العلماء وطلاب العلم ومن يحملون افكارا غريبة عن الاسلام من كل
الجهات ، حتى بلغت تلك الجامعة التي اسسها ابوه من قبله ، وكان
الصادق (ع) نفسه من تناجها الغني بالبذل والعطاء ، بلغت في عصره
بفضل جهوده ذروة نشاطها في شتى المواضيع ، ومجمل القول ان
الامام الصادق (ع) عاش نحوا من خمسين عاما في عهد الامويين ،
ونحوا من خمسة عشر عاما في عهد العباسيين ، فأدرك الدولة الاموية
في قوتها وعنفوانها ، ثم في تحدرها وانهيارها كما ادرك من الدولة
العباسية فجرها الاول وهي تبني امجادها على أنقاض الامويين ،
وتستمد من سيئاتهم بعض الحسنات ، وما ان استتبت لها الامور حتى
راح الناس يرددون قول القائل :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

وقد اخذ على عاتقه بعد وفاة ابيه ان يتابع المسيرة من حيث انتهى
والده فحارب الفساد والظلم والطغيان وفرض على دعاة الخير والمصلحين

من اصحابه ان يكونوا القدوة الصالحة بأعمالهم قبل اقوالهم ، لان الناس انما ينظرون الى القادة من خلال اعمالهم ، اما الاقوال التي تصدر من الوعاظ والدعاة الى الخير فليست بأشد تأثيرا منها وهي مسطورة في الكتب او منقوشة على الجدران وحتى تحقق دعوته الغاية المنشودة كان يقول لاصحابه : اوصيكم بتقوى الله واداء الامانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وان تكونوا لنا دعاة صامتين .

وقد وقع هذا القول عندهم موقع الاستغراب ، وكيف يكونون صامتين وهم يدعون الى الخير ، فقالوا : يا ابن رسول الله كيف ندعو الى الله ونحن صامتون ، فقال (ع) : تعملون بما امرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الا على خير ، فاذا رأوا ما انتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا اليه .

ولم يزل يكرر هذه الوصية ويؤكدها على اصحابه ، فلقد جاء عنه انه قال : عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث واداء الامانة وحسن الخلق والجوار وكونوا دعاة لانفسكم بغير ألسنتكم .

وقال ابن ابي يعفور : سمعت جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول لاصحابه : كونوا دعاة للناس بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع .

لقد كان الامام الصادق (ع) يريد من الدعاة ان يقرنوا العمل بالقول وأن تكون اقوالهم صورة عن اعمالهم لان ذلك ابلغ في التأثير ومن انجع الوسائل لخوض معركة تكافح الظلم بكل انواعه الى جانب اولئك المظلومين والمعذبين الذين كانوا يعانون من سياسة اولئك الطغاة المتسلطين على الامة باسم الدين والاسلام وهم اداة هدم وتخريب لكل ما يتصل بالاسلام من قريب او بعيد .

لقد ادرك الامام الصادق حكم الامويين في اقسى مظاهره وأعنف اشكاله ، فكان يسمع بين الحين والآخر بما يجري على شيعة آبائه وعلى صلحاء المسلمين من قتل وحبس وتشريد وبما يحل ببني عمه وأهل بيته من القتل والصلب لا لشيء الا لانهم دعاة حق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبما حل بالامة كلها وهي تئن من ظلم الولاة وجورهم وارهاقها بالضرائب التي تستنزف خيراتها وموارد عيشها فلا عدل في حكم ولا مساواة في حق ولا نظام يضمن لاحد حريته وكرامته في هذا الوسط المشحون بالفوضى والفساد والتلاعب بمقدرات الامة وخيراتها وكرامتها .

قضى الامام شطرا من حياته وهو يتلوى من الالم على مصير الاسلام وعلى ما حل بالمسلمين من الويلات والمصائب وهو لا يملك سبيلا لانقاذهم مما يعانون فآثر القيام بالثورة وقادها بنفسه على الظلم والطغيان والانحراف ، ولكن ثورته لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الانتفاضات التي كانت تحدث هنا وهناك بين الحين والآخر ، بل كانت بنشر الثقافة الاسلامية والدعوة الى التحلي بالخلق الاسلامي الرفيع الذي يفرض على المسلمين اجتناب المعاصي والمنكرات وحسن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس اجمعين ، وأراد من اصحابه ان يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس الى هذه الخصال بأعمالهم قبل اقوالهم ، وكان يقول لهم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا اجلا ولم يبعدا رزقا ، ويعقب على ذلك بقوله : ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم يلتفت اليهم لينتزع من نفوسهم الاستئثار ويضع مكانه التعاون والاحساس بآلام الغير كاحساسهم بآلامهم وأمانيهم فيقول: حب لاخيك ما تحب لنفسك ولا تتمنى له ما لا ترضاه لنفسك ويؤكد هذه الناحية

بقوله : المؤمن من المؤمن كالجسد الواحد اذا اشتكى شيء منه وجد ذلك في سائر جسده ، ان المؤمن اخو المؤمن وهو عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه الى كثير من مواقفه التي كان يحاول فيها تهذيب النفوس وتطهيرها ووضع حد للفساد والفوضى والتمهيد للثورة على الظلم والطغيان ومقابلة الشدائد والاهوال بقلوب لا يعرف الضعف اليها سبيلا ولا يجد الخوف فيها مكانا كما يبدو ذلك من قوله : ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا اجلا ولم يمنعا رزقا ، ولكن ثورته على الظلم والظالمين والطغاة المستبدين كانت من نوع جديد كما ذكرنا كانت بنشر التعاليم الاسلامية والالتزام بها عمليا والمسلم الملتزم بأحكام الاسلام وأخلاقه وآدابه يحارب الظلم والعدوان ولا يحابي احدا على حساب دينه مهما بلغ شأنه وعمت سطوته .

لقد انتشرت دعوة الامام الصادق في اطارها الخاص بعيدة عن السياسة والسياسيين ، في حين ان اكثر قادة الثورة في مختلف المناطق كانوا يدعون لآل علي وللرضا من آل محمد وحتى العباسيين انفسهم كانوا يتظاهرون بذلك ، فظن عامة الناس ان الامة مقبلة على عهد جديد ما دامت الدعوة للرضا من آل محمد وعلي واتجهت الانظار الى الامام الصادق (ع) ولكنه كان يعرف نوايا العباسيين وأهدافهم ، وليست ببعيدة عنه مواقف اهل الكوفة مع آبائه وهو يعلم ان العباسيين سيقفون منه نفس الموقف الذي وقفه معاوية من جده امير المؤمنين وعمه الحسن ووقفه يزيد بن معاوية من الحسين بن علي ووقفه هشام بن عبد الملك من عمه زيد بن علي (ع) وشهوة الحكم والتسلط لا ترحم احدا ، لقد كان بنو العباس ودعاتهم يتباكون على الحسين ومن قتل معه في كربلاء وعلى زيد بن علي وغيره من العلويين، ولما استتبت لهم الامور واطمأنوا على مصير السلطة مثلوا اقبح الادوار التي مثلها اسلافهم مع العلويين

بضراوة لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

لقد رفض الامام حتى الحديث بشأن الخلافة ولم يفسح المجال لاحد ان يتحدث معه بذلك بالرغم من كثرة الوافدين عليه بهذا الخصوص وكان من بين الذين كانوا يعملون لمصلحة العلويين احد القادة ابو سلمة الخلال ، ولما احس ابو سلمة بنوايا العباسيين وعزمهم على الاستئثار بالسلطة كتب الى ثلاثة من العلويين الامام الصادق وعبد الله المحض وعمرو الاشرف وأرسل الكتب مع بعض انصارهم وقال للرسول : اقصد اولا جعفر بن محمد الصادق فان اجابك فلا تراجع غيره ومزق الكتابين، وان لم تجد منه جوابا فاذهب الى عبد الله المحض وسلمه الكتاب فاذا اجابك فلا تراجع غيره ، والا فاذهب الى عمرو الاشرف ، فذهب الرسول الى الامام جعفر بن محمد (ع) ودفع اليه كتاب ابي سلمة ، فقال الامام (ع) : مالي ولابي سلمة وهو شيعة لغيري ثم قال لخادمه : ادن مني السراج فأدناه منه فوضع الكتاب على النار حتى احترق بكامله والرسول ينظر اليه ، فقال له الامام هذا جواب كتابه ، فمضى الرسول الى عبد الله المحض فدفع اليه الكتاب ، فقبله وقرأه وركب من ساعته الى الامام الصادق (ع) وقال له : هذا كتاب ابي سلمة يدعوني فيه الى الخلافة وقد وصلني مع بعض شيعتنا من اهل خراسان ، فقال له الصادق (ع) : ومتى صار اهل خراسان شيعة لك ؟ أأنت وجهت اليها ابا مسلم ؟ وهل تعرف احدا من اهلها باسمه ، فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك ، فرد عليه عبد الله بقوله : هذا الكلام منك لشيء ، فقال الصادق (ع) : لقد علم الله اني اوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف ادخره عنك ، فلا تمني نفسك بالخلافة فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء .

ودخل عليه سدير الصيرفي فقال : يا ابا عبد الله ما يسعك القعود، فقال : ولِمَ يا سدير ، فقال : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ،

فقال : يا سدير وكم عسى ان يكونوا ؟ قال : مائة الف ، فقال الامام مستغربا : مائة الف ، قال : نعم ومائتي الف ، فقال له ، كما في بعض الروايات : لو كان عندي عدد اصحاب النبي (ص) في بدر لنهضت ولما بايع الهاشميون محمد بن عبد الله بن الحسن قال لهم الامام ابو عبد الله الصادق (ع) : لا تفعلوا فان الامر لم يأت بعد وضرب بيده على ظهر ابي العباس السفاح ، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال : والله انها ما هي لك ولا الى ابنيك ولكنها لهم وان ولديك لمقتولان ، ثم نهض الصادق وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري وقال : ارأيت صاحب الرداء الاصفر (يعني المنصور الدوانيقي) قال الزهري : نعم يا ابن رسول الله قال انه سيقتله ، قلت : ايقتل محمدا ؟ قال : نعم ، فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة ثم قال عبد العزيز : فوالله ما خرجت من الدنيا حتى رأيت المنصور قتلهما .

وجاء في رواية ثانية تصف مجلسا ضم الامام وعبد الله بن الحسن والسفاح والمنصور جاء فيها ان الامام الصادق قال لعبد الله : ان هذا الامر والله ليس اليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا ولهذا وأشار الى السفاح والمنصور ثم لولده من بعده لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، ومضى يقول كما يدعي الراوي : وان هذا وأشار الى المنصور يقتله على احجار الزيت ثم يقتل اخاه بعده ، وقام الامام مغضبا يجر رداءه فتبعه المنصور وقال : اتدري ما قلت يا ابا عبد الله ؟ قال اي والله ادريه وانه لكائن [1] .

ومجمل القول ان الامام الصادق (ع) قد انصرف عن الخلافة والسياسة ولم يشترك بما رافق انهيار حكم الامويين من تلك الاحداث

---

١ ــ احجار الزيت مكان خارج المدينة قتل فيه محمد بن عبد الله ابن الحسن سنة ١٤٥ .

التي لم تسلم منها بقعة من بقاع الدولة الاسلامية في شرق الارض وغربها ، في حين ان الفئات المتصارعة التي برزت على المسرح سياسيا وعسكريا يوم ذاك كانت تتمنى كل فئة منها ان ينحاز لجانبها لتتستر به في سبيل اهدافها ومصالحها ، ولكنه آثر اعتزال تلك الاجواء المشحونة بالاحداث مغتنما فرصة انصراف الحاكمين والطامعين الى معالجة مشاكلهم التي الهت البيتين الاموي والعباسي عنه وعن عامة العلويين الذين كانوا يتعرضون بين الحين والآخر للتنكيل والمطاردة وشتى صنوف التعذيب ، آثر اعتزال كل ذلك الى ما يعْنيه من امر الاسلام وشريعة الاسلام ، واستطاع ان يحقق خلال سنوات معدودات من المكاسب لخير الاسلام وشريعة الاسلام ما لم يتهيأ لغيره ان يحققه فيما مضى وما سيأتي من بعده .

وسواء صح ما رواه الرواة من انه كان يعلم بما ستتمخض عنه تلك الانتفاضات او لم يصح فان اعتزاله يدل على بعد نظره ورؤيته الصادقة لما وراء تلك الاحداث من النتائج التي كان صلحاء المسلمين وحتى عامتهم يرجون خلافها .

لقد اتجه بكل امكانياته الى الدعوة للدين ونشر تعاليمه وأحكامه والعمل بها ولم يترك بابا من ابواب العلم الا ولج منه اليه وناظر الزنادقة والملحدين والمنحرفين في تفكيرهم واتجاهاتهم عن اصول الاسلام وكانت له مع هؤلاء وهؤلاء جولات موفقة ناجحة اعادت الكثير منهم الى مواقع الحق والصواب ، وظلت دروسه في مختلف المواضيع غنية بالعطاء لكل من جاء بعده ، ومرجعا للمفكرين والعلماء في كل ما يتعسر عليهم حله .

لمحات مما قيل فيه

لقد اجمع واصفوه بأنه لقب بالصادق لانه عـرف بصدق الحديث والقول والعمل حتى اصبح حديث الناس في عصره ، وقال فيه ابـن الحجاج :

يـا سيدا اروي احاديثـــه روايـــة المستبصر الحـاذق
كأننـي اروي حديث النبـي محمـــد عن جعفر الصادق

واتصف مع ذلك بنبل المقصد وسمـــو الغاية والتجرد في طلب الحقيقة من كل هوى او غرض من اغراض الدنيا ، لقـــد كان يطلب الحق للحق لا يبتغي عنه بديلا ولا تلتبس عليه الامور ، اذا ورد عليه امر فيه شبهة نفذت بصيرته الى حقيقته وأزال عنه غواشي الشبهات ، وكان النبي (ص) قد عناه بقوله : ان الله يحب ذا البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب ذا العقل الكامل عند حلول الشهوات .

وقال فيه مالك بن انس احد ائمة المذاهب : لقد كنت آتي جعفر بن محمد فكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده النبي (ص) تغير لونه وقـــد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على احدى ثلاث خصال اما مصليا واما صائما واما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث عن رسول الله الا وهو

على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله تعالى .

ومضى يقول : ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا وقال فيه ابو حنيفة : ما رأيت افقه من جعفر بن محمد ، لقد قال لي المنصور : ان الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيىء له من المسائل الشداد واسأله عنها ، فهيأت له اربعين مسألة وكان المنصور في الحيرة قد اعد مجلسا حشد فيه الوجوه والاعيان وبعث الي فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة له ما لم يدخلني من المنصور فسلمت عليه وجلست ، فقال لي المنصور: يا ابا حنيفة ألقِ على ابي عبد الله مسائلك فجعلت القي عليه مسألة مسألة وهو يقول في جوابها : انتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما خالفنا وربما خالفهم وأحيانا يوافقنا او يوافقهم حتى أتيت على الاربعين مسألة ما اخل منها بمسألة واحدة ، وكان نتيجة المناظرة ان قال ابو حنيفة في ذلك الحشد وبحضور المنصور الذي كان يترقب لابي عبد الله الصادق (ع) ولو وقفة قصيرة عند بعض المسائل، كانت النتيجة ان قال ابو حنيفة : اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس ، فأحس المنصور بالخيبة وتبددت آماله التي كان يرجوها من وراء هذه المناظرة ، لقد كان يرجو او يتمنى ان يتوقف الامام الصادق (ع) ولو في مسألة من المسائل الاربعين التي اعدها له ابو حنيفة من بين المسائل الصعاب .

لقد كان المنصور يتمنى ذلك ليظهر للناس ان جعفر بن محمد كغيره من الفقهاء لا كما يراه شيعته وأصحابه وأكثر الناس فوق مستوى الجميع ، فاستطاع الامام عليه السلام ان يفرض نفسه على ابي حنيفة والمنصور وعلى الناس اجمعين .

وكان ابو حنيفة قد تلمذ على الامام الصادق نحـــوا من سنتين متصلتين حينما فر من حبس ابن ابي هبيرة والتجأ الى الحجاز فأقام بها الى ان ظهر ابو العباس السفاح وبهذه المناسبة كان ابو حنيفة يقول : لولا السنتان لهلك النعمان ، والتقى به اكثر من مرة خلال سفراتـــه الى الحجاز .

وقال فيه ابن ابي العوجا عندما قصد الامام الصادق ليناظره وقد قال له الامام : ما يمنعك من الكلام ، فقال له : اجلالا لك ومهابة منك ولا ينطق لساني بين يديك واني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني من هيبة احد منهم مثلما تداخلني من هيبتك يا ابن رسول الله.

وكان المنصور مع انه من اثقل الناس عليه يقول : ان جعفر بـــن محمد من السابقين بالخيرات ومن الذين اصطفاهم الله مـــن عباده وأورثهم الكتاب ، ويردد في مجالسه التي تضم خواص اصحابه : اعلموا انه ليس من اهل البيت نبوة الا وفيهم محدّث وان جعفر بن محمـد محدّثنا اليوم .

ويدعي الرواة ان المنصور الدوانيقي قد قال هذه الكلمة في الامام الصادق (ع) على اثر اكتشاف الامام الصادق لمؤامرة كان المنصور قد وضعها ليتخذ منها مبررا للفتك به وببعض العلويين الذين كان يخشاهم على عرشه .

وجاء فيما رواه الرواة حولها ان المنصور قال لمحمد بن الاشعث : يا محمد ابغ لي رجلا له عقل يؤدي عني ، فقال له محمد اني اصبته لك هذا ابن المهاجر خالي ، قال : فأتني به ، فلما اتاه قال له ابو جعفـــر المنصور : يا ابن المهاجر خذ هذا المال وأت المدينة واقصد عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد وعين جماعة من العلويين غيرهما وامـره ان يدفع اليهم المال ويقول لهم بأنه من شيعتهم في خراسان فاذا قبضـــوا المال فقل اني رسول وأحب ان يكون معي خطوطكم بقبضكم مـــا

قبضتم ، فأخذ المال وذهب الى المدينة ثم رجع الى ابي جعفر المنصور فقال له : ما وراءك ؟ قال : اتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم خلا جعفر بن محمد فاني اتيته وهو يصلي في مسجد النبي (ص) فجلست خلفه وقلت ينصرف فاذكر له ما ذكرت لاصحابه فتعجل وانصرف فتبعته التفت الي وقال : يا هذا اتق الله ولا تغر اهل بيت محمد فانهم ربيو العهد من دولة بني مروان وكلهم محتاج ، قلت له : وما ذاك اصلحك الله ؟ فأدنى رأسه مني وأخبرني بكل ما جرى بيني وبينك ، فقال المنصور : يا ابن المهاجر اعلم انه ليس من اهل بيت نبوة الا وفيهم محدّث وان جعفر بن محمد محدثنا اليوم .

ومع ان الامام الصادق كان من اثقل خلق الله على المنصور وكان يخشاه على ملكه اكثر من اي انسان آخر لانه اينما ذهب وحيثما حل يجد الناس على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم يتحدثون عن جعفر بن محمد ، ومع ذلك فكان من حيث لا يريد ولا يحب يجد نفسه مضطرا لان يصرح بما يعتقده فيه ، فقد قال له في بعض المناسبات : لا نزال من بحرك نغترف واليك نزدلف تنبصر من العمى ونجلو بنورك الطخيا ، فنحن يا ابا عبد الله نعوم في سحاب قدسك وطامي بحرك . وقال مرة لحاجبه الربيع : ان هؤلاء بني فاطمة لا يجهل حقهم الا جاهل لا حظ له في الشريعة .

وقال نوح بن دراج : قلت لعبد الرحمن بن ابي ليلى اكنت تاركا قولا قلته وقضاء قضيته لقول احد ؟ قال لا الا لرجل واحد ، قلت : من هو ؟ قال : جعفر بن محمد الصادق .

ودخل عليه عمر بن عبيد وطلب منه ان يعدد له الكبائر وقال له : احب ان اعرفها من كتاب الله او سنّة رسوله ، قال له ذلك بعد ان كان الصراع قد بلغ اقصى حدوده بين المعتزلة والخوارج والمرجئة في مصير مرتكب الكبيرة فالخوارج كانوا يصفونه بالكفر بينما يقول المعتزلة انه

في منزلة بين المنزلتين ، والمرجئة يصفونه بالايمان ويدعون بأن المعصية مهما بلغ شأنها لا تسلبه صفة الايمان .

فأجابه الامام (ع) الى طلبه وعد منها عقوق الوالدين لان العاق لوالديه جبار شقي ، والله سبحانه يقول :

وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا .

وقذف المحصنات ، لان الله يقول :

ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم .

والفرار من الزحف لان الله يقول :

ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

وقتل النفس لان الله يقول :

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما .

ونقض العهد وقطيعة الرحم ، لان الله يقول :

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون .

ومضى الامام (ع) في تعداد الكبائر مع بيان ادلتها من الكتاب والسنّة حتى اتى على آخرها وعمرو بن عبيد يستمع لبيانه بشوق ولهفة ، فلما انتهى الامام (ع) قال عمرو بن عبيد : هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم .

وسأل رجل ابا حنيفة عن رجل وقف ماله للامام فأي امام يستحق ذلك ؟ فقال : المستحق جعفر بن محمد الصادق لانه هو امام الحق .

وقال فيه عبد الله بن المبارك :

انت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء
انما الاشراف ارض ولهم انت سماء
جاز حد المدح من قد ولدته الانبياء

وجاء في مناقب ابن شهراشوب ان زيد بن علي (ع) كان يقول : في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : كان ابو عبد الله الصادق ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ما تعرض لخلافة قط ولا نازع فيها احدا ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمح في سخط ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ومن انس بالله استوحش من الناس وبرىء من الرجعة والبداء والتناسخ والغلو والتشبيه .

الى غير ذلك مما قيل فيه ومن اراد ان يستقصي جميع ما قيل فيه من عاصره وتأخر عن عصره يخرج بكتاب مستقل في هذا الموضوع لذات .

جامعة أهل البيت

لقد عاش الامام الصادق مع ابيه الباقر (ع) مؤسس جامعة اهل البيت نحوا من خمس وثلاثين عاما ادرك منها في مطلع شبابه بوادر الانحلال الذي كان يهدد دولة الامويين بالانهيار ، وفي تلك الفترة وما تلاها من الفترات رافق تلك الحلقات العلمية التي كانت في مسجد المدينة وخارجه باشراف ابيه الباقر (ع) وتتألف كما تؤكد المصادر الموثوقة من مئات الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الاسلامية . وهو الى جانب ابيه يلقنه من علوم الدين وأسرار الكون وغير ذلك مما ورثه عن آبائه عن النبي (ص) .

وظل الى جانب ابيه الباقر الى آخر نفس من حياته ومدرسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية توالي نشاطها في مختلف المواضيع فيما يخدم مصلحة الاسلام الى ان وافته المنية سنة ١١٤ هجرية فاستقل الصادق بالزعامة الدينية والمسلمون يتطلعون اليه من كل الجهات ، هذا والدولة الاموية تسير بخطا سريعة الى الفناء ، والانتفاضات الشعبية هنا وهناك تحقق الانتصار تلو الانتصار .

في هذا الظرف بالذات كانت امامة الصادق وزعامته الدينية بين عهد

الامويين وهم في دور الاحتضار ، وعهد العباسيين والدنيا تبتسم لهم وتضمهم اليها ، وكلاهما في أمس الحاجة الى سكوته ورضاه فالحزب الحاكم الذي اصبح على ابواب الانهيار قد احس بنتيجة ما سلف منه مع اهل البيت لان اكثر الثائرين كانوا يرددون مأساة كربلاء واضطهاد اهل البيت وشيعتهم ، وما جرى لزيد بن علي وولده يحي بن زيد وغير ذلك من الجرائم التي استغلها الثائرون، واستطاعوا ان يكيفوا الجماهير بواسطتها لصالحهم كما يريدون ويستنفروها للثورة على اولئك الحكام الذين اذاقوا المسلمين الوانا وألوانا من العسف والجور والتنكيل بالابرياء والصلحاء .

وحتى ان الذين كانوا يقودون الثورة ضد الامويين كانوا يتسترون بأمجاد العلويين وآثارهم ويندون بأخصامهم وبما اقترفوه معهم خلال حكمهم الذي استمر قرابة ثمانين عاما او تزيد ما ذاق فيه اهل البيت حلاوة العيش ابدا ، فكان من الطبيعي والحال هذه ان يوفروا للامام الصادق (ع) في تلك الفترة كل اسباب الهدوء والاستقرار ، وان يتابع هو مسيرة ابيه الباقر (ع) من حيث انتهى لاسيما وان طلاب العلم والمحدثين والذين يريدون ان يناظروا في العقائد ويحملوا الافكار التي تتعارض مع اصول الاسلام قد انتشروا في مختلف المناطق وأصبحوا يتوافدون الى المدينة من كل الجهات حتى اجتمع عنده قرابة اربعة آلاف طالب عدا اولئك الذين كانوا يقصدونه للمناظرة في مختلف المواضيع.

ولعل من جملة الاسباب التي تكمن وراء ذلك التكتل حول الامامين الباقر والصادق (ع) هو ان الامويين وقفوا من آثار اهل البيت وفقههم موقفا بلغ اقصى حدود الشدة والصرامة ، وبلغ الحال ببعض الفقهاء اذا اضطر ان يسند الحديث الى مصدره ، فان كان عن علي (ع) يقول : قال ابو زينب ، فقد جاء في تاريخ حسن البصري لابي الفرج

ابن الجوزي انه كان اذا اراد ان يحدث عن علي (ع) يقول : قال ابو زينب ويتحاشى ان يذكره باسمه خوفا من الامويين وأعوانهم ، ولما عرف لدى الخاصة انه يعنيه بهذه الكنية قال له ابان بن عياش : ما هذا الذي يقال عنك انك قلته في علي بن ابي طالب ، قال يا ابن اخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة لولا ذلك لسالت بي اعشب .

وبعضهم كان يقول : قال الشيخ ويعني بذلك عليا (ع) ولا يجرؤ على ذكره باسمه .

وجاء عن ابي حنيفة انه قال عندما سأله احد الامويين عن مسألة فقهية جاء عنه انه قال : فاسترجعت في نفسي لاني اقول فيها برأي علي (ع) وأدين الله به فكيف اصنع ، ثم عزمت ان اصدقه وافتيه بالدين الذي ادين الله به ، ومضى يقول : ان بني امية كانوا لا يفتون بقول علي (ع) ولا يأخذون به وكان علي لا يذكر باسمه بين الفقهاء والعلامة بين المشايخ ان يقولوا قال الشيخ كما جاء ذلك في المجلد الاول من مناقب ابي حنيفة .

وقال الشعبي كما في عيون الاخبار لابن قتيبة : ماذا لقينا من آل ابي طالب ان احببناهم قتلنا وان أبغضناهم دخلنا النار .

وبلغ من حرص الامويين على طمس آثار اهل البيت وفقههم ان رفعوا من شأن بعض الفقهاء وتركوا لهم امر الافتاء وبيان الاحكام كسليمان بن موسى الإشدق المتوفى سنة ١١٩ وعبد الله بن ذكوان المتوفى سنة ١٣٠ احد مواليهم وراوي احاديث ابي هريرة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسليمان بن يسار الذي كان ملازما لقصورهم وقد فرضوه على المدينة ومكحول مولى بني هذيل وأبي حازم سلمة بن دينار الاعرج مولى بني مخزوم ، وسليمان بن طرخان ، واسماعيل بن خالد البجلي وعكرمة مولى ابن عباس وابن شهاب الزهري وغير هؤلاء من علماء الموالي الذين قربوهم وفتحوا لهم صدورهم وخزائنهم ولم

يسمحوا لاحد ان يحدث عن اهل البيت او يسند لعلي ولغيره من ولده رأيا في الفقه او في غيره من المواضيع الاسلامية ، مما سبب ضيقا واحراجا لكثير من الفقهاء الذين كانوا لا يرون لفقه علي وأبنائه بديلا .

ولعل بعض من عرفوا بفقهاء الرأي كانوا يفتون برأيه وينسبون الفتوى لانفسهم بدون ان يذكروا لها سندا من مرويات الصحابة او آرائهم ، ولا يجرأون على اسنادها لعلي (ع) خوفا من سياط الامويين وسيوفهم المسلولة على الرقاب فعدوهم لذلك من فقهاء الرأي . ولما اتيح للامامين الباقر والصادق (ع) ان يحدثا عنه وعن الرسول (ع) وينشرا فقهه وآثار الاسلام توافد العلماء وطلاب العلم عليهما في مدينة الرسول (ص) من كل جانب ومكان لاسيما وقد شهد عصرهما نهضة علمية شملت جميع اطراف الدولة وصراعا عقائديا كانت ورائه ايد خفية تحاول تشويه اصول الاسلام وتحريفها بما يسيء الى الاسلام ولا يخدم الا اعداءه ، وكان الرابح الاكبر من ذلك الصراع الذي فرق المسلمين الى شيع وأحزاب اولئك الحكام الذين يهمهم ان ينصرف المسلمون عن ظلمهم وجورهم وطغيانهم الى هذا اللون من الصراع مهما كانت النتائج.

ومهما كان الحال فلقد تتابعت الوفود من جميع المدن والقرى على جامعة اهل البيت ونشطت الحركة العلمية في عهد الامام الصادق (ع) الى ابعد الحدود بعد ان زالت الحواجز التي كانت تحول بين الناس وبينهم ، وبلغ عدد المنتمين اليها اربعة آلاف كما احصاهم ابو العباس احمد بن عقدة المتوفى سنة ٢٣٠ في كتاب مستقل ، وأيده الشيخ نجم الدين في المعتبر ، وأدرك منهم الحسن بن علي الوشا وكان من اصحاب الرضا تسعمائة شيخ كانوا يجتمعون في مسجد الكوفة يحدثون عن جعفر بن محمد ويتدارسون فقهه وذلك بعد اكثر من عشرين عاما مضت على وفاة الامام الصادق . واذا صح ان الحسن بن علي الوشا

قد ادرك منهم بعد عشرين عاما او تزيد في مسجد الكوفة وحده هـذا المقدار فليس بغريب اذا اجتمع عنده من سائر البلاد والاقطار اربعـة آلاف طالب وأكثر من ذلك .

وقال المحقق في المعتبر : ان الذين برزوا من تلامذته ألفوا مـن احاديثه وأجوبة مسائله اربعمائة كتاب عرفت بعد عصره بالاصول ، وقد اعتمدها المحمدون الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي فـي كتبهم الاربعة الكافي ومن لا يحضره الفقيه والوافي والاستبصار .

كما تنص المؤلفات الشيعية في احوال الرجال ان اصحاب الامامين الباقر والصادق (ع) قد الفوا في مختلف المواضيع اكثر من اربعة آلاف كتاب ، ولو افترضنا ان هذا العدد مبالغ فيه وليس ذلك ببعيد ، فمما لا شك فيه بأنهم تركوا بالاضافة الى الاصول الاربعمائة مئات الكتب في الحديث والفقه وغيرهما من المواضيع الاسلامية كما يرشد الى ذلك تأكيد الامام الصادق (ع) بكتابة ما كان يلقيه عليهم خوفا من النسيان والزيادة والنقصان ، لاسيما وان التدوين والتأليـف قد بلغا اقصى حدودهما فيذلك العصر الذيكان فيهالعلماء والمعنيون باحصاء الحوادث والآثار يتسابقون الى التأليف والتدوين ، وظهرت فيه عشرات المؤلفات لغيرهم في الحديث والسير والتاريخ والتفسير وغير ذلك من المواضيع الاسلامية وغيرها . اما اين ذهبت تلك المؤلفات الشيعية فالتاريخ قـد اهمل مصيرها كما اهمله المؤلفون في احوال الرجال وآثارهم ، وبـلا شك فلقد بقي الكثير منها الى القرنين الرابع والخامس واعتمد عليهـا اصحاب الكتب الاربعة في مجاميعهم كما ذكرنا ، وقد اتلف اكثرهـا السلاجقة والتتر والايوبيون وغيرهم من الغزاة في جملة ما اتلفوه من مكتبة الوزير سابور ومكتبة الطوسي في بغداد ومكتبة القصر الفاطمي في القاهرة ، هذا بالاضافة الى ما تلف من مكتبة محمد بن عمير التي دفنها في التراب خوفا من الرشيد ، وكان قد حبسه الرشيد وصـادر

جميع امواله ، ولما خرج من سجنه وجدها بالية وكانت تشتمل على مئات الكتب لاصحاب الامامين الصادق والباقر (ع) .

ويظهر من سرائر محمد بن ادريس العجلي المتأخر عن الشيخ الطوسي انه كان يحتفظ ببعض تلك المؤلفات وانه في السرائر اخذ منها بلا واسطة حيث قال : فمن ذلك ما اورده موسى بن بكير الواسطي في كتابه عن حمران بن اعين الشيباني ، وبعد ان اورد جملة من الكتاب المذكور قال : ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب معاوية بن عمار وقد اخذ منه بعض الاحاديث في احكام الحج والصلاة ، ثم قال : ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب احمد بن محمد ابي نصر البزنطي ، كما اخذ من كتاب لأبان بن تغلب ، ومن كتاب لجميل بن دراج ، وللسياري وللبزنطي ولحريز بن عبد الله السجستاني وللحسن بن محبوب السراد، ولعبد الله بن بكير وغيرهم وعبارته تكاد تكون صريحة في انه اخذ من تلك الكتب مباشرة .

ويظهر من الشهيد في الذكرى والكفعمي في مصباحه ان بعض تلك المؤلفات التي تركها اصحاب الائمة (ع) كانت عندهما كما نص على ذلك الحر العاملي في الفائدة السادسة التي الحقها في المجلد الثالث من الوسائل الطبعة القديمة .

ومهما كان الحال فلست بصدد تحقيق هذه الامور ولا استقصاء جميع ما قيل فيها وفي جامعة اهل البيت والعدد الذي كان ينتمي اليها وما انتجته في مختلف الميادين ، فان استقصاء ذلك كله لا يكفيه مجلد واحد .

الامام الصادق والغلاة

لعل من ابرز المشاكل التي واجهت جامعة اهل البيت مشكلة اولئك المندسين بين اصحابه بقصد التشويه والتخريب فوضعوا عشرات الالوف من الاحاديث بين الاحاديث التي رواها الثقات عنه ونسبوا اليه بعض الآراء التي لا تتفق مع اصول الاسلام ومبادئه وبالتالي اظهروا الغلو فيه وجعلوه فوق مستوى البشر وأعطوه جميع صفات الآلهة وأضافوا الى ذلك انهم وكلاؤه ورسله الى الناس ، وأكثر هؤلاء كانوا من الموالي والعناصر التي دخلت في الاسلام بقصد التخريب والتضليل وبعضهم كان ينفذ رغبات الحكام الذين اقلقهم وجود الامام الصادق واتساع صيته وزعامته الدينية التي اكتسحت جميع الزعامات ، ولعل من اولئك وهب بن وهب المعروف بأبي البختري الذي فتح الحكام له صدورهم وولوه القضاء لانه كان يكذب على الامام الصادق (ع) ويضع الاحاديث تلبية لرغباتهم ، وقد وقف الامام (ع) امام تلك المشكلة موقفا حاسما تلافيا لاخطارها فأعلن للملأ الاسلامي براءته من تلك الفئات المنحرفة وانحرافها عن الدين والاسلام ، فقال على ملأ من اصحابه :

والله ما الناصب لنا حربا بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره وبما لم نقله في انفسنا .

وقال في مناسبة ثانية : ان الناس قد اولعوا بالكذب علينا ، واني احدث احدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه وذلك انهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله ، وانما يطلبون الدنيا وكل يحب ان يكون رأسا .

وقال له بعض اصحابه : يا ابن رسول الله قد بلغنا عنك انك قلت: اذا عرفتم فاعملوا ما شئتم ، فقال (ع) : اني قلت اذا عرفتم فاعملوا من الطاعات ما شئتم فانه يقبل منكم .

وكان يقول : انا اهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من اهل ديننا فاذا رفعه ونظر الناس اليه امره الشيطان فيكذب علينا .

وقد اوصى اصحابه بأن لا يقبلوا كل ما يرويه الرواة عنهم ووضع لهم قاعدة يرجعون اليها ليتأكدوا من صحة ما ينسب اليهم ، فقال : لا تقبلوا علينا الا ما وافق القرآن والسنّة ، او ما تجدون عليه شاهدا من احاديثنا المتقدمة .

وقال لابي بصير : يا ابا محمد ابرأ ممن يرى اننا ارباب ، ومن زعم اننا انبياء ، فقال ابو بصير : برئت الى الله منهم ، ثم قال الامام (ع) : من قال اننا انبياء فعليه لعنة الله .

وقد اشتهر من بين اولئك المخربين والمأجورين جماعة لم يقتصر خطرهم على احاديث اهل البيت وآثارهم بل حملوا الى جانب الكذب في الحديث ومحاولة افساده افكار تتنافى مع الاسلام وتشكل خطرا على التشيع لاهل البيت (ع) ومبادئه ولولا مواقف الامام الصادق لأدت الى محق التشيع من اساسه .

لقد وقف لهم الامام الصادق (ع) بالمرصاد وأعلن كفرهم والبراءة

منهم وظل يلاحقهم ويفند مزاعمهم ويحذر المسلمين منهم ومن دسائسهم حتى قضى على افكارهم ومزاعمهم تقريبا وأظهر للناس واقعها قبل ان ترى النور وتتسرب الى العقول ، ومع ذلك فالمؤلفون القدامى والمحدثون قد عدوهم من الفرق الاسلامية على حساب الشيعة بالرغم من تصريحات ائمة الشيعة وعلماء الشيعة منذ اقدم العصور بكفرهم وخروجهم عن الاسلام فضلا عن التشيع ، بالرغم من ان افكارهم لم يتبنّها غير المشعوذين والحاقدين والمشوشين على الاسلام والتشيع . ومن هؤلاء محمد بن مقلاص المعروف بأبي الخطاب الاسدي ، وكان من الموالي كما نص على ذلك المؤلفون في المذاهب والفرق ، وسماه الشهرستاني محمد بن زينب الاسدي الاجدع ، والمقريزي كناه بأبي ثور ، وقيل في اسمه وكنيته غير ذلك ونسبت اليه بعض الآراء الفاسدة بعد ان ظهر في الكوفة وأظهر التشيع واتصل بأصحاب الصادق ورواة احاديثه كنسبة الالوهية للامام الصادق وأنه نبي مرسل من قبله ونحو ذلك كما يدعي المؤلفون في المذاهب والفرق الشيعية كالنوبختي ومن تأخر عنه ، ولما بلغت مقالته الامام(ع) وقف موقفا حازما وحذر المسلمين منه .وقال عيسى بن منصور : سمعت ابا عبد الله الصادق يقول : اللهم العن ابا الخطاب فانه خوفني قائما وقاعدا وعلى فراشي اللهم اذقه حر الحديد .

وجاء في رواية عنبسة بن مصعب ان الامام الصادق قال له : اي شيء سمعت من ابي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول انك وضعت يدك على صدره وقلت له : عه ولا تنس وأنت تعلم الغيب وانك قلت : هو عيبة علمنا وموضع سرنا امين على احيائنا وأمواتنا ، فقام الامام الصادق وقال : لا والله ما مس شيء من جسدي جسده الا يده ، وأما قوله اني اعلم الغيب ، فوالله الذي لا إله الا هو ما اعلم الغيب ، ولا آجرني

الله في امواتي ولا بارك لي في احيائي ان كنت قلت له ذلك .

وقال المفضل بن يزيد قال لي ابو عبد الله الصادق (ع) وقد ذكر اصحاب ابي الخطاب والغلاة : يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم .

وجاء في رواية سدير الصيرفي انه قال : قلت لابي عبد الله ان قوما يزعمون انكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآنا ، يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ، قال (ع) : يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء برىء الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي والله لا يجمعني واياهم يوم الا وهو عليهم ساخط الى غير ذلك مما جاء عن الامام الصادق فيه ، ويدعي المؤلفون في الفرق انه فشل في نشر دعوته بعد الموقف الذي وقفه منها الامام ابو عبد الله الصادق (ع) وأخيرا خرج بمن معه من المشعوذين والمضللين على السلطة الحاكمة في الكوفة فأرسل اليه عيسى ابن موسى جماعة فقتلوه مع اصحابه ثم صلبهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

ومنهم بزيع بن موسى الحائك واليه تنسب الفرقة البزيعية كما يدعي المؤلفون في الفرق الاسلامية ، وكان من دعاة الالحاد والزندقة وقد ادعى النبوة وانه صعد الى السماء ومسح الله على رأسه وان الحكمة تنبت في صدره وادعى بعض انصاره انه الامام بعد ابي الخطاب الى غير ذلك مما نسب اليه ، وعدهم بعض المؤلفين في الفرق من فروع الخطابية وكلهم يجتمعون على تأليه الامام جعفر الصادق (ع) وان كنت اشك في كثير مما نسب اليهم ، وفي الوقت ذاته لا اشك في انحرافهم بعد ان لعنهم الامام الصادق وتبرأ منهم ، وقال كما روى الرواة عنه : لعن الله بزيعا والسري وبشار الاشعري وحمزة الزيدي وحائد النهدي. وقال : ان بنانا والسري وبزيعا لعنهم الله لقد تراءى لهم الشيطان وانا لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، او عاجز الرأي ، كفانا مؤونة كل

كذاب وأذاقهم حر الحديد ، وقد ارسل الامام (ع) برسائل الى عدد من الاقطار يحذرهم فيها من دسائسهم وأساليبهم التي استعملوها لتضليل الناس .

ومنهم بشار الشعيري وكان قد استوطن الكوفة وأظهر الغلو في علي (ع) وقال بالتناسخ والتعطيل واختار الكوفة لدعوته لكثرة من بها من الشيعة ، ولكن الصادق كان له بالمرصاد .

وجاء في رواية مرازم بن حكيم الازدي المدائني ان الامام الصادق (ع) قال له : يا مرازم ان اليهود قالوا ووحدوا الله ، وان النصارى قالوا ووحدوا الله ، وان بشارا قال قولا عظيما فاذا قدمت الكوفة فأته وقل له يقول لك جعفر بن محمد : يا فاسق يا كافر يا مشرك انا بريء منك ، قال مرازم : فلما قدمت الكوفة ووضعت متاعي جئت اليه ودعوت الجارية وقلت لها قولي لابي اسماعيل هذا مرازم فخرج الي وبلغته رسالة الامام (ع) فقال: وقد ذكرني سيدي ؟ قلت : نعم ذكرك بهذا الذي قلت لك ، فقال : جزاك الله خيرا وجعل يدعو لي ويشكرني على هذه الرسالة .

وقال اسحاق بن عمار : قال ابو عبد الله الصادق (ع) لبشار الشعيري : اخرج عني لعنك الله لا والله لا يظلني واياك سقف ابدا ، فلما خرج قال ابو عبد الله : ويله ألا قال بما قالت اليهود ، الا قال بما قالت النصارى ، الا قال بما قالت المجوس او بما قالت الصائبة ، والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر احد من الناس ، انه شيطان وابن شيطان خرج من البحر ليغوي اصحابي فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب ، فاني عبد الله وابن عبد الله ضمنتني الاصلاب والارحام واني لميت ومبعوث ثم مسؤول ، والله لأسألن عما قال في هذا الكذاب وادعاه ، ماله غمه الله فلقد افزعني وأقلقني عن رقادي .

وقد وقف الامام الصادق (ع) من السري وحمزة الزيدي وحائد

النهدي والمغيرة بن سعيد نفس الموقف الذي وقفه من الخطابية وبزيع الحائك وبشار الشعيري وحذر المسلمين منهم ومن دسائسهم ومقالاتهم ولعنهم في مجالسه العامة والخاصة وبما ان هؤلاء قد اتخذوا الكوفة مقرا لهم فكانت رسل الامام الصادق ورسائله تتوالى على اهلهـــا بين الحين والآخر يحذرهم فيها من الوقوع في شباكهم ويتبرأ منهم ومن اقوالهم لكل من يأتيه من اهل الكوفة وجوارها .

ولعل المغيرة بن سعيد كان اقدرهم على الدجل والتضليل والشعبذة، فقد جاء في مقالات الاسلاميين للاشعري انه كان يزعم بأن عنده الاسم الاعظم يحيي به الموتى ويصنع المخاريق عن طريق السحر والشعبذة بين عوام الناس وبسطائهم .

وقال الطبري في تاريخه : انه كان يخرج الى المقبرة فيتكلم ويرى مثل الجراد على المقبرة ، وكان مع ذلك يكثر من الكذب على الامامين الباقر والصادق .

وجاء في رواية محمد بن عيسى بن عبيد ان بعض اصحابنـــا سأل يونس بن عبد الرحمن وانا حاضر وقال له : يا ابا محمد ما اشدك في الحديث وأشد افكارك لما يرويه اصحابنا فما الذي يحملـــك على رد الاحاديث ؟ فقال يونس : حدثني هشام بن الحكم انه سمع ابا عبد الله الصادق يقول : لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القرآن والسنـــة وتجدون معه شاهدا من احاديثنا المتقدمة ، فان المغيرة بن سعيد دس في كتب اصحاب ابي احاديث لم يحدث بها ، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا ، وفي رواية ثانية قال الامام الصادق : ان اصحاب المغيرة المتسترين بأصحاب ابي كانوا يأخذون كتب اصحاب ابي ويدفعونها الى المغيرة فيدس فيها الكفر والزندقة والالحاد ويسندها الى ابي ، ثم يدفعها الى اصحابه ويأمرهم ان يبثوها في الشيعة فكل ما

كان في كتب ابي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم ومؤلفاتهم .

وقال الصادق (ع) في معرض حديثه عن المغيرة بن سعيد وأمثاله ممن وضعوا مئات الاحاديث ونسبوها اليه والى ابيه (ع) ووضعوها في مستوى الآلهة ، قال في معرض التحذير منهم : لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق ، ان المغيرة كذب على ابي فسلبه الله الايمان ، وان قوما كذبوا علي مالهم اذاقهم الله حر الحديد ، فوالله ما نحن الا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع ، ان رحمنا فبرحمته وان عذبنا فبذنوبنا ، فوالله مالنا على الله من حجة ولا معنا منه براءة وانا لميتون ومقبورون ومنشورون وموقوفون ومسؤولون ، مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسول الله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ، وها انذا بين اظهركم ابيت على فراشي خائفا وجلا ، ومضى يقول : اني امرؤ ولدني رسول الله ، وما معي براءة من الله ان اطعته رحمني ، وان عصيته عذبني عذابا شديدا .

وكان يدعي المغيرة بأنه يحيي الموتى كما يزعم المؤلفون في الفرق والمذاهب الاسلامية ، وجاء في رواية ابي بكر بن عياش ان خالد بن عبد الله القسري لما قبض عليه وعلى أتباعه قتل منهم رجلا وقال للمغيرة: أحيه ان كنت صادقا فيما تدعي ، فقال : اني لا احيي الموتى ، ثم قتله وأحرقه بالنار .

وجاء في رجال الكشي ان ابا منصور العجلي كان من المشعوذين ودعاة الالحاد والزندقة وقد سكن الكوفة وجعل يبث فيها دعوته ويتظاهر بالولاء لاهل البيت واتخذ من ذلك وسيلة لنجاحها ولما بلغ الامام الباقر (ع) خبره تبرأ منه ولعنه وأرسل اصحابه في الكوفة يحذرهم منه وممن هو على شاكلته واستمر ابو منصور في محاولاته

الهادفة الى الكفر والالحاد الى عهد الامام الصادق (ع) فأعلن للناس براءته منه وأمرهم بالابتعاد عنه ولعنه على ملأ من اهل الكوفة وسماه رسول ابليس ، وأخيرا قتله يوسف بن عمر وصلبه ليكون عبرة لغيره، وانتهى بقتله دور اولئك المشعوذين من دعاة الكفر والتفرقة واستطاع الامام الصادق (ع) بما بذله من جهد لاحباط محاولاتهم وفشل اساليبهم ان يخنق دعوتهم في مهدها قبل ان يستفحل خطرها ويتركهم حديثا سيئا للاجيال يصبون عليهم اللعنات الى يوم الدين .

وقد اخطأ خطأ لا مبرر له كل من ادعى ان دعوتهم تركت اثرا في صفوف الشيعة ودان بها جماعة منهم وأصبح لكل واحد منهم أتباع يشكلون فرقة بذاتها كما يذهب الى ذلك النوبختي والشهرستاني ومن اخذ عنهما من المتأخرين وبخاصة اولئك الذين استغلوها لتشويه تعاليم اهل البيت .

وقبل ان اختم حديثي عن هؤلاء المشعوذين الذين ارادوا ان يعترضوا الدعوة التي قام بها الامامان الباقر والصادق (ع) بوضع تلك المبادىء الهدامة في طريقها لا بد لي من التنبيه على ما وقع فيه محمد جابر عبد العال من الخطأ في كتابه حركات الشيعة المتطرفين حيث عدّ هو وغيره من غلاة المتعصبين على اهل البيت هؤلاء المنحرفين من فرق الشيعة ، وأضاف الى ذلك محمد جابر في كتابه المذكور ان جابر الجعفي قد تزعم حركتهم وأنزله اصحاب المغيرة منزلة المغيرة نفسه على حد تعبيره ، في حين ان ائمة الشيعة وعلماء الشيعة في جميع مراحل تاريخهم لم يرد عنهم ما يشير الى ان جابر الجعفي قد شذ في رأيه بالائمة وجعلهم في صفوف الآلهة ويرون هؤلاء ومن يقول بمقالتهم اسوأ حالا من المشركين والجاحدين لجميع الانبياء ورسالاتهم وقد ذكرنا بعض ما جاء عن الامامين الباقر والصادق (ع) في هؤلاء وأمثالهم ، كما وان ما نسبه لجابر الجعفي لا نصيب له من الصحة ولا تؤيده المصادر

الموثوقة ، ولا ذنب لجابر الجعفي عند هؤلاء الا انه قد اشتهر بكثرة الرواية عن اهل البيت ، على ان محدثي السنّة لم يتفقوا على اداته ، فقد جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر ان ابن مهدي قال فيه : ما رأيت في الحديث أورع من جابر ، وقال فيه ابن علية عن شعبة : جابر صدوق في الحديث وقال فيه يحيى بن ابي بكير عن شعبة : اذا قال جابر حدثنا وسمعت فهو من اوثق الناس وقال فيه وكيع : مهما شككتم فلا تشكوا ان جابرا ثقة ، وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : قال سفيان الثوري لشعبة : لان تكلمت في جابر لاتكلمن فيك الى غير ذلك مما يشير الى انه لم يكن من اولئك المشعوذين والمضللين .

وقد ضعفه جماعة منهم واتهموه بالكذب والتخليط ، ومن ابرز اسباب التضعيف والتكذيب عند علماء السنّة ومحدثيهم التشيع لاهل البيت ورواية آثارهم وفضائلهم كما يبدو ذلك للمتتبع في كتبهم التي بحثوا فيها احوال الرواة ، ونحن اذ ندفع عنه تهمة المضي على طريق اولئك المشعوذين لا ندعي بأنه من الطبقة الاولى بين اصحاب الائمة ورواة احاديثهم وان مروياته لا تقبل الطعن والتجريح ، وفي الوقت ذاته تؤكد براءته مما الصقه به الاستاذ محمد جابر وغيره ، ونصر على ان اولئك المشعوذين الذين اندسوا بين اصحاب الامامين الباقر والصادق كالعجلي ، والسري ، والمغيرة بن سعيد ، وبشار الشعيري والخطابي وغيرهم ان صح ما نسب اليهم فهم اسوأ حالا من اليهود والنصارى وقد كفرهم الامام الصادق ولعنهم وتبرأ منهم وقضى على كل ما كانوا يخططون له من هدم وتخريب لاصول الاسلام ومبادئه ، وكل ما تركه هؤلاء هو انهم خلال وجودهم بين اصحاب الائمة وضعوا آلاف الاحاديث وأدخلوها بين المرويات عن الامامين الباقر والصادق، وأسندوا بعضها الى ثقات اصحابهما وتناقلها الرواة بدون تمحيص فاختلط الصحيح بغيره ، وقد وضع الائمة (ع) بعض الاصول والقواعد لتمييز الصحيح

من غيره وأمروا بالرجوع اليها تحاشيا من الاخذ بغير الصحيح كما ضاعف علماء الشيعة جهودهم في البحث والتدقيق في الرواية متنا وسندا وصنفوا الحديث الى الاصناف الاربعة للاحتفاظ بالواقع حسب الامكان .

ومجمل القول ان جامعة اهل البيت التي اسسها الامام الباقر واستقل بها ولده الصادق (ع) من بعده اكثر من ثلاثين عاما وقصدها العشرات من العلماء وطلاب العلم من كل مكان كان لها اطيب الاثر في تاريخ التشريع الاسلامي واليها يشير امام المذهب الحنفي بقوله : لولا السنتان لهلك النعمان ، كما انتمى اليها ولازمها الامام الثاني من ائمة المذاهب مالك بن انس لمدة من الزمن كما تؤكد ذلك المصادر التي تعرضت لتاريخه ، ولم يكن نشاطها مقصورا على دراسة الفقه الاسلامي وأدلة التشريع بعد ان انطلق الفكر الاسلامي الى ما وراء هذه المواضيع ودخل المسلمون مع غيرهم من الامم في صراع جديد كانت الاصول الاسلامية مسرحا له ، وتنتج عن ذلك الصراع بعض التجاوزات والانحرافات عن الاصول الاسلامية التي اقرها القرآن وأيدتها السنة وتعددت فيها الآراء كما تعددت في الفروع واحتج كل فريق لمذهبه بظواهر القرآن وبمقالات نسبوها الى الرسول زورا وبهتانا ، وتنتج عن هذا الصراع الفكري حول هذه المواضيع جدال عنيف وخصومات انتهت الى تعدد الفرق والمذاهب ، وانتشارها في ارجاء الاسلام انتشارا واسعا كان له اسوأ الاثر على المسلمين في ماضيهم ومستقبلهم ولا يزالون يعانون من آثارها حتى اليوم .

وقد وقف اهل البيت (ع) في وجه اولئك الغزاة وما حملوه من افكار وآراء ومعتقدات وشجعوا اصحابهم وتلامذتهم على الجدل والمناظرة وأمدوهم بالحجج والبراهين وأساليب الدفاع ، وجاء عن الامام الصادق (ع) انه قال لعبد الرحمن بن الحجاج البجلي : ناظر اهل الآراء

والبدع فاني احب ان يروا في شيعتي مثلك .

وقال له حمزة الطيار : بلغني انك تكره الخصومة مع الناس ومناظراتهم ، فقال : اما كلام مثلك من اذا طار احسن ان يقع واذا وقع احسن ان يطير فلا اكره مناظرته للناس .

وبلغ من عنايتهم بهذه الناحية انهم كانوا يعقدون مجالس للمناظرة فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم والزنادقة ، فقد روى الكشي ان جماعة من اصحاب الصادق منهم جميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة غيرهما يبلغون نحوا من خمسة عشر رجلا او يزيدون اقترحوا على هشام بن الحكم ان يناظر هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين بين اصحاب الامام الصادق(ع) في الفقه والكلام والفلسفة وغيرهما من العلوم ، فعقدوا مجلسا لهذه الغاية ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن ان تكون موضع جدل وحوار بينهم وبين أخصامهم من الزنادقة والمنحرفين.

كما روى ابو عمر الكشي في رجاله ان رجلا من اهل الشام استأذن على ابي عبد الله الصادق (ع) وعنده جماعة من اصحابه ، فقال له : بلغني انك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت اليك لأناظرك ، وكان في مجلس الامام الصادق حمران بن اعين ، وابان بن تغلب ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم وغيرهم من اصحابه ، فناظروه في بعض المواضيع حتى انتهى الامر بالشامي ان وقف حائرا لا يدري ما يقول وتراجع عن آرائه ولازم هشام بن الحكم زمنا طويلا ليأخذ عنه ما يريد .

وكما ناظر الأئمة وأصحابهم اهل البدع والزنادقة والمنحرفين عن التشيع وجادلوهم بالحجة والمنطق ودافعوا عن العقيدة وأصول الاسلام ونزهوهما مما الصقه بها المغالون والمشعوذون ، فقد كتبوا في الرد على تلك الفئات كما جاء في رواية ابن النديم والنجاشي والكشي فألف هشام بن الحكم كتابا رد فيه على الزنادقة والملحدين ، وكتبا اخرى في

الامامة والجبر والقدر وفي الرد على الثنوية وارسطاليس وغيره من الاسفة اليونان والهنود الى جانب ما ألفه في الفقه وأصوله على مذهب اهل البيت (ع) .

كما ألف زرارة بن اعين كتبا في الاستطاعة والجبر وغيرهما من المواضيع ، وألف محمد بن عمير وكان من تلامذة الامامين موسى بن جعفر وأبي الحسن الرضا (ع) ولعله ادرك ابا جعفر الجواد في المبدأ والتوحيد والامامة ، وألف يعقوب بن اسحاق السكيت كتابا في المنطق، وكتابا في الالفاظ والاضداد ، وكتابا في الالفاظ المشتركة بين معان متعددة ، وكان قد اوكل اليه المتوكل تعليم اولاده ، فسأله يوما : ايهما أحب اليك ابناي هذان المعتز والمؤيد ، ام الحسن والحسين ؟ فأجابه : والله ان قنبرا خادم الحسن والحسين احب الي منك ومن ولديك ، فأمر المتوكل غلمانه ان يقتلعوا لسانه من قفاه فمات من ساعته .

وألف ابان بن عثمان الاحمر كتابا في المبدأ والمبعث ، وألف محمد بن النعمان البجلي المعروف بمؤمن الطاق في الامامة والمعرفة واثبات الوصية والاوامر والنواهي وكتابا في المناظرات جمع فيه مناظراته مع ابي حنيفة وأصحابه ، وكان شديد الخصومة معه وقويا في حجته ، ولما توفي الامام الصادق قال له ابو حنيفة مازحا : ان امامك قد مات ، فرد عليه بقوله : ولكن امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . الى غير ذلك من مئات المؤلفات التي تركها تلامذة الائمة وأصحابهم في مختلف المواضيع كما اشرنا الى هذه الناحية خلال حديثنا عن جامعة اهل البيت وما قدمته من الخدمات لمصلحة الاسلام .

الامام الصادق مع المنصور وأعوانه

لقد كان المنصور على صلة وثيقة بالامام الصادق (ع) في عهد الامويين وكان يجلس اليه ويستمع الى حديثه كما يبدو ذلك من بعض المرويات فقد جاء عنه انه استدعاه بعد ان زال عهد الامويين وانتقلت السلطة اليه ، واستدعى ولده المهدي ، وقال له : يا ابا عبد الله حديث كنت حدثتنيه في صلة الرحم اعده علي ليسمعه المهدي ، قال الامام (ع): حدثني ابي عن ابيه عن جده عن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : ان الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة ، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ، ثم تلا قوله تعالى : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.

فقال المنصور : هذا حسن يا ابا عبد الله وليس اياه اردت ، فقال ابو عبد الله : حدثني ابي عن ابيه عن جده عن علي (غ) ان رسول الله (ص) قال : صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار وان كان اهلها غير اخيار .

فقال المنصور : وهذا حسن ولكني اردت غيره ، فقال ابو عبد الله الصادق (ع) : حدثني ابي عن ابيه عن جده عن علي (ع) ان رسول

الله (ص) كان يقول : صلة الرحم تهون الحساب ، فقال المنصور : هذا هو الذي اردت .

من هذه الرواية وغيرها يظهر ان المنصور كان على صلة بالامام ويستمع الى احاديثه ولم يكن لديه ما يوجب قطيعته وجفاءه ، وبعد ان اصبحت الدنيا طوع ارادته وانقرض عهد اخصامه الامويين لم يعد يخشى غير العلويين الذين كان يطالب بحقهم بالامس ويدعو الناس لمقاومة الامويين على حسابهم ، وبعد ان استتب له الامر اصبح لا يخشى سواهم وتصور ان وجود الامام جعفر بن محمد يشكل خطرا على عرشه وعلى اسرته بكاملها فحاول اكثر من مرة ان يفتك به ولكن مشيئة الله كانت تحول بينه وبين ما يريد .

وجاء في بعض المرويات عن الربيع حاجب المنصور انه قال : لما استقرت الخلافة لابي جعفر المنصور واستتبت له الامور قال لي : يا ربيع ابعث الى جعفر بن محمد واتني به ، فذهبت اليه وقلت : يا ابا عبد الله اجب امير المؤمنين ، فقام معي فلما دنونا من الباب جعل الامام الصادق يحرك شفتيه ويتكلم بكلام لم افهمه ، ثم دخل على المنصور وسلم عليه فلم يرد السلام ورفع رأسه الى الامام وقال : يا جعفر انت الذي تؤلب علي الناس وتحرضهم على الثورة ، فأنكر عليه الامام وتنصل من القيام بأي عمل ضده ، فسكن غضبه وقال : اجلس يا ابا عبد الله ودعا بمسك وجعل يدهن الامام بيده والمسك يقطر من بين آنامله ، ثم اعتذر اليه وقال : انصرف يا ابا عبد الله ان شئت وامرني ان اضاعف له الجائزة ، ومضى الربيع يقول : فخرجت مع ابي عبد الله وقلت له : شهدت ما لم تشهد يا ابن رسول الله وسمعت ما لم تسمع وقد دخلت عليه وهو حاقد عليك ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك عليك فما اسرع ما تغير موقفه منك ، فقال الامام (ع) : حدثني ابي عن ابيه عن جده ان النبي (ص) كان اذا حزبه امر دعا بدعاء الفرج فيكشف

الله ما به من هم وسوء وانا حينما استدعاني علمت بأنه يريد بي السوء وقد كفاني الله شره ببركة هذا الدعاء .

وحدث الربيع مرة ثانية ان المنصور ارسل الى الامام الصادق (ع) من يأتيه به لشيء بلغه عنه ، فلما دنا الصادق من باب المنصور خرج اليه الحاجب وقال : اعيذك بالله من سطوة هذا الجبار يا ابا عبد الله فاني رأيت ضرره عليك شديدا ، فقال الامام : علي من الله واقيـــة تعينني عليه ان شاء الله ، استأذن لي عليه ، فلما اذن لـــــه ودخل الامام ، قال له المنصور : يا جعفر قد علمت ان رسول الله (ص) قال لابيك علي بن ابي طالب لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس الا وأخذوا التراب من تحت قدميك ، وقال علي : يهلك في اثنانِ ولا ذنب لي محب غال ومبغض مفرط ، وانما قال ذلك اعتذارا لانه لا يرضى بما يقوله فيه المحب والعدو ، وأنت تعلم ما يقال فيك ، وقد زعم اوغاد الحجاز ورعاع الناس انه حبر الدهر وحجة المعبود وترجمانه وعيبة علمه ، فقل فان اول من قال الحق جدك وأول من صدقه عليه ابوك ، وأنت حري ان تقتفي آثارهما وتسلك سبيلهما .

فقال الامام الصادق (ع) : انا فرع من تلك الزيتونة ، فقـــــال المنصور : لقد احالني على بحر لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه ، هذا هو الشجى المعترض في حلوق الخلفاء الذي لا يجوز نفيه ولا يحل قتله ، ولولا ما يجمعني واياه من شجرة طاب اصلها وبسق فرعها وعذب ثمرها لكان مني اليه ما لا تحمد عقباه لما يبلغني عنه من شدة عيبه لنا وسوء القول فينا ، فأنكر عليه الامام ذلك بأسلوب يوحي بالاعتذار .

ثم التفت اليه المنصور وقال : لقد صفحت عنك يا ابا عبـــد الله لصدقك فحدثني بحديث انتفع به ويكون لي زاجرا من الموبقات .

فقال الامام (ع) : عليك بالحلم فانه ركن العلم ، واملك نفسك عند

أسباب القدرة فانك ان تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظا وتداوى حقدا ويجب ان يذكر بالصولة ، واعلم بأنك ان عاقبت مستحقا لم يكن غاية ما توصف به الا العدل ، والحال التي توجب الشكر افضل من الحال التي توجب الصبر ، فقال المنصور : لقد وعظت فأحسنت وقلت فأوجزت .

وجاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي ان المنصور وفد على المدينة سنة ١٤٤ في طريقه لاداء فريضة الحج فقال للفضل بن الربيع : ابعث الى جعفر بن محمد من يأتيني به متعبا قتلني الله ان لم اقتله ، قال الفضل : فتغافلت عن ذلك طمعا في ان ينسى المنصور وتهدأ نفسه فأعاد علي طلبه ثانيا وثالثا ، فلم ار بدا من ان استدعيه ، فأرسلت اليه ، فلما حضر قلت له : يا ابا عبد الله لقد ارسل اليك لأمر عظيم وما اظنك بناج منه ، فقال الامام (ع) : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم دخل على المنصور وسلم عليه فلم يرد السلام وقال له : لقد اتخذك اهل العراق اماما يجبون لك الاموال من الزكاة وغيرها وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله ان لم اقتلك ، فقال الامام (ع) : يا امير المؤمنين ان سليمان النبي اعطي فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف بن يعقوب ظلم فغفر فاقتد بأيهم شئت .

لم يجد الامام (ع) بدا من مقابلته وهو بتلك الحالة من الحقد والغضب عليه الا بهذا الاسلوب الهادىء اللين الذي هو من ابلغ ما يمكن ان يكون في مثل هذه الحالات .

لقد اراد الامام (ع) ان يضع حدا لغضبه فقال له ما مضمونه : ان الله اذا انعم على عباده استحق شكرهم كما شكره سليمان على نعمه وأنت محاط بنعم الله من جميع جوانبك ، والتنكيل بالابرياء على الظنة والتهمة كفر وجحود لنعم الله ، واذا كنت تراني بلاء عليك فلو صبرت على هذا البلاء كما صبر ايوب على اسوأ انواع البلاء تنال اجر

الصابرين ، وإذا كنت تراني ظالما لك فلو اقتديت بيوسف وعفوت كما عفا عمن ظلمه كان ذلك اقرب للتقوى والله يحب المحسنين .

وكان لجواب الامام اثر في نفس المنصور وأطرق برأسه قليلا ثم رفعه واتجه الى الامام بغير الوجه الذي قابله فيه من قبل فأدناه اليه ومسح على لحيته الكريمة بالمغالية واعتذر منه ، ثم قال للفضل بن الربيع كما جاء في الرواية : هيىء لابي عبد الله جائزة حسنة وودعه الى خارج قصره فعاد الامام الى بيته تحرسه عناية الله سبحانه من اولئك الجبابرة الذين كان وجود الامام ثقيلا عليهم كما كان وجود آبائه ثقيلا على طغاة الامويين لا لشيء الا لان اهل البيت كانوا يجسدون الحق والخير والعدالة والاحسان في جميع اعمالهم وأولئك يجسدون الباطل والظلم والطغيان في سلوكهم وتصرفاتهم .

ومرة اخرى ارسل اليه محمد بن الربيع وأمره ان يأتي به على الحالة التي يجده عليها ، قال محمد بن الربيع : لقد دخلت عليه الدار فوجدته يصلي ولما فرغ من صلاته قلت له : اجب امير المؤمنين ، فقال : دعني ألبس ثيابي ، فقلت : ليس الى تركك من سبيل لاني مأمور ان احملك على الحالة التي تكون عليها ، فجئت به على حالته وأدخلته على المنصور وهو حاقد عليه فلما نظر اليه قال : يا جعفر اما تدع حسدك وبغيك على اهل هذا البيت من بني العباس ، وما يزيدك ذلك الا شدة الحسد ولست ببالغ ما تقدره ، فقال الامام (ع) : والله يا امير المؤمنين ما فعلت شيئا من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني امية وأنت تعلم بأنهم اعدى الخلق لنا ولكم وانهم لا حق لهم في هذا الامر ، فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء ، فكيف اصنع هذا وأنت ابن عمي وأمس الخلق بي رحما ، فأطرق المنصور ساعة ثم رفع وسادة كانت الى جنبه وأخرج من تحتها اضبارة كتب ورمى بها اليه ، وقال : هذه كتبك الى اهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتي وان يبايعوك دوني ، فقال الامام (ع) : والله

ما فعلت ، ولقد بلغت ما قد اضعفني عن ذلك لو اردته ، ثم اطرق المنصور وضرب يده الى السيف فسل منه مقدار شبر ، ثم رده وقال : يا جعفر اما تستحي مع هذه الشيبة وهذا السن ان تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين اتريد ان تريق الدماء وتثير الفتنة بين الرعية ، ومضى يخاطبه بهذا الاسلوب المشحون بالحقد والبغضاء والامام (ع) يقول : والله ما فعلت ولا هذه كتبي ولا خطبي ولا خاتمي وما زال يحلف له ويتبرأ مما نسب اليه حتى سكن المنصور وقال : اظنك صادقا كما روى ذلك المجلسي في البحار .

ويدعي الرواة انه استدعاه نحوا من ثماني مرات وهو حاقد عليه يريد قتله ثم يتراجع بعد الاجتماع به ويجد نفسه من حيث لا يريد مضطرا لاكرامه وتعظيمه ، وان كنت اشك في اكثر ما يرويه بعض الرواة حول تلك المواقف المزعومة ، ذلك لان المنصور يعلم بأن الصادق كان منصرفا عن الخلافة وعن الثورة على نظام حكمه ولم يكن على وفاق مع بني اعمامه الذين كانوا يخرجون بين الحين والآخر وقد اخبرهم بفشل جميع محاولاتهم الرامية الى الاستيلاء على السلطة وانتزاعها من ايدي العباسيين ، ولعلمه بما وصل اليه من آبائه وأجداده قد اخبر بقيام دولة بني العباس واستتباب الامر لهم وقد تلقى المنصور نفسه منه هذا النبأ بارتياح وغبطة كما ذكرنا من قبل وكان المنصور يجله ويعظمه ولا يرى لاحد فضلا عليه ولا اظنه قد حاول قتله او فكر بذلك لعلمه بأن عملا من هذا النوع يكلفه ما لا يطيق .

هذا بالاضافة الى ان تلك المرويات تصور الامام الصادق في موقف الذليل الذي يستجدي عفو المنصور ورضاه مع ان اكثر الروايات تنص على انه لم يهادن احدا على حساب دينه وكان ينقض عليه وعلى غيره من الظلمة كالصاعقة احيانا .

فقد جاء في رواية ابي نعيم في حلية الاولياء ان المنصور استدعى

الامام الصادق يوما وأجلسه الى جانبه يحادثه بكل اجلال واحترام ، فوقع الذباب على وجه المنصور ولم يزل يقع على وجهه وانفه حتى ضجر منه المنصور ، فقال : لِمَ خلق الله الذباب يا ابا عبد الله ، فقال الصادق : ليذل به انف الجبابرة ، فوجم المنصور وتغير لونه ولم يتكلم معه بما يسيء اليه كلمة واحدة .

كما يروي الرواة انه استدعاه اليه يعاتبه على قطيعته له وكان قد زار المدينة ولم يدخل عليه الامام الصادق فيمن زاره من الوجوه والأشراف ، فقال له : لِمَ لم تغشنا كما يغشانا الناس ، فأجابه الامام (ع) ليس لنا من امر الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من امر الآخرة ما نرجوه منك، ولا انت في نعمة نهنئك بها ولا في نقمة فنعزيك. فقال له المنصور : تصحبنا لتنصحنا ، فرد عليه الامام بقوله : ان من يريد الدنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك . وما اكثر مواقفه التي كان يندد فيها بالحكام والجبابرة ويصفهم بأقبح الصفات ويحذرهم من سخط الله وعقابه والتمادي في الظلم والطغيان .

كما ان مواقفه مع ولاة المنصور كانت تتسم بالشدة عندما تدعو الحاجة لذلك فقد جاء في بعض المرويات ان احد ولاة المنصور في المدينة خطب يوم الجمعة بحضور الامام ونال من امير المؤمنين (ع) فقام الامام بعد ان فرغ الوالي من خطابه وقال بعد ان حمد الله وصلى على رسوله : اما ما قلت من خير فنحن اهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك اولى به ، ثم التفت الى الناس وقال : الا أنبئكم بأخف الناس ميزانا وأبينهم خسرانا يوم القيامة الا وان من اخف الناس ميزانا وأسوأهم حالا من باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا الفاسق ، فسكت الوالي وخرج من المسجد مذموما مدحورا .

ولما كان داود بن علي واليا على المدينة بالغ في ايذاء العلويين وتتبع انصارهم وطلب من المعلى بن خنيس ان يخبره بحالهم فامتنع المعلى فهدده

بالقتل وأصر على امتناعه فأمر داود بن علي السيرافي قائد شرطته بقتله، ولما بلغ الامام الصادق ما جرى على المعلى تأسف عليه واشتد به الغضب ومشى بنفسه الى مقر الوالي ولم يكن ذلك من عادته فقال له : لقد قتلت مولاي وأخذت مالي ، اما علمت ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الضيم ودار بين الامام والوالي جدال عنيف حول هذا الامر كان الوالي يحاول ان يتنصل من مسؤولية ما جرى ويحملها الى السيرافي ، وترك لاولياء الدم ان يقتصوا من القاتل ، ولما اخذ ليقتل صرخ بأعلى صوته : يأمرونني بقتل الناس فاقتلهم لهم ، ثم يتهربون من مسؤولية ذلك ويأمرون بقتلي ، وفي رواية ثانية ان الامام ذهب الى القاتل وقتله بيده .

وتنص بعض المرويات انه بعد ان قتل السيرافي دعا على داود بن علي وقال في دعائه كما جاء في رواية الكافي : اللهم اني اسألك بنورك الذي لا يطفى وبعزائمك التي لا تخفى وبعزك الذي لا ينقضي وبنعمتك التي لا تحصى وبسلطانك الذي كفت به فرعون عن موسى اكفني داود ابن علي الساعة الساعة انك قريب سميع الدعاء ، فما استتم دعاءه حتى سمعت الصيحة من دار داود بن علي .

ومجمل القول ان الامام الصادق (ع) واجه في ايام المنصور من المحن والشدائد ما لم يواجهه في العهد الاموي ، وكان وجوده ثقيلا عليه لانه اينما ذهب وحيثما حل يراه حديث الجماهير ، ويرى العلماء وطلاب العلم يتزاحمون من كل حدب وصوب على بابه في مدينة الرسول وهو يزودهم بتعاليمه ويلقي عليهم من دروسه وارشاداته وكانت الدعوة الى الحق ومناصرة العدل ومساندة المظلوم واجتناب الظلمة الذين تسلطوا على الامة واستبدوا بمقدراتها وكرامتها ، واستهتروا بالقيم والاخلاق كانت هذه النواحي تحتل المكانة الاولى في تعاليمه وارشاداته .

وكان مع ذلك يقول :

ان الامامة لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن المحارم وحلم يملك به غضبه وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون بهم كالوالد الرحيم .

هذا والمنصور يسمع ويرى كل ذلك ، ولكنه كان يقدر ان التحرش بالامام الصادق والفتك به ستكون له من المضاعفات التي لا يمكن حصر نتائجها وأخطارها ، ولولا ذلك لمثل معه نفس الدور الذي مثله مع العلويين من اسرته ، وكان قد ملأ بهم المعتقلات والسجون المظلمة وسلط عليهم اعوانه يسومونهم سوء العذاب ، حتى اذا مات أحدهم في سجنه من التعذيب تركوه الى جانب الاحياء ينظرون اليه ويتململون من رائحته ، وبلغ بهم الحال انهم كانوا لا يعرفون اوقات الصلاة الا بتلاوة اجزاء من القرآن يوزعونها على الليل والنهار ، وكانت نهاية امرهم آن امر المنصور بهدم السجن عليهم فمات من بقي منهم تحت الركام .

وقد روى جميع المؤرخين حديث الخزانة التي اوصى بها للمهدي ودفع مفتاحها الى ريطة زوجة المهدي وأوصاها ان لا تدفعها لغيره عندما تتأكد من موته ، وكانت ريطة تظن بأن محتوياتها من المجوهرات والنفائس والاموال .

وحدث الطبري في تاريخه ان المنصور لما عزم على الحج دعا ريطة بنت ابي العباس زوجة المهدي ، وكان زوجها غائبا عندما عزم المنصور على السفر الى الحجاز ، وأوصاها بما اراد وعهد اليها ثم دفع لها مفاتيح الخزائن وأخذ عليها العهود والمواثيق ان لا تفتح الخزائن ولا تطلع عليها غير المهدي كما اكد عليها ان لا تطلع هي عليها الا بعد ان تتأكد من موته ، فاذا تأكدت تجتمع مع المهدي ويفتحانها معا ، ولما رجع المهدي الى مدينة السلام دفعت اليه المفاتيح وأخبرته بما اوصاها به المنصور ، فلما انتهى اليه نبأ وفاته وتولى الخلافة فتح الخزائن بحضور

زوجته فوجد فيها جماعة من قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيهـــا انسابهم وفيهم اطفال ورجال شباب وشيوخ وهم عدد كبير ، فلما رأى ذلك ارتاع وتغير وأمر انتحفر لهم حفيرة كبيرة فحفروا لهم ودفنوهم بها.

وأظن ان المنصور بوصيته الصامتة هذه الى خليفته المهدي اراد ان يقول له : اذا اردت الملك فاحذر آل علي وعاملهم بمثل ذلك ، ولعلـه احتفظ بتلك الجثث الزواكي وأوصى بتسليمها اليه ليشجعه على اختيار اسلوب العنف والقسوة في سياسته .

من مناظرات الامام الصادق وأجوبته

لقد ناظر الامام الصادق فريقا من العلماء والمتكلمين ، كما ناظر الزنادقة والملحدين والمعتزلة والمجسمة والقدرية والخوارج وغيرهم من الفرق بأسلوب هادىء رصين مدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجا ، ولا بد لنا ونحن نتحدث عن بعض الجوانب من سيرته ان نتعرض لبعض الامثلة من مناظراته .

فمن ذلك ما جاء في بعض المرويات من ان ابن ابي العوجا وابن طالوت وابن المقفع وبعض الزنادقة قد اجتمعوا في الموسم بالمسجد الحرام ، والامام الصادق (ع) فيه يوم ذاك وقد اجتمع عليه الناس يفتيهم ويجيب على مسائلهم بالحجج والبراهين ، وأحيانا يفسر بعض الآيات ، فقال القوم لابن ابي العوجا : هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به .

فقال لهم ابن ابي العوجا : نعم ، ثم تقدم نحوه وشق الجماهير المحتشدة من حوله حتى وقف عليه فقال : يا ابا عبد الله افتأذن لي بالسؤال ؟ فقال له الامام الصادق : سل ان شئت ، فقال له ابن ابي العوجا : الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون

هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر ، وتهرولون حوله هرولة البعير اذا نفر ؟ من فكر في هذا وقدر علم انه فعل غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فانك رأس هذا الامر وسنامه وأبوك اساسه ونظامه • فقال له الامـــام الصادق (ع) : ان من اضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه يورده مناهل الهلكة ولا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه على تعظيمه وزيارته ، وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريـــق يؤدي الى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الارض ، فأحق من اطيع فيما امر والانتهاء عما زجر هو الله المنشىء للارواح والصور •

فقال له ابن ابي العوجا : ذكرت يا ابا عبد الله فأحلت على غائب •

فقال له الامام الصادق (ع) : كيف يكون يا ويلك غائبا من هو مع خلقه شاهد وهو اقرب اليهم من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلـــم اسرارهم ، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ، ولا يكون الـــى مكان اقرب منه الى مكان ، تشهد بذلك آثاره وتدل عليه افعاله، والذي بعث بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد بن عبد الله الذي جاءنا بهذه العبادة فان شككت في شيء من امره فاسأل عنه اوضحه لك •

فسكت ابن ابي العوجا ولم يدر ما يقول وانصرف من بين يديـــه وقال لاصحابه : سألتكم ان تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة ، فقالوا له : اسكت فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك ، وما رأينا احقر منك اليوم في مجلسه ، فقال ألي تقولون هذا ؟ انه ابن من حلق رؤوس من ترون وأومأ بيده الى اهل الموسم •

وجاء في احتجاج الطبرسي عن هشام بن الحكم انه قال : اجتمع ابن ابي العوجا وأبو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري وابن المقفع فـــي بيت الله الحرام يستهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن فقال ابن ابـــي

العوجا : تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله ، فان في نقض القرآن ابطالا لنبوة محمد وفي ابطال نبوته ابطال الاسلام واثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام ، فقال ابن ابي العوجا : فما زلت افكر منذ افترقنا في هذه الآية : فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فما قدرت ان اضم اليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا ، ولقد شغلتني عن التفكير في غيرها .

وقال عبد الملك البصري : وأنا منذ فارقتكم افكر في هذه الآية :

يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ولم اقدر على الاتيان بمثلها .

وقال ابو شاكر الديصاني : وأنا منذ فارقتكم افكر في الآية: لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولم اقدر على الاتيان بمثلها .

وقال ابن المقفع : يا قوم ان هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وأنا منذ فارقتكم افكر في الآية .

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ، فلم ابلغ غاية المعرفة بها ولم اقدر على الاتيان بمثلها، وأضاف هشام بن الحكم الى ذلك : فبينما هم في ذلك اذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق (ع) فقال : لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا : لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهى امر وصية محمد الا الى جعفر بن محمد، والله ما ما رأيناه الا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته .

وجاء في رواية يونس بن يعقوب انه قال : كنت عند ابي عبد الله(ع)

فورد عليه رجل من اهل الشام ، فقال له اني رجل صاحب فقه وكلام وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك ، فقال له الامام (ع) : كلامك هذا من كلام رسول الله او من عندك ، فقال من كلام رسول الله بعضه ومن عندي بعضه ، فقال له الامام (ع) : فأنت اذن شريك رسول الله ؟ فقال : لا ، قال : سمعت الوحي من الله تعالى ، قال : لا ، قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ، قال : لا .

ومضى يونس بن يعقوب يقول : لقد التفت الي ابو عبد الله الصادق (ع) وقال : هذا خصم نفسه قبل ان يتكلم ، ثم قال : يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته ، قال يونس : فيا لها من حسيرة ، ثم قال : لقد سمعتك يا ابا عبد الله تنهى عن الكلام وتقول : ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله ، فقال الامام (ع) : انما قلت ويل لقوم تركوا قولي بالكلام وذهبوا الى ما يريدون ، قم فاخرج الى الباب فمن ترى من المتكلمين فادخله ، قال يونس بن يعقوب : فخرجت فوجدت حمران بن اعين ، ومحمد بن نعمان الاحول ، وهشام بن سالم، وقيس الماصر وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين فأدخلتهم ، فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لابي عبد الله في طرف جبل على طريق الحرم وذلك قبل الحج بأيام فأخرج ابو عبد الله رأسه من الخيمة فاذا هو ببعير يخب قال هشام ورب الكعبة ، وكنا ظننا ان هشاما رجل من ولد عقيل ، وكان شديد المحبة لابي عبد الله (ع) فاذا هو هشام بن الحكم وهو اول ما اختطت لحيته وليس فينا الا من هو اكبر منه سنا ، فوسع له ابو عبد الله وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، ثم قال لحمران كلم الشامي فكلمه حمران وظهر عليه ، ثم التفت الى محمد بن نعمان الاحول وقال كلمه فكلمه وظهر عليه على حد تعبير الراوي وأمر بقية اصحابه ان يكلموه ويجادلوه والامام الصادق يبسم لحوارهم مع

الشامي ، ثم قال للشامي كلم هذا الغلام ان شئت يعني بذلك هشاما ، فقال الشامي لهشام : يا غلام سلني في امامة هذا وأشار الى الصادق (ع) فغضب هشام بن الحكم وقال له : يا هذا اخبرني اربك انظر لخلقه ام الخلق لانفسهم ، فقال الشامي بل الله سبحانه انظر للخلق منهم لانفسهم، فقال هشام : ماذا فعل بنظره لهم في دينهم ؟ قال : كلفهم وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به وأزاح في ذلك عللهم ، فقال له هشام بن الحكم : فما هذا الدليل الذي نصبه لهم ، قال : هو رسول الله وبعده الكتاب والسنّة ، ورد عليه هشام بقوله : فهل نفعنا الكتاب والسنّة فيما اختلفنا فيه ورفعا عنا الاختلاف ولِمَ اختلفنا نحن وأنت وقد جئتنا من الشام تناظرنا وتزعم ان الرأي طريق الدين وأنت تقر ان الرأي لا يجمع المختلفين على القول الواحد ، فسكت ، وقال له الامام (ع) : مالك لا تتكلم ؟ فقال : ان قلت لم نختلف فقد كابرت ، وان قلت ان الكتاب والسنّة يرفعان طريق الاختلاف فقد اخطأت ، لانهما يحتملان الوجوه الكثيرة ، ولكن لي عليه مثل سؤاله ، فقال له الامام : سله فستجده مليا، وكرر عليه الشامي نفس الاسئلة التي وجهها اليه هشام فأجابه عليها وانتهى الى ان النبي (ص) كان الحجة في ابتداء الامر وبعده عترته والامام الصادق هو الحجة يوم ذاك ، وهنا سأل الشامي عن الدليل المقنع فأحال هشام بن الحكم الجواب على الامام (ع) فقال الصادق (ع) : انا اكفيك المسألة ايها الرجل وأخبرك عن سفرك ومسيرك وتاريخ خروجك من الشام وما جرى لك في طريقك ، لقد خرجت يوم كذا وكان طريقك على كذا، وجعل الامام (ع) يصف له رحلته وصفا دقيقا وكأنه كان يرافقه فيها، فاعترف الشامي بإمامته وخرج مقتنعا بمذهب اهل البيت (ع) ويدعي الراوي ان الامام (ع) ابدى بعض الملاحظات على أسلوب اصحابه في الجدل وقال لهشام مثلك من يكلم الناس .

وجاء في بعض المرويات ان الامام الصادق (ع) قال لابي حنيفة في بعض مجالسه معه : بما تفتي اهل العراق يا ابا حنيفة ؟ قال : بكتاب الله، قال : وانك لعالم بالكتاب ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، قال : نعم ، قال : فاخبرني عن قول الله تعالى : وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ، اي موضع هذا ، قال : هو ما بين مكة والمدينة ، فالتفت الامام الصادق لجلسائه وقال : نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة وتأمنون على دمائكم وأموالكم ، فقالوا لا : فقال : يا ابا حنيفة ان الله لا يقول الا حقا ، اخبرني عن قول الله تعالى : ومن دخله كان آمنا اي موضع هو ، قال ذلك بيت الله الحرام ، فالتفت ابو عبد الله الصادق الى جلسائه وقال : نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه ولم يأمنا القتل ، فقالوا : اللهم نعم ، فقال ابو حنيفة : ليس لي علم بالكتاب انما انا صاحب قياس ، فقال الامام : فانظر في قياسك ان كنت مقيسا ، أيما اعظم عند الله القتل او الزنا ، قال : القتل اعظم ، قال : فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا الا بأربعة شهود ، وأيهما افضل الصلاة ام الصيام ، قال : بل الصلاة افضل ، قال : فيجب على قياسك ان تقضي الحائض ما فاتها من الصلاة حال حيضها دون الصيام ، في حين ان الله قد اوجب عليها قضاء الصوم دون الصلاة ، ثم قل له : البول اقذر ام المني ، قال : البول اقذر ، فقال (ع) : يجب على قياسك ان يغتسل الانسان من البول دون المني ، فقال : انما انا صاحب رأي ، قال : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بزوجتيهما في ليلة واحدة ايضا ، ثم سافرا وتركا زوجتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان ايهما في رأيك المالك وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث ؟

فقال : انما انا صاحب حدوه ، قال : فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد ، فقال : انما انا رجل عالم ببعث الانبياء ، قال : فاخبرني عن قوله تعالى لموسى وهرون حين بعثهما الى فرعون ، لعله يتذكر أو يخشى أليست لعل منك ، قال : نعم ، قال : فهل هي من الله شك ، قال : لا اعلم ، فقال الامام (ع): تزعم بأنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه ، وتزعم انك صاحب قياس وأول من قاس ابليس ، وتزعم انك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صوابا ومن غيره خطأ ، لان الله يقول فاحكم بينهم بما اراك الله ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم بأنك صاحب حدود ومن انزلت عليه اولى بعلمها منك وتزعم انك عالم بسباعث الانبياء وخاتم الانبياء اعلم بسباعثهم منك ، ولولا ان يقال ان ابا حنيفة دخل على ابن رسول الله ولم يسأله ما سألتك عن الشيء ، فقال ابو حنيفة : لا اتكلم بالرأي والقياس بعد هذا اليوم ، فقال الامام (ع) : كلا ان حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك .

وجاء في رواية عبد المؤمن الانصاري انه قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) : ان قوما رووا ان رسول الله (ص) قال : اختلاف امتي رحمة فقال صدقوا ، قلت : اذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ، قال : ليس حيث تذهب وذهبوا ، انما اراد رسول الله (ص) قوله تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ، لقد امرهم بأن ينفروا الى رسول الله ويختلفوا اليه ويتعلموا ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم ، فقد اراد رسول الله اختلافهم في البلدان لتعليم الناس لا اختلافهم في الدين .

وجرى جدال واسع في عصره حول الخلافة بين المعتزلة من جهة وبين غيرهم ممن كانوا يسايرون الامويين او يخافون بطشهم من جهة

اخرى وعندما قتل الوليد بن يزيد ووقع الخلاف في الشام فيمن يتولاها من بعده فتحرك المعتزلة وانحازوا الى جانب محمد بن عبد الله بن الحسن فاجتمع جماعة منهم فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص ابن سالم ، وقصدوا الامام الصادق (ع) ليشرحوا له وجهة نظرهم من هذا الامر وتكلم عنهم عمرو بن عبيد فقال : لقد قتل اهل الشام خليفتهم وضرب الله بعضهم ببعض وتشتت امرهم فنظرنا فلم نجد لها سوى محمد ابن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) وكان يلقب بذلك فأردنا ان نجتمع معه ونبايعه ثم نظهر امرنا معه وندعو الناس اليه فمن بايعه كنا معه وكان معنا ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن وقف في طريقنا جاهدناه ونصبنا له لنرده الى الحق وأهله ، وقد احببنا ان نعرض امرنا عليك فانه لا غناء لنا عن مثلك لفضلك وكثرة شيعتك .

وبالرغم من ان مرشح المعتزلة لها من اهل البيت وأفضل ممن تقدم لها من الامويين في دينه وعلمه الا ان ذلك لم يمنع الامام الصادق (ع) من ان ينتقد الاسلوب الذي اعتمدوه في اختيار محمد بن عبد الله بن الحسن لها . فالتفت الى الحضور وقال : أكلكم على مثل ما قال عمرو ابن عبيد ، فقالوا : نعم يا ابن رسول الله ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : انا نسخط اذا عصي الله فاذا اطيع الله رضينا ، اخبرني يا عمرو لو ان الامة قلدتك امرها وملكته بغير قتال وقيل لك ولّها من شئت من المسلمين من تولي ؟ قال : كنت اجعلها شورى بين المسلمين ، قال : بين كلهم ؟ قال : نعم ، قال بين فقهائهم وخيارهم من قريش وغيرهم والعرب وغيرهم ، فقال له الامام (ع) : اتتولى ابا بكر وعمر ام تتبرأ منهما ؟ فقال : اتولاهما ، فرد عليه الامام بقوله : فان كنت تتبرأ منهما فانه يجوز لك الخلاف عليهما وان كنت تتولاهما فقد خالفتهما فقد بايع عمر بن الخطاب ابا بكر ولم يشاور احدا ، ثم ردها ابو بكر عليه ولم يشاور احدا ، ثم جعلها عمر بن الخطاب بين ستة

وأخرج منها الانصار وغيرهم من قريش ، ثم اوصى الناس بشيء لا اظنك ترضاه انت ولا اصحابك ، قال : وما صنع ؟ قال : امر صهيبا ان يصلي بالناس ثلاثة ايام وان يتشاور اولئك الستة ليس فيهم احد سواهم الا ابن عمر وليس له من الامر شيء وأوصى من بحضرته من المهاجرين والانصار ان مضت ثلاثة ايام ولم يفرغوا ويبايعوا ان تضرب اعناق الستة جميعا ، وان اجتمع اربعة قبل ان تمضي الايام الثلاثة وخالف اثنان ان تضرب اعناق الاثنين ، افترضون بهذا فيما تجعلونه من الشورى بين المسلمين ؟ قالوا : لا .

وبعد ان وجه اليهم الامام بعض الاسئلة التي لا بد لمن يتولى امور المسلمين ان يكون محيطا بها وعجزوا عن جوابه كما جاء في رواية الطبرسي في الاحتجاج ختم حواره معهم بقوله : حدثني ابي وكان خير اهل الارض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله ان رسول الله قال : من ضرب الناس بسيفه ودعاهم الى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو خال متكلف .

وقال سليمان بن مهران : سألت ابا عبد الله الصادق (ع) عن قول الله عز وجل والارض جميعا قبضته .

فقال (ع) يعني ملكه لا يملكها معه احد ، والقبض من الله تعالى في موضع اخر يؤدي معنى المنع ، والبسط بمعنى الاعطاء والتوسع ، والى ذلك تشير الآية : والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ، كما وان اخذه يعني قبوله ومن ذلك قوله : يأخذ الصدقات .

قال سليمان بن مهران : فقلت له قوله والسموات مطويات بيمينه ، فقال : اليمين هي اليد واليد هي القدرة والقوة ، اي مطويات بقدرته وقوته .

وسأله هشام بن الحكم عن الدليل على وحدانية الله ، فقال (ع) : اتصال التدبير وتمام الصنع .

وقال له ابو شاكر الديصاني : ما الدليـــــل على ان لك صانعا ؟ فقال (ع) : وجدت نفسي لا تخلو من احدى جهتين : اما ان اكـــون اصنعتها انا او صنعها غيري ، فان كنت صنعتها فلا اخلو من احد معنيين، اما ان اكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت عن صنعهـــا ، وان كانت معدومة وانك لتعلم ان المعدوم لا يحدث شيئا ، فقد ثبت القول الثالث ان لي صانعا وهو رب العالمين ، فسكت الديصاني ولم يدر ما يجيب .

وقال (ع) في جواب من سأله عن معنى قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى ، فقال استوى من كل شيء : فليس شيء اقرب اليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، ثم قال : من زعم ان الله عز وجل من شيء او في شيء او على شيء فقد كفر .

فقال له السائل : فسر لي ذلك يا ابن رسول الله ، فقال (ع) : من زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثا ، ومن زعم انه في شيء فقـــد جعله محصورا ومن زعم انه على شيء فقد جعله محمولا .

وسئل (ع) عن شبهة المجسمة ، فقال : ان الجسم محدود متنـــاه والصورة محدودة متناهية ، فاذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان ، واذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقا .

وسأله سليمان بن مهران الاعمش ، فقال : هل يجوز ان نقول ان الله في مكان ، فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك انه لو كان في مكان لكان محدثا لان الكائن في مكان محتاج الى المكان والاحتياج مـــن صفات المحدث لا من صفات القديم .

وكان الجعد بن درهم قد جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام ، فقال الجعد : انا خلقت هذا لاني تسببت فيـــه ، ولما بلغت مقالته الامام الصادق (ع) قال : ليقل كم هي ، وكم الذكران والاناث فيها ، وكم وزن كل واحدة منها ، وليأمر الذي سعى الى هذا الوجه ان

يرجع لغيره ان كان هو خلقها .

والحديث عن مناظراته وأجوبته في مختلف المواضيع طويل ومتشعب ، ونكتفي منه بهذه النماذج التي تضع بين يدي القراء صورا عن هذا الجانب من سيرته ، ومنه استمد التوفيق لابراز ما بقي من جوانبها .

من وصاياه لاصحابه

واعلموا بأنه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع اليه وصنع به مما احب وكره .

وعليكم بحب المساكين فان من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله وقد قال ابونا رسول الله : لقد امرني ربي بحب المساكين ، واعلموا انه من حقر احدا من المسلمين القى الله عليه المقت حتى يمقته الناس ، والله له اشد مقتا فاتقوا الله في اخوانكم المساكين ، فان لهم عليكم حقا ان تحبوهم فان الله امر نبيه بحبهم ، ومن لم يحب من امر الله بحبه فقد عصى الله رسوله ومن مات على ذلك مات من القادمين.

واياكم والعظمة والكبر ، فان الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة ، واياكم ان يبغي بعضكم على بعض ، فان من بغى جر الله بغيه على نفسه ، واياكم ان يحسد بعضكم بعضا فان الكفر اصله الحسد .

وليعن بعضكم بعضا ، فان ابانا رسول الله (ص) كان يقول : ان معونة المسلم خير وأعظم اجرا من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام .

واياكم واعسار احد من اخوانكم المسلمين (ص) فان ابانا رسول الله (ص) كان يقول : ليس لمسلم ان يعسر مسلما ومن انظر معسرا اظله الله يوم القيامة بظله يوم لا ظل الا ظله واعلموا انه ليس بين الله وبين احد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك الا طاعتهم له .

وكان عنوان البصري من اصحاب مالك بن انس وأخيرا اتصل بالامام الصادق ، ومما جاء في وصية الامام له : اذا اردت العلم فاطلب اولا في نفسك حقيقة العبودية ، فقال له عنوان البصري : وما حقيقة العبودية يا ابا عبد الله ، فقال : ثلاثة اشياء ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا لان العبيد لا يكون لهم ملك ويرون المال مال الله يضعونه حيث امر الله ، واذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا هان عليه الانفاق فيما امر الله . وأن لا يدبر لنفسه تدبيرا ، واذا فوض تدبير نفسه الى مدبره هانت عليه مصائب الدنيا . وان يشتغل فيما امر الله به ونهى عنه ، واذا اشتغل بما امره به ونهاه عنه لا يتفرغ الى المراء والمباهاة مع الناس ، فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا فلا يطلبها تفاخرا وتكاثرا ، ولا يطلب عند الناس عزا وعلوا .

وقال له: اوصني يا ابن رسول الله ، فقال : اوصيك بتسعة اشياء فانها وصيتي لمن يريد الطريق الى الله، والله اسأل ان يوفقك لاستعمالها، ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم فاحفظها واياك والتهاون بها .

اما اللواتي في الرياضة فاياك ان تأكل ما لا تشتهيه فانه يورث الحمق والبله ، ولا تأكل الا عند الجوع ، فاذا اكلت فكل حلالا وسم الله تعالى واذكر حديث النبي (ص) : ما ملأ آدمي وعاء أشد شرا من بطنه ، فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك : ان قلت واحدة سمعت عشرا ، فقل له

ان قلت عشرا لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : ان كنت صادقا فيما تقوله فاسأل الله المغفرة ، وان كنت كاذبا فاسأل الله ان يغفر لك، ومن وعدك بالخيانة فعده بالنصيحة والوفاء . وأما اللواتي في العلم ، فاسأل العلماء ما جهلت واياك ان تسألهم تعنتا وتجربة ، واياك ان تعدل بذلك شيئا وخذ بالاحتياط في جميع امورك ما تجد اليه سبيلا ، واهرب من الفتيا فرارك من الاسد ولا تجعل رقبتك للناس جسرا .

وجاء في وصيته لعمرو بن سعيد انه قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) : لا اكاد القاك الا في السنين فاوصني بشيء آخذ به ، قال (ع) : اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد ، واعلم انه لا ينفع اجتهاد ولا ورع معه ، واياك ان تطمح نفسك الى من فوقك ، وكفى بما قال الله تعالى : فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم . وقال عز وجل لرسوله : ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا .

فان خفت شيئا من ذلك فاذكر عيش رسول الله (ص) فقد كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده .

واذا اصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله فان الخلق لم يصابوا بمثله ابدا .

وجاء في وصيته لحمران بن اعين ، يا حمران انظر الى من هو دونك ولا تنظر الى من هو فوقك في المقدرة فان ذلك اقنع لك بما قسم الله وأحرى ان تستوجب الزيادة من ربك ، واعلم ان العمل الدائم القليل مع اليقين افضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين .

واعلم بأنه لا ورع انفع من تجنب المحارم والكف عن اذى المؤمنين واغتيابهم ولا عيش اهنأ من حسن الخلق ، ولا مال انفع من القنوع باليسير المجزي ولا جهل اضر من العجب .

وكان يقول لاصحابه : اذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فان الله سيرزقكم ويعينكم عليه .

وحدث زيد الشحام عنه انه قال : اقرأ من ترى انه يطيعني منكم السلام وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد وصدق الحديث واداء الامانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاءنا رسول الله ، وأدوا الامانة لمن ائتمنكم عليها برا وفاجرا فان رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط ، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس وقيل هذا جعفري يسرني ذلك ويدخل علي منه السرور ، ومن كان غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره .

وقال لبعض اصحابه : لا تستصغرن حلوى وفضل طعام تصرفه في بطون خالية ليسكن بها غضب الله تعالى ، واعلم اني سمعت من ابي يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين انه سمع النبي (ص) يقول يوما: ما امن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائعا ، فقلنا هلكنا يا رسول الله ، فقال : ولو من فضل تمركم ورزقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الرب .

يا عبد الله اياك ان تخيف مؤمنا فان ابي محمدا حدثني عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب (ع) انه كان يقول : من نظر الى مؤمن ليخيفه بها اخافه يوم لا ظل الا ظله وحشره في صورة الذر .

وقال لحفص بن غياث : ان قدرتم ان لا تعرفوا فافعلوا وما عليك اذا لم يثن الناس عليك ، ولا يضرك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله ، وان قدرت ان لا تخرج من بيتك فافعل ، فان عليك في خروجك ان لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن .

وقال له سفيان الثوري : اوصني يا ابن رسول الله ، فقال : يا سفيان اذا جاءك ما تحب فاكثر من الحمد لله واذا جاءك ما تكره فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله ، واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار، يا سفيان لا مروءة لكذوب ولا اخ لملول ولا راحة لحسود ولا سؤدد لسيء الخلق ، فقال : يا ابن رسول الله زدني ، قال : يا سفيان ثق بالله تكن مؤمنا وارض بما قسم الله لك تكن غنيا واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره وشاور في امرك الذين يخشون الله .

فقال : زدني يا ابن رسول الله ، فقال : يا سفيان

من اراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله الى عز طاعته ، واذا انعم الله عليك بنعمة وأحببت بقاءها ودوامها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال : لئن شكرتم لأزيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله يقول في كتابه :

استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا .

وجاء في وصيته الى عبد الله بن جندب : يا ابن جندب يهلك المتكل على عمله ولا ينجو المجترىء على الذنوب الواثق برحمة الله ، قال عبد الله بن جندب : فمن ينجو يا ابن رسول الله ؟ قال : الذين هم بين الخوف والرجاء كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب . ويل للساهين عن الصلاة النائمين في الخلوات المستهزئين بالله في الفترات اولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولهم عذاب اليم .

يا ابن جندب احب في الله وابغض في الله ولا تكن بطرا في الغنى ولا جزعا في الفقر ولا تكن فظا غليظا يكره الناس قربك ، ولا واهيا

يحقرك من عرفك ، ولا تسخر بمن هو دونك ولا تنازع الامر اهله ولا تطع السفهاء ، وصل من قطعك واعط من حرمك واحسن الى من اساء اليك وسلم على من سبك وانصف من خاصمك واعف عمن ظلمك كما تحب ان يعفي عنك . يا ابن جندب لا تتصدقن على اعين الناس ليزكوك ، فانك ان فعلت ذلك فقد استوفيت اجرك ، ولكن اذا اعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك ، فان الذي تتصدق له سرا يجزيك علانية..

الى غير ذلك من وصاياه ونصائحه لاصحابه التي تمثل الخلق الاسلامي الذي امتاز به اهل البيت (ع) والذي كان الامام (ع) يحاول من خلال وصاياه وارشاداته لاصحابه وغيرهم ان يجسدوا الاسلام بما فيه من مثل وأخلاق وآداب وتشريع في افعالهم قبل اقوالهم ليكونوا من دعاته الصامتين .

وجاء في حلية الاولياء عن بعض الرواة انه قال : دخلت على الامام جعفر بن محمد وموسى ولده بين يديه وهو وصيه فكان مما حفظت منه ان قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا ، يا بني من رضي بما قسم الله استغنى ومن مد عينه الى ما في يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل فيه ، ومن حفر لاخيه بئرا سقط بها ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يا بني اياك ان تزري بالرجال فيزرى بك ، وقل الحق لك او عليك ، وكن لكتاب الله تاليا وللسلام فاشيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا ولمن قطعك واصلا ، ولمن سألك معطيا ، واياك والتعرض لعيوب الناس فالمتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف ، واذا طلبت الجود فعليك بسعادته فان للجود معادن وللمعادن اصولا

وللاصول فروعا وللفروع ثمرا .

يا بني اذا زرت فزر الاخيار ولا تزر الفجار فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها ، وجاء عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال : ان ابي ما ترك هذه الوصية الى ان مات .

وقال (ع) كما جاء في رواية الكليني في الكافي : الحكرة في الخصب اربعون يوما وفي الشدة والبلاء ثلاثة ايام ، فما زاد على الاربعين يوما في الخصب فصاحبه ملعون ، وما زاد على ثلاثة ايام في العسر فصاحبه ملعون .

وكان يقول لخادمه في اوقات حاجة الناس : اشتر لنا شعيرا واخلط به طعامنا فاني اكره ان نأكل جيدا ويأكل الناس رديا .

وروى عنه ابو جعفر الفزاري انه دعا مولى له يقال له مصادف فأعطاه الف دينار ليتاجر بها وقال له : تجهز حتى تخرج الى مصر فان عيالي قد كثروا ، قال : فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فاستقبلتهم قافلة من التجار خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامة فأخبروهم انه ليس في مصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على ان لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار دينارا ، فباعوا تجارتهم بهذا الربح ورجعوا الى المدينة ، فدخل مصادف على الامام الصادق (ع) ومعه كيسان في كل واحد منها الف دينار ، وقال له : جعلت فداك ، هذا رأس المال وهذا الآخر ربحها ، فقال له الامام : ان هذا الربح كثير كيف صنعت في المتاع الذي اشتريته حتى ربحت هذا الربح؟ فحدثه بحاجة البلاد الى المتاع وكيف تخالف مع التجار ان لا يبيعوا ما معهم الا بربح الدينار دينارا ، فقال : سبحان الله تتحالفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار دينارا، ثم اخذ رأس المال ، وقال: هذا مالنا ورد عليه الربح ، ثم قال : يا مصادف ، مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال .

من كلماته القصار وحكمه

لو اراد الكاتب ان يستوعب تاريخ الامام الصادق وسيرته من جميع جوانبها لا يخرج من كل جانب من جوانبها بأقل من مجلد مستقل وبما ان ذلك يكلفني من الوقت ما لا املك ومن الجهد والتتبع ما لا اطيق وعملا بالحكمة المأثورة ما لا يدرك كله لا يترك كله فقد اقتصرت على بعض النماذج منها وسأقدم في هذا الفصل امثلة من كلماته وحكمه في مختلف المواضيع .

فقد جاء عنه انه قال : افضل الملوك من اعطي ثلاث خصال الرأفة والجود والعدل وعليهم ان لا يفرطوا في ثلاث في حفظ الثغور وتفقد المظالم واختيار الصالحين لاعمالهم . وقال : ثلاثة لا يعوز فيها المرء : مشاورة ناصح ، ومداراة حاسد والتحبب الى الناس . وقال : احذر من الناس ثلاثة : الخائن والظلوم والنمام ، لان من خان لك خانك ومن ظلم لك سيظلمك ، ومن نم اليك سينم عليك .

وثلاثة من تمسك بها نال من الدنيا بغيته من اعتصم بالله ورضي بقضاء الله وأحسن الظن بالله ، وقال اعبد الناس من اقام الفرائض وأزهد الناس من ترك الحرام .

كل ذي صناعة مضطر الى ثلاث خلال يحتلب بها الكسب : ان يكون حاذقا في عمله مؤديا للامانة فيه مستميلا لمن استعمله .

اذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة اشياء تعرضوا لدخول الوهن عليهم وشماتة الاعداء بهم ، وهي ترك الحسد فيما بينهم لئلا يتحزبوا فيتشتت امرهم ، والتواصل ليكون ذلك حاديا لهم على الالفـــة ، والتعاون لتشملهم العزة .

وقال له رجل : اني احب الدنيا ، فقال له الامام : تصنع بها ماذا ؟ قال : اتزوج منها وأحج وأنفق على عيالي وأنيل اخواني ، فقال الامام : ليس هذا من الدنيا بل هو من الآخرة .

ثلاثة لا يصيبون الا خيرا : اولو الصمت وتاركو الشر ، والمكثرون من ذكر الله ورأس الحزم التواضع .

فقال له بعضهم وما التواضع يا ابا عبد الله ؟ قال : ان ترضى مـن المجلس بدون شرفك وان تسلم على من لقيت ، وان تترك المراء وان كنت محقا .

وقال للمفضل بن عمر : اوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي : اداء الامانة الى من ائتمنك ، وان ترضى لاخيك ما ترضى لنفسك ، واعلم ان للامور اواخر فاحذر العواقب ، وان للامور بغتات فكـــن على حذر ، واياك ومرتقى جبل اذا كان المنحدر وعرا ، ولا تعدنّ اخاك ما ليس في يدك وفاؤه .

وكان رجل يلازم الامام (ع) ويتردد عليه فانقطع عنه ، ولما سأل عنه قال له بعض من في مجلسه : انه نبطي منتقصا له ، فقال (ع) : اصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون .

وفي بعض الروايات ان عبد العزيز القزاز كان يذهب الى تأليه اهل البيت فدخل على الامام الصادق (ع) فقال له : يا عبد العزيز ضع لي ماء اتوضأ به ، قال عبد العزيز : ففعلت ، فلما دخل قلت في نفسي : هـذا

الذي قلت فيه ما قلت ، فلما خرج قال : يا عبد العزيز ، لا تحمل على البناء فوق ما يطيق انا عبيد مخلوقون ، وقال (ع) : اتقوا الظلم فان دعوة المظلوم تصعد الى السماء ، ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم ، وكان رسول الله يقول : من اصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم.

وقال :

المؤمن من طاب مكسبه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من كلامه وكفى الناس شره وأنصف الناس من نفسه .

اياكم والخصومة فانها تشغل القلب وتورث النفاق ومن زرع العداوة حصد ما بذر ، ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله .

من كافأ السفيه بالسفه فقد رضي بما اوتي اليه حيث احتذى مثاله، ومن عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه فان دعا لم يستجب له ولم يؤجره الله على ظلامته ، ومن كف يده عن الناس فانما يكف يدا واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة .

الفقهاء امناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم على دينكم .

وقال (ع) : ثلاثة تكدر العيش السلطان الجائر وجار السوء والمرأة البذيئة ، وثلاثة لا يصلح العالم بدونها الامن والعدل والخصب .

وثلاثة يجب على كل انسان ان يتجنبها : مقارنة الاشرار ومحادثة النساء ومجالسة اهل البدع .

ومن رزق ثلاثا نال الغنى الاكبر القناعة بما اعطى واليأس مما في ايدي الناس وترك الفضول .

وقال لبعض اصحابه : لا تشاور الاحمق ولا تستعن بكذاب ولا

تثق بمودة الملوك ، فان الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، والاحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد ، والملوك اوثق ما كنت به يخذلك وأوصل ما كنت له يقطعك ، ولا يستغن اهل كل بلد عن ثلاثة : فقيه عالم ورع وأمير خيِّر مطاع وطبيب بصير ثقة ، فان عدموا ذلك كانوا همجا رعاعا .

وقال (ع) : اذا كان الزمان زمان جور وأهله اهل غدر فالطمأنينة الى كل احد عجز ، واذا اردت ان تعلم صحة ما عند اخيك فاغضبه فان ثبت لك على المودة فهو اخوك والا فلا .

وقال (ع) : خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك ، وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت ، وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك .

ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله يوم القيامة : رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه ان يحيف على من هو دونه ومن هو تحت يديه ، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر ، ورجل قال الحق فيما له وعليه . وثلاثة تجب لهم الرحمة : غني افتقر وعزيز قوم ذل وعالم تلاعب به الجهال ، واذا اراد الله برعية خيرا جعل لهم سلطانا رحيما ووزيرا عادلا .

وكان يقول : والله ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاتها بأشد فتكا فيها من حب الجاه والمال في دين المسلم ، ويقول : ليس لك ان تأتمن الخائن وقد جربته ، وليس لك ان تتهم من ائتمنت ، وليس للملول صديق ، ولا لحسود غنى وأحب اخواني من اهدى الي عيوبي ، وان من اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله ، ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا .

وقال لبعض شيعته : ما بال اخيك يشكوك ، فقال : يشكوني ان

استقصيت عليه حقي ، فجلس مغضبا ثم قال : كأنك اذا استقصيت عليه حقك لم تسيء اليه ارأيتك ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب اخافوا ان يجور الله عليهم لا ولكنهم خافوا الاستقصاء فسماه الله سوء الحساب فمن استقصى على اخيه فقد اساء اليه • الى غير ذلك من وصاياه وحكمه التي كان يلقيها على اصحابه وغيرهم لينتزع من نفوسهم بذور الشر ويطبعهم على الخير والحق والثورة على الظلم والظالمين •

اولاد الامام الصادق ووفاته

تخلف الامام الصادق بعشرة اولاد سبعة ذكور وثلاث بنات ، وقيل ان اولاده احد عشر سبعة ذكور وأربع بنات حسب الترتيب التالي : الامام موسى بن جعفر ومحمد المعروف بالديباج لحسنه وجماله واسحاق وهو والديباج من ام واحدة وعلي وكان علي قد خرج على العباسيين في مكة في عهد المأمون وقد ظفر به وعفا عنه وحمله الى خراسان فأقام عنده الى ان مات سنة ثلاث ومائتين وحمل المأمون سريره على عاتقه فقيل له : يا امير المؤمنين لو صليت عليه ورجعت فانك قد تعبت ، فقال : هذه رحم قطعت منذ مائتي سنة ووصلناها اليوم .

وجاء في رواية الواقدي انه كان قد بايعه اهل الحجاز وتهامة واستفحل امره فأسره المعتصم في بعض المعارك وأرسله الى المأمون فأحسن اليه ، وكان متعبدا يصوم يوما ويفطر يوما ، وما خرج قط في ثوب وعاد وهو عليه .

ومن اولاد الامام اسماعيل الاعرج وهو الذي تنسب الفرقة الاسماعيلية بجميع فروعها اليه وقد توفي في حياة ابيه كما تنص على ذلك اكثر الروايات ، وعبد الله والعباس وأم فروة وأسماء وفاطمة

الصغرى وقيل ان ام فروة اسمها اسماء وتكنى بأم فروة ، وفاطمة الكبرى، ونص المفيد على ان اسماعيل وعبد الله وأم فروة امهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) وموسى الامام ومحمد الديباج واسحاق ثلاثتهم لام واحدة اسمها حميدة البربرية ، والباقون من اولاده لامهات شتى وأكبر اولاده عبد الله وبه كان يكنى وهو المعروف بالافطح لعيب في رجله واليه ينسب من قال بامامته بعد ابيه من اصحاب الامام الصادق .

وقيل وفاته نص على امامة ولده موسى بن جعفر وأرشد اصحابه اليه كما تواترت بذلك النصوص الصحيحة ، وكانت وفاته في شوال من سنة ١٤٨ وقيل في النصف من شهر رجب عن ثمانية وستين عاما وقيل اكثر من ذلك .

وجاء في رواية الكليني عن ابي ايوب الجوزي انه قال : بعث الي ابو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب ، فلما سلمت رمى الي الكتاب وهو يبكي وقال : هذا كتاب محمد بن سليمان والي المدينة يخبرني ان جعفر ابن محمد قد مات فإنا لله وانا اليه راجعون واين مثل جعفر ، ثم قال: اكتب فكتبت صدر الكتاب وقال لي : اكتب ان كان اوصى الي رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه ، فرجع الجواب من والي المدينة انه اوصى الى خمسة : ابي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة ، فقال المنصور : ليس الى قتل هؤلاء من سبيل .

وجاء في مروج الذهب انه توفي لعشر سنين خلت من خلافة المنصور سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وجدته فاطمة وعمه الحسن وعلى قبورهم رخامة كتب عليها كما حكى ذلك المسعودي في مروجه وابن الجوزي في تذكرته :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا

قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي ، وعلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين ، وجعفر بن محمد (ع) .

وقال ابو هريرة العجلي حينما حمل المشيعون جنازته :

اقول وقد راحوا بـه يحملونه على كاهل من حامليه وعاتق
اتدرون ماذا تحملون الى الثرى ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ترابا وأولى كان فوق المفارق

الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر (ع)

لم يكن الامام ابو الحسن موسى بن جعفر اكبر اولاد الامـــام الصادق ولعله كان ثالث اولاده او رابعهم وأكبرهم عبد الله الافطح وبه كان يكنى ، وتشير اكثر الروايات الى ان الامام موسى بن جعفر الصادق ولد في الابواء وهو مكان يقع بين مكة والمدينة وفيه قبر آمنة بنت وهب ام النبي (ص) في السابع من صفر سنة ١٢٨ ، وأولم الصادق (ع) بعد ولادته فأطعم الناس ثلاثا كما جاء في رواية البرقي في المحاسن ، من ام اندلسية وقيل بربرية يقال لها حميدة كانت على درجة عالية من الصلاح والتقوى ، وبقي مع ابيه نحوا من عشرين عاما ادرك فيها عهد الامويين وهو في دور الاحتضار يلفظ أنفاسه الاخيرة ، وهو يوم ذاك في سن الطفولة ، وشاهد وهو في هذا السن وبعده وفود العلماء وطلاب العلم من جميع الاقطار تغص بهم المدينة وقد ازدحموا على ابيه شبّابا وشيوخا وهم ما بين مستمع يأخذ منه العلم والحديث ، وبين من يناظره فـــي التوحيد والتشبيه والقدر والامامة وغير ذلك من المواضيع التي شاعت في ذلك العصر وتشعبت فيها الآراء ، ومضت العشرون عاما وهو الى جانب ابيه الصادق (ع) يلقنه من فنون العلم وطرائف الحكمة ما يؤهله الى الامامة العامة التي تنتظره في الغد القريب حتى اصبح وهو في مطلع

شبابه مصدر اعجاب العلماء وتقديرهم ، وحكما مفضلا في حل اكثر المشاكل تعقيدا وتشعبا .

ولعل فيما رواه الرواة عن الحوار الذي جرى بينه وبين امام المذهب الحنفي ابي حنيفة وشهادة ابي حنيفة له بعد نهاية الحوار وهو يوم ذاك لم يتخط سن الصبا ما يشير الى ذلك ، وحسبما اظن ان ابا حنيفة وهو جالس ينتظر الاذن بالدخول على الصادق . لقد خرج عليه الامام موسى بن جعفر وهو يوم ذاك في سن الصبا فأراد ان يستحكيه او يداعبه فافتتح الحديث معه بالسؤال الاول ، وحينما رأى العمق والشمول في جوابه تغيرت نظرته اليه فوجه اليه السؤال الثاني وكان من اعقد المسائل ، والصراع فيه يوم ذاك على اشده بين الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ، وقد روى الرواة هذا الحوار بينهما على النحو التالي :

فقد جاء في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة وغيرها ان ابا حنيفة قال : حججت في ايام ابي عبد الله الصادق (ع) فلما اتيت المدينة دخلت داره وجلست في الدهليز انتظر اذنه اذ خرج صبي فقلت : اين يُحدث الغريب اذا اراد ذلك ؟ فنظر الي ثم قال : يتوارى خلف الجدار ويتوقى اعين الجار وشطوط الانهار ومساقط الثمار وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ويرفع ثوبه ويضع بعد ذلك حيث شاء ، ومضى ابو حنيفة يقول : فلما سمعت منه ذلك نبل في عيني وعظم في قلبي ، فقلت له : جعلت فداك ممن المعصية ؟ فنظر الي وقال : اجلس حتى اخبرك ، فجلست مصغيا اليه ، فقال : ان المعصية لا بد ان تكون اما من العبد او من ربه او منهما جميعا ، فان كانت من الله فهو اعدل وأنصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله ، واما ان تكون منه ومن العبد وهو اقوى الشريكين ، والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف والعفو عنه وان كانت من العبد وحده وهو كذلك فعليه وقع الامر واليه توجه النهي فان عفا عنه فبكرمه

وجوده ، وان عاقبه فبذنبه وجريرته ، وأضاف الى ذلك الراوي ان ابا حنيفة قال : فاستغنيت بما سمعت من الغلام وانصرفت بدون ان القى ابا عبد الله الصادق وقلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

ومهما كان الحال فقبل ان يتخطى الامام سن الصبا تمخضت الاحداث والمعارك الضارية التي استمرت اعواما بين الامويين وأخصامهم الذين كانوا ينادون باسم العلويين ويرددون على مسامع الناس جرائمهم مع اهل البيت تمخضت تلك المعارك التي شملت جميع المناطق عن عهد جديد رحب به المسلمون وظنوا انهم سيجدون في ظله حريتهم وكرامتهم وحقوقهم المغتصبة منذ عشرات السنين . ولم تمض سوى سنوات معدودات على العهد الجديد كان قادته يراقبون فلول اخصامهم ويمهدون لاستتباب الامن واذا بهم يمثلون اقبح الادوار التي كان يمثلها قادة العهد البائد في سلوكهم وسيرتهم وبخاصة مع العلويين وشيعتهم وحاول المنصور اكثر من مرة ان يفتك بالامام الصادق (ع) ولكن الله سبحانه كان يصرفه عنه كما اشرنا الى ذلك خلال حديثنا عن سيرته في الفصول السابقة . لقد بقي الامام موسى بن جعفر مع ابيه عشرين عاما منها خمس سنوات تقريبا من عهد الامويين وأربع سنوات ونصف السنة في عهد عبد الله بن محمد بن علي الملقب بالسفاح وتسع سنوات وأشهر في ملك المنصور الدوانيقي حيث كانت وفاة الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) وعاش بعد ابيه خمسة وثلاثين عاما مدة امامته قضى منها مع المنصور بعد ابيه نحوا من عشر سنوات ، ومع ولده محمد الملقب بالمهدي عشر سنين ، ومع ولده موسى الهادي سنة واحدة ، ومع اخيه هارون الرشيد نحوا من خمسة عشر عاما وبنهايتها كانت وفاته مسموما في حبسه بواسطة السندي بن شاهك امير السجن خلال شهر رجب من سنة ١٨٣ كما هو المشهور بين الرواة .

النص على امامته

بالاضافة الى النصوص التي اشتهرت بين الرواة عن النبي في خلفائه الاثني عشر ، والتي سمتهم في بعضها بأسمائهم وفي البعض الآخر اقترنت بالمواصفات التي لا تنطبق على غيرهم ، وقد ذكرنا بعض تلك النصوص في الفصل الاول من هذا الكتاب وبالاضافة الى هذه النصوص فان كل امام من الائمة الاثني عشر قد نص على خليفته وأرجع خواص اصحابه اليه .

وقد جاء في الارشاد للمفيد ان من الذين رووا عن ابي عبد الله الصادق (ع) صريح النص على امامة ولده موسى من شيوخ اصحابه وخاصته وبطانته وثقاته من الفقهاء الصالحين المفضل بن عمر ومعاذ بن كثير وعبد الرحمن بن الحجاج والفيض بن المختار ويعقوب السراج وسليمان بن خالد وصفوان الجمال وغيرهم من الاصحاب ، كما روي ذلك عن اخويه اسحاق وعلي ابنا جعفر (ع) وكانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان على حد تعبير المفيد في ارشاده .

ومضى يقول : فقد روى موسى الصيقل عن المفضل بن عمر انه قال: كنت عند ابي عبد الله الصادق (ع) فدخل ابو ابراهيم وهو غلام ، فقال

ابو عبد الله : استوص به وضع امره عند من تثق بهم من اصحابك .

وجاء في رواية شبيب عن معاذ بن كثير انه قال : قلت لابي عبد الله اسأل الله الذي رزق اباك منك هذه المنزلة ان يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها ، قال : قد فعل الله ذلك ، قلت : من هو جعلت فداك ؟ فأشار الى العبد الصالح وهو راقد وقال: هذا الراقد، وهو يومئذ غلام.

وقال له عبد الرحمن بن الحجاج وكان قد دخل عليه وهو يدعو وولده موسى الى جانبه يؤمن على دعائه ، فقال له : جعلت فداك قد عرفت انقطاعي اليك وخدمتي لك فمن ولي الامر بعدك ؟ قال : يا عبد الرحمن ان موسى قد لبس الدرع واستوت عليه ، فقلت له : لا احتاج بعد هذا الى شيء .

وجاء في رواية ابن حازم انه قال للامام الصادق : اذا حدث عليك ما لا بد منه فلمن الامر من بعدك ، فقال له ابو عبد الله : اذا كان ذلك فهذا صاحبكم ، وضرب بيده على منكب ابي الحسن الايمن .

وروى محمد بن الوليد عن علي بن جعفر انه قال : سمعت ابي جعفر بن محمد الصادق يقول لجماعة من اصحابه وخاصته : استوصوا بابني موسى خيرا فانه افضل ولدي ومن اخلف من بعدي وهو القائم مقامي والحجة على كافة خلقه بعدي .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي نص بها الامام الصادق على امامته من بعده وأكثرها بهذا الاسلوب الذي يبدو منه وكان الامام يتحاشى فيه الصراحة احيانا خوفا عليه من السلطات الحاكمة التي كانت تراقبه اشد المراقبة في السنين الاخيرة من حياته كما تؤكد ذلك مواقف المنصور معه واهتمامه بمعرفة وصيه عندما بلغه نبأ وفاته ، وقد كتب الى الوالي على المدينة محمد بن سليمان فور وصول النبأ اليه ان كان اوصى الى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه ، فرجع الجواب من الوالي،

انه أوصى الى خمسة : ابي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وولديه عبد الله وموسى وزوجته حميدة ، فقال : اذا كان ذلك فليس الى قتل هؤلاء من سبيل كما جاء في رواية الكليني عن ابي ايوب الجوزي ، ويبدو من وصية الامام الصادق (ع) لهؤلاء الخمسة انه كان يقدر حراجة الموقف ويخاف على خليفته من اولئك الطغاة فصاغ وصيته على هذا النحو وأخبر ثقات اصحابه بخليفته الشرعي وأوصاهم بالتكتم حتى عن عامة الشيعة ريثما يتهيأ الجو المناسب .

واستقبل الامام (ع) خلافته في هذا الجو المحفوف بالمخاطر هو وخلص شيعته وعيون المنصور تراقبهم وتحصي عليهم انفاسهم والباقون من الشيعة حيارى لا يدرون لمن يرجعون ، ولعل رجوع من رجع منهم الى عبد الله الافطح والى اسماعيل كان السبب المباشر له هو عدم اعلان الامام الصادق عن خليفته الشرعي لعامة الشيعة وتكتم الامام موسى بن جعفر (ع) الا عن عدد محدود من خاصة اصحابه خوفا من المنصور وولاته كما تشير الى ذلك رواية هشام بن سالم ، وقد جاء فيها انه قال: كنا في المدينة بعد وفاة ابي عبد الله (ع) : انا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر على انه صاحب الامر بعد ابيه ، فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب ، فقال : في مائتي درهم خمسة دراهم ، فقلنا له : ففي مائة ، قال درهمان ونصف ، قلنا : والله ما تقول المرجئة هذا ، فقال : والله ما ادري ما تقول المرجئة .

ومضى يقول : فخرجنا من مجلسه ضلالا لا ندري الى اين نتوجه والى من نقصد ، فبينما نحن كذلك واذ برجل شيخ لا اعرفه يومي الي بيده فخفت ان يكون عينا من عيون ابي جعفر المنصور ، وقد كان له بالمدينة جواسيس يتحرون له من يجتمع الناس عليه بعد جعفر بن محمد (ع) ليأخذه ويضرب عنقه فخفت ان يكون منهم ، وقلت للاحول:

فاني خائف على نفسي وعليك وهو لا يريد سواي ، فتنحى الاحول عني بعيدا وتبعت الشيخ لظني بأني لا اقدر على التخلص منه ، فما زلت اسير معه وفي ظني اني اسير الى الموت حتى ورد بي على باب ابي الحسن موسى (ع) ثم تركني ومضى فاذا خادم بالباب فقال لي : ادخل رحمك الله فدخلت فاذا ابو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداء منه الي لا الى المرجئة ولا الى القدرية ولا الى المعتزلة ولا الى الزيدية ، فقلت له : جعلت فداك مضى ابوك ، فقال : نعم ، قلت : مضى موتا ، قال : نعم ، فقلت له : جعلت فداك فمن لنا من بعده ، قال : هداك الله الى ما تريد ، قلت : جعلت فداك ان عبد الله اخاك يزعم انه الامام بعد ابيه ، فقال : ان اخي عبد الله يريد ان لا يعبد الله ، قلت : جعلت فداك فمن بعد ابيك ، فقال : ان شاء الله ان يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك فأنت هو ، قال : لا اقول ذلك .

فقلت في نفسي لم أصب طريق المسألة ، قلت له : عليك امام ، قال: لا ، فدخلني منه شيء لا يعلمه الا الله اعظاما وهيبة ، ثم قلت له : جعلت فداك ، اسألك كما كنت اسأل اباك ، قال : تخير ولا تذع فان اذعت فهو الذبح ، فسألته : فاذا هو بحر لا ينزف . ثم قلت له : ان شيعة ابيك ضلال فألقي اليهم هذا الامر وأدعوهم اليك فقد اخذت علي الكتمان ، قال : من انست منهم رشدا فألق اليه وخذ عليه الكتمان فان اذاع فهو الذبح وأشار بيده الى حلقه .

ولما خرجت من عنده لقيت ابا جعفر الاحول فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : الهدى وحدثته بما جرى معي ، ثم التقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه ، وكل من دخل عليه قطع بامامته الا طائفة عمار الساباطي ، ولم يبق الى جانب عبد الله الافطح الا القليل من الناس ، وأخذ امر الامام ينتشر ويتسع حتى اهتدى اليه اكثر الشيعة ورجعوا اليه في مشاكلهم وأمور دينهم بالرغم من الرقابة

الشديدة التي وضعها المنصور ومحاولاته لتشتيت امر الشيعة وارجاعهم الى اخويه عبد الله واسماعيل ، مع العلم بأن اسماعيل قد مات في حياة ابيه وقد شيعه بحضور الوالي محمد بن سليمان ، وكان كما جاء في بعض الروايات كلما سار المشيعون بالنعش خطوات يتقدم الامام الصادق ويكشف وجهه للناس ، ومع ذلك فقد قال بعض الشيعة بامامته ورحب المنصور وأنصاره بهذه الفكرة وأشاعوا بأن الوالي على البصرة كتب اليهم يخبرهم بوجوده فيها وانه مر على مريض مزمن فدعا له وبرىء من مرضه .

لمحات عن كرمه وحلمه وصفاته

لقد اتفق واصفوه بأنه كان أعبد اهل زمانه وأزهدهم في الدنيا وأفقههم وأسخاهم كفا وأكرمهم نفسا ، وكان يصلي نوافل الليل اذا دخل ثلثه الاخير ويستمر في الصلاة الى طلوع الفجر ، فاذا جاء وقت صلاة الصبح صلاها ثم يشرع في الدعاء والبكاء من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع ويغشى عليه من خشية الله ، واذا قرأ القرآن يجتمع عليه الناس لحسن صوته ويبكون احيانا لخشوعه وبكائه ، ولقبه الناس بالعبد الصالح ، وأصبح يعرف بهذا اللقب اكثر مما يعرف باسمه وكنيته .

وجاء في كتاب مطالب السؤال : انه كان يلقب بالصالح والصابر والامين والكاظم ، ويعرف بالعبد الصالح ، وسمي الكاظم ، لانه كظم الغيظ وصبر على ما احيط به من البلاء ، وفي رواية ابن الجوزي في تذكرته انه سمي الكاظم ، لانه كان اذا بلغه عن احد سوء بعث اليه بمال يغنيه .

وقد جاء في وصفه عن شقيق البلخي كما في رواية ابن الجوزي انه قال : خرجت حاجا سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية واذا بشاب

حسن الوجه شديد السمرة عليه ثوب صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان فجلس منفردا عن الناس ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كلا على الناس ، والله لامضين اليه وأوبخنه، فدنوت منه فلما رآني مقبلا ، قال : يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، فقلت في نفسي هذا عبد صالح قد نطق بما في خاطري لألحقنه واسأله ان يجالسني فغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تنحدر على خديه ، فقلت في نفسي امضي اليه وأعتذر منه ، فأوجز في صلاته وقال : يا شقيق واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، فقلت : هذا من الابدال قد تكلم عن سري مرتين ، فلما نزلنا زيالا اذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد ان يستقي الماء فسقطت الركوة في البئر ، فرفع طرفه الى السماء وقال :

انت ربي اذا ظمئت الى الماء وقوتي اذا اردت الطعاما

فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى اربع ركعات ثم مال الى كثيب رمل هناك فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب ، فقلت اطعمني من فضل ما رزقك الله وما انعم عليك ، فقال : يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا سويق وسكر ما شربت والله الذ منه ولا اطيب ريحا فشبعت وريت وأقمت اياما لا اشتهي الطعام ولا الشراب ، ثم لم اره حتى دخلت مكة فرأيته ليلة الى جانب قبة الشراب نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما طلع الفجر جلس في مصلاه يسبح فلما انتهى قام الى صلاة الفجر وطاف بالبيت سبعا وخرج ، فتبعته لاعرف اين يذهب ، فاذا له حاشية وأموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به ، فقلت لبعضهم : من هذا ؟ فقال:

هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابي طالب (ع) .

والحديث المذكور من حيث وصفه لعبادة الامام وانقطاعه الى الله سبحانه موافق لما اجمع عليه واصفوه من المحدثين وغيرهم فلا يضره ضعف سنده ولا ميول راويه البلخي الى التصوف ، ولا اشتماله على تلك الكرامة لان الروايات الشيعية والسنية تنسب له ولغيره من ائمة اهل البيت ما هو اعظم منها وليس بكثير على من استجاب لله وأطاعه ان يستجيب الله لطلبه ودعائه وان يكون في عونه على ان التصديق والايمان بهذه الكرامات ليس من ضرورات التشيع لاهل البيت، كما اجمع واصفوه على انه كان اعبد اهل زمانه فقد اجمعوا على انه كان واسع العطاء يعطي القريب والبعيد لا تنقص صراره عن ثلاثمائة دينار، وقد قال اهل زمانه : عجبا لمن جاءته صرار موسى بن جعفر وشكا الفقر.

وجاء في تاريخ بغداد للخطيب انه كان سخيا كريما يصر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ويخرج بها ليلا يوزعها على بيوت المحتاجين وكان يضرب المثل بصراره .

وروى البغدادي في تاريخه عن محمد بن عبد الله البكري انه قال: قدمت المدينة اطلب بها دينا فأعياني فقلت لو ذهبت الى ابي الحسن موسى بن جعفر وشكوت اليه ذلك ، فأتيته في ضيعته فابتدأني بالسؤال عن حاجتي وذكرت له قصتي فدخل الى بيته وخرج منه مسرعا ، وقال لغلامه : اذهب ، فلما ذهب الغلام مد يده ودفع لي صرة فيها ثلاثمائة دينار فركبت دابتي وانصرفت .

كما روى الخطيب البغدادي في تاريخه ايضا عن عيسى بن محمد ابن مغيث القرظي انه قال: زرعت بطيخا وقثاء وقرعا في موضع بالجوانية على بئر يقال لها ام عظام فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين

مائة وعشرين دينارا فبينما انا جالس اذ طلع علي موسى بن جعفر (ع) فسلم وقال : كيف حالك ، فقلت : اصبحت كالصريم بغتني الجراد فأكل زرعي ، قال : وكم غرمت عليه ؟ قلت : مائة وعشرين دينارا مع ثمن الجملين ، فقال (ع) يا عرفة زن لابي المغيث مائة وخمسين دينارا فتربحك ثلاثين دينارا والجملين ، فقلت : يا مبارك ادخل وادع لي فيها فدخل ودعا بها ، وحدثني عن رسول الله (ص) انه قال : تمسكوا ببقايا المصائب ، ثم علقت عليه الجملين وسقيته فجعل الله فيها البركة .

وأضاف الى ذلك البغدادي في رواية اخرى بسنده الى ادريس بن ابي رافع عن محمد بن موسى انه قال : خرجت مع ابي الى ضياعه بساية فأصبحنا في غداة باردة وقد وفدنا منها وأصبحنا على عين من عيون ساية فخرج الينا من تلك الضياع عبد زنجي فصيح مستذئر بخرقة على رأسه قدر فخار يفور فوقف على الغلمان وقال : اين سيدكم ؟ فقالوا : هو ذاك ، فقال ابو من ؟ قالوا له : ابو الحسن ، فوقف عليه وقال : يا سيدي يا ابا الحسن هذه عصيدة اهديتها اليك ، فقال له : ضعها عند الغلمان ، فأكلوا منها ثم ذهب ورجع وعلى رأسه جزمة حطب، فقال له : يا سيدي هذا حطب اهديته اليك ، قال : ضعه عند الغلمان وهب لنا نارا، فذهب وجاء بالنار وكتب ابو الحسن اسمه واسم مولاه ودفعه الي وقال : يا بني احتفظ بهذه الرقعة حتى اسألك عنها ، فوردنا الى ضياعه وأقام بها ما طاب له ، ثم قال : امضوا بنا الى زيارة البيت فخرجنا حتى وردنا مكة ، فلما قضى ابو الحسن عمرته دعا صاعدا وقال: اذهب واطلب لي هذا الرجل فاذا علمت بموضعه فاعلمني حتى امشي اليه فاني اكره ان ادعوه والحاجة لي ، قال : صاعد ، فذهبت حتى وقفت على الرجل ، فلما رآني عرفني وكنت اعرفه وكان يتشيع فسلم علي وقال ابو الحسن : قدم ، قلت : لا ، قال : فأي شيء اقدمك ؟ قلت : حوائج ، وقد كان علم مكانه بساية فتبعني وجعلت أتقصى منه

ويلحقني ، فلما رأيت اني لا اتفلت منه مضيت الى مولاي ومضى معي حتى اتيته فقال لي : الم اقل لك لا تعلمه ، فقلت : جعلت فداك لم اعلمه ، ثم قال له الامام (ع) : اتبيعني غلامك فلان ؟ فقال له : جعلت فداك الغلام والضيعة وجميع ما املك اقدمه لك ، فقال : اما الضيعة فلا احب ان اسلبكها ، وقد حدثني ابي عن جدي ان بائع الضيعة مسحوق ومشتريها مرزوق ، وأصر الرجل على تقديمها له وأخيرا اشترى منه الضيعة والغلام بألف دينار ، ثم اعتق العبد ووهب له الضيعة .

وجاء في مقاتل الطالبيين بسنده عن يحيى بن الحسن انه قال : كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير وكانت صراره ما بين الثلاثمائة الى المائتين ، ويضرب بها المثل .

ويروي الرواة عنه ان رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه ويشتم عليا (ع) فقال له بعض حاشيته : دعنا نقتله فنهاهم عن ذلك اشد النهي وزجرهم اشد الزجر ، وسأل عن العمري في بعض الايام فقيل له : انه يزرع بناحية من نواحي المدينة ، فركب اليه في مزرعته فوجده فيها فدخل المزرعة بحماره ، فصاح به العمري : لا تطأ زرعنا فاستمر في طريقه حتى انتهى اليه فنزل وجلس عنده وجعل يضاحكه ، ثم قال له : كم غرمت في زرعك هذا ؟ قال : مائة دينار ، قال : فكم ترجو ان تصيب منه ؟ قال : انا لا نعلم الغيب ، فقال له الامام : انما قلت لك كم ترجو ان يجيئك منه ، قال : ارجو ان يجيئني مائتا دينار فأعطاه ثلثمائة دينار ، وقال : هذا زرعك على حاله ، فقام العمري وقبل رأسه وانصرف فذهب الامام الى المسجد فوجد العمري جالسا فلما نظر اليه قال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فوثب اصحابه وقالوا له : ما قصتك لقد كنت تقول خلاف هذا فخاصمهم وشاتمهم وجعل يدعو لابي الحسن موسى بن جعفر (ع) كلما دخل وخرج ، وقال ابو الحسن لحاشيته الذين ارادوا قتل العمري : ايما كان خيرا ما اردتم

او ما اردت ان اصلح امره بهذا المقدار .

الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تعرضت لما كان يتمتع به من خلق رفيع وسخاء وصبر على الشدائد وزهد في الدنيا ومغرياتها .

لقد كانت حياة ائمة الشيعة (ع) للعلم والدين وخدمة الانسانية يسترخصون كل شيء في سبيل ذلك غير ان الظروف القاسية التي تجرعوا مرارتها في جميع الادوار والمراحل التي مروا بها كانت تحول بينهم وبين اهدافهم في اكثر الاحيان ، ولم يذوقوا طعم الراحة الا في فترات معدودات استغلوها لخير الاسلام ونشر تعاليمه وأحكامه كما يشهد بذلك تاريخهم الطويل .

لقد مضى عهد وأقبل آخر على حساب العلويين كما ذكرنا في الفصول السابقة وكانت بينهما حروب وأحداث احس فيها الامامان الباقر والصادق بالانفراج واجتمع اليهما الناس من هنا وهناك فكانت تلك الجامعة التي انضم اليها اربعة آلاف من العلماء وطلاب العلم ، وما ان اطمأن حكام الدولة الجديدة على مصيرهم حتى وقف خليفتهم الثاني المنصور الدوانيقي لها موقف الخصم العنيد وحاول اكثر من مرة ان يفتك بزعيمها الامام الصادق (ع) ولكن ارادة الله سبحانه كانت تحول بينه وبين ذلك .

وبالرغم من رقابة المنصور على الامام الصادق (ع) ومدرسته والتضييق عليه وعلى اصحابه فلقد تابع رسالته حتى النفس الاخير من حياته ، ولما بلغه نبأ وفاته طلب من واليه على المدينة ان يقتل خليفته ان كان اوصى لاحد بعينه ، ولما اخبره الوالي بوصيته لخمسة احدهم المنصور جعل يتحرى خليفته الشرعي ويعمل على تشتيت امر الشيعة بكل ما لديه من الوسائل كما ذكرنا من قبل فاحتجب الامام حتى عن اصحابه وشيعته ولم يعد بامكانهم ان يتصلوا به الا متسترين في جوف الليل وفي ظروف خاصة .

في هذا الجو المحفوف بالمكاره كان ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) يتابع رسالة آبائه في نشر العلم والحديث والاخلاق والدفاع عن الاسلام وأحواله وروى عنه اصحابه آلاف الاحاديث في مختلف المواضيع .

ومع ان حياته بعد ابيه كانت تخضع للرقابة الشديدة وفي ظل السجون والمعتقلات . فقد روى عنه المحدثون في مختلف ابواب الفقه وغيره من المواضيع الاسلامية اكثر مما رووه عن غيره ممن جاء بعده من ائمة اهل البيت (ع) ولعل مرد ذلك الى انه قد ادرك شطرا من حياة ابيه وأخذ منه ما لم يتيسر لاحد غيره وأصبح معروفا بين اصحابه وطلاب مدرسته فرجعوا اليه بعد وفاة ابيه ، عندما كانت الظروف تسمح لهم بذلك ولو في ظلام الليل .

وقد اشتهر من بين اصحابه ستة بالصدق والامانة وأجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الائمة (ع)، واشتهر بين المحدثين ثمانية عشر رجلا من اصحاب الائمة الثلاثة الباقر والصادق وموسى بن جعفر وهم اصحاب الاجماع ستة من اصحاب ابي جعفر ، وستة من اصحاب ابي عبد الله الصادق ، وستة من اصحاب ابي الحسن موسى بن جعفر. وهم يونس بن عبد الرحمن ، وصفوان بن يحيى بياع السابري ، ومحمد ابن عمير ، وعبد الله بن المغيرة ، والحسن بن محبوب السراد ، وأحمد ابن محمد بن ابي نصر البزنطي .

وجاء في ترجمة يونس بن عبد الرحمن انه اخذ من الامام موسى بن جعفر وكان من خلص اصحابه وصفوتهم وأدرك شطرا من حياة الامام الرضا (ع) وقال فيه : يونس بن عبد الرحمن في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه .

وقال الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست : ان له ثلاثين كتابا في مختلف المواضيع ، وكان كما جاء في ترجمته يزور في كل يوم اربعين رجلا من اخوانه المؤمنين ثم يرجع الى بيته لا يترك التأليف الا للصلاة

والطعام وقضاء الحاجة وله مؤلفات في علم الكلام وآراء تدل على سعة علمه وقوة تفكيره كما نص على ذلك الكشي والمرزا محمد في اتقان المقال والقمي في الكنى والالقاب . كما جاء في ترجمة محمد بن ابي عمير انه كان من اصحاب الامامين موسى بن جعفر وولده الرضا(ع) وقد اخذ عنهما الحديث والفقه وألف فيما اخذه عنهما في الفقه وغيره .

وروى عنه احمد بن محمد بن عيسى القمي كتب عن مائة رجل من اصحاب الصادق (ع) وقال عنه الجاحظ : انه كان اوثق الناس عند الخاصة والعامة وأعبدهم وأوحد اهل زمانه في الاشياء كلها .

وجاء في رواية الفضل بن شاذان انه قال : دخلت العراق فرأيت رجلا يعاتب صاحبه ويقول له : انت رجل عليك دين ولك عيال وتحتاج ان تكتسب لاجلهم ولا آمن عليك ان تذهب عيناك لطول سجودك . فرد عليه بقوله : لقد اكثرت علي ويحك لو ذهبت عينا احد من السجود لذهبت عين ابن ابي عمير فلقد كان اطول الناس سجودا .

وحبسه الرشيد لانه كان وثيق الصلة بالامامين الكاظم والرضا (ع) وقد امتنع ان يخبره عن اصحاب الامام وخواصه وهو بهم عارف وخبير، وبقي حبسه مدة من الزمن ، ولما ضاق به امره دفع الى امير الحبس السنكري بن شاهك مائة وعشرين الف درهم فأخرجه من السجن وكان كما جاء في ترجمته خاف ان تصادر اجهزة الرشيد كتبه التي ألفها من احاديث الائمة فدفنها في التراب في زاوية من داره ، ولما خرج من الحبس وجدها بالية ، فأصبح بعد ذلك يعتمد احيانا فيما يحدث به على ذاكرته بدون ذكر السند ، وقد اخذ الفقهاء بمراسيله واعتمدوا عليها لعلمهم بوثاقته وسبب الارسال في مروياته ، وشاع عن جماعة من المحدثين ان مراسيل ابن عمير كمسانيد غيره من الثقات .

ومن الستة اصحاب الاجماع صفوان بن يحيى بياع السابري ، وكان من تلامذة الامام ابي الحسن موسى بن جعفر (ع) ولازم بعد

وفاته الامامين الرضا والجواد ، وروى كما في ترجمته عن اربعين من تلامذة الامام الصادق وألف من آثار الائمة اكثر من ثلاثين كتابا كما نص على ذلك الكشي والطوسي وابن النديم وغيرهم من المؤلفين في احوال الرواة .

ومنهم عبد الله بن المغيرة والبجلي ، وقد أكد المؤلفون في احوال الرواة وثاقته وأضافوا الى ذلك انه ممن اجمعت العصابة على صحة مروياته عن الامام ابي الحسن الاول موسى بن جعفر وغيره وتـــرك مجموعة من المؤلفات في مختلف المواضيع .

ومن الستة اصحاب الاجماع احمد بن محمد بن عمـــرو المعروف بالبزنطي والحسن بن محبوب السراد وهما من ثقات اصحاب الامامين موسى بن جعفر وولده الرضا (ع) وقد ادركا محمد الجواد ورويا عنه في الفقه وغيره ، ونص المؤلفون في احوال الرواة على ان الاصحاب قد اجمعوا على الاخذ بمروياتهما . هؤلاء الستة وستة من اصحاب الباقر وستة من اصحاب ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق قد اجمـــع المحدثون على تصديقهم والاخذ بمروياتهم ، وهذا ما تعنيه تسميتهـــم بأصحاب الاجماع .

وقد اشتهر من بين تلامذة الامام الكاظم (ع) جماعة غير هـــؤلاء الستة ، ولكنهم لم يبلغوا مرتبة هؤلاء على ما يبدو من المؤلفات فـــي احوال الرجال ، منهم صفوان بن مهران الجمال وقد روى عن الامـام الصادق ولازم بعده الامام موسى بن جعفر وأخذ عنه الفقه والحديث وألف فيهما كما نسب اليه ذلك الكشي والطوسي وابن النديم وغيرهم .

وقال له الامام الكاظم : يا صفوان كل شيء منك حسن جميل مـا خلا شيئا واحدا ، فقال : جعلت فداك اي شيء هو ؟ قال : اكـــراك جمالك لهارون الرشيد ، فقال : والله ما اكريته أشرا ولا بطرا ولا لصيد او لهو ، ولكني اكريته لطريق مكة ولا اتولاها بنفسي ، وانما ابعث

معها غلماني ، فقال لي : يا صفوان ألست تحب بقاءهم الى ان يخرج كراك منهم ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله ، قال : فمن احب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار .

وروى معمر بن خلاد ان ابا الحسن موسى قال : والله ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاتها بأضر في دين المسلم من حب الرياسة ولكن صفوان لا يحب الرياسة .

ومنهم عبد الرحمن البجلي الكوفي وكان قد روى عن الامامين الصادق وولده ابي الحسن موسى وقد بشره الامام موسى بن جعفر بالجنة كما روى الكشي في رجاله وكان واسع الافق قوي الحجة ومحيطا بعلوم عصره ، وقال له الامام (ع) : كلم اهل المدينة فاني احب ان يرى الناس في رجال الشيعة مثلك .

ومنهم اسحاق بن عمار الكوفي الصيرفي ، وكان من شيوخ تلامذة الامامين الصادق والكاظم ومن الذين جمعوا احاديثهما في مختلف المواضيع ، وقد وثقه العلامة في خلاصته وغيره ممن كتبوا في احوال الرواة وقالوا : بأنه ممن ساهم في تأليف الكتب المعروفة بالاصول الاربعمائة ، وأضافوا الى ذلك ان الامام الصادق (ع) قال له : يا اسحاق خف الله كأنك تراه وان شككت في انه يراك فقد كفرت ، وان تيقنت انه يراك ثم برزت له في المعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك .

ومن الذين اخذوا عن الامام موسى بن جعفر اسماعيل بن موسى ، فلقد اخذ عن ابيه وعن اصحاب جده الامام الصادق ، وكان قد هاجر الى مصر وأقام فيها وألف في الفقه كتبا كثيرة مما اخذه من ابيه وتلقاه من المرويات عن اجداده كما نص على ذلك الطوسي في الفهرست والنجاشي في رجاله .

وممن رحلوا الى مصر من اولاد الائمة ورواة احاديثهم اسحاق بن

جعفر الصادق (ع) المعروف باسحاق المؤتمن ، وهو والامام موسى بن جعفر ومحمد وفاطمة الكبرى من حميدة البربرية ، وكان كما يصفه المؤلفون في احوال الرواة من اهل الفضل والاجتهاد والورع والصلاح يروي الحديث عن ابيه وأخيه وروى عنه الكثير من الناس وقد روى النص على امامة اخيه موسى بن جعفر ولم يتردد في امامته ، وكان ابن كاسب يعقوب بن حميد المدني اذا حدث عن اسحاق يقول : حدثني الثقة الرضا اسحاق بن جعفر ، كما كان سفيان بن عيينة استاذ الشافعي يصفه بذلك . وقد تزوج من السيدة نفيسة بنت الحسن الانور بن زيد ابن الحسن السبط (ع) صاحبة المقام المعروف في مصر والكرامات المشهورة بين المصريين الى يومنا هذا ، وكانت بالاضافة الى ذلك من الراويات لأحاديث النبي والائمة (ع) ، ولما دخل الشافعي الى مصر سمع منها وأخذ عنها كما جاء في رواية ابن خلكان . وعد المؤلفون في احوال الرواة من ثقات اصحابه الحسن بن علي بن خصال وداوود الرقي وعلي بن جعفر الصادق وعبد السلام بن صالح الحصروي واسماعيل بن مهران وموسى بن بكير الواسطي وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجاء عن احمد بن حنبل انه كان اذا روى عنه يقول : حدثني موسى ابن جعفر عن ابيه جعفر عن ابيه محمد عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن علي بن ابي طالب عن رسول الله ، ثم يعقب على ذلك بقوله: ان هذا السند لو قرىء على مجنون لأفاق ببركته .

من مناظراته ووصاياه لاصحابه وغيرهم من المسلمين

فقد جاء عن يعقوب بن جعفر الجعفري ان قوما زعموا ان الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا ، فقال ابو ابراهيم موسى بن جعفر : ان الله لا ينزل ولا يحتاج ان ينزل ، لم يبعد منه بعيد ، ولم يقرب منه قريب ، ويحتاج اليه كل شيء ، وهو ذو الطول لا إله الا هو العزيز الحكيم ، اما قول الواصفين له بأنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص او زيادة وكل متحرك يحتاج الى من يحركه او يتحرك به فمن ظن بالله الظنون فقد هلك فاحذروا في صفاته من ان تقفوا له على حد تحدونه بنقص او زيادة او تحريك او تحرك او زوال او استنزال ، او نهوض او قعود فان الله سبحانه عز وجل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

وعنه ايضا انه سأله رجل يقال له عبد الغفار عن قوله تعالى : ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وقال : ارى ههنا خروجا من حجب وتدليا الى الارض ، وأرى محمدا رأى ربه بقلبه ونسب الى بصره فكيف هذا ؟ فقال ابو ابراهيم : دنا فتدلى فانه لم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن ، فقال عبد الغفار : اصفه بما وصف به نفسه

هيث قال : دنا فتدلى ، فلم يتدل عن مجلسه الا وقد زال عنه ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه ، فقال ابو ابراهيم : ان هذه لغة في قريش اذا اراد رجل منهم ان يقول قد سمعت ، يقول قد تدليت وانما التدلي هو الفهم .

وروى داوود بن قبيصة عن الامام الرضا (ع) انه قال : سأل رجل أبي : هل منع الله عما امر به ، وهل نهى عما اراد ، وهل اعان على ما لم يرد ؟ فقال : اما قولك هل منع عما امر به فلا يجوز ذلك عليه ، ولو جاز ذلك لكان قد منع ابليس عن السجود لآدم ، ولو منعه لعذره ولم يلعنه ، وأما قولك هل نهى عما اراد ، فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى ادم عن اكل الشجرة اراد منه اكلها ، ولو اراد منه اكلها ، لما نادى عليه صبيان الكتاتيب ، وعصى ادم ربه فغوى ، والله تعالى لا يجوز عليه ان يأمر بشيء ويريد غيره .

وأما قولك : هل اعان على ما لم يرد ، فلا يجوز ذلك عليه ، وتعالى الله عن ان يعين على قتل الانبياء وتكفيرهم وقتل الحسين بن علي والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد اعد جهنم لمخالفيه ولعنهم على تكذيبهم لطاعته وارتكابهم لمخالفته ، ولو جاز ان يعين على ما لم يرد ، لكان اعان فرعون على كفره وادعائه انه رب العالمين ، أفترى انه اراد من فرعون ان يدعي الربوبية ، ومضى الامام يقول : يستتاب قائل هذا القول فان تاب من كذبه على الله والا ضربت عنقه .

وروى الرواة عن الحسن بن علي بن محمد العسكري (ع) ان ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) قال : ان الله خلق الخلق فعلم ما هم اليه صائرون فأمرهم ونهاهم ، فما امر به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا يكونون آخذين ولا تاركين الا باذنه ، وما جبر الله احدا من خلقه على معصيته بل اختبرهم بالبلوى ، كما قال : ليبلوكم أيكم احسن عملا .

ومن وصيته لبعض ولده كما جاء في تحف العقول انه قال : يا بني اياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها واياك ان يفقدك عند طاعة امرك بها ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته فان الله لا يعبد حق عبادته ، واياك والمزاح فانه يذهب بنور ايمانك ويستخف مروءتك ، واياك والضجر والكسل فانهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة .

وجاء في وصيته لهشام بن الحكم : يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم انها جوزة ، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس انها جوزة ما ضرك وأنت تعلم انها لؤلؤة .

يا هشام ما من عبد الا وملك آخذ بناصيته فلا يتواضع الا رفعه الله ولا يتعاظم الا وضعه الله ، ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك ، ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد بما لا يقدر عليه ولا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يتقدم على ما يخاف العجز منه ، الغضب مفتاح الشر وأكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وان خالطت الناس فان استطعت ان لا تخالط احدا منهم الا من كانت يدك العليا عليه فافعل .

يا هشام عليك بالرفق فان الرفق يمن والخرق شؤم ، وان الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق ، ان قول الله : هل جزاء الاحسان الا الاحسان يجري في المؤمن والكافر والبر والفاجر ، من صنع اليك المعروف فعليك ان تكافئه ، وليست المكافأة ان تصنع كما صنع حتى يكون لك الفضل ، فان صنعت كما صنع فان الفضل له بالابتداء .

يا هشام ليس حقا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنا استزاد منه وان عمل سيئا استغفر الله منه وتاب اليه ، واياك ومخالطة

ناس والانس بهم الا ان تجد منهم عاقلا ومأمونا فأنس به واهرب من
ائرهم كهربك من السباع الضارية ، وعليك باليأس مما في ايـــدي
ناس وامت الطمع من المخلوقين فان الطمع مفتاح الذل واختـــلاس
مقل واختلاف المروءات وتدنيس العرض ، وجاهد نفسك لتردها عـن
واها فانه واجب عليك كجهاد عدوك ، من اكرمه الله بثلاث فقد لطف
: عقل يكفيه مؤونة هواه ، وعلم يكفيه مؤونة جهله ، وغنى يكفيه
خافة الفقر .

من حكمه وكلماته القصار

اياك ان تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله ، المؤمن مثل كفتي ميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه ، ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى ، لا تحدثوا انفسكم بفقر ولا بطول عمر فان من حدث نفسه بالفقر يبخل ومن حدثها بطول العمر يحرص ، اجعلوا لانفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروءة وما لا سرف فيه واستعينوا بذلك على امور الدين فليس منا من ترك دنياه لدينه او ترك دينه لدنياه • وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ، وقال لعلي بن يقطين : كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان ، وكلما احدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون احدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون •

وقال (ع) : ينادي مناد يوم القيامة الا من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا وأصلح فأجره على الله ، وقال السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة ، وما زال ابي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى •

الامام مع حكام عصره

لقد ادرك الامام موسى بن جعفر (ع) من حياة ابيه عشرين عاما ، شاهد في الشطر الاخير منها موقف اولئك الحكام الذين كانوا يتباكون بالامس على ما حل ببني عمومتهم آل علي (ع) من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد ، شاهد موقفهم مع ابيه الذي كان منصرفا عن الخلافة والسياسة الى الدفاع عن الاسلام ونشر تعاليمه ، ومع العلويين الذين لم يطيقوا الصبر على الظلم والطغيان فكانوا يخرجون بين الحين والآخر فرارا بدمائهم ودفاعا عن المعذبين والمستضعفين وتجرع مرارة تلك الاحداث القاسية التي قضت على الكثيرين منهم ، ورأى اباه وهو يتعرض لتحديات المنصور وتهديده له بالقتل تارة والحبس اخرى وقد سخر اجهزته لمراقبته في جميع حالاته ، حتى اضطره لان يتستر بالنص عليه حتى عن عامة الشيعة ولم يرشد اليه الا فئة من خلص اصحابه وأوصاهم بالتكتم والحذر من عيون المنصور وزبانيته المنتشرين هنا وهناك . لقد استقبل امامته التي استمرت خمسة وثلاثين عاما في هذا الجو المشحون بالحقد والكراهية لاهل البيت ، فلزم جانب الحذر واعتصم بالكتمان الا عن الخاصة الذين يقدرون حراجة الموقف ويعرفون

كيف يدعون اليه كما تشير الى ذلك رواية هشام بن سالم التي ذكرناها في الفصول السابقة .

ويبدو من المرويات التي تعرضت لتاريخه ، انه بقي طيلة حياته يتقي شر العباسيين ولا يسمح حتى لشيعته وتلامذته من الاتصال به بالشكل الذي اعتادوه في عهد ابيه ، وحتى ان رواة احاديثه قلما كانوا يروون عنه باسمه الصريح ، بل بكنيته تارة فيقول الراوي : سمعت ابا ابراهيم، او ابا الحسن ، وبألقابه اخرى ، كالعبد الصالح والعالم والسيد ونحو ذلك ، وأحيانا بما يشير اليه فيقول : حدثني الرجل وسمعت الرجل وكتبت اليه ونحو ذلك مما يدل على ان الحكام الذين عاصرهم كانوا يراقبونه بدقة ويحصون عليه وعلى اصحابه انفاسهم ، وكان هو بدوره يؤكد على اصحابه وخاصته ان يستعملوا التقية حتى في امور دينهم وعباداتهم كي لا يتعرضوا للخطر والانتقام من حكام زمانه .

فقد جاء في رواية عبد الله بن ادريس عن ابن سنان انه قال : حمل الرشيد في بعض الايام على علي بن يقطين ثيابا اكرمه بها ، وكان علي ابن يقطين من خيرة اصحاب ابي الحسن موسى بن جعفر واجلائهم ويتولى مركزا كبيرا في دولتهم بأمر الامام وهم لا يعرفون مذهبه وميوله ، وكان اذا اهدى اليه الرشيد هدية من ثياب وغيرها قدمها الى الامام (ع) ، ومن جملة الثياب التي اهداها اليه الرشيد دراعة خز سوداء من لباس الملوك مطرزة بالذهب ، فأنفذ ابن يقطين جل تلك الثياب الى الامام (ع) ومن جملتها الدراعة ومبلغ من المال ، فلما وصل ذلك الى الامام (ع) قبل المال ورد الدراعة على يد الرسول لعلي بن يقطين ، وكتب اليه: احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج اليها معه، فارتاب بردها عليه ولم يدر السبب في ذلك .

وبعد ايام تغير على غلام له كان يتولى خدمته ويعرف ميوله الى ابي

الحسن وما كان يحمله اليه من الاموال والهدايا فسعى به الغلام الى الرشيد وأخبره بأنه يقول بامامته ويحمل اليه خمس ماله في كل سنة وقد ارسل اليه فيما ارسله الدراعة التي اكرمته ، فاستشاط الرشيد غضبا وقال : لاكشفن هذا الامر فان صح عليه ذلك ازهقت نفسه ، واستدعاه اليه في الحال ، فلما مثل بين يديه قال له : ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها ، فقال : يا امير المؤمنين هي عندي في سفط مختوم فيه طيب قد احتفظت بها وكلما اصبحت فتحت السفط ونظرت اليها تبركا بها وقبلتها ثم رددتها الى موضعها ، فقال له الرشيد : عليك ان تحضرها الساعة ، فاستدعى بعض خدمه وقال له : امض الى البيت الفلاني في داري وخذ مفتاحه من خازني وافتحه ، ثم افتح الصندوق وجئني بالسفط الذي فيه بختمي فلم يلبث الغلام ان جاء بالسفط مختوما فوضعه بين يدي الرشيد ففتحه ووجد الدراعة فيه بحالها مدفونة بالطيب فسكن غضب الرشيد وقال له : ردها الى مكانها ، وانصرف راشدا فلن اصدق عليك بعد اليوم ساعيا وأمر بضرب الساعي الف سوط فمات تحت السياط .

وجاء في رواية ثانية عن محمد بن الفضل انه قال : اختلفت الرواية بين اصحابنا في مسح الرجلين اهو من الاصابع الى الكعبين ، ام من الكعبين الى الاصابع ، فكتب علي بن يقطين الى الامام (ع) يستفتيه في ذلك فرجع الجواب من الامام يأمره فيه بغسل الرجلين في الوضوء بدلا من مسحهما ، فتعجب من ذلك لانه خلاف ما يعهده من مذهب اهل البيت ولكنه التزم بما امره به في وضوئه وبعد ذلك بأيام وشى احد اخصامه به الى الرشيد وقال له : انه رافضي يخالفك في المذهب ويقول بإمامة موسى بن جعفر ، فقال لبعض خاصته : لقد كثر القول في علي بن يقطين وميله الى الرفض ولست ارى في خدمته تقصيرا وقد امتحنته مرارا فلم اقف منه على شيء ، فقيل له : ان الرافضة تخالف الجماعة

في الوضوء فتخففه ولا ترى غسل الرجلين فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فاستحسن الرشيد هذا الرأي وتركه مدة ثم كلفه بعمل معه في داره ، وكان اذا اشتغل في الدار يخلو الى حجرة فيه لوضوئه وصلاته ، فلما دخل وقت الصلاة ووقف الرشيد يترصده كيف يتوضأ بحيث لا يراه احد فتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا وغسل وجهه وخلل شعر لحيته ثم غسل يديه الى المرفقين ومسح رأسه وأذنيه وغسل رجليه ثلاثا كما امره الامام (ع) في كتابه اليه ، هذا والرشيد ينظر اليه ، فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى اشرف عليه وناداه : كذب يا علي بن يقطين من زعم انك من الرافضة . وبعد ذلك كتب اليه الامام يأمره بأن يعود الى ما كان عليه في وضوئه وأن يمسح مقدم رأسه وظاهر قدميه الى الكعبين كما عليه مذهب اهل البيت (ع) .

الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان الامام موسى بن جعفر (ع) بعد ابيه كان تحت رقابة الحكام هو وأصحابه وقد اتخذ كافة الاحتياطات حتى لا يتعرض هو وشيعته للقتل او الحبس والتشريد ومع ذلك فقد تعرض العشرات من شيعته وأصحابه للقتل والتشريد وكانت نهايته على ايدي الجلادين من جلاوزتهم بعد ان بقي في سجونهم اكثر من احد عشر عاما كما سنتعرض لذلك في ختام هذا الفصل من فصول حياته .

ويبدو من تتبع المراحل التي مر بها انه في السنوات العشر التي قضاها بعد وفاة ابيه الامام الصادق (ع) في عهد المنصور الدوانيقي لم يلتق فيها بالمنصور ولا استدعاه الى بغداد كما كان يستدعي اباه ويتهدده بالقتل ، ولا تعرض في عهده للحبس كما تعرض في عهد ولده محمد المهدي وحفيده هارون الرشيد ، في حين انه كان اخبث منهما نفسا كما تؤكد سيرته مع الامام الصادق والعلويين ، ولما تلقى نبأ وفاة

الصادق (ع) كتب الى عامله على المدينة محمد بن سليمان يأمره بقتل من اوصى اليه ، وأصيب بالخيبة حينما كتب له الوالي بأنه اوصى الى خمسة احدهم المنصور ، فقال : ليس الى قتل هؤلاء من سبيل كما ذكرنا .

ومن اكثر الامور دلالة على سوء سريرته وحقده على البيت العلوي وكل من يتصل به بالولاء حديث الخزانة التي سلم مفاتيحها الى ريطة زوجة المهدي وأوصاها بأن لا تفتحها الا بعد وفاته وبحضور خليفته ، وفي الخزينة اكثر من مائة قتيل من العلويين والى جانب كل قتيل رقعة باسمه ونسبه ، ولم تكن تعلم بذلك لا هي ولا زوجها ولا احد من الناس ، وظنت وهو يوصيها ويؤكد عليها بالكتمان وعدم فتحها الا بعد وفاته ، ظنت ان فيها من الاموال والمجوهرات والتحف ما لا يمكن تقديره بثمن معين .

ولم اجد تفسيرا للاحتفاظ بتلك الجثث الزواكي وتسليمها الى خليفته في الساعات الاوائل من استيلائه على السلطة ، الا انه اراد ان يشجعه على اختيار اسلوب العنف والقسوة على العلويين وكل من يشكل بنظرهم خطرا على عروشهم ووجودهم .

ولعل من ابرز الاسباب التي قضت على المنصور باتخاذ هذا الموقف منه ان الامام ابا ابراهيم (ع) كان يقدر تلك الظروف القاسية التي كانت تحيط به فاعتصم في بيته وانكمش حتى عن شيعته وأصحابه ولم يظهر الا للخواص منهم في ضمن حدود معينة . وكانوا كما ذكرنا من قبل اذا اطمأنوا الى شخص وأدخلوه عليه يوصيه بالكتمان الشديد ويحذره من عواقب الاعلان عنه ، مما يوحي بأن المنصور في تلك الفترة كان يتحراه بكل وسائله ومن الجائز ان لا يهتدي اليه وان لا يعرف بمكانه في تلك السهولة ، وحتى لو عرفه وأيقن بأنه الخليفة الشرعي لابيه ، فما دام معتزلا الناس ومنقطعا عنهم فلا يضره ذلك ولا يراه خطرا على عرشه،

لاسيما وان الكثير ممن كانوا حول ابيه قد رجع بعضهم الى اخيه الافطح عبد الله ، وبعضهم الى اخيه اسماعيل وحصل ارتباك بين الشيعة في تلك الفترة مزق وحدتهم وفرق جماعتهم وفتح المنصور لتلك الفرق والجماعات التائهة صدره وقلبه، وثمة ظاهرة اخرى بدت في سياسة المنصور يوم ذاك ، فقد اتجه الى العلماء المعاصرين للامامين الصادق والكاظم (ع) فمدهم بالمال ورفع من شأنهم وتظاهر بتكريمهم وحاول ان يفرضهم على الناس ليصرف الانظار عن العلويين وفقههم وآثارهم، وقال يوما لبعض جلسائه : لقد بلغت من لذة الدنيا الحد الاقصى ولم يبق في نفسي الا ان اجلس انا والعلماء في مجلس واحد .

لقد كان يقربهم ويدنيهم ويغدق عليهم الهبات والاموال ليحدثوا بعدله وفضله وشرعية خلافته وانه وآله ورثة الرسول والاقربون اليه ، ووجد من العلماء من يتجاوب معه ويكيل له ولاسرته المدح والثناء كمالك بن انس وأمثاله ، وفي مقابل ذلك حاول ان يفرض موطأ مالك على الناس بالسيف وجعل له السلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظفي الدولة فازدحم الناس على بابه وتهيبه الولاة والحكام وحينما وفد الشافعي عليه تشفع بالوالي لكي يسهل له امر الدخول عليه ، فقال له الوالي : ان امشي من المدينة الى مكة حافيا راجلا اهون علي من المشي الى باب مالك ، ولست ارى الذل حتى اقف على باب داره كما جاء في المجلد الثالث من الامام الصادق والمذاهب الاربعة عن معجم الادباء .

هذه الظاهرة من المنصور لم تكن للعلم ولا للدين بلا شك في ذلك ، بل كانت منه تحسبا من ظهور الخليفة الشرعي للامام الصادق الذي كان يتحراه منذ اللحظات الاولى لوفاة ابيه ، وهو لا يشك بأنه اذا ظهر للناس سيكون حديثهم في كل مكان وسيلتف حوله العلماء وطلاب العلم وتلامذة ابيه من جميع الاقطار ، وهذا ما لا يطيقه المنصور لاحد

من العلويين ما دام يرى فيه خطرا على ملكه وزعامة بيته ، ومن غير المعقول في ميازين السياسيين وعشاق الحكم ، وهم يظنون بأن ذلك يشكل خطرا على عروشهم ان يتغاضوا عنه ، ولا يضعوا في طريقه كل هذه الصعاب والعقبات . ومجمل القول ان الامام موسى بن جعفر (ع) كان منكمشا في السنين الاولى من امامته حتى عن شيعته وأصحابه وقد حاربه المنصور بهذه الاساليب مكتفيا بها عن حبسه والتنكيل به، وحينما اشتهر امره ، ورجع اليه اكثر المنحرفين عنه والتف حوله العلماء والرواة وأصبح حديث العدو والصديق في عهد المهدي العباسي استدعاه الى بغداد اكثر من مرة بقصد التنكيل به ولكن ارادة الله كانت تحول بينه وبين ما يريد .

وجاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي : ان اهل السير قالوا : لقد كان مقام موسى بن جعفر بالمدينة فاستدعاه المهدي الى بغداد وحبسه بها ثم رده الى المدينة لطيف رآه ، ومضى يقول : روى الخطيب في تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن ابيه انه قال : لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في بعض الليالي علي بن ابي طالب في نومه فقال له : يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، قال الربيع : فأرسل الي المهدي ليلا فراعني ذلك مجيئه واذا هو يقرأ الآية وكان احسن الناس صوتا ، فقال لي : علي بموسى بن جعفر ، فلما جئته به قام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه وقال : يا ابا الحسن رأيت الساعة امير المؤمنين وهو يقرأ علي هذه الآية افتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي ، فقال : والله ما فعلت ذلك ابدا ولا هو من شيمتي ، فقال : صدقت ، ثم قال : يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى اهله ، قال الربيع : فأحكست امره ليلا فما اصبح الا وهو في الطريق الى المدينة مخافة العوائق .

ومما يدل على ان المهدي العباسي قد استدعى الامام (ع) الى بغداد

اكثر من مرة رواية الكليني في الكافي عن احمد بن محمد وعلي بن ابراهيم بسندهما الى ابي خالد الزبالي انه قال : لما اقدم بأبي الحسن موسى بن جعفر على المهدي القدمة الاولى نزل زبالة وكنت احدثه فرآني مغموما فقال لي : يا ابا خالد مالي اراك مغموما ؟ فقلت : وكيف لا اغم وأنت تحمل الي هذا الطاغية ولا ادري ما يحدث فيك ، فقال : ليس علي بأس اذا كان شهر كذا ويوم كذا فوافني في اول الميل ، فما كان لي هم الا احصاء الشهور والايام حتى كان ذلك اليوم فوافيت الميل فما زلت عنده حتى كادت الشمس ان تغيب ووسوس الشيطان في صدري وتخوفت ان اشك فيما قال فبينا انا كذلك اذ نظرت الى سواد قد اقبل من ناحية العراق فاستقبلتهم فاذا ابو الحسن (ع) امام القطار على بغلة، فقال : يا ابا خالد ، قلت : لبيك يا ابن رسول الله ، فقال : لا تشكن ود الشيطان انك شككت ، فقلت : الحمد لله الذي خلصك منهم ، فقال : ان لي عودة اليهم لا اتخلص منها .

وجاء في بعض المرويات ان المهدي العباسي قد عرض على الامام موسى بن جعفر ان يرد عليه فدكا فرفض قبولها ، ولما ألح عليه المهدي قال لا اقبلها الا بحدودها . قال : وما حدودها ؟ قال : الحد الاول عدن، فتغير وجهه ، والحد الثاني سمرقند فأربد وجهه ، والحد الثالث افريقية، فقال له المهدي : والحد الرابع ، قال: سيف البحر ما يلي الخزر وارمينية، فقال له : لم يبق لنا شيء ، فتحول الى مجلسي ، فرد عليه الامام بقوله : لقد اعلمتك بأني ان حددتها لم تردها .

وفي رواية الزمخشري في ربيع الابرار ان هذا الحوار كان بين هارون الرشيد وبين الامام موسى بن جعفر ولا منافاة في ذلك لجواز ان يتكرر مع الاثنين .

وبقي الامام الكاظم طيلة حكم المهدي وولده الهادي تحت الرقابة الشديدة وقد استدعاه محمد المهدي الى بغداد اكثر من مرة وهو حاقد

عليه وقد حبسه وأطلقه من سجنه لرؤيا رآها كما ذكرنا ، ولم اجد فيما بين يدي من المراجع ما يشير الى ان ولده موسى الهادي قد اساء الى الامام او استدعاه الى بغداد مع انه كان معروفا بالشدة والقسوة، ولعل المدة القصيرة التي حكم فيها لم تسمح له بممارسة اسلوب جده وأبيه ولو طال به العهد لسار على دربهما ولم ينحرف عنها لحظة ابدا .

اما السنين التي قضاها الامام (ع) في عهد الرشيد فكانت اسوأ ما مر عليه في حياته فلقد سخر اجهزته لمراقبته واستدعاه الى بغداد اكثر من مرة في مطلع خلافته وهو حاقد عليه وكان يضعه في سجنه ثم يأمر باخراجه بعد مدة من الزمن ، وأحيانا كان يتظاهر باكرامه وتعظيمه دجلا ونفاقا .

فقد جاء في المجلد الثاني من مروج الذهب للمسعودي عن عبد الله ابن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته على حد تعبير المسعودي ، جاء عنه انه قال : اتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط فأفزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك ، فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي بالدخول فدخلت ووجدته قاعدا على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف جزعي ، ثم قال لي : يا عبد الله أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت ، قلت : لا والله يا امير المؤمنين ، قال : اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد اتاني ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب وخل عنه ، فقلت : يا امير المؤمنين اطلق موسى بن جعفر وكررت ذلك عليه ثلاثا ، قال : نعم امض الساعة حتى تطلقه واعطه ثلاثين الف درهم ، وقل له : ان احببت المقام فلك عندي ما تحب وان احببت المضي الى المدينة فالامر في ذلك اليك ، قال عبد الله بن مالك : فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآني وثب الي قائما وظن اني قد امرت فيه بمكروه فقلت : لا تخف قد امرني

امير المؤمنين باطلاقك وان ادفع اليك ثلاثين الف درهم وهو يقول لك : ان احببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان احببت الانصراف فالامر في ذلك مطلق اليك وأعطيته الثلاثين الف درهم وخليت سبيله ، وقلت له : لقد رأيت من امرك عجبا ، قال : فانيّ اخبرك : بينما انا نائم اذ اتاني النبي (ص) فقال موسى حبست مظلوما ، فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس ، فقلت له بأبي وأمي ما اقول ، فقال : قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما وناشرها بعد المُوت اسألك بأسمائك الحسنى وباسمك العظيم الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه احد من المخلوقين ، يا حليما ذا الاناة لا يقوى على اناته احد يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابدا ولا يحصى عددا فرج عني ، فكان ما ترى .

ويبدو من بعض الروايات انه حبسه اكثر من مرة وكان يطلقه ويعتذر منه ويرده الى المدينة معززا مكرما .

وأحيانا كان يستدعيه الرشيد لبغداد او يقصده الامام (ع) عندما يذهب الى المدينة في طريقه الى مكة فيجله ويفضله على جميع الناس ، فقد روى الصدوق عن الامام موسى بن جعفر (ع) انه قال : لما ادخلت على الرشيد قال لي : لما جوزتم للعامة والخاصة ان ينسبوكم الى رسول الله (ص) وأنتم بنو علي وانما ينسب المرء الى ابيه والنبي (ص) جدكم من قبل امكم ، فقلت له : يا امير المؤمنين لو ان النبي نشر وخطب اليك كريمتك أكنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله ولم لا اجيبه ، فقلت : لكنه لا يخطب الي ولا ازوجه ، فقال : ولِمَ يا ابا الحسن ؟ فقلت : لانه ولدني ولم يلدك ، فقال : احسنت يا موسى ، ثم قال : كيف قلتم انا ذرية النبي والنبي (ص) لم يعقب وانما العقب للذكر لا للانثى وأنتم من ولد ابنته، فسألته بالقرابة وبحق القبر ومن فيه الا ما اعفاني من الجواب فقال : لا بد وان تخبرني بحجتكم يا ولد علي وأنت يا موسى يعسوبهم وامام

زمانهم كما انهي الي ولست اعفيك حتى تأتيني بحجة من كتاب الله فقرأ عليه الامام الآية :

ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى، وهنا سأله الامام (ع) : من ابو عيسى يا امير المؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى اب ، فقال الامام انا الحقناه بذراري الانبياء عن طريق امه مريم ، ونحن الحقنا بذرية النبي من قبل امنا فاطمة (ع) ، ومضى الامام يقول : وان شئت ازيدك يا امير المؤمنين ، فقال : نعم ، فقرأ عليه آية المباهلة ، فمن حاجك بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وأضاف الى ذلك انه لم يدع احد ان النبي ادخل تحت الكساء عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل قوله عز وجل ابناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة وأنفسنا علي بن ابي طالب ، فقال له الرشيد : لقد اصبت وأحسنت يا ابا الحسن .

ويروي الرواة عن المأمون انه قال لجماعة من اصحابه : اتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعا : لا والله ما نعلم ذلك ، قال علمنيه الرشيد ، قيل له : وكيف ذلك والرشيد كان يقتل اهل هذا البيت ؟ قال: كان يقتلهم على الملك لان الملك عقيم ، لقد حججت معه سنة فلما صار الى المدينة تقدم الى حجابه وقال : لا يدخلن علي رجل من اهل المدينة ومكة من ابناء المهاجرين والانصار وبني هاشم وسائر بطون قريش الا نسب نفسه ، فكان الرجل اذا اراد ان يدخل عليه يقول : انا فلان بن فلان حتى ينتهي الى جده من هاشم او قريش وغيرهما فيدخل ويصله الرشيد بخمسة آلاف وما دونها الى مايتي دينار على قدر شرفه وهجرة آبائه ، فبينما انا ذات يوم واقف اذ دخل الفضل بن الربيع فقال : يا امير المؤمنين على الباب رجل زعم انه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن

الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والامين والمؤتمن وسائر القواد وقال احفظوا على انفسكم ، ثم قال لآذنه ائذن له ولا ينزل الا على بساطي ، فانا كذلك اذ دخل شيخ قد انهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم السجود وجهه وانفه ، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان يركبه فصاح الرشيد : لا والله الا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل ، ونظرنا اليه بأجمعنا بالاجلال والاعظام ، فما زال يسير على حماره حتى سار الى البساط والحجّاب والقواد محدقون به فنزل وقام اليه الرشيد واستقبله الى آخر البساط وقبل وجهه ورأسه وأخذ بيده حتى جره في صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدثه ويقبل عليه ويسأله عن احواله ، ولما قام الرشيد لقيامه وودعه ، ثم اقبل علي وعلى الامين والمؤتمن ، وقال : يا عبد الله ويا محمد ويا ابراهيم سيروا بين يدي عمكم وسيدكم وخذوا بركابه وسووا عليه ثيابه .

وفي رواية ثانية ان المأمون استغرب من ابيه هذا الصنيع وسأله بعد ان انفرد به عن سبب هذا التقدير والاجلال ، فقال له : يا بني انه صاحب الحق ، فقال له المأمون : اذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه ، فقال انه الملك : والله لو نازعتني فيه لاخذت الذي فيه عيناك الى غير ذلك مما يرويه الرواة عن مواقفه معه التي يبدو في بعضها في منتهى القسوة والشدة وفي بعضها الآخر في منتهى الرفق واللين والتسامح ، وليس ذلك ببعيد عليه ولا بغريب عن اسلوبه في حياته مع الناس ، فلقد كان يتكيف مع الظروف والمناسبات ويستدعي الوعاظ والعلماء ليذكروه بالله وهو يبكي حتى ليظن من يراه ان نفسه ستذهب خوفا ووجلا ، ويصلي اكثر من مائة ركعة في اليوم كما جاء ذلك في المجلد الاول من عصر المأمون ، فاذا جاء وقت الشراب والندمان والجواري تراه انسانا آخر من اسوأ الناس حالا واذا علم ان شخصا لا يقره على ظلمه ، او ظن بأن انسانا يشكل خطرا على مجده وعرشه يعود سفاحا يتلذذ باراقة الدماء

والتعذيب كما تتلذذ الوحوش الضارية بفريستها .

ومهما كان الحال فبالرغم من الحصار الذي ضربه الرشيد على الامام موسى بن جعفر ، فلقد اتسعت شهرته في الحجاز والعراق وجميع المناطق وقصده العلماء وطلاب العلم ورجع الى القول بامامته اولئك الذين انحرفوا عنه بالامس والتف حوله الشيعة يجبون اليه خمس اموالهم وزكاتها ولم يكن ليخفى على الرشيد شيء من ذلك ، وبالاضافة الى ذلك فقد شحنه الوشاة والحاقدون بالخوف على عرشه ودولته ووفد عليه اقرب الناس الى موسى بن جعفر محمد بن اسماعيل ليقول له : خليفتان في عصر واحد عمي موسى بن جعفر بالحجاز ، والرشيد في بغداد ، وتتراكم الصور المخيفة منه في نفس الرشيد حتى تبلغ ذروتها وحينما وقف على قبر النبي وحوله ملأ من الناس وقال : السلام عليك يا ابن العم، وكان الامام موجودا الى جانب القبر فقال على الفور: السلام عليك يا ابتاه ، قال ذلك ليفسد عليه غايته ، لان الرشيد كان من قصده ان يستعلي على الناس بقرابته للرسول ويوهمهم بأن ارثه قد تحدر اليه من جده العباس عم النبي (ص) فاغتاظ الرشيد من ذلك وصمم على التخلص منه كما يدعي الرواة .

وجاء في رواية الكليني عن موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر انه قال : جاءني محمد بن اسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب ونحن بمكة فقال : يا عم اني اريد بغداد وقد احببت ان اودع عمي ابا الحسن وأحببت ان تذهب معي اليه فخرجت معه نحو اخي وهو في داره التي بالحوية وذلك بعد المغرب بقليل فضربت الباب فأجابني اخي فقال: من هذا ؟ فقلت : علي ، فقال : هوذا اخرج ، وكان بطيء الوضوء فقلت : العجل ، فخرج عليه ازار ممشق عقد عقده في عنقه حتى قعد تحت عتبة الباب فقال علي بن جعفر : قد جئتك في امر ان تره صوابا فالله وفق له وان كان غير ذلك فما اكثر ما نخطىء ، قال : وما هو ؟

قلت : هذا ابن اخيك يريد ان يودعك ويخرج الى بغداد ، فقال لي ادعه، فدعوته وكان متنحيا فدنا منه وقبل رأسه وقال : جعلت فداك ، اوصني، فقال : اوصيك ان تتقي الله في دمي ، فقال مجيبا له : من ارادك بسوء فعل الله به وجعل يدعو على من يريده بسوء ، ثم عاد وقبل رأسه وقال: يا عم اوصني فقال : اوصيك ان تتقي الله بدمي ، فقال : من ارادك بسوء فعل الله به وفعل ، ثم عاد وقبل رأسه وقال : اوصني ، فقال : اوصيك ان تتقي الله في دمي ، ثم تنحى عنه ومضيت معه ، فقال لي : اخي مكانك فوقفت مكاني ودخل منزله ، ثم دعاني فدخلت اليه فتناول صرة فيها مائة دينار وقال : اعطها لابن اخيك يستعين بها على سفره ، قال علي بن اسماعيل : فأخذتها ، ثم ناولني مائة اخرى وقال لي : اعطه اياها ، وناولني صرة ثالثة وقال : اعطه اياها ، فقلت : جعلت فداك اذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت ، فلم تعينه على نفسك ، فقال : اذا وصلته وقطعني قطع الله اجله ، ثم تناول مخدة أدم فيها ثلاثة آلاف درهم وقال : اعطه هذه ايضا ، قال علي بن جعفر : فخرجت اليه وأعطيته المائة الاولى ففرح بها ودعا لعمه ، ثم اعطيته الثانية والثالثة ففرح بهما حتى ظننت انه سيرجع ولا يخرج لبغداد ، ثم اعطيته الدراهم فمضى على وجهه حتى دخل على هارون فسلم عليه بالخلافة وقال : ما ظننت ان في الارض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة ، فأرسل اليه هارون مائة الف درهم فرماه الله بالذبحة فما نظر منها الى درهم ولا مسه .

وروى الكشي حديث وشاية محمد بن اسماعيل على عمه بما يقرب من هذه الرواية .

وفي بعض الروايات ان الواشي هو علي بن اسماعيل ، وقد اتصل بيحيى بن خالد البرمكي فاتفق واياه على الوشاية بالامام (ع) ثم ادخله على الرشيد فأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وجعل يسأله عن عمه الامام

موسى بن جعفر، فقال لهخليفتان في عصر واحد عسي موسى بن جعفر في الحجاز وأنت يا امير المؤمنين بالعراق . وقد تركت الناس يسلمون عليه بالخلافة ، وأضاف الى ذلك يحيى بن خالد البرمكي ، ان الاموال تجبى اليه من المشرق والمغرب وقد اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار وسماها اليسيرة وقال له بائعها وقد احضر له المال : لا آخذ هذا النقد ولا اقبل الا نقدا معينا سماه له فاسترجع منه النقد الذي دفعه له وأعطاه ثلاثين الف دينار من النقد الذي سماه له ، فدفع الرشيد الى علي بن اسماعيل لقاء وشايته على عمه مايتي الف دينار فمات قبل ان تصل ليده ، وكان الامام قد قال لاخيه علي بن جعفر بعد ان عاتبه على صلته له ، قال له : اذا وصلته وقطعني قطع الله اجله كما ذكرنا .

وفاة الامام موسى بن جعفر

لقد اتسعت شهرة الامام الكاظم (ع) وأصبح حديث القريب والبعيد وكانت الاخماس تجبى اليه بنحو لم يعهد له نظير من قبل ، وبعد ان شحن الوشاة الرشيد عليه بما فيهم محمد بن اسماعيل او علي بن اسماعيل ويحيى بن خالد كما ذكرنا صمم الرشيد على اعتقال الامام والتخلص منه ، فذهب الى المدينة في طريقه الى مكة سنة ١٧٠ كما جاء في رواية ابن الجوزي في تذكرته بعد ان مضت ست سنوات او سبع سنوات من ملكه كان ينقله فيها من حبس الى حبس ، ولما دخل المدينة استقبله اهلها ورحبوا بقدومه وكان الامام مع المستقبلين كما تشير الى ذلك بعض المرويات ، ومضى الامام بعد ذلك الى المسجد كعادته، وخلال تلك الليلة ذهب الرشيد لزيارة قبر النبي (ص) وقال كما جاء في رواية المفيد : اني اعتذر اليك يا رسول الله من شيء اريد ان افعله ، اني اريد ان احبس موسى بن جعفر فلقد بلغني انه يدعو الناس لنفسه يريد بذلك تشتيت امتك وسفك دمائها ، ثم رجع وأمر جلاوزته فأخذوه من المسجد وأدخلوه عليه فاستدعى قبتين جعله في احداهما على بغل وجعل القبة الاخرى على بغل آخر ، وأخرج البغلين من داره وعليهما القبتان

مستورتان ومع كل واحدة منهما جماعة من جنده على خيولهم ، وأمرهم ان يتجهوا بالبغلة التي عليها الامام الى البصرة ، ويتجهوا بالبغلة الثانية إلى الكوفة ، وأمر الذين كانوا مع الإمام ان يسلموه الى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة يوم ذاك فسلموه اليه فوضعه في حبسه وبقي عنده سنة كاملة وكتب اليه الرشيد بقتله ، فاستدعى عيسى ابن جعفر جماعة من خواصه وثقاته واستشارهم فيما كتب اليه الرشيد فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه ، فكتب عيسى بن جعفر الى الرشيد كتابا يقول فيه : لقد طال امر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون خلال هذه المدة فما وجدته يفتر عن العبادة ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه ، فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا بسوء ، بل كان يدعو لنفسه بالمغفرة والرحمة ، فان انفذت الي من يتسلمه مني والا خليت سبيله فاني متحرج من حبسه .

وجاء في بعض الروايات ان بعض عيون عيسى بن جعفر رفع اليه انه سمعه يقول في دعائه : اللهم اني كنت اسألك ان تفرغني لعبادتك وقد فعلت ذلك ، ومضى الراوي يقول : فلما وصل الكتاب الى الرشيد وجه من تسلمه من عيسى بن جعفر وجره الى بغداد فسلمه الى الفضل بن الربيع وبقي عنده مدة طويلة .

وأضاف الى ذلك المفيد في ارشاده انه اراد من الفضل بن الربيع ان ينفذ فيه امره فأبى عليه ، فكتب اليه يأمره بتسليمه الى الفضل بن يحيى ، فتسلمه منه ووضعه في حجرة من داره وكلف من يراقبه ، وكان مشغولا بالعبادة يحيي الليل كله بالصلاة وقراءة القرآن والدعاء ويصوم اكثر الايام ولا يصرف وجهه عن المحراب ، فوسع عليه الفضل وأكرمه ، فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقة فكتب اليه ينكر عليه توسعته عليه وأمره بقتله فامتنع من ذلك ، فاغتاظ الرشيد ودعا مسرور الخادم وقال : اخرج

في هذا الوقت الى بغداد وادخل من فورك على موسى بن جعفر فان وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب الى العباس بن محمد وأمره بامتثال ما فيه وسلم اليه كتابا آخر الى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس ، فمضى مسرور الى بغداد ونزل دار الفضل بن يحيى ولا يدري احد ما يريد ، ثم دخل على الامام موسى بن جعفر فوجده كما بلغ الرشيد ، فمضى من فوره الى العباس بن محمد والسندي بن شاهك وأوصل اليهما الكتابين فلم يلبث ان خرج الرسول يركض الى الفضل بن يحيى فركب معه وخرج مدهوشا حتى دخل على العباس بن محمد فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجرد وضربه السندي بين يديه مائة سوط وخرج متغير اللون وجعل يسلم على الناس يمينا وشمالا ، وكتب مسرور بالخبر الى الرشيد ، فأمر بتسليم موسى بن جعفر الى السندي بن شاهك وجلس الرشيد مجلسا حافلا ، وقال : ايها الناس ان الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف امري ورأيت ان العنه فالعنوه فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار وبلغ والده يحيى بن خالد الخبر فركب الى الرشيد ودخل من غير الباب الذي يدخل منه الناس وجاءه من خلفه وهو لا يشعر به ، ثم قال له : التفت يا امير المؤمنين الي ، فأصغى اليه فزعا ، فقال له : ان الفضل حدث وأنا اكفيك ما تريد ، فانطلق وجهه وسر بذلك وأقبل على الناس وقال : ان الفضل كان قد عصاني في امر فلعنته وقد تاب وأناب الى طاعتي فتولوه ، فقالوا : نحن اولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه .

ثم خرج يحيى بن خالد البرمكي الى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شيء وأظهروا انه جاء لتعديل السواد والنظر في امر العمال وتشاغل بذلك اياما ، ثم دعا السندي بن شاهك فأمر فيه بأمره فامتثله ، وكان الذي قام به السندي ان دس اليه السم في طعام قدمه اليه فأكل منه ، وجرى مفعول السم في بدنه فلم يمهله سوى ثلاثة ايام ، ولما توفي

ادخل عليه السندي جماعة من فقهاء بغداد وأعيانها ، وقال لهم : انظروا اليه هل ترون به اثرا لضربة سيف او لطعنة رمح ؟ فقالوا : لم نجد بـه شيئا من ذلك ، وطلب منهم ان يشهدوا بموته حتف انفه فأجابوه لذلك.

ثم اخرج جثمانه الشريف ووضعه على الجسر ببغداد ونودي عليه : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا ، فجعل المارة ينظرون اليه فـلا يجدون به اثرا يوحي بقتله .

وفي رواية ثانية ان يحيى بن خالد امر من ينادي عليه : هذا موسى ابن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت فانظروا اليه، ثم حملوه ودفنوه في مقابر قريش عند باب التين وكان مقبرة لبني هاشم وأشراف الناس .

وجاء في تاريخ بغداد للخطيب : ان موسى بن جعفر بعث مـن الحبس برسالة الى الرشيد يقول فيها : لن ينقضي عني يوم من البـلاء حتى ينقضي عنك معه يوم من الرخاء ونمضي معا الى يوم ليس لـه انقضاء لا يخسر فيه الا المبطلون .

وقال اليعقوبي في تاريخه : قيل للامام موسى بن جعفر بعد ان مكث مدة طويلة في سجون الرشيد المظلمة : لو كتبت الى فلان ليكلـم الرشيد فيك ، فقال : حدثني ابي عن آبائه ان الله اوصى الى داود انه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني الا قطعت عنه اسبـاب السماء واسخت الارض من تحته ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ وقيل سنة ١٨٦ عن خمس وخمسين سنة وقيل غير ذلك ، وبقي في حبس الرشيد مدة تتراوح بين سبع سنوات وعشر سنوات ، وترك من الاولاد سبعة وثلاثين ما بين ذكر وانثى وكان افضلهم وأجلهم قدرا وأعظمهم شأنا علي ابن موسى (ع) الامام الثامن من ائمة اهل البيت عليهم السلام .

الامام الثامن من أئمة اهل البيت

علي بن موسى الرضا .

ابو الحسن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثامن ائمة اهل البيت (ع) ولد في المدينة وقبض في طوس في بلاد ايران .

وقد وقع الاختلاف بين المحدثين في تحديد السنة التي ولد فيها ، بل وفي تحديد الشهر ايضا ، كما وقع الاختلاف في تحديد السنة التي قبض فيها ، واختلفت الروايات والاقوال في ذلك اختلافا لم يحصل لغيره من الائمة الكرام وسنشير الى بعض الاقوال من غير ان نحاول البحث وترجيح اي منها لعدم وجود فائدة تستدعي البحث والتنقيب عن القول الاصح منها .

قيل ان ولادته كانت يوم الجمعة او الخميس في الحادي عشر من ذي الحجة او من ذي القعدة او من ربيع الاول سنة ١٤٨ او سنة ١٥٣ وقيل غير ذلك .

اما وفاته فكانت يوم الجمعة او الاثنين في السابع عشر من صفر او التاسع والعشرين منه ، وقيل في الحادي والعشرين من شهر رمضان وفي الثامن عشر من جمادي الاولى ، وفي الثالث والعشرين من ذي

القعدة سنة ٢٠٣ او سنة ٢٠٦ وقيل سنة ٢٠٢ ، ورجح الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا ان وفاته كانت في شهر رمضان لتسع بقين منه سنة ٢٠٣ عن ثمانية وأربعين عاما و٤٧ و٥٠ و٥١ و٥٧ حسب الاختلاف في تاريخ وفاته وولادته .

وقد ولد من ام تسمى الخيزران ، وقيل انها امة نوبية تدعى اروى وتلقب بالشقراء ، وقيل انها تدعى نجمة وتكنى بأم البنين ، وقيل ان اسمها تكتم ، واستدل القائل بذلك بما جاء في مدح الامام (ع) على لسان بعض الشعراء :

الا ان خير الناس نفسا ووالدا ورهطا وأجدادا علي المعظم
اتتنا به للعلم والحلم ثامنا اماما يؤدي حجة الله تكتم

وكما اختلفوا في تاريخ ولادته ووفاته وسنه اختلفوا في عدد اولاده فقيل انه ترك خمسة ذكور وبنتا واحدة ، وقيل اربعة ذكور ، ورجح المفيد انه لم يتخلف بغير الامام محمد الجواد ، كما قيل انه تخلف باثنين هما محمد الجواد وموسى ، واعتمد القائل بذلك على رواية قرب الاسناد عن البزنطي انه قال له : اني اسألك منذ سنتين عن الخليفة بعدك وأنت تقول ابني ، ولم يكن لك ولد واليوم قد وهب الله لك ولدين فأيهما هو فأشار الى ولده الجواد (ع) .

وكان يكنى بأبي الحسن وورد على لسان بعض الرواة ابو الحسن الثاني ، وقيل انه كان يكنى بأبي بكر كما جاء في مقاتل الطالبيين للاصفهاني ، واعتمد في ذلك على رواية عيسى بن مهران عن ابي الصلت الهروي انه قال : سألني المأمون يوما عن مسألة فقلت قال فيها ابو بكر كذا وكذا ، فقال : من ابو بكر ؟ ابو بكرنا او ابو بكر العامة ، فقلت ابو بكرنا ، قال عيسى بن مهران : قلت لابي الصلت من ابو بكركم ؟ فقال : علي بن موسى الرضا كان يكنى بذلك .

ومهما كان الحال فلقد بقي الامام الرضا (ع) مع ابيه نحوا من ثلاثين عاما او تزيد شاهد فيها ضروب المحن والبلايا التي احاطت بأبيه الامام موسى بن جعفر الذي كان وجوده رغم وقوفه موقف المسالم للحكم بعيدا عن مواطن المجابهة معه يثير قلق الحكام ويقض مضاجعهم . فلقد كان المنصور يتحراه ويراقب جميع تحركاته وتصرفاته حتى اضطره الى ان يحتجب عن شيعته وخلص اصحابه ، وبعث اليه المهدي الخليفة الثالث من خلفاء بني العباس يستدعيه لبغداد وألقاه في سجنه لمدة من الزمن ولم يخرجه من السجن الا بعد ان رأى في نومه عليا (ع) يتهدده ويقرأ عليه الآية : فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، ومع ذلك فقد اخذ عليه العهود والمواثيق على ان لا يخرج عليه ولا يتحرك في ثورة تستهدف احدا من حكام دولتهم ، وبوفاة المهدي والهادي الذي لم تطل ايامه ارتقى الرشيد سدة الخلافة وبدأت بخلافته بوادر المأساة التي حلت بالبيت العلوي الذي كان يتزعمه الامام موسى بن جعفر (ع) وكان له منها القسط الاوفر ، فقد اعتقله وضيق عليه في ظلمات سجونه المرعبة مدة احد عشر عاما كان ينقله فيها من حبس الى حبس والمشرفون على ادارة سجونه يتهربون من قتله حتى اعيته الحيلة في امره ، ولم يجد من يستجيب لطلبه فيه غير السندي بن شاهك بمساعدة وزيره يحيى بن خالد البرمكي فأمره بأن يدس اليه السم في الطعام ليتخلص منه وتم له ما اراد ، هذا والامام الرضا (ع) يشاهد بألم ومرارة تلك الاحداث القاسية التي التهمت الكثيرين من اهل بيته وبني عمومته ومأساة ابيه من بدايتها وحتى نهايتها دون ان يملك القدرة على التخفيف من حدتها وكان المصير نفسه من اولئك الطغاة ينتظره ان هو تحرك بأي حركة ضدهم ، بل وحتى لو لم يتحرك ، لان الخصومة بين البيتين كانت خصومة مبادىء لا تقف عند حدود الاشخاص .

خصومة بين فئتين فئة تمثل الاسلام بكل أبعاده وأهدافه وفئة تمثل

العنصرية والاستغلال والنزعة القبلية التي برزت بكل مظاهرها في عهد أسلافهم الامويين ، ولم تختلف عما كان يحارب من اجله ابو سفيان وأبو جهل وأمية بن صفوان وغيرهم من جبابرة قريش وطغاتها الاشداء ، ولكن بلون آخر وأسلوب جديد من اساليب ذلك العصر وباسم الاسلام. فليس بغريب اذن اذا كان الامام الرضا (ع) ينتظر من حكام عصره ملوك بني العباس نفس المصير الذي انتهى اليه والده حتى ولو عاش بعيدا عن الناس وعن السياسة وشؤونها ، لان والده الامام الكاظم بالرغم من انه بقي في غياهب سجونهم ومعتقلاتهم قرابة احد عشر عاما ، وبالتالي اخرجوه من الدنيا شهيدا ، في حين انه لم يخرج عن الطاعة ولا فكر في السلطة في يوم من الايام .

وبالفعل لقد لقي الامام الرضا (ع) من حكام عصره خلال الاعوام العشرين التي عاشها بعد استشهاد ابيه ضروبا من المحن والآلام من نوع آخر ، وكان يعاني من وقعها ومرارتها ، وبالتالي لقي نفس المصير الذي لقيه والده من قبله كما ترجح ذلك الاحداث والقرائن التي رافقت تاريخ وفاته وسنتعرض لهذه الناحية عند الحديث عن وفاته وأسبابها .

ولعل موقف الحكام المتصلب منه ومن غيره من ائمة اهل البيت (ع) بالاضافة الى ما بين المبادىء التي كان يمثلها كل منهما من بعد شاسع ، لعل ذلك الموقف مصدره بالاضافة الى ما ذكرنا هو ايمان جانب كبير من المسلمين بإمامتهم وأحقيتهم بمنصب الخلافة والاصرار على ان المتقمصين لها قد اغتصبوها من اصحابها الشرعيين وتجاوزوا في ذلك حدود ما فرضه الله عليهم لعباده الى ابعد الحدود والتف حولهم مع ذلك قادة الفكر وتصاغروا امام تفوقهم العلمي في شتى المجالات مما ادى الى افتتان العامة بهم والتقرب اليهم واعتبارهم البديل الافضل الذي يحق لهم ممارسة الحكم وتحمل اعبائه ومسؤولياته ، والى جانب ذلك كانت الوشايات المغرضة التي كانت تستهدف القضاء عليهم من قبل خصومهم

الحاقدين وبعض بني عمومتهم الاقربين مما كان يقابل بالارتياح والقبول من الحاكمين ويجدون فيه منفسا لما يعتمل في صدورهم من احقـــاد ومبررا لما يرتكبونه من تنكيل ومضايقات . لذلك كله فقد اعتبرهـــم الحاكمون من اخطر العناصر التي تهدد دولتهم وتنذر بتقويضهـــا وزوالها ، ووقفوا منهم ذلك الموقف الذي لم يحدث التاريخ بأسوأ منه.

لمحات عن خصائصه وصفاته

لا بد وأن يكون الامام بنظر الامامية اعلم الناس وأعرفهم بما تحتاج اليه الامة سواء في ذلك ما يتعلق بأمور الدين او غيره من ضرورات الحياة ، وان يكون بالاضافة الى ذلك اعبدهم وأزهدهم وأكملهم في اخلاقه وشيمه وجميع صفاته ، والمتتبع لتاريخ الائمة الاثني عشر لا بد وان ينتهي الى هذه النتيجة وقد عرضنا بعض الجوانب من صفات الائمة السبعة وخصائصهم ، وسنتابع الحديث عن بقية الائمة (ع) .

وقد روى لنا التاريخ الكثير من مواقفه العلمية ومناظراته التي كان يخرج منها منتصرا على خصومه ، كما روى الكثير من مختلف العلوم التي كان يمد بها رواد العلم ورجالات الفكر .

وجاء عن الامام موسى بن جعفر (ع) انه كان يقول لبنيه : هذا اخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فاسألوه عن دينكم واحفظوا ما يقول لكم ، فاني سمعت ابي جعفر بن محمد اكثر من مرة يقول : ان عالم آل محمد لفي صلبك ، وليتني ادركته فانه سمي امير المؤمنين علي ابن ابي طالب .

وروى الرواة عن ابراهيم بن العباس الصولي انه قال : ما رأيت

الرضا سئل عن شيء الا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه كله اقتباسات من القرآن المجيد .

وقال رجاء بن ابي الضحاك : وكان قد بعثه المأمون لاشخاص الرضا ، والله ما رأيت رجلا كان اتقى لله منه ولا اكثر ذكرا اله في جميع اوقاته ، ولا اشد خوفا لله عز وجل ، ومضى يقول : وكان لا ينزل بلدا الا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم ويحدثهم الكثير عن ابيه عن آبائه عن علي عن رسول الله (ص) ، فلما وردت على المأمون سألني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وظعنه واقامته ، فقال : بلى يا ابن ابي الضحاك هذا خير اهل الارض وأعلمهم وأعبدهم .

وقال ابن الجوزي في تذكرته والحاكم في تاريخ نيسابور : لقد اخذ العلم والحديث عن ابيه ، وكان يجلس في مسجد رسول الله (ص) فيفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين سنة .

وقال المأمون لمن ثقل عليهم اختياره وليا لعهده من بني العباس كما جاء في البحار عن الحاكم الحافظ النيسابوري ، قال : وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لابي الحسن الرضا (ع) فما بايعت له الا مستبصرا في امره عالما بأنه لم يبق احد على ظهرها ابين فضلا ولا اظهر عفة ولا اورع زهدا في الدنيا ولا اطلق نفسا ، ولا ارضى للخاصة والعامة ، ولا اشد في ذات الله منه .

وجاء عن ابي الصلت الهروي انه قال : ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا ولا رآه عالم الا شهد له بمثل شهادتي ، ولقد جمع المأمون في مجالس له عددا من علماء الاديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي احد منهم الا اقر له بالفضل وأقر على نفسه بالقصور على حد تعبير الراوي .

وجاء عنه ايضا انه قال : لقد سمعت علي بن موسى الرضا يقول : كنت اجلس بالروضة والعلماء في المدينة متوافرون فاذا اعيت الواحد منهم مسألة اشاروا الي بأجمعهم وبعثوا الي بالمسائل فأجيب عنها .

وفي المجلد الرابع من مناقب آل ابي طالب ، قال محمد بن عيسى اليقطيني : لما اختلف الناس في امر ابي الحسن الرضا جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عليه ثمانية عشر الف مسألة ، وأضاف الى ذلك : وقد روى عنه جماعة من المصنفين منهم ابو بكر الخطيب في تاريخه ، والثعلبي في تفسيره ، والسمعاني في رسالته ، وابن المعتز في كتابه وغيرهم عشرات الاحاديث في شتى المواضيع .

وجاء في عيون اخبار الرضا بعد حوار جرى للامام الرضا (ع) مع المأمون ، قال علي بن الجهم : فقام المأمون الى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر ، وكان قد حضر الحوار ، فقال له : كيف رأيت ابن اخيك ، فقال : عالم ، ولم نره يختلف الى احد من اهل العلم ، فقال له المأمون : ان ابن اخيك هذا من اهل بيت النبي (ص) الذين قال فيهم : الا ان ابرار عترتي وأطائب ارومتي احلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ، لا تعلموهم فانهم اعلم منكم ولا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم من باب ضلالة .

وامتاز الامام الرضا (ع) مع ذلك بخلق رائع ساعده على ان يجتذب بحبه العامة والخاصة استمده من روح الرسالة التي كان من حفظتها والامناء عليها والوارثين لها .

فقد جاء في عيون اخبار الرضا (ع) عن ابراهيم بن العباس الصولي انه قال : ما رأيت ابا الحسن الرضا جفا احدا بكلامه قط ، وما رأيته قطع على احد كلامه حتى يفرغ منه ، وما رد احدا عن حاجة يقدر عليها ، وما مد رجليه بين جليس له قط ، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط ، ولا شتم احدا من مواليه ومماليكه قط ، ولا رأيته تفل قط ولا تقهقه

في ضحكه ، بل ضحكه التبسم ، وكان اذا خلا ونصبت مائدته اجلس معه عليها مماليكه حتى البواب والسائس ، ومن زعم انه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه .

ونزل به ضيف وكان جالسا عنده يحدثه في بعض الليل فتغير السراج فمد الرجل يده ليصلحه فزبره ابو الحسن ثم بادره بنفسه فأصلحه وقال: انا قوم لا نستخدم اضيافنا .

وقال له رجل : والله ما على وجه الارض اشرف من آبائك ، فقال : التقوى شرفتهم . وقال له آخر : انت والله خير الناس ، فقال له : لا تحلف يا هذا خير مني من كان اطوع لله وأتقى له والله ما نسخت هذه الآية: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

وقال له ابو الصلت : يا ابن رسول الله ما شيء يحكيه الناس عنكم قال: وما هو ؟ قلت: يقولون انكم تدعون ان الناس لكم عبيد، فقال(ع): اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تشهد بأني لم اقل ذلك قط ولا سمعت احدا من آبائي قاله وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الامة وان هذه منها ، ثم اقبل علي وقال : يا عبد السلام اذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما يقولون فعلى من نبيعهم .

ثم قال : يا عبد السلام أمنكر انت لما اوجب الله عز وجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك ؟ قلت : معاذ الله بل انا مقر بولايتكم .

لقد انكر على السائل ذلك الاتهام الذي اراد اعداؤهم من خلاله التشنيع عليهم وعده من جملة المظالم التي ارتكبتها الامة بحقهم ، لان نسبة ذلك لهم يعني انهم يخالفون سنن الاسلام ونصوص القرآن التي لا ترى فضلا لاحد على احد الا بالتقوى .

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وأكد الامام (ع) بأن الله قد جعل لهم حق الولاية على الناس والطاعة لا غير وذلك لمصلحة الناس والسير

بهم في الطريق الصحيح الذي يضمن لهم الكرامة في الدارين وما عدا ذلك فالكل بنظر الامام الذي يجسد الاسلام بالقول والفعل ولا ينفصل عنه ، عبيد لله يجمعهم اب واحد وأم واحدة ورب واحد .

وروى عبد الله بن الصلت عن رجل رافق الامام الرضا في طريقه الى خراسان انه قال : كنت مع الامام الرضا في سفره الى خراسان فدعا يوما بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم وجلس عليها معهم ، فقلت : جعلت فداك لو جعلت لهؤلاء مائدة ، فقال : ان الـــرب تبارك وتعالى واحد والاب واحد والام واحدة والجزاء بالاعمال .

وقال ابراهيم بن العباس الصولي كما جاء في عيون الاخبار : سمعت علي بن موسى الرضا يقول : حلفت بالعتق ولا احلف بالعتق الا اعتقت رقبة واعتقت بعدها جميع ما املك ، ان كان يرى انه خير من هذا وأومأ الى عبد اسود من غلمانه بقرابتي من رسول الله (ص) الا ان يكون لي عمل صالح فأكون افضل منه بعملي لا غير ، وقد تواترت الاحاديث عنه وعن آبائه وأبنائه بهذا المعنى .

وتنص المرويات ان الامام موسى بن جعفر (ع) قد اوصى الى ولده الامام الرضا وجعل له الولاية من بعده ، ولم يجعل لابنائه الآخرين شيئا وكتب بذلك كتابا وختمه ولعن من يفضه بعد ان اشهد عليه جملة من اهل بيته وأصحابه ، وقد نازعه اخوته في وصية ابيه اليه وظنوا ان فـــي الكتاب الذي كتبه مالا حباه به دونهم .

وجاء في الكافي بسنده الى يزيد بن سليط انه قال : كان ابـــو عمران الطلحي قاضي المدينة فلما مضى موسى بن جعفر جاء اخوة الامام الرضا وقدموه الى القاضي ، وقال العباس بن موسى للقاضي : اصلحك الله وأمتع بك ان في اسفل هذا الكتاب كنزا وجوهرا وهو يريد ان يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع ابونا شيئا الا الجأه اليه وتركنا عالة ،

ولولا اني اكف نفسي لاخبرتك على رؤوس الملأ .

ووثب اليه ابراهيم بن محمد وكان من شهود الوصية فقال له : اذا والله تخبر بما لا نقبله منك ولا نصدقك عليه ثم تكون عندنا ملوما مدحورا نعرفك بالكذب صغيرا وكبيرا ، وكان ابوك اعرف بك لو كان فيك خير ، وما كان ليأمنك على تمرتين .

ووثب اليه اسحاق بن جعفر فأخذ بتلابيبه وقال له : انك لسفيه ضعيف احمق .

وعندما انتهى الحديث الى هذا الحد قال القاضي ابو عمران لعلي الرضا (ع) : قم يا ابا الحسن حسبي ما لعنني ابوك اليوم ، وقد وسع ولا والله ما احد اعرف بالولد من والده ولا كان ابوك بمستخف في عقله وضعيف في رأيه .

وقال العباس بن موسى بن جعفر (ع) للقاضي : اصلحك الله فض الخاتم واقرأ ما تحته ، فقال ابو عمران : لا افضه حسبي ما لعنني ابوك اليوم ، فتقدم العباس وفضه وهو يظن ان في اسفله كنزا وجوهرا واذا ليس فيه الا ولاية علي الرضا وادخالهم فيها احبوا او كرهوا واخراجهم من صدقاته .

والتفت الرضا (ع) الى اخيه العباس بعد هذا الموقف السيء الذي وقفه منه وقال : يا اخي انا اعلم انه انما حملكم على هذا الموقف الغرائم والديون التي عليكم ، ثم قال لغلامه : يا سعيد عين لي ما عليهم واقض عنهم واقبض زكاة حقوقهم وخذ لهم البراءة وتوجه اليهم ، وقال : والله لا ادع مواساتكم وبركم ما مشيت على وجه الارض فقولوا ما شئتم .

ومع ما في هذا الموقف من الخلق الكريم والعاطفة النبيلة فلم يغير من موقف اخيه شيئا بل رد عليه بقوله : انك لم تعطنا الا من فضول اموالنا ومالنا عندك اكثر مما تعطيناه .

وتابع الامام (ع) حديثه بالاسلوب الذي ينسجم مع واقعه ورسالته،

فقال : قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم فان تحسنوا فذاك لكم عند الله وان تسيئوا فان الله غفور رحيم ، والله انكم تعرفون بأنه ما لي ولد ولا وارث غيركم فلئن حبست شيئا مما تظنون او ادخرته فانما هو لكم مرجعه اليكم ، والله ما ملكت منذ مضى ابوك رضي الله عنه شيئا الا وقد سيبته حيث رأيتم .

وتكلم العباس بعد ذلك بكلام ان دل على شيء فانما يدل على حقده وحسده لاخيه وتجنيه على ابيه الامام موسى بن جعفر (ع) بما الصقه به ، ومع ذلك فقد بقي الامام ملتزما بالموقف الحليم الهادىء انطلاقا من اصالة الخير والمحبة والعفو وغير ذلك من الصفات الكريمة التي عرف بها هو وآباؤه وأبناؤه عندما كانوا يواجهون النكبات والتحديات من الآخرين .

فقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، اللهم ان كنت تعلم اني احب صلاحهم واني بار بهم واصل لهم رفيق عليهم اعنى بأمورهم ليلا ونهارا فاجزني به خيرا ، وان كنت على غير ذلك فاجزني ما انا اهله ان كان شرا فشرا وان كان خيرا فخيرا ، اللهم اصلحهم واصلح بهم واخسأ عنا وعنهم شر الشيطان وأعنهم على طاعتك ووفقهم لرشدك يا ارحم الراحمين .

وكما كان (ع) ينطلق في حلمه وعفوه وعطفه على المساكين والمعذبين من اصالة الخير التي انطوت عليها نفسه كان ينطلق منها ومن احساسه بأن العطاء ليس معروفا فقط يسديه الانسان لسائله وللمعوزين بل هو بالاضافة الى ذلك شكر للمعروف الذي حباه الله به لان صاحب النعمة بنظره في خطر محدق به حتى يخرج من الحقوق التي هي لله فيما انعم به عليه .

فلقد جاء عنه في حديث له مع بعض اصحابه انه قال : ان صاحب

النعمة على خطر ما دامت حقوق الله فيها والله انه ليكون على النعم من الله عز وجل فما ازال على وجل حتى اخرج من الحقوق التي تجب عليها فيها .

فقال له الراوي : جعلت فداك انت في قدرك تخاف هذا ، قال : نعم وأحمد ربي على ما من به علي .

وقال اليسع بن حمزة : كنت انا في مجلس الرضا (ع) احدثه وقد اجتمع عليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام اذ دخل عليه رجل طوال آدم فقال له : السلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما ابلغ به مرحلة فان رأيت ان تنهضني الى بلدي والله علي نعمة اذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست موضع صدقة ، فقال له الامام الرضا (ع) : اجلس رحمك الله، وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا ، فقال : اتأذنون لي بالدخول ؟ فقال له سليمان الجعفري : قدم الله امرك ، فقام ودخل حجرة في داره وبقي فيها ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من اعلى الباب وقال اين الخراساني ، فقال : هاانذا يا ابن رسول الله ، فقال له: خذ هذه المايتي دينار واستعن بها على مؤونتك ونفقتك وتبرك بها ولا تصدق بها عني واخرج فلا اراك ولا تراني وستر وجهه عنه .

فقال له سليمان الجعفري : جعلت فداك لقد اجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك ؟ فقال : مخافة ان ارى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته ، اما سمعت حديث رسول الله (ص) : المستتر بالحسنة حسنته تعدل سبعين حجة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له ، ثم استشهد الامام بقول القائل :

متى آته يوما لاطلب حاجة رجعت الى اهلي ووجهي بمائه

وجاء عنه انه فرق بخراسان في يوم عرفة كل ماله ، فقال له الفضل

سهل : ان هذا لمغرم ، فقال (ع) : بل هو المغنم ، لا تعدن مغرما ابتعت به اجرا وكرما .

وروى الرواة عن يعقوب بن اسحق النوبختي انه قال : مر رجل بي الحسن علي بن موسى (ع) فقال له : اعطني على قدر مروءتك ، قال الامام (ع) : لا يسعني ذلك ، فقال : على قدر مروءتي ، فقال على لك فنعم ، ثم امر غلامه ان يدفع له مائتي دينار فدفعها له وانصرف الرجل .

وحدث معمر بن خلاد عن عطفه على الفقراء ورعايته لهم فقال : كان ابو الحسن الرضا (ع) اذا اراد ان يأكل يأمر بالمآئدة ، ويعمد الى اطيب ما فيها من الطعام فيطعمه للفقراء والمساكين ، ثم يتلو الآية ، فلا اقتحم العقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة ، ثم يقول : علم الله عز وجل انْ ليس كل انسان يقدر على عتق الرقبة فجعل لهم السبيل الى الجنة باطعام الطعام .

وجاء في عيون اخبار الرضا عن البزنطي انه قال : قرأت كتاب ابي الحسن الرضا الى ولده ابي جعفر الجواد (ع) وفيه : يا ابا جعفر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير من بخل بهم لئلا ينال منك احد خيرا فاسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ، ثم لا يسألك احد الا اعطيته ومن سألك من عمومتك ان تبره فلا تعطه اقل من خمسين دينارا والكثير اليك ومن سألك من عماتك فلا تعطها اقل من خمس وعشرين دينارا والكثير اليك ، انيَ اريد ان يرفعك الله ، فانفق ولا تخش من ذي العرش افتقارا .

النص على امامته

بالاضافة الى النصوص العامة على الاثنيعشر من النبي والوصي(ع) فلقد كان كل امام يعين خليفته وينص عليه بحضور خاصته حتى لا يدعيها احد من بعده .

وقد نص الامام موسى بن جعفر على ولده علي ابي الحسن الرضا (ع) من بين اولاده العشرين كما جاء فيما رواه الكليني في الكافي عن الحسين بن نعيم الصحاف انه قال : كنت انا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد ، فقال علي بن يقطين : كنت عند العبد الصالح جالسا فدخل عليه ابنه علي الرضا ، فقال : يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي ، اما اني قد نحلته كنيتي ، فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته ، ثم قال : ويحك كيف قلت ، فقال ابن يقطين : سمعت والله منه كما قلت ، فقال له هشام بن الحكم : لقد اخبرك ان الامر له من بعده .

وروي عن معاوية بن حكيم بسنده الى ابي الحسن موسى انه قال : ان ابني عليا اكبر ولدي وأبرهم عندي وأحبهم الي وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه الا نبي او وصي نبي .

وروى في الكافي عن داود الرقي انه قال : قلت لابي ابراهيم (ع) : جعلت فداك اني قد كبر سني فخذ بيدي من النار ، فأشار الى ولده ابي الحسن الرضا وقال : هذا صاحبكم من بعدي .

وروي ايضا عن محمد بن عمير عن اسحاق بن عمار انه قال : قلت لابي الحسن الاول (ع) الا تدلني الى من آخذ عنه ديني ، فقال : هذا ابني علي ان ابي اخذ بيدي فأدخلني الى قبر رسول الله (ص) وقال : يا بني ان الله عز وجل يقول : اني جاعل في الارض خليفة وان الله اذا قال قولا وفى به .

وفي رواية ثانية رواها الكليني عن داود الرقي انه قال : قلت لابي الحسن موسى (ع) : اني قد كبرت سني ودق عظمي واني سألت اباك(ع) فأخبرني عنك فاخبرني من بعدك فقال هذا ابو الحسن الرضا .

وروي ايضا عن النصر بن قابوس انه قال : قلت لابي ابراهيم (ع) اني سألت اباك من الذي يكون من بعدك فاخبرني انك انت هو ، فلما توفي ابو عبد الله ذهب الناس يمينا وشمالا وقلت فيك انا وأصحابي ، فاخبرني من الذي يكون بعدك من ولدك ، فقال : ابني فلان .

وجاء في رواية داود بن سليمان انه قال : قلت لابي ابراهيم انـي اخاف ان يحدث عليك حدث ولا القاك فاخبرني عن الامام بعدك فقال ابني هذا وأشار الى ابي الحسن الرضا (ع) .

وروي عن محمد بن سنان انه قال : دخلت علـى ابي الحسـن موسى (ع) من قبل ان يقدم العراق بسنة وعلي ابنه جالس بين يديـه فنظر الي وقال : يا محمد اما انه سيكون في هذه السنة حركة فـلا تجزع لذلك ، فقلت : وما يكون جعلت فداك فقد اقلقني ما ذكرت ، فقال : اصير الى الطاعية ، اما انه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده ، قال قلت وما يكون جعلت فداك ؟ قال : يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، ثم قال : من ظلم ابني هذا حقه وأشار الى ولده علـي

الرضا (ع) كان كمن ظلم علي بن ابي طالب حقه وجحده امامته بعد رسول الله (ص) ، قلت : والله لئن مد الله لي في العمر لاسلمن له حقه ولاقرن بامامته ، قال : صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم اليه حقه وتقر بامامته وامامة من يكون من بعده ، قلت : ومن ذاك ؟ قال : ابنه محمد • الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها الثقات من خواص اصحاب الامام الكاظم حول هذا الموضوع •

الواقفة وأسباب انحرافهم عن الامام الرضا (ع)

لقد مني الامام الرضا (ع) بعد وفاة ابيه بأكثر من محنة قاسية كان يقاسي منها ويتجرع مرارتها ، فهو من جهة كان يعاني من تحديات الحكام وأجهزتهم ، ومن جهة ثانية فقد شهد في مطلع امامته ذلك الانقسام بين اصحاب ابيه الذي حقق للحاكمين اطماعهم ورغباتهم التي كانوا يعملون من اجلها ، لانهم يرون ان التفاف الشيعة حول امامهم الشرعي يشكل خطرا على عروشهم التي قامت على الظلم والطغيان وجماجم الصلحاء والابرياء .

وتؤكد اكثر المصادر ان الذين وقفوا عند الامام موسى بن جعفر ولم يرجعوا الى الامام الرضا (ع) كانوا من اعيان اصحابه ، وقد انكروا وفاته ، وادعوا بأنه القائم من آل محمد ، وقد غاب عن قومه كما غاب موسى بن عمران من بعده وتشعبت آراؤهم بعد ذلك حول غيبته وحياته، وعدهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة اكثر من فرقة ، فقال : وأنكر بعضهم قتله وقالوا : مات ورفعه اليه الله وسيرده عند قيامه ، وقال بعضهم : لا يزال حيا ، ومضى يقول : ان فرقة منهم قالت : لا ندري أحي هو ام ميت ، لانا روينا فيه اخبارا كثيرة على انه القائم المهدي ،

وأضافوا الى ذلك انه قد ورد علينا من خبر وفاة ابيه وجده والماضين من آبائه ما لا يجوز رده وانكاره ، وقال النوبختي : ان من بين فرقهم فرقة يقال لها البشيرية ، تدعي ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس ، وانه حي غائب وهو المهدي المنتظر ، وقد استخلف على الامة في غيبته محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما تحتاج اليه رعيته ، وزعم هؤلاء ان علي بن موسى وجميع من ادعى الامامة من بعده ليست طيبة ولادتهم ونفوهم من انسابهم وكفروهم في دعواهم الامامة كما كفروا من قال بامامتهم واستحلّوا دماءهم وأموالهم على حد زعم النوبختي ، ونسب لهذه الفرقة من الواقفة انكار بعض الضرورات الاسلامية والقول بالتناسخ وان الامام واحد وتعدد الائمة من حيث ان هذا الواحد ينتقل من بدن الى بدن على حد تعبيره .

بهذا التصوير البشع يصور المؤلفون في الفرق الاسلامية الذين وقفوا على الامام السابع موسى بن جعفر (ع) .

ويدعي النوبختي انه قد غلب عليهم اسم الكلاب الممطورة ، وكان سبب ذلك ان يونس بن عبد الرحمن وعلي بن اسماعيل الميثمي ناظرا بعضهم في الامام بعد ابي الحسن موسى بن جعفر ، ولما اشتد الصراع بينهم قال لهم علي بن اسماعيل : ما انتم الا كلاب ممطورة .

ولعل جميع من كتب في فرق الشيعة بعد النوبختي قد اعتمد على كتابه حول هذا الموضوع لانه اول من كتب في الفرق حسبما اعلم ، ولم يعتمد التحقيق وتحري الحقائق فيما كتبه عن فرق الشيعة كما يبدو ذلك من كتابه فرق الشيعة ، وبالرغم من ان النوبختيين يدعون التشيع لاهل البيت الا انهم كانوا من العناصر الفارسية الموالية للحكام ، والنوبختي نفسه مؤلف كتاب فرق الشيعة كان من المقربين اليهم ، والحكام كانوا يبذلون الاموال الطائلة ويشترون الضمائر للتشويش على الشيعة وتشويه معالم التشيع بكل ما لديهم من الوسائل .

ولا اريد من ذلك ان انفي وجود هذه الفرقة ولا ان اهيء الاجواء للتشكيك في وجودها فلقد وقف جماعة على الامام موسى بن جعفر ولم يرجعوا لخليفته الشرعي الامام الرضا لاسباب لعل من ابرزها كما يدعي المؤلفون في احوال الرجال طمعهم فيما كان بأيديهم من الاخماس التي كانوا يجبونها للامام الكاظم (ع) ، وانما الذي اشك فيه هو تعـــدد فرقهم ومذاهبهم كما يدعيه النوبختي ومن جاء بعده من المؤلفين فـــي الفرق والمذاهب .

ومهما كان الحال ففكرة الوقف مهما كانت اسبابها ودوافعها كانت الامنية الغالية لحكام ذلك العصر لانهم كانوا يتخوفون من اجتماعهم الى امام واحد والتفافهم حوله ، وقد اجتهد المنصور قبل ذلك لارجـــاع الشيعة الى اسماعيل بن جعفر وعبد الله الافطح كما ذكرنا فرجعت فئة منهم لهذا وفئة لذاك وقد ذكرنا خلال حديثنا عن وصية الامام الصادق ورسالة المنصور لعامله في المدينة التي يأمره فيها بقتل وصي الامـــام وكيف احتاط الامام لذلك فأوصى الى اربعة احدهم المنصور الدوانيقي، كما ذكرنا ما كان يستعمله الامام موسى بن جعفر من الحيطة والحذر حتى لا ينكشف امره للمنصور بتلك السرعة مما ادى الى تخبط اصحابه في بداية الامر ورجوع بعضهم الى الافطح وغيره وحتى انكشف الواقع ورجعوا الى الامام الشرعي .

اقطاب الواقفة ودوافعهم

لقد روى الرواة ان اول من اظهر فكرة الوقف على الامام موسى بن جعفر وعمل على انتشارها جماعة من اعيان اصحابه المقربين اليه وكان قد عهد اليهم بجباية الاخماس من شيعته ، وقد اجتمع لديهم مبلغ كبير من المال خلال الشطر الاخير من حياته وهو في غياهب السجون ، فلما قتل في سجنه وطالبهم الامام الرضا (ع) بما عندهم من الاموال غررت بهم الدنيا وأنكروا موته وادعى بعضهم رجوعه من غيبته كما رجع موسى بن عمران ونحو ذلك مما كانوا يتعللون به ، وكان من ابرزهم علي بن ابي حمزة البطائني ، وله عنده ثلاثون الف دينار ، وزياد بن مروان القندي وعنده سبعون الف دينار ، وعثمان بن عيسى الرواسي وعنده ثلاثون الف دينار وست جوار ، وأحمد بن ابي بشر السراج وعنده عشرة آلاف دينار .

وجاء في رواية احمد بن حماد ان عثمان بن عيسى كان في مصر وعنده للامام مال كثير وست جوار ، فبعث اليه ابو الحسن الرضا فيهن وفي المال ، فكتب اليه ان اباك لم يمت ، فرد عليه الامام بكتاب جاء فيه : لقد جاءتنا الاخبار بموته واقتسمنا ميراثه بعد ان تأكدنا من ذلك.

فكتب اليه عثمان الرواسي : ان لم يكن ابوك قد مات فليس لك من ذلك شيء ، وان كان قد مات كما تدعي فلم يأمرني بدفع شيء اليك وقد اعتقت الجواري وتزوجن .

اما علي بن حمزة البطائني وزياد بن القندي ، فقد انكرا وجود اي مال للامام عندهما ولكن حوارهما مع يونس بن عبد الرحمن ومحاولتهما اغراءه بمبلغ كبير من المال لكي يتبنى موقفهما يؤكد اغتصابهما للمبالغ الضخمة التي كانت بحوزتهما .

فقد روى محمد بن عبد العزيز الكشي فيرجاله بسنده الى احمد بن الفضل ان يونس بن عبد الرحمن قال : مات ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) وليس من قوامه احد الا وعنده المال الكثير وذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون الف دينار ، وعند علي بن ابي حمزة ثلاثون الف دينار ، ومضى يقول : فلما رأيت ذلك وتبين لي الحق وعرفت من امر ابي الحسن الرضا (ع) ما علمت ، تكلمت في ذلك ودعوت الناس اليه ، فبعثا الي وقالا لا تدعُ الى هذا الامر ، فان كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمنا لي عشرة الاف دينار على ان اكف وأترك هذا الامر ، فقلت لهما : انا روينا عن الصادقين انهم قالوا : اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه ، فان لم يفعل سلب الله عنه نور الايمان وما كنت ادع الجهاد وأمر الله على كل حال ، فناصباني وأظهرا لي العداوة .

وقد اعترف احمد بن ابي بشر السراج احد اقطاب الواقفة بأن الذي دعاه لعدم الرجوع الى ابي الحسن الرضا الاموال التي كانت عنده للامام الكاظم (ع) ، فقد جاء في الغيبة للطوسي ان الحسين بن فضال قال : كنت ارى عند علي بن الحسين بن فضال شيخا من اهل بغداد وكان يهازل عمي ويمازحه فقال له يوما : ليس في الدنيا شر منكم يا معشر الشيعة ، فقال له عمي : ولِمَ لعنك الله ، قال : اني متزوج من بنت

احمد بن ابي بشر السراج ، فقال لي لما حضرته الوفاة : انه كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر فدفعت ابنه عنها بعد موته وشهدت انه لم يمت، فالله الله خلصوني من النار وسلموها لابي الحسن الرضا ، فوالله ما اخرجنا حبة منها ولقد تركناه يصلي في نار جهنم .

ولابن السراج هذا وابن المكاري الحسين بن ابي سعيد وعلي بن ابي حمزة البطائني حوار مع الامام الرضا (ع) حول امامته بعد ابيه رواه الكشي في رجاله عن محمد بن مسعود بسنده الى منصور بن العباس البغدادي انه قال : حدثنا اسماعيل بن سهل قال حدثني بعض اصحابنا وسألني ان أكتم اسمه قال : كنت عند الرضا (ع) فدخل عليه علي بن ابي حمزة وابن السراج وابن المكاري فقال له ابن ابي حمزة : ما فعل ابوك ؟ قال : مضى موتا ، فقال له : الى من عهد من بعده ؟ فقال : عهد الي ، فقال له : فأنت امام مفترض الطاعة من الله ، قال : نعم ، قال ابن السراج وابن المكاري : قد والله امكنك من نفسه ، قال: ويلك وبما امكنته اتريد ان آتي بغداد وأقول لهارون : انا امام مفترض الطاعة ، والله ما ذلك علي وانما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتت امركم لئلا يصير سركم في يد عدوكم .

فقال له ابن ابي حمزة : لقد اظهرت شيئا ما كان يظهره احد من آبائك ولا يتكلم به ، قال : بلى لقد تكلم خير آبائي رسول الله (ص) لما امره الله تعالى ان ينذر عشيرته الاقربين ، فلقد جمع من اهل بيته اربعين رجلا وقال لهم : انا رسول الله اليكم ، فكان اشدهم تكذيبا له وتأليبا عليه عمه ابو لهب ، فقال لهم النبي (ص) : ان خدشني خدش فلست بنبي ، فهذا اول ما ابدع لكم من آيات النبوة ، وأنا اقول : ان خدشني هارون خدشا فلست بامام فهذا ما ابدع لكم من آية الامامة .

ثم قال له علي بن ابي حمزة : انا روينا عن آبائك ان الامام لا يلي امره الا امام مثله ، فقال له ابو الحسن الرضا : اخبرني عن الحسين بن

علي (ع) كان اماما ام لا ؟ فقال : لقد كان اماما ، فقال له الرضا : فمن ولي امره ؟ قال ولده علي بن الحسين قال : لقد كان علي بن الحسين اسيرا في يد عبيد الله بن زياد في الكوفة فخرج وهم لا يعلمون الى كربلاء حتى ولي امر ابيه ورجع ، فقال له ابو الحسن الرضا : ان الذي امكن علي بن الحسين (ع) ان يأتي كربلاء فيلي امر ابيه يمكن صاحب هذا الامر ان يأتي بغداد ليلي امر ابيه وهو ليس في حبس ولا اسر .

وقد ناظرهم الامام الرضا اكثر من مرة بعد ان تفشت فكرة الوقف في اوساط الشيعة ورجع منهم عدد كبير عنها ، وأصر عليها جماعة كالبطائني والقندي وابن السراج وغيرهم ، وقد لعنهم الامام ووصفهم بالالحاد والزندقة .

فقد روى عنه سليمان الجعفري انه قال في جواب من سأله عنهم : ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تحويلا .

وفي رواية ثانية عنه انه قال ليوسف بن يعقوب : لا تعطيهم من الزكاة فانهم كفار مشركون وانهم يعيشون حيارى ويموتون زنادقة .

وكتب في جواب من سأله عنهم كما جاء في بعض الروايات : الواقف معاند للحق ومقيم على سيئة ان مات عليها كانت جهنم مأواه وبئس المصير .

وقال في رواية اخرى : ان الواقفة والنصاب بمنزلة واحدة ليسوا من المسلمين ولا من المؤمنين كما في رواية يحيى بن المبارك الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها ابو عمر الكشي في رجاله وغيره من المؤلفين في احوال الرواة والرجال .

ويدعي الكشي في رجاله ان جماعة من الشيعة رجعوا بعد ابي الحسن موسى بن جعفر الى ولده احمد بن موسى واختلفوا اليه مدة من الزمن وكانوا قد ايقنوا بوفاة والده موسى بن جعفر . ومن هؤلاء

ابراهيم واسماعيل ابنا ابي سمال او السماك ، ولما خرج ابن طباطبا ضد الحكم العباسي وأرسل الرشيد اليه جيشا بقيادة ابي السرايا خرج معه احمد بن الامام موسى بن جعفر لحرب ابن طباطبا فقال له جماعة ان هذا الرجل قد خرج مع ابي السرايا فما تقولان ؟ فأنكرا عليه ذلك ورجعا عنه وقالا ان ابا الحسن موسى لا يزال حيا ووقفا عند القول بامامته الى غير ذلك مما يشير الى ان المنحرفين عن ابي الحسن الرضا كانوا بين من اغرتهم الدنيا واستبد بهم الطمع فتظاهروا بانكار موت ابيه طمعا بما كان بأيديهم من الاموال التي كانت بحوزتهم لابي الحسن موسى بن جعفر (ع) .

ومن هؤلاء ابن السراج والبطائني ، والقندي ، وابن عيسى الرواسي وغيرهم من وكلائه والقيمين على امواله .

ومنهم المندسون بين اصحاب الائمة (ع) بوحي من الحكام ولغير ذلك من الاسباب كمحمد بن بشير وأمثاله من المشعوذين والمخربين ، وفريق ممن انحرفوا عنه كانوا محدودي التفكير والمعرفة فأخذوا ببعض المرويات التي لم تكن ظاهرة المحتوى ظهورا يرفع الشك والالتباس كالحسن بن قياما الصيرفي ، وزرعة بن محمد الحضرمي وأمثالهما ممن كانوا يتعللون ببعض المرويات المكذوبة ، وبتلك التي لم تكن ظاهرة في المراد ظهورا يرفع الحيرة والالتباس ، وهؤلاء كانوا أقل خطرا وضررا من النوعين السابقين ، وأمكن ارجاع اكثرهم الى الامام الشرعي بعد الحوار الذي كان يجري بينهم وبين الامام تارة وبينهم وبين بعض اصحابه اخرى .

وروى الكشي بالنسبة لهذا النوع من الواقفة عن الفضل بن شاذان بسنده الى الحسن الصيرفي انه قال : حججت سنة ثلاث وتسعين ومائة وسألت أبا الحسن الرضا (ع) فقلت له جعلت فداك ما فعل ابوك ؟ قال : مضى كما مضى آباؤه، قلت: فكيف أصنع بحديث حدثني به يعقوب بن

شعيب عن ابي بصير ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال : ان جاءكم من يخبركم ان ابني هذا مات وكفن وقبر ونفضوا ايديهم من تراب قبره فلا تصدقوه ، فقال : كذب ابو بصير ، ليس هكذا حدثـــه انما قال : ان جاءكم عن صاحب هذا الامر انه مات وكفن وقبر ونفضوا ايديهم مـن تراب قبره فلا تصدقوه ، ويعني الامام بصاحب هذا الامر الامـــام الثاني عشر .

كما روى ابو عمر الكشي ايضا عن محمد بن يونس بن الحسـن الواسطي عن الحسن بن قياما الصيرفي انه قال : سألت ابا الحسن الرضا عن ابيه فقال مضى كما مضى اباؤه فقلت : فكيف اصنع بحديث حدثني به زرعة بن محمد الحضرمي عن سماعة بن مهران ان ابا عبد الله الصادق قال : ان ابني هذا وأشار الى ولده موسى فيه شبه لخمسة انبياء يحسد كما حسد يوسف ويغيب كما غاب يونس وعد ثلاثة غير هذه ، فقال : كذب زرعة بن محمد ليس هكذا حدث سماعة بن مهـران ، انما قال : صاحب هذا الامر يعني القائم فيه شبه من خمسة انبياء ولم يقـــل ابني هذا .

ومهما كان الحال فلا يهمنا استقصاء البحث عن الواقفة واتجاهاتهم والاسباب التي دفعتهم لذلك وقد عرضنا هذه اللمحات عنهم من حيث صلتها المباشرة بحياته التي ظلت تصطدم بالاحداث حتى آخر مراحلهـا وبسببها كانت نهاية حياته في حبس الرشيد ببغداد .

موقف الحكام من الامام الرضا (ع)

لقد بقي الامام الرضا بعد ابيه عشرين عاما او تزيد منها عشر سنوات في عهد هارون الرشيد ، لان وفاة ابيه كانت سنة ١٨٣ ، وتوفي الرشيد سنة ١٩٣ كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره ، وكان يتجرع خلالها مرارة الاحداث التي استقبلت امامته ويتعرض بين الحين والآخر الى تحركات بعض انصار الحاكمين والدائرين في فلكهم الذين كانوا يصورون لهم خطره على ملكهم وخلافتهم ظنا منهم ان ذلك سيمنحهم عطف الحكام ويعزز مراكزهم .

فقد جاء في رواية موسى بن مهران عن جعفر بن يحيى انه قال : سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون الرشيد حين توجه من الرقة الى مكة : اذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فانك حلفت ان ادعى احد الامامة بعد موسى بن جعفر ان تضرب عنقه صبرا ، وهذا علي ابنه يدعي هذا الامر ويقال له ما يقال في ابيه ، فنظر اليه الرشيد مغضبا وقال : ما تريد أتريد ان اقتلهم جميعا .

قال موسى بن مهران : فلما سمعت ذلك من جعفر بن يحيى صرت

اليه وأخبرته بمقالة الرشيد فقال (ع) : مالي ولهم والله لا يقدرون مني على شيء .

وكان من اشد الناس تحريضا على الامام الرضا البرامكة الذين نسجوا خيوط المؤامرة البشعة على ابيه مستغلين حقد ابن اخيه وحسده له ، فقال له يحيى بن خالد وهو يحاول ان يدفعه عليه ليلحقه بأبيه : هذا علي بن موسى قد قعد مكان ابيه وادعى الامر لنفسه ، فقال : اوما يكفينا ما صنعنا بأبيه بالامس ، أتريد ان نقتلهم جميعا .

هذه الكلمات من الرشيد ان دلت على شيء فانها تدل على انه كان يحس باثم ما ارتكبه مع الامام الكاظم وربما كان يعيش في صراع مع نفسه . التي لم تعد قادرة على ان تستوعب اثما جديدا بقتل ولده، ولكن المحاولات الكثيرة التي كانت تقوم بها حاشيته استطاعت اخيرا ان تدفعه لمحاولة الانتقام منه ، وكانت ارادة الله تحول بينه وبين ما يريد . فقد جاء عن ابي الصلت الهروي انه قال : كان ابو الحسن الرضا ذات يوم جالسا في بيته اذ دخل عليه رسول هارون الرشيد ، فقال له : اجب امير المؤمنين ، فقام وقال لي : يا ابا الصلت ان الرشيد لا يدعوني في هذا الوقت الا لداهية ، فوالله لا يمكنه ان يعمل بي شيئا اكرهه لكلمات وقعت الي من جدي رسول الله (ص) ، ثم خرج وخرجت معه حتى دخل على هارون ، فلما نظر اليه الرضا قرأ تلك الكلمات ، فلما وقف بين يديه نظر اليه وقال : يا ابا الحسن قد امرنا لك بمائة الف درهم واكتب لنا حوائج اهلك ، ارجع الى اهلك ان احببت ، فلما قام الامام ليرجع قال الرشيد : اردت امرا وأراد الله خلافه وما اراد الله الا الخير.

ويبدو ان جماعة من اصحاب الامام الذين عاشوا مرارة الالم من جراء ما قاساه ابوه الكاظم (ع) من الظلم والبلاء من هارون الرشيد كانوا يترقبون له نفس المصير ويحاولون ابعاده عن مواطن الخطر ، فطلبوا منه اكثر من مرة ان يتستر في دعوته ويحتاط لنفسه ولشيعته

من اولئك الطغاة الذين لا يرقبون الله سبحانه في شيء من امورهم وتصرفاتهم ، ولكن الامام الرضا كان يبدو وكأنه تلقى عن آبائه ما سيكون من امره وان الرشيد على ضلاله وطغيانه لن يصل اليه بسوء ، فلم يعبأ بتلك المحاولات ولم يغير من سلوكه ونهجه واظهار الدعوة الى الله .

فقد روى ابو عمر الكشي والكليني في الكافي عن صفوان بن يحيى انه قال : لما مضى ابو الحسن موسى (ع) وقام من بعده ولده الرضا وأظهر الدعوة لنفسه خفنا عليه من ذلك وقلنا له : انك اظهرت امرا عظيما وانا نخاف عليك من هذا الطاغية ، فقال (ع) يجهد جهده فلا سبيل له علي .

وجاء في روضة الكافي عن محمد بن سنان انه قال : قلت لابي الحسن الرضا في ايام هارون : انك قد شهرت نفسك بهذا الامر وجلست مجلس ابيك وسيف هارون الرشيد يقطر الدم .

فقال جرأني على ذلك ما قال رسول الله (ص) لاصحابه : ان اخذ ابو جهل من رأسي شعرة واحدة فاشهدوا بأني لست بنبي ، وأنا اقول لكم ان اخذ هارون من رأسي شعرة فأنا لست بإمام .

ودخل عليه جماعة من الواقفة وبعد حوار جرى بينه وبينهم قال له علي بن ابي حمزة : اما تخاف هؤلاء على نفسك ، فقال : لو خفت عليها كنت عليها معينا ، ان رسول الله (ص) اتاه ابو لهب فتهدده فقال له رسول الله : ان خدشت من قبلك خدشة فأنا كذاب ، فكانت اول آية نزع بها رسول الله (ص) وهي اول آية انزع بها لكم ان خدشت خدشا من قبل هارون فأنا كذاب .

فقال له الحسين بن مهران وكان من الواقفة : قد اتانا ما نطلب ان اظهرت هذا القول ، قال الامام (ع) : اتريد مني ان اذهب الى هارون وأقول له انا الامام وأنت لست بشيء ما هكذا صنع رسول الله في اول

امره ، انما قال ذلك لاهله ومواليه ومن يثق به دون الناس . وظل انصار الرشيد وبخاصة البرامكة الحاقدين على العلويين يشحنونه على الامام الرضا وكان يستجيب لطلبهم احيانا فيرسل في طلبه ليقتله وكان الله له ولاعوانه بالمرصاد فكف شره عنه وانتقم له ولابيه (ع) من البرامكة على يد الرشيد نفسه في حين انهم كانوا العقل المدبر لسياسته ومن اقرب اعوانه اليه .

ويروي الرواة كما جاء في تاريخ ابن الاثير حادثة من الحوادث التي وقعت في عصر الرشيد كان من ذيولها ان تعرض بيت الامام الرضا للاساءة والسلب .

فقد خرج محمد بن جعفر بالمدينة وأعلن الثورة والتمرد على الحكم الجائر فأرسل اليه الرشيد جيشا بقيادة الجلودي احد اعوانه وأمره بضرب عنقه ان ظفر به ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل اوعز اليه ان يهاجم دور آل ابي طالب ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحلل ولا يدع على واحدة منهن ثوبا يسترها ، وبعد ان ظفر الجلودي بمحمد بن جعفر والثائرين معه هاجم دور الطالبيين ونفذ اوامر الرشيد بها ، ولما انتهى الى دار الامام الرضا (ع) بخيله وجنده وقف الامام على باب داره وجعل نساءه في بيت واحد وحاول ان يمنعهم من دخوله ، فقال له الجلودي : لا بد وأن ادخل البيت وأتولى بنفسي سلبهن كما امرني الرشيد ، فقال له الرضا (ع) : انا اسلبهن لك ولا اترك عليهن شيئا الا جئتك به ، وظل يمانعه ويحلف له بأنه سيأخذ جميع ما عليهن من حلي وحلل وملابس حتى سكن ووافق على طلب الامام (ع) .

فدخل ابو الحسن الرضا على نسائه ولم يدع عليهن شيئا حتى اقراطهن وخلاخيلهن وملابسهن الا اخذه منهن وأضاف اليه جميع ما في الدار من قليل وكثير وسلمه الى الجلودي .

ولم يحدث التاريخ بغير هذه النتف من مواقف الرشيد مع الامام

الرضا (ع) . اما في عهد خليفته الامين الذي تسلم السلطة في السنة التي هلك فيها الرشيد سنة ١٩٣ بحكم كونه وليا للعهد بمقتضى توزيع الادوار بين اولاده الثلاثة فجعلها الى محمد الامين من بعده ومن بعده لولده عبد الله المأمون ، وبعدهما لولده القاسم كما وزع المناطق بينهم كما جاء في تاريخ ابن الاثير ، فجعل للامين ولاية العراق والشام الى آخر المغرب وللمأمون من همدان الى آخر المشرق بما في ذلك خراسان وجهاتها ، ولولده القاسم بعد ان بايع له بولاية العهد بعد اخيه المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وترك للمأمون الخيار في بقائه وليا لعهده وخلعه .

وبقي محمد الامين بعد ابيه هارون خمس سنوات وأشهر ، وفي المحرم من سنة ١٩٨ بعد ان قتل الامين بنتيجة المعارك التي دارت رحاها بين انصاره وأنصار اخيه المأمون بعد ان قتل انتقلت السلطة الى المأمون واجتمع عليه المسلمون في جميع اطراف الدولة ، وكان محمد الامين بعد ان انتقلت الخلافة اليه غدر بأخيه المأمون وخلعه من ولاية العهد وجعلها لولده موسى من بعده ، باشارة الفضل بن الربيع عليه بذلك لانه كان يحقد على المأمون ، وقد خاف على مركزه في الدولة ان ينتزعه منه المأمون ان افضت الخلافة له كما جاء ذلك عن المجلد الخامس من ابن الاثير .

ومهما كان الحال ففي الفترة التي حكم فيها الامين لم نجد في كتب التاريخ ما يشير الى اي موقف يدل على انه حاول الفتك بالامام الرضا او الاساءة اليه ، ولعل مرد ذلك الى انصرافه للملذات والشهوات بالاضافة الى الخلافات التي آلت الى انقسام خطير بين افراد الاسرة الحاكمة وكان من نتائجها اقصاؤه لاخيه المأمون من ولاية العهد مما زاد من حدة الصراع بين الفريقين واضطراب الاوضاع في جميع انحاء الدولة .

على ان ما كان يتمتع به المأمون من محبة الجماهير وثقتهم وقـوة شخصيته قد دفع بالامين وأعوانه ان يقصروا جهودهم على تجنيد جميع اجهزتهم لمراقبته ، وقطع الطريق عن اي تحرك ضدهم ، وأصبح خطر غيرهم ممن لا يرتضي حكمهم ودولتهم ضئيلا اذا ما قيس بنظرهـم بالخطر الداخلي الجاثم على صدورهم ، ومن الجائز ان يكون لذلك كله دخل في انصراف الامين وجهاز حكمه عن مراقبة الامـام الرضا (ع) وملاحقته كما كان يفعل اسلافه مع غيره من الائمة (ع) ، مما قيض لـه فترة هادئة من الزمن انصرف فيها الى اداء رسالته ونشر مبادىء الاسلام في ذلك الجو الذي كان مشحونا بالصراعات العقائدية والخلافـات المذهبية كما سنشير الى ذلك خلال البحوث الآتية .

الامام الرضا والمأمون

لقد ختم الامام الرضا (ع) حياته في عصر المأمون وبقي بعد ان انتقلت الخلافة اليه فترة تتراوح بين الخمس سنوات والثماني سنوات على ابعد التقادير ، ولعل تلك الفترة من حياته التي قضاها في عهد الامين قبل انتقال الخلافة الى المأمون كانت من اهدأ فترات حياته بعد ابيه وأغناها بالآثار التي تركها في مختلف الميادين .

اما السنون التي قضاها في عهد المأمون فمع انه كان يتظاهر بالتشيع والعطف على العلويين ويتنكر لاساليب العنف والانتقام التي برزت في عهد اسلافه ، مع انه تبنى هذا الموقف الذي يبدو عليه الاعتدال وتقرب من العلويين واستدعى الامام الرضا اليه وتظاهر بالولاء لعلي وآل علي (ع) وجعله وليا لعهده ، فلقد كان الامام (ع) يرى هذه الفترة من حياته اسوأ ما مر عليه منذ وفاة ابيه (ع) وأدرك ما يكمن وراء تظاهر المأمون بولائه واستدعائه له الى خراسان من اخطار على حياته ، كما تشير الى ذلك رواية الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا ، عن السجستاني انه قال : لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام الى خراسان كنت انا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله (ص) ، فكان

يقف على القبر مودعا باكيا ويخرج ثم يرجع اليه فعل ذلك مرارا ويعلو منه البكاء والنحيب فتقدمت اليه وسلمت عليه وهنأته فرد علي السلام وقال : ذرني فاني اخرج من جوار جدي رسول الله (ص) وأموت في غربة .

وخلال اقامته في خراسان كان يتلوى من الالم ويتمنى لنفسه الموت ليتخلص من حياة تحيط بها المكاره ويستغل وجوده فيها لاغراض الحاكمين ومصالحهم ، فقد روى ياسر الخادم كما جاء في عيون الاخبار ان الرضا (ع) كان اذا رجع يوم الجمعة من الجامع يقول : اللهم ان كان فرجي مما انا فيه بالموت فعجله لي الساعة ولم يزل مغموما مكروبا حتى قبض .

ولا بد لي قبل الحديث عن هذا الجانب من جوانب سيرة الامام الرضا (ع) من الاشارة الى الدوافع التي قضت على المأمون ان يستدعي اليه الامام ويضطره الى القبول بولاية عهده لقد ذكرنا ان الرشيد جعل ولاية العهد من بعده لولده الامين ، ومن بعده للمأمون ، ولولده القاسم بعد المأمون ، ووزع عليهم البلاد ايضا ، فأعطى الامين ولاية العراق والشام الى المغرب وأعطى المأمون من همدان الى ما وراء ايران من المناطق الخاضعة لحكم الاسلام ، وجعل للقاسم ما بقي من اطراف الدولة ، وقد ظهرت بوادر الخلاف بين الاخوين قبل موت ابيهما ، ويعزو بعض المؤرخين ذلك الى ان اعطاء الرشيد ولده المأمون تلك الصلاحيات الواسعة في خراسان وجهاتها وأخذه له البيعة من القادة والزعماء في تلك المناطق بالاضافة الى ما خوله اياه من الاموال وغيرها ، هذا التصرف من الرشيد قد اعتبره الامين من ابيه سابقا لاوانه ، باعتباره ولي العهد الاول الذي يجب ان تناط به امثال هذه التصرفات وجميع شؤون الدولة .

وتعمقت شقة الخلاف بين الاخوين بايحاء من بعض الاجهزة التي كانت تحيط بالامين وحرضته اخيرا على نقض ما ابرمه الرشيد وأعلن الامين في بغداد اسقاط اخيه المأمون وتعيين ولده موسى مكانه وليا لعهده وكتب بذلك الى جميع اطراف الدولة .

وكان لهذا التخطيط الغادر آثاره السيئة في نفس المأمون فجهز جيشا قويا لاحتلال بغداد عاصمة العباسيين ، وجهز الامين من طرفه جيشا للاستيلاء على المناطق التي كانت بيد اخيه ، واصطدم الجيشان في اكثر من موقع ودارت بينهما المعارك الطاحنة فانتصر فيها المأمون على اخيه وخضعت له البلاد بكامل حدودها ، واتخذ من مرو قاعدة للخلافة الاسلامية بدلا من بغداد بعد ان رجح له ذلك قادته وحاشيته وفاء للبلد الذي نصره وانتصر له في احلك ساعات المحنة .

وكان عليه بعد مقتل اخيه واستقلاله بالحكم جريا على العادة التي اتبعها اسلافه ان يعهد بولاية العهد لاحد من بعده ويختار من يراه صالحا لذلك ، وقد اختار لها الامام الرضا (ع) لاسباب تعود لصالحه كما تؤيد ذلك الظروف والملابسات التي كانت تحيط به يوم ذاك .

وجاء في رواية الصدوق بسنده الى جماعة انهم قالوا : لما انقضى امر المخلوع واستوى امر المأمون كتب الى الامام الرضا يستدعيه ويستقدمه الى خراسان فاعتل عليه الرضا (ع) بعلل كثيرة ، فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم انه لن يكف عنه فخرج من المدينة ولولده محمد الجواد من العمر سبع سنوات .

وجاء في تاريخ الطبري وهو يتحدث عن حوادث سنة ٢٠٠ للهجرة ان المأمون وجه في تلك السنة الى المدينة رجاء بن ابي الضحاك عم الفضل بن سهل وفرناس الخادم لاشخاص علي بن موسى الرضا ، ومحمد بن جعفر ، وكان محمد بن جعفر قد خرج على المأمون بسكة ولقب

بأمير المؤمنين ، ولكن الجلودي قد استطاع التغلب عليه وخرج به الى العراق وسلمه الى الحسن بن سهل ، فأرسله الحسن بن سهل الى المأمون مع رجاء بن ابي الضحاك الذي اخذ معه الامام الرضا (ع) .

وتنص رواية الصدوق في عيون اخبار الرضا على ان رجاء بن ابي الضحاك كان يقول بعثني المأمون الى المدينة لاشخاص علي الرضا وأمرني ان آخذ به على طريق البصرة والاهواز وفارس ولا آخذ به عن طريق قم.

ورواية الكليني تنص على انه امرهم ان لا يسلكوا به طريق الجبل وقم ، وان يأخذوا طريق البصرة والاهواز وفارس .

وقد قيل ان السبب في استدعاء المأمون للامام الرضا (ع) الى خراسان والحاحه عليه بقبول ولاية العهد حتى اضطره الى قبولها ، هو ان الرشيد كان قد بايع لابنه محمد الامين ومن بعده المأمون ، وبعدهما لولده القاسم وكتب بذلك صحيفة وأودعها في الكعبة وقسم البلاد وموارداها بينهما كما ذكرنا . ولما نقض الامين عهد ابيه وخلع اخاه من ولاية العهد وجعلها لولده موسى وقعت الحرب بينهما ، نذر المأمون ان مكنه الله من الامين ان يجعل الخلافة في أفضل آل ابيطالب. ولما انتهت المعارك بينهما وتم له الاستيلاء على بغداد وجميع انحاء الدولة استدعى الامام الرضا الى خراسان ليفي بنذره كما رجح ذلك الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا ، فروى عن الريان بن الصلت ان الناس قد اكثروا القول في بيعة الرضا . ونسبوها الى الفضل بن سهل ، ومضى الريان ابن الصلت يقول : فأرسل الي المأمون وقال : بلغني ان الناس يقولون : ان بيعة الرضا كانت من تدابير الفضل بن سهل، قلت نعم لقد شاع بين الناس ذلك ، قال : ويحك يا ريان أيجسر احد ان يجيء الى خليفة قد استقامت له الرعية وانتظمت له البلاد ويقول له : ارفع يدك عن الخلافة وسلمها لغيرك ، قلت : لا والله ، ثم قال المأمون : اني سأخبرك عن

سبب ذلك ، لما كتب الي اخي محمد الامين يأمرني بالقدوم عليه وأبيت ان انفذ طلبه عقد لعلي بن موسى بن ماهان وأمره ان يقيدني بقيد ويجعل الجامعة في عنقي ، وأرسلت هرثمة بن اعين الى سجستان وكرمان فانهزم ، وخرج صاحب السرير وغلب على كور خراسان من ناحيته وورد علي ذلك كله في اسبوع ولم يكن لي قوة بذلك ولا مال اتقوى به ، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن ، فأردت ان الحق بملك كابل ، فقلت في نفسي رجل كافر يغريه محمد الامين بالاموال فيدفعني اليه، فلم اجد وجها من ان اتوب الى الله من ذنوبي وأستعين به على هذه الامور وأستجير به سبحانه ، فأمرت ببيت فكنس وصببت علي الماء ولبست ثوبين طاهرين ابيضين وصليت اربع ركعات ودعوت الله واستجرت به وعاهدته عهدا وثيقا بنية صادقة ان افضى الله الي بهذا الامر وكفاني عادية الامين ان اضع الامر في موضعه الذي وضعه الله عز وجل ، فلم يزل امري بعد هذا العهد يقوى ويشتد حتى كان من امر اخي محمد ما كان ، فأحببت ان افي بما عاهدت الله عليه ولم ار احدا أحق بهذا الامر من ابي الحسن الرضا فوضعتها فيه فلم يقبلها الا على ما قد علمت .

وقيل انما بايعه لانه لم ير في الهاشميين من هو افضل منه، ومضى اليافعي في مرآة الجنان يقول : ان المأمون احصى اولاد العباس بن عبد المطلب الرجال والنساء وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان فبلغ عددهم ثلاثة وثلاثين الفا بين كبير وصغير ، واستدعى ابا الحسن علي بن موسى فأنزله احسن منزل وجمع خواصه وأخبرهم انه نظر في ولد العباس وأولاد علي بن ابي طالب (ع) فلم يجد احدا افضل وأحق بالخلافة من علي الرضا فبايعه من بعده .

وقيل ان السبب في ذلك هو ان الفضل بن سهل كان مستوليا

عليه فأراد ان يحول الخلافة من اسرة الى اسرة كما فعل ابو مسلم الخراساني حيث حولها من الامويين الى الهاشميين في حديث يرويه الصدوق في العيون عن الحسين بن احمد السلامي في كتابه اخبار خراسان .

وجاء في الكتاب المذكور ان الفضل بن سهل ذا الرياستين وزير المأمون ومدبر اموره كان مجوسيا فأسلم على يدي يحيى بن خالد البرمكي وصحبه وقيل انه اسلم والده سهل على يدي المهدي العباسي، وقد اختار يحيى بن خالد الفضل بن سهل لخدمة المأمون وضمه اليه فتغلب عليه واستبد بالامر دونه وانما لقب بذي الرياستين لانه تقلد الوزارة ورياسة الجند ومضى الراوي يقول :

فقال الفضل حين استخلف المأمون واستتبت له الامور يوما لبعض جلسائه : اين يقع فعلي فيما اتيته من فعل ابي مسلم الخراساني فيما اتاه، فقال له: انا ابا مسلم حولها من قبيلة الى قبيلة وأنت حولتها من اخ الى اخ وبين الحالين ما تعلمه ؛ فقال الفضل : وأنا احولها من قبيلة الى قبيلة ، ثم اشار على المأمون ان يجعل علي بن موسى الرضا وليا لعهده وحسن ذلك له فبايعه المأمون بولاية العهد وأسقط بيعة اخيه المؤتمن، فلما بلغ خبره العباسيين ببغداد ساءهم ذلك فبايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة ، فلما بلغ المأمون خبر ابراهيم ادرك خطأ الفضل بن سهل فخرج من مرو منصرفا الى العراق واحتال على الفضل فقتله وسم علي بن موسى .

وقيل ان الذي دفع المأمون على استدعاء الرضا الى خراسان وجعله وليا لعهده هو تشيعه لاهل البيت الذي ظهر منه في اكثر مواقفه كتفضيله امير المؤمنين على سائر الصحابة وقوله بأحقيته بالخلافة وتبنيه لاكثر آراء اهل البيت (ع) في اصول الاسلام ، ومن ذلك القول بخلق القرآن الذي وقف فيه موقف المتصلب مع المحدثين والفقهاء .

وقوله بجواز نكاح المتعة ورده القاسي على الخليفة الثاني الذي حرم هذا النوع من النكاح ومحاولته الجادة بشتم معاوية وجعله سنة جارية وتهديده لكل من يذكره بخير بالاضافة الى عطفه على العلويين وعفوه عن الثائرين على حكمه ، ورده فدكا عليهم ، وشعوره فيما يروى عنه بالاثم بما اقترفه اسلافه معهم كما يشهد بذلك قوله لبني هاشم : ويحكم ان بني امية انما قتلوا منهم من سل سيفا ، وانا معشر بني العباس قتلناهم جُملا فلتسألن اعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت ، ولتسألن نفوس القيت في دجلة والفرات ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء .

وقد ذكرنا خلال حديثنا عن سيرة الامام ابي الحسن موسى بن جعفر رواية سفيان بن نزار التي جاء فيها ان المأمون كان يقول : لقد علمني التشيع ابي هارون الرشيد ووصفه لدخول الامام الكاظم على الرشيد وحفاوته البالغة به واكرامه له بشكل لم يسبق من الرشيد ان اكرم احدا بمثله ، وجاء في الرواية انه لما انصرف الامام وخلا المجلس قال المأمون لابيه : يا امير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته وأجللته وقمت من مجلسك اليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست بين يديه وأمرتنا بأخذ الركاب له . قال : هذا امام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده ، فقلت : يا امير المؤمنين أليست هذه الصفات كلها لك وفيك ، فقال : انا امام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر وموسى ابن جعفر امام حق ، والله يا بني انه لاحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق اجمعين ، فقال له المأمون : اذا كنت تعرف ذلك فتنحّ عن الملك وسلمه لاصحابه ، فقال : يا بني ان الملك عقيم ، والله لو نازعتني فيه لاخذت الذي فيه عيناك ، الى غير ذلك مما يروى عنه من مظاهر التشيع والولاء لعلي وبنيه .

واذا صح ما يروى عنه من التشيع كما هو ليس ببعيد فتشيعه على تقديره لا يصلح ان يكون سببا لمحاولاته الرامية الى تنازله عن الخلافة او جعله وليا لعهده . ولم يكن في تشيعه المزعوم قد بلغ اقصى حدود المثالية والزهد في الدنيا ليتنازل عن امبراطورية واسعة مترامية الاطراف لاصحابها الشرعيين وينقلها من بيت الى بيت وهو يعلم ما سيترتب على ذلك من المضاعفات الخطيرة التي لا يقوى هو وغـــيره على تحملها ، وبالامس القريب قتل اخاه وعشرات الالوف من اجلها ، وزعم انه سمع اباه يقول : ان الملك عقيم والله لو نازعتني فيه لاخذت الذي فيه عيناك، وانطلق من هذا المبدأ لقتل اخيه من اجلها .

ومجمل القول ان تشيعه المزعوم لو كان حقيقة واقعة لا يصلح ان يكون سببا لالحاحه على الامام بقبول الخلافة او لاشراكه معه في الحكم عن طريق ولاية العهد .

كما وان ما ذكره الصدوق من ان الدافع له كان هو الوفاء بنذوره خلال الازمة التي كانت بينه وبين اخيه ان اظفره الله به ان يجعل الخلافة في افضل آل ابي طالب كما نفى هو في رواية الريان بن الصلت مـا جرى من تدابير الفضل بن سهل ، بل كان وفاء لنذره ولم يكن الدافع عليه احدا من الناس ، هذا القول في منتهى البعد والغرابـة ايضا لان المأمون لم يكن ذلك المتحرز لدينه الى حد يتنازل عن الخلافة لاخصامهم لنذر ألزم نفسه به اذا نجح في معركته على اخيه ، وهل يهتم بالنذر من يضحي بعشرات الالوف من الابرياء لاجل الحكم والملك ولو شهرا واحدا ، وظل طيلة حياته يردد كلمة ابيه ، الملك عقيم ، والله لو نازعتني فيه لاخذت الذي فيه عيناك ، وحديثه مع الريان بن الصلت وغيره ان صح فانما هو لتضليل الشيعة وعامة الناس بسلامة قصده فيما صنعه من اكراه الامام (ع) على القبول بولاية العهد .

ومثله في الغرابة ما جاء في علل الشرائع وملخصه ان المأمون اراد من ولاية العهد للامام الرضا (ع) ان يكشف واقعهم للناس لانهم يتظاهرون بالزهد في الدنيا ويندون بالحكام لعدم تمكنهم منها فأراد ان يدخله في الحكم ليكشف حقيقتهم لاولئك الذين كانوا يجلونهم ويقدسونهم .

وسبب الغرابة فيه ان المأمون اعرف بواقع الائمة من غيره وأبصر بحقيقتهم ، وهو يعلم ان ذلك لن يؤثر على مكانتهم في نفوس الناس لان تولي السلطة لا يتنافى مع الزهد في الدنيا اذا كان لاحقاق الحق وانصاف المظلومين وبناء مجتمع سليم يستمد قوته واصالته وأنظمته من تعاليم الاسلام وآدابه وتشريعاته ، وقد تولاها امير المؤمنين علي (ع) فكان في حال خلافته ازهد منه في الدنيا قبل وصوله اليها ، لان خيرات البلاد كانت كلها في تصرفه ومع ذلك لم يشبع من خبز الشعير ، وكان يقول : أأقنع من نفسي ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في خشونة العيش وخشونة المطعم .

هذا بالاضافة الى ان الامام الرضا كان كارها لكل ما جرى وقد اكره عليه اكراها بلغ حدود التهديد بالقتل وعرف الناس منه ذلك كما جاء في اكثر المرويات التي وصفت المراحل التي مر بها .

لقد كان كارها لعلمه بأن المأمون لم يكن جادا في كل ما كان يتظاهر به من الحب والولاء والعطف على العلويين ، بل كان يتستر بذلك ليحصل على مكاسب يستفيد منها هو وأسرته وتوفر له الامن والاستقرار كما يبدو ذلك من ملاحظة الظروف التي كانت تحيط بدولته في تلك الفترة من تاريخها .

ومن غير المعقول ان يكون مخلصا في الحاحه على الامام بقبول الخلافة او بولاية العهد ومع ذلك ينتكر الامام لطلبه ويتهرب ، لان الخلافة من الحقوق التي جعلها الله له ولغيره من ائمة اهل البيت (ع)

لاحقاق الحق ونشر العدل ومكافحة البدع التي طغت في ذلك العصر وقبله على القيم والاخلاق وجميع معالم الاسلام ، وكل من تقلدها قبله وبعده كان من الغاصبين بنظر الائمة من اهل البيت والمعتدين على اقدس ما انزله الله بعد الرسالات .

الدافع السياسي لولاية العهد

لقد كان المأمون يتمتع بشخصية لعلها من اقوى الشخصيات العلمية والادارية التي وصلت الى الحكم من بني العباس ، وكان اخوه الامين منافسه الاول في الحكم لا يملك شيئا من المؤهلات ، ومع ان الرشيد يعرف عنهما ذلك فقد قدمه على المأمون لا لسبب الا لانه الولد المدلل لسيدة القصر المفضلة زبيدة بنت جعفر بن المنصور الدوانيقي ، وبدأت بوادر الخلاف بين الاخوين والرشيد لا يزال حيا ، وظلت الاجواء تتأزم والامور تتعقد بينهما حتى انفجر الموقف وانتهى الصراع الدامي الذي ذهب ضحيته عشرات الالوف بقتل الامين وانتقال السلطة بكاملها الى المأمون كما ذكرنا .

وأحس المأمون بعد ذلك بالتذمر في اوساط بغداد وبنقمة عارمة من اكثر العباسيين الذين ناصروا الامين عليه ، وكان العلويون يخرجون على الحكام بين الحين والآخر وشيعة الكوفة يرحبون بكل ثائر ، كما كان الشيعة في كل مكان ينكرون على العباسيين سوء صنيعهم مع العلويين ويباركون جميع الانتفاضات المعادية لهم وبخاصة شيعة خراسان

الذين كان لهم الفضل الاكبر في ارساء حكم المأمون وانتصاره على اخيه، وفي السنة التي استولى فيها المأمون على السلطة كانت الاخطار تهدد دولته من جميع الجهات ، فقد خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بأبي السرايا في الكوفة وجهاتها يقود الدعوة لمحمد بن ابراهيم ابن اسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي (ع) وبايعه عامة الناس ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ، وبالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار وغلبا عليها وعلى جهاتها واشتد امرهما ، كما ظهر في اليمن ابراهيم بن موسى ، وفي المدينة الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالافطس ودعا الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه ، وسار منها الى مكة في الموسم وعلى الحاج داود بن عيسى الهاشمي فخرج من مكة هاربا من الافطس فصلى الحسن بن الحسين بالناس وحج بهم ذلك العام ويدعي بعض المؤرخين انه جرد البيت مما عليه من الكسوة ، واشتعلت الثورات في اكثر انحاء الدولة ومع كل ثائر عشرات الالوف يناصرونه على اولئك الجبابرة الذين اقاموا عروشهم على جماجم الابرياء والصلحاء وسخروا لها جميع موارد الدولة وخيرات البلاد .

وجاء في مقاتل الطالبيين بعد معارك ابي السرايا داعية العلويين وغيره ونظروا في الدواوين فوجدوا ان القتلى في تلك المعارك تزيد على مائتي الف رجل . وسواء صح هذا الرقم ام لم يصح فلا شك في ان دولة المأمون كانت مهددة بالاخطار من جميع الجهات وان حركات التمرد كلها كانت بقيادة العلويين .

لقد ادرك المأمون في تلك الفترة التي افتتح بها خلافته حراجة الموقف وأخطاره فلم يجد وسيلة اجدى وأنفع من تظاهره للرأي العام الشيعي

والعلوي برغبته في التنازل عن الخلافة الى الامام الرضا وهو يعلم ان الامام سيرفض ذلك رفضا قاطعا وكان الامر كذلك وأخيرا اكرهه على ولاية عهده والاقامة معه في بلد واحد وتظاهر دجلا ونفاقا بالولاء له ولآبائه وأمر ولاته في المقاطعات بالدعوة للرضا على المنابر وفي جميع المناسبات وكل ما يهمه من هذا التضليل ان يتلافى مشكلة الصدام مع العلويين الذين كانوا يهددون الدولة العباسية بانتفاضاتهم وتمردهم هنا وهناك بين الحين والآخر ، وان يطمئن على موقف الشيعة من خلافته في تلك الفترة من تاريخ حكمه التي هو فيها احوج ما يكون اليهم ، ولم يعد في الساحة سوى المؤيدين لاخيه من العباسيين وأنصارهم ، وهؤلاء لا يشكلون عليه خطرا ما دامت بقية القوى التي كانت تستنزف القسم الاكبر من قوة الدولة الى جانبه .

وبالفعل فلقد نجح المأمون في هذا التدبير فلم يحدث التاريخ بأن حدا من العلويين خرج على المأمون او تحرك ضده خلال السنتين اللتين عاشهما الامام (ع) بعد ولاية العهد مراعاة لجانب الامام ، كما وان عامة الشيعة كانوا يعتبرون الامام شريكا في الحكم وقد حقق لهم المأمون ما عجزت ثورة ابي مسلم الخراساني التي كانت باسم العلويين وسائر الانتفاضات التي حصلت بعدها .

ومما يؤيد ان المأمون كان يضمر السوء للامام (ع) ويحاول بمواقفه هذه ان يجعل من الامام واجهة يتستر بها لاهدافه ومصالحه ما جاء في بعض الروايات التي تنص انه وضع عليه رقابة تحصي عليه انفاسه ، فقد روى الريان بن الصلت ان هشام بن ابراهيم الراشدي كان من اخص الناس بالرضا ، فلما حمل الامام الى خراسان اتصل هشام بن ابراهيم بذي الرياستين وأدناه اليه لينقل اليه والى المأمون اخبار الرضا ، وقد حظي عندهما حتى اصبح لا يخفي عليهما شيئا من اخباره ، ثم ولاه

المأمون حجابة الرضا فضيق عليه ومنع عنه حتى بعض مواليه وخاصته ولم يتكلم الامام في داره بشيء الا وكان يبلغه لهما .

كما يشير الى ان المأمون لم يكن جادا في عهده للامام الرضا ما جاء في جوابه لبني العباس الذي قال فيه كما في رواية البحار : اما ما كنت اردته من البيعة لعلي بن موسى الرضا فما كان ذلك مني الا ان اكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم وان تزعموا اني اردت ان يؤول اليهم عاقبة ومنفعة ، فاني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم وأنتم ساهمون لاهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم .

فالمدلول الضمني لكلامه هذا انه لم يكن يريد ان ينقل الخلافة من بيت الى بيت كما يتصورون ، بل اراد ان يطوق ما كان منتظرا في ذلك الظرف من المضاعفات التي قد تسبب له ولخلافتهم الكثير من المتاعب وتعرضها لاسوأ الاحتمالات .

ومهما كانت الدوافع على هذا الامر فلم يجد الامام بدا من الاستجابة لطلبه بعد ان هدده بالقتل كما جاء في رواية علل الشرائع ومقاتل الطالبيين ، وجاء فيها انه قال له : انك تتلقاني ابدا بما اكرهه وقد امنت سطوتي ، فبالله اقسم لئن قبلت ولاية العهد والا اجبرتك على ذلك فان فعلت والا ضربت عنقك .

ويروي الصدوق في عيون اخبار الرضا ان الامام (ع) في طريقه الى خراسان مر على نيسابور ونزل بمحلة يقال لها القزويني او القزيني ، وفيها حمام عرف فيما بعد بحمام الرضا ، وكانت هناك عين قد قل ماؤها فأقام عليها من اخرج ماءها حتى توفر ، واتخذ من خارج الدرب حوضا ينزل اليه بالمراقي الى هذه العين على حد تعبير السيد الامين في الاعيان.

ومضى السيد الامين في الجزء الرابع من الاعيان يقول : ان الامام

الرضا (ع) قد اغتسل في الحوض وصلى على ظهره ، والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماسا للبركة ويصلون على ظهره ويدعون الله عز وجل في حوائجهم وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس الى يومنا هذا .

حديث سلسلة الذهب

لقد جاء في الاعيان عن الفصول المهمة لأبن الصباغ المالكي انه قال : حدث السعيد امام الدنيا وعماد الدين محمد بن ابي سعيد بن عبد الكريم الوازن عن كتاب تاريخ نيسابور ان علي بن موسى الرضا(ع) لما دخل نيسابور في السفرة التي خص بها بفضيلة الشهادة كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق نيسابور فعرض له الامامان الحافظان للاحاديث النبوية والمثابران على السنّة المحمدية ابو زرعة الرازي ومحمد بن اسلم الطوسي ومعهما خلق لا يحصون من طلبة العلم والحديث والدراية ، فقالا : ايها السيد الجليل ابن السادة الائمة بحق آبائك الاطهرين وأسلافك الاكرمين الا ما اريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد (ص) نذكرك به ، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلة عن القبة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان على عاتقه والناس كلهم قيام على اختلاف طبقاتهم ينظرون اليه وهم ما بين صارخ وباك ومتمرغ بالتراب ومقبل لحافر البغلة ، فصاح العلماء والفقهاء ومعاشر الناس : اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم،

فقال الامام الرضا : حدثني ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن ابيه علي بن ابي طالب انه قال : حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (ص) عن جبرائيل انه قال : سمعت رب العزة سبحانه يقول : كلمة لا إله الا الله حصني ومن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن عذابي ، ثم ارخى الستر على القبة وسار فعدوا اهل المحابر الذين كانوا يكتبون فزادوا على عشرين الفا .

والحديث على ما يبدو من الاحاديث المتفق عليها بين المحدثين وقد ذكره بهذا الاسناد كل من وصف رحلة الامام الى خراسان ، وقال ابو نعيم في حلية الاولياء : بعد ان روى الحديث المذكور ، هذا حديث ثابت مشهور بهذا الاسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين . ومضى يقول : وكان بعض سلفنا من المحدثين اذا روى هذا الاسناد يقول : لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لأفاق .

وتحرك الامام من نيسابور ليتابع رحلته الى مرو حيث المأمون يستعد لاستقباله والحفاوة به ، ولما دخلها انزله منزلا كريما محاطا بكل مظاهر التقدير والاحترام وتابع الحديث معه عن التنازل عن الخلافة او تعيينه وليا لعهده وأخيرا وبعد ان تهدده بالقتل كما ذكرنا وافق الامام على ولاية العهد بشروطه التي يبدو منها انه وقف موقفا سلبيا من الحكم ومن جميع المسؤوليات التي تتعلق به وبأجهزته .

فقد جاء في المجلد الاول من علل الشرائع انه قال للمأمون : عندما رأى نفسه مضطرا لموافقته على ولاية العهد ، وأنا اقبل ذلك على ان لا اولي احدا ولا اعزل احدا ولا انقض رسما ولا سنّة وأكون في الامر من بعيد مشيرا ، فرضي منه بذلك .

وفي رواية اخرى عن عيون الاخبار عن معمر بن خلاد ان المأمون قال لابي الحسن الرضا : يا ابا الحسن انظر بعض من تثق به توليه هذه

البلدان التي قد فسدت علينا ، فقال له الامام الرضا كما جاء في الرواية : تفي لي وأفي لك ، انما دخلت فيما دخلت على ان لا آمر ولا انهى ولا اعزل ولا اولي ولا اسير حتى يقدمني الله فبلك فوالله ان الخلافة شيء ما حدثت به نفسي ، ولقد كنت بالمدينة اتردد في طرقها على دابتي وان اهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم فيصيرون لي كالاعمام وان كتبي نافذة في الامصار وما زدتني من نعمة هي علي من ربي .

وتمت البيعة للامام بولاية العهد بحضور الوزراء والقادة والاعيان وحشد كبير من الناس فوزع عليهم المأمون الاموال والهدايا ومدحه الشعراء بعشرات القصائد ومن مدحه ابو نواس الشاعر ، ومن مدائحه فيه :

قيل لي انت أشعر الناس طرا ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام ... كان جبريل خادما لأبيه

فأجازه المأمون على هذه الابيات بمثل ما اجاز به غيره وفضّله عليهم ورآه يوما وهو خارج من داره فأنشد يقول :

اذا بصرتك العين من بعد غاية ... وعارض فيك الشك اثبتك القلب
ولو ان قوما يسوك لقاءهم ... نسيمك حتى يستدل به الركب

وله فيه كما جاء في عبدان اخبار الرضا :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فماله في قديم الدهر مفتخر
فالله لما بدا خلقا واتقنه ... صفاكم واصطفاكم ايها البشر
وأنتم الملأ الاعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

وقد يشك البعض في نسبة هذا الشعر الى ابي نؤاس المشهـــور بالمجون والخلاعة لان وفاته كانت سنة ١٩٥ اي قبل ان يصبح الرضا ولياً لعهد المأمون بخمس سنوات او اكثر ، ولكن من الجائز ان يكون قد قالها قبل هذه المناسبة .

ولقد تزاحم الشعراء على مديحه على اثر ذلك وهم ما بين من مدحه بدافع الولاء والابتهاج بتلك المناسبة وبين من نظم فيه الشعر تزلفـــا للمأمون وطمعا في بره ونائله . ويروي الرواة ان دعبل الخزاعي شاعـــر اهل البيت(ع) مدحه بقصيدة تبلغ نحوا من ثمانين بيتا كما رواها الاربلي في كشف الغمة .

وجاء في رواية ابي الصلت الهروي انه قال : دخل دعبل الخزاعـــي على الامام الرضا (ع) بمرو فقال له : يا ابن رسول الله انـــي قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي ألا انشدها احدا قبلك ، فقال لـــه الرضا (ع) هاتها يا دعبل ، فأنشده اياها وفيها استعراض للوقائع التي مرت على اهل البيت من حين وفاة النبي (ص) مرورا بأحداث السقيفة ، وموقف المسلمين من الخلافة وما جرى على اهل البيت خلال العهديـــن الاموي والعباسي والخصائص التي حباهم الله بها وقد ظهر على الامام التأثر عندما قال دعبل :

ارى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

ويدعي الراوي ان الامام (ع) جعل يردد البيت ويبكـــي ويقول : صدقت يا دعبل .

وعندما قال :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم اكفا عن الاوتار منقبضات

جعل الامام يقلب كفيه ويقول : اجل انها والله منقبضات .

ولما وصل الى قوله :

قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ نالهـا صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكيـــة تضمنها الرحمن في الغرفات

فقال له الامام الرضا كما يدعي الراوي : أفلا الحق لك بهذا الموضع بيتين لهما تمام قصيدتك ، قال : بلى يا ابن رسول الله ، فقال الامام :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة الحت على الاحشاء بالزفـرات
الى الحشر حتى يبعث الله قائما يفـرج عنا الغم والكربـــات

وجاء في الرواية ان دعبل الخزاعي قال له : لا اعلم قبرا بطوس لمن هذا القبر ؟ فقال له : ذاك قبري ولا تمضي الايام والسنون حتى تصير مختلف شيعتي فمن زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة.

ولما انتهى من انشادها دفع له الامام بصرة فيها مائة دينار ، وقيل عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه ، فقال له : ما لهـذا نظمت الشعر فيكم يا ابن رسول الله وطلب ثوبا من ثيابه يتبرك به ، فأعطاه مع الصرة جبة خز كان يلبسها وانصرف دعبل، وفي طريقه مر مع القافلة على مياه ، فاعترضهم اللصوص وأخذوا جميع ما كان معهـــم وجلسوا ناحية يقتسمون ما سلبوه من القافلة ، فتمثل رجل منهـــم بقول دعبل :

ارى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل الخزاعي وقال له : لمن هذا البيت الذي تتمثل فيه ، فقال : لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي ، فقال : انا دعبل صاحب القصيدة التي فيها البيت ، فردوا عليهم جميع ما اخذوه منهم واعتذروا اليهم ، وأضاف الراوي الى ذلك ان دعبل الخزاعي سار مع القافلة حتى وصل الى قم ، فأنشدهم قصيدته وأخبرهم بما اجازه الامام الرضا ، فسألوه ان يبيعهم الجبة بألف دينار فأبى عليهم ، ولما خرج من قم لحقه جماعة من أحداثهم وأخذوا الجبة منه رغما عنه فرجع اليهم وسألهـم

ردها عليه فامتنعوا وأخيرا دفعوا له الف دينار وقطعة منها ليضعها مع كفنه بناء لطلبه .

وجاء في الاغاني ان دعبل الخزاعي كتب قصيدته التي يقول فيها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

على ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في كفنه . وكان الحكام يهابون هجاءه ويرهبون لسانه ، وقال له ابن المدبر : انت اجسر الناس حيث تقول في المأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد

رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوحد

فقال له : يا ابا اسحاق اني احمل خشبتي منذ اربعين سنة ولا اجد من يصلبني عليها .

ومما احدثه المأمون بهذه المناسبة ان ضرب الدراهم وطبع عليها اسم الرضا وكتب على احد الجانبين في الوسط : الله محمد رسول الله المأمون خليفة الله مما امر به الامير الرضا ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن علي بن ابي طالب . وكتب على الجانب الآخر في الوسط : لا إله الا الله وحده لا شريك له .

وكتب على احد جانبي الدرهم بشكل دائرة هكذا : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى الجانب الآخر بشكل دائرتين داخلة وخارجة : فعلى الداخلة بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة اصبهان سنة اربع ومائتين ، وعلى الخارجة : في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون .

وزوج المأمون اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه اسحاق بن جعفر ابن محمد وخطب في كل بلد للرضا بولاية العهد وأمر ولاته بالدعاء له فكان الخطباء يفتتحون خطابهم بالدعاء للمأمون والرضا (ع) .

وزوجه المأمون بعد اشهر مرت على ولاية العهد ابنته ام حبيب وذلك في اوائل سنة ٢٠٢ وقيل انه زوجه اخته المكناة ام ابيها وقيل انها تكنى بأم حبيبة .

كما امر المأمون بلبس الاخضر بدلا عن الاسود وكان السواد شعار العباسيين والاخضر للعلويين وكتب بذلك الى عماله في جميع الاقطار فشق ذلك على العباسيين وعدوه بالاضافة الى ولاية العهد محاولة جادة لتجريد العباسيين من جميع امتيازاتهم وشعاراتهم ، فتكتلوا ضده وولوا امرهم للمغني الشهير ابراهيم بن المهدي وبايعوه بالخلافة والتفوا حوله مما حدا بالمأمون ان يسرع في تنفيذ ما كان قد خططه للامام الرضا (ع) ويعود لبغداد لتلافي ما تركته الاحداث من آثار سيئة على خلافته ، ولم يجد صعوبة في دخولها ولا مقاومة جادة لمنعه عنها لاسيما وان مخاوفهم من انتقال السلطة الى البيت العلوي قد تبددت بعد وفاة الامام الرضا (ع) وبعد ان عادوا الى الطاعة واختفى خليفتهم الخليع ، كلفوا زينب بنت سليمان بن عبد الله بن عباس وكانت ذات عقل وشرف عندهم ، لتكون الوسيط في رجوعه عن لبس الخضرة الى السواد .

وجاء في تذكرة ابن الجوزي وغيرها ان بني العباس قد اجتمعوا إلى زينب بنت سليمان وسألوها ان تدخل على المأمون وتسأله الرجوع الى لبس السواد وترك الخضرة للعلويين وقد تخوفوا ان يجعل ولاية العهد بعد علي الرضا الى ولده محمد الجواد ، فلما دخلت عليه رحب بقدومها وأكرمها ، فقالت له : يا امير المؤمنين انك على بر اهلك من ولد ابي طالب والامر في يدك اقدر منك على برهم والامر في يد غيرك او في ايديهم فدع لباس الخضرة وعد الى لباس اهلك ولا تطمعن احدا فيما كان منك ، فقال لها : والله يا عمة ما كلمني احد بكلام اوقع من كلامك في قلبي ، ولا اقصد لما اردتِ وأنا احاكمهم الى عقلك ، فقالت:

وما ذاك ؟ قال : ألست تعلمين ان ابا بكر تولى الخلافة بعد رسول الله فلم يول احدا من بني هاشم شيئا ، ثم تولاها عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان فكانا كذلك ، ولما تولاها علي بن ابي طالب اقبل على بني هاشم فولى عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله اليمن ، وولى معبدا مكة ، والقثم بن العباس البحرين ولم يترك احدا ينتمي الى العباس الا ولاه ، فكانت له هذه في اعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت ، فقالت له: لله درك يا بني ولكن المصلحة لبني عمك من ولد ابي طالب ما قلته لك، فقال : لا يكون الا ما تحبون .

ومضى الراوي يقول : ثم انه فكر في الامر وولاية محمد بن علي بعد ابيه فرأى ان الامر قد يفلت من بني العباس وبني علي (ع) فجلس لبني العباس وجمعهم ودعا بحلة سوداء فلبسها وترك الخضرة ولبس السواد ولم تلبس الخضرة في بغداد سوى ثمانية ايام على حد زعم الراوي .

وجاء في ص ٢١٩ من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع عن الوزراء والكتاب للجهشياري ان لباس الخضرة الذي اتخذه المأمون خلال الفترة الاولى من خلافته لم يكن للعلويين بل كان لباس ملوك الفرس والمجوس في تلك البلاد وكان لباس العلويين البياض ولباس العباسيين السواد ، ومضى يقول : ان المأمون لما استشار وزراءه وخاصته قال له نعيم بن حازم وكان من ثقاته ومستشاريه : انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس ، وأضاف الى ذلك ان العبيديين في مصر اختاروا البياض شعارا ، وكان الاولى لو كانت الخضرة علوية اصيلة ان يختارها الثوار شعارا لهم ولم يحدث ذلك ، والذي حدث انه في اثناء القتال بين الامين والمأمون خرج ابن طباطبا

ولبس البياض شعارا له ، كما خرج علي بن محمد بن جعفر بن محمد بالبصرة وغلب عليها ولبس البياض ، وهكذا كان غيرهما من العلويين الثائرين يجعلون شعارهم البياض الى غير ذلك مما اورده حول هـذه الناحية ولا يهمنا تحقيق ذلك .

خروج الامام الرضا لصلاة العيد ورجوعه قبل ادائها

لقد كانت البيعة للامام الرضا بولاية العهد في الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠١ كما جاء في رواية الصدوق عن البيهقي ، وباتنهاء شهر رمضان اي بعد خمس وعشرين يوما كلفه المأمون ان يصلي بالناس صلاة العيد ، بالرغم من ان الامام (ع) كان قد اشترط على المأمون ان لا يشترك معه بشيء يتعلق بالحكم وشؤونه وملحقاته ، فقد روى علي بن ابراهيم عن ياسر الخادم والريان بن الصلت انهما قالا : لما حضر العيد في السنة التي عقد له فيها ولاية العهد ارسل اليه المأمون بالركوب الى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم فبعث اليه الامام الرضا : لقد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الامر ، فاعفني من الصلاة بالناس فألح عليه المأمون وقال له : اريد بذلك ان تطمئن اليك قلوب الناس ويعرفوا فضلك . وجعل المأمون يلح عليه ويرسل له الرسول بعد الرسول حتى اجابه لذلك على شرط ان يخرج الى الصلاة كما كان يخرج اليها رسول الله وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب من بعده ، فقال له المأمون : اخرج كيف شئت، وأمر القواد والحجاب والناس ان يبكروا الى باب الرضا (ع) . ومضى الراوي يقول : فقعد الناس لابي الحسن في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان

ينتظرون خروجه ووقف الجند والقادة على بابه حتى طلعت الشمس ، فاغتسل ابو الحسن الرضا (ع) ولبس ثيابه وتعمم بعمامة بيضاء من قطن فألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه ومس شيئا من الطيب وأخذ بيده عكازا ، وقال لمواليه وخاصته : افعلوا مثل ما فعلت ، فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله الى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة ومشى قليلا ، ثم رفع رأسه الى السماء وكبر فكبر معه مواليه، ومشى حتى وقف على الباب ، فلما رآه القواد والجند على تلك الصورة سقطوا كلهم عن الدواب الى الارض ، وكان احسنهم حالا من كان معه سكين فقطع به ربطة حذائه لينزعه من رجله ويمشي حافيا ، ثم كبر الرضا على الباب الاكبر وكبر الناس معه وارتفعت اصوات الناس في مرو بالبكاء والتكبير من جميع الجهات ، وكان الامام (ع) كلما مشى خطوات وقف وكبر وكبر الناس معه حتى ضجت المدينة بأصوات المكبرين وخرج الناس من منازلهم وازدحموا في الشوارع بشكل لم تعهد له المدينة مثيلا كما تصف ذلك الروايات التي تحدثت عن خروجه .

ولو ان البحتري وصف الامام الرضا في هذه المناسبة بالابيات التي نظمها في المتوكل لكان من اصدق الشعراء في وصفه وأبعدهم عن الكذب والتزلف للحاكمين ولعله عناه بها واستعارها للمتوكل في بعض المناسبات كما يصنع الكثير من الشعراء وسواء قيلت فيه او في غيره فهي من افضل ما يمكن ان يقال في وصف الامام الرضا والجماهير المحتشدة من حوله في تلك المناسبة .

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابسا ... نور الهدى يبدو عليك فيظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى اليك المنبر

لقد اراده المأمون ان يصلي بالناس صلاة العيد ويخرج اليها كما كان يخرج هو ومن ينتدبه لها من اولئك الذين كانوا يستغلون المناسبات الدينية لعرض قوتهم وتركيز عظمتهم وهيبتهم في النفوس ، فاستعفاه الامام لانه يرى ان المناسبات الدينية يجب ان تبقى لها قداستها الروحية ولا تستغل لمصلحة الحاكمين ، ولما اضطره المأمون الى الخروج وخرج بالشروط التي ارادها ووجدت اجهزة الحكم انصهار الجماهير مع موقف الامام المتمرد على التقاليد التي اعتادوها في مثل هذه المناسبات اسرعوا الى تحذير المأمون من حراجة الموقف وخطره على وجودهم ان هو استمر في طريقه الى المسجد وأدى الصلاة ، فأرسل اليه المأمون : لقد كلفناك شططا وأتعبناك يا ابن رسول الله ولسنا نحب لك الا الراحة فارجع وليصلّ بالناس من كان يصلي بهم على رسمه وذلك ما كان يتمناه الامام ويعمل من اجله .

موقف الامام الرضا (ع) من ثورة العلويين على الحاكمين

لقد استقبل المأمون خلافته بأخطر ثورة ضده في تلك الفترة من التاريخ وهي ثورة محمد بن ابراهرم الحسين المعروف بابن طباطبا التي قادها ومهد لها السري بن منصور المعروف بأبي السرايا ، وقد انطلقت من الحجاز الى الكوفة ومنها الى اكثر المناطق في العراق ، وتفرعت عنها انتفاضات قادها العلويون في البصرة واليمن والبحرين والحجاز وغير ذلك من الاقطار ، فوثب في اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر واستولى عليها وفي مكة الحسين بن الحسن الافطس ، وفي البصرة زيد بن جعفر المعروف على لسان بعض المؤرخين بزيد النار لكثرة ما قتل وأتلف وأحرق في البصرة من دور العباسيين وأنصارهم وممتلكاتهم الى غير ذلك من المناطق الاخرى ، وقد ذكرنا عندما تحدثنا عن الاسباب التي دفعت المأمون الى تولية الامام الرضا ولاية العهد ، ان الذي دفعه الى هذه الخطوة هو تطويق هذه الانتفاضات وتخدير الشيعة المناصرين لهم في مختلف الجهات وبخاصة شيعة خراسان الذين ناصروا الدولة العباسية وعززوا موقفه خلال المعارك الدامية بينه وبين اخيه محمد الامين ، وقد نجح في هذا التدبير الى حد ما فلزم العلويون جانب

الهدوء مراعاة لمركز الامام الرضا . ولم يحدث التاريخ عن اي تحرك علوي ضد المأمون خلال تلك الفترة القصيرة التي عاشها الامام الرضا بعد ولاية العهد .

اما موقف الامام الرضا من انتفاضات العلويين وتحركاتهم ضد الحاكمين فلم يكن على ما يبدو سلبيا من حيث مبدأ الثورة المناهضة للظلم والطغيان والاستغلال . بل كان كغيره من ائمة اهل البيت (ع) يباركون كل ثائر على الظلم والباطل حتى ولو لم ينجح عسكريا اذا كانت ثورته ضمن الحدود المشروعة ولصالح الامة ، لان الثورة النزيهة في الغالب تكشف للشعوب زيف الحكام وواقعهم الكريه وتترك وراءها فئة تحس بالظلم والتجاوزات وتحاسب عليهما وأحيانا تضطر الحاكم الى تصحيح سلوكه ووسائل حكمه الى حد ما .

والسؤال الذي يعترض القارىء في المقام هو ان الائمة اذا افترضنا انهم كانوا يباركون بعض تلك الانتفاضات . فلماذا لم يتولوا قيادتها ، وأحسب بأن القارىء سوف لا يقف طويلا الى جانب هذا التساؤل لو قارن بين المهمات التي انصرف اليها الائمة (ع) وبين تلك الانتفاضات، ذلك لانهم كانوا يعلمون بأن نصيب تلك الانتفاضات سيكون الفشل السريع لانها لم تقم على اسس صحيحة ومدروسة تضمن لها النجاح . والثورة الناجحة تحتاج الى قاعدة شعبية واضحة مزودة بالوعي والاخلاص تستجيب لتخطيط القائد في كل ما يتوقف عليه نجاحها ، ولم يتوفر ذلك لتلك الانتفاضات التي كانت تحدث هنا وهناك ، وفي الوقت الذي كانت ترتفع فيه الاصوات ضد الحاكمين كان الائمة (ع) يقودون الثورة الثقافية التي فرضتها مصلحة الاسلام يوم ذاك وكان النجاح حليفها في مختلف الميادين كما يبدو ذلك للمتتبع في تاريخهم .

وعندما قلنا بأنهم كانوا يباركون كل ثائر على الظلم والباطل اذا كانت ثورته للحق والمظلومين لم نقل ذلك لانهم كانوا يرجون لتلك الانتفاضات

ان تحقق كل اهدافها ، بل لان الثورة على الظلم حتى ولو كان نصيبها الفشل تكشف زيف الحاكم وواقعه وتترك وراءها من يحس بالظلم والعدوان ويحاسب عليهما ، وقد حققت تلك الانتفاضات هذا المقدار وأكثر منه بلا شك في ذلك ، ولكن المكاسب الكبرى التي حققتها ثورة الائمة (ع) لمصلحة الاسلام لم يكن بالامكان تحقيق شيء منها لو انهم اشتركوا بتلك الانتفاضات او تولوا قيادتها .

ومهما كان الحال فالذي انكره الامام الرضا والائمة (ع) على بعض الثائرين من العلويين انهم كانوا يغترون ببعض المظاهر وينخدعون لبعض الاصوات التي كانت تهتف باسمهم فيدعون ما ليس لهم ويخرجون بدون تخطيط وبالتالي يكون نصيبهم القتل والتشريد ، كما انكروا على بعض الثائرين اسرافهم في القتل والسلب واحراق البيوت والممتلكات ، وكان نصيب الابرياء من ذلك اكثر من نصيب الحاكمين وأعوانهم ، ولذا فان الامام الرضا (ع) قد وقف من اخيه زيد بن الامام موسى بن جعفر ذلك الموقف المتصلب وأنبه على عدوانه وتجاوزاته التي لا تقرها الشرائع والاديان .

وقد عرف عند المؤرخين وبعض المحدثين بزيد "النار" لكثرة ما احرق من الدور والممتلكات التي تخص العباسيين ومن يلوذ بهم من الاتباع والاعوان ، وكان كما جاء في تاريخ ابن الاثير اذا قبض على رجل من المسودة احرقه بالنار واستولى مع ذلك على الكثير من اموال التجار سوى ما اخذه من اموال العباسيين وأنصارهم ، وقد خرج في البصرة عندما استولى ابو السرايا على الكوفة وجهاتها بعد ان انتقلت الخلافة الى المأمون والامام الرضا (ع) لا يزال في المدينة ، فأرسل اليه المأمون جيشا كبيرا بقيادة علي بن سعيد وبعد معارك ضارية بين الطرفين طلب زيد بن موسى الامان فأعطاه القائد العباسي ما اراد وأخذه اسيرا فأرسله

الى الحسن بن سهل فأمر بضرب عنقه وكان قد حضر مجلسه الحجاج بن خيثمة ، فقال له : ايها الامير ان رأيت ان لا تعجل عليه فان عنـــدي نصيحة لك، فأمر السياف الذي كان قد استعد ليضرب عنقه بالتوقف، وقال للحجاج : ما هي نصيحتك ؟ قال : ايها الامير هل اتاك بما تريد ان تفعله امر من امير المؤمنين ؟ قال : لا .

قال : فعلام تقتل ابن عم امير المؤمنين من غير امره وقبل ان تستطلع رأيه ، ثم حدثه بما كان من امر ابي عبد الله الافطس ، وقد حبســـه الرشيد عند جعفر بن يحيى فقتله جعفر بن يحيى وبعث برأسه الـــى الرشيد في طبق مع هدايا النيروز فحقد عليه الرشيد ، ولما غضب على البرامكة وأمر مسرورا بقتل جعفر بن يحيى ، قال له : اذا سألك جعفر عن ذنبه فقل له انه يقتلك بابن عمه ابن الافطس الذي قتلته مـــن غير امره .

ثم قال الحجاج بن خيثمة للحسن بن سهل : افتأمن ايها الامير حادثة تحدث بينك وبين امير المؤمنين وقد قتلت هذا الرجل فيقتلك به ويحتج عليك بمثل ما احتج به الرشيد على جعفر بن يحيى ، فقـــال الحسن للحجاج : جزاك الله خيرا ، ثم امر بترك زيد وارجاعه الى الحبس ، فلم يزل محبوسا في بغداد حتى كانت ولاية العهد للامام الرضا (ع) فأرسله الحسن الى المأمون في خراسان ، فلما ادخل على المأمون قال له : يا زيد خرجت بالبصرة وتركت ان تبدأ بدور اعدائنا من بني امية وثقيف وعدي وباهله وآل زياد وقصدت دور بني عمك وأحرقتها ، فقال له زيد كما يدعي الراوي : اخطأت يا امير المؤمنين من كل جهة وان عدت اليها بدأت بأعدائنا ، فضحك المأمون وبعث به الى الامام الرضا (ع) وقال له : لقد وهبتك جرمه فاحكم عليه بما ترى .

وجاء في رواية ياسر الخادم انه لما دخل على الامام الرضا قال له : ويحك يا زيد ما الذي غرك حتى ارقت الدماء وقطعت السبيل ، اغرك

حديث سمعته عن رسول الله ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار .

وفي رواية ثانية اغرك قول سفلة اهل الكوفة : ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ويحك يا زيد ان ذلك ليس لي ولا لك ، لقد عنى رسول الله (ص) بذلك حسنا وحسينا ، والله ما نالا ذلك الا بطاعة الله ، فان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة فأنت اذن اكرم على الله منهما ومن ابيك موسى بن جعفر .

والله يا زيد لا ينال احد ما عند الله الا بطاعته ، فقال له زيد : انا اخوك وابن ابيك ، فقال له الرضا (ع) : انت اخي ما اطعت الله عز وجل ، ان نوحا قال : رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت ارحم الراحمين ، فقال له الله عز وجل : يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ، فأخرجه الله من ان يكون من اهله بمعصيته لله .

وجاء في رواية العيون عن محمد بن يزيد النحوي عن ابيه انه قال : ان المأمون وهب جرم زيد بن موسى الى اخيه الرضا (ع) وقال له : يا ابا الحسن لئن خرج اخوك وفعل ما فعل فلقد خرج قبله زيد بن علي وقتل ، ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما اتاه بصغير . فقال الامام الرضا (ع) : يا امير المؤمنين لا تقس اخي زيدا الى زيد بن علي بن الحسين فانه من علماء آل محمد (ص) غضب لله عز وجل فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر انه سمع اباه جعفر بن محمد يقول : رحم الله عمي زيدا انه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا اليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عم ان رضيت ان تكون المقتول بالكناسة فشأنك ، فلما ولى قال جعفر بن محمد : ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه ، فقال له المأمون : يا ابا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء ، فقال الامام الرضا : ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق ، وانه كان

اتقى الله من ذلك ، انه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد ، وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية :

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم .

من اجوبة الامام الرضا ومناظراته

لقد جاء في نثر الدرر ان المأمون قال للرضـــا (ع) : يا ابا الحسن اخبرني عن جدك علي بن ابي طالب بأي وجه هو قسيم الجنة والنار ، فقال : يا امين المؤمنين ألم ترو عن ابيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس انه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : حب علي ايمان وبغضه كفر ، قال بلى ، قال الرضا (ع) بذلك كان قسيم الجنة والنار ، فقال لـــه المأمون : لا ابقاني الله بعدك يا ابا الحسن اشهد انك وارث علـــم رسول الله .

وفي عيون اخبار الرضا عن علي بن محمد بن الجهم انه قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى بن جعفر (ع) ، فقال لـــه المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك ان الانبياء معصومون ، فقال: بلى. فقال: فما معنى قوله تعالى؟ فعصى آدم ربه فغوى، فقال الرضا(ع): ان الله تبارك وتعالى قال لآدم : اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة، وأشار لهما الى شجرة الحنطة، فتكونا من الظالمين ، ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ، ولا مما كان من جنسها ، وقد امتثلا وأطاعا ولم يقربا من تلك الشجرة وانما

اكلا من غيرها بعد ان وسوس لهما ابليس وموه عليهما وطلب منهما ان يأكلا من غيرها مما كان من جنسها ، وحلف لهما بأن الله لم ينههما عن كل ما وافق تلك الشجرة وما كان من جنسها ، فوثقا به لانهما لم يكونا قبل ذلك يعرفان من يحلف بالله كاذبا ، وكان ذلك من آدم قبل النبوة كما وان الذي ارتكبه آدم لم يكن من الكبائر بل كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي على حد تعبير الراوي، فلما اجتباه الله وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال تعالى :

وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه فهدى .

فقال له المأمون : فاخبرني عن قول الله في ابراهيم : فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين .

وأجابه الامام (ع) بأن ابراهيم لم يعترضه شك في الله طرفة عين ابدا ، ولكنه كان يعيش في جو توزعت فيه عبادة الناس بين الزهرة والقمر والشمس وقد حصل هذا التردد من ابراهيم ليظهر لاولئك الذين كانوا يعبدون هذه الكواكب فساد مذاهبهم ، لان البزوغ والافول والتغيير من صفات المحدث الذي يحتاج في وجوده الى سبب وقد حاورهم بهذا الاسلوب الحسي ليقنعهم عن طريق الحس ان وراء هذه الكواكب من يسيرها ويديرها وهو خالق السموات والارض وما فيهما من الكائنات ، وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه .

فقال المأمون : بارك الله فيك يا ابا الحسن فاخبرني عن قول الله عز وجل : فوكزه موسى فقضى عليه قال : هذا من عمل الشيطان ، قال

الرضا (ع) ان موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من اهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى فوكزه ومات ، فقال هذا من عمل الشيطان يعني بذلك ان اقتتالهما كان من عمل الشيطان ، لا ما فعله موسى (ع) فقال له المأمون فما معنى قوله : رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ، قال (ع) اراد بذلك اني وضعت نفسي في غير موضعها بدخولي هذه المدينة ، فاغفر لي اي استرني من اعدائك لئلا يظفروا بي ويقتلوني .

فقال المأمون : فما معنى قول موسى لفرعون : فعلتها اذا وانا من الضالين ، فقال الامام الرضا : ان فرعون قال لموسى لما اتاه وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ، قال موسى : فعلتها اذا وانا من الضالين عن الطريق حتى انتهت بي الى مدينة من مدائنك ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ، وقد قال لنبيه محمد (ص) : الم يجدك يتيما فآوى ، يقول الم يجدك وحيدا فآوى اليك الناس ، ووجدك ضالا ، فهدى ، اي ضالا عند قومك فهداهم الى معرفتك ووجدك عائلا فأغنى ، اي اغناك بأن جعل دعاءك مستجابا .

وسأله المأمون عن معنى قوله تعالى : حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا .

وشبهة المأمون في هذه الآية هي في نسبة اليأس الى الرسل من نصر الله ، بعد ان وعدهم الله بالنصر واليأس من الله من المعاصي التي الحقها الله بالكفر ، كما جاء في الآية : ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

وكيف يمكن ان يتطرق اليأس الى قلب النبي بعد ان اصطفاه الله لرسالته واليأس بنص الآية لا يصدر الا عن الكافرين .

وقد اجابه الامام (ع) بأن متعلق اليأس في الآية ليس من النصر الذي وعد الله به رسوله ، وانما هو من ايمان قومهم بهم وتصديق رسالتهم ، اي ان الرسل يئسوا من ايمان قومهم بهم ، وظن قومهم ان الرسل كذبوا عليهم جاءهم نصرنا .

وسأله عن قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ، فقال الرضا (ع) : لقد همت ولولا ان رأى برهان ربه لهم كما همت به لكنه كان معصوما والمعصوم يهم بالذنب ولا يأتيه ، ومضى الامام يقول : لقد حدثني ابي عن ابيه الصادق (ع) انه قال : همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل ، فقال له المأمون : لله درك يا ابا الحسن فاخبرني عن قوله تعالى : وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين .

فقال الامام الرضا (ع) : ذاك يونس بن متى ذهب مغاضبا لقومه ، فظن اي استيقن ان لن نقدر عليه ، اي لن نضيق عليه رزقه ، ومضى الامام يقول : ومنه قوله عز وجل : وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه، اي ضيق وقتر ، فنادى في الظلمات اي في ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت فاستجاب الله له .

وقال عز وجل : فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون .

كما جاء في بعض المرويات ان المأمون كان يسأله عن بعض الآيات التي يبدو منها ان الله سبحانه مركب من اجزاء يستعملها كما يستعمل الانسان اعضاءه وأطرافه لقضاء حوائجه كقوله لابليس : ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، وقوله يد الله فوق ايديهم ، ولتصنع على عيني ونحو ذلك من الآيات التي توهم التشبيه والتجسيم .

وقد اجابه الامام (ع) عنها بأجوبة تتناسب مع تنزيه الله سبحانه عما

تنزه عنه من مشابهة مخلوقاته ومن كونه محدودا ومحـــلا للعوارض يتحول ويتغير بحسب الزمان والمكان ، وليس ذلك بغريب ولا بجديد على ائمة اهل البيت (ع) الذين عناهم الله سبحانه بالآية وأمر الامـــة بالرجوع اليهم فيما تحتاجه لحل مشاكلها بقوله :

" واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . "

بقي ان بعض تلك الروايات التي وصفت مجالس المأمون مـــع الرضا (ع) لم تبلغ مرحلة الاطمئنان من حيث اسانيدها ، ولكـــن ذلك لا يمنع من الوثوق بمضامينها ما دامت متفقة مع اصول المذهب ومـع الروايات الصحيحة التي نزهت الله سبحانه عن كل ما يشبه مخلوقاته .

وروى عنه الطبرسي في احتجاجه في تفسير قوله تعالى : وجـوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ، انه قال : مشرقة تنتظر ثواب ربها وأضاف الى ذلك ان النبي (ص) كان يقول قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر كلامي برأيه وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس في ديني ومن رد متشابه القرآن الى محكمه هدي الى صراط مستقيم ، ومضى الامام الرضا (ع) يقول : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن نسب اليه ما نهى عنه فهو كافر .

وروى الرواة ان المأمون كان يجلس يومي الاثنين والخميس فـي ديوان المظالم ويقعد الامام الرضا عن يمينه فرفع اليه ان صوفيا مـــن اهل الكوفة قد سرق فأمر باحضاره فرأى عليه سيماء الخير فقال سوأة لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح ، فقال له الرجل : لقد فعلت ذلك اضطرارا وقد قال الله تعالى :

(فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فلا اثم عليه) وقد منعت من الخمس والغنائم ، فقال : وما حقك منها ، فقال قال تعالى : واعلمو ان ما غنتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى وابن السبيل ، فمنعتني حقي وأنا مسكين وابن سبيل ومن حملة القرآن وقد

منعت كل سنة عني مائتي دينار ، فقال المأمون : لا اعطل حدا من حدود الله وحكما من احكامه في السارق من اجل اساطيرك هذه ، فقال له : فابدأ اولا بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك ، فالتفت المأمون الى الامام ابي الحسن الرضا وقال : ما يقول هذا يا ابا الحسن ؟ قال : انه يقول لقد سُرق فسرَق ، فغضب المأمون وقال : والله لاقطعنك ، فقال له : اتقطعني وأنت عبدي ، فقال له : ويلك ماذا تقول ، قال : أليست امك اشتريت من مال الفيء فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتى يعتقوك وأنا منهم وما اعتقتك والاخرى ان النجس لا يطهر نجسا، ومن في جنبه حد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه ، اما سمعت قول الله تعالى :

اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون .

فالتفت المأمون الى الرضا وقال : ما تقول يا ابن رسول الله ؟ قال: ان الله عز وجل قال لنبيه (ص) : فلله الحجة البالغة ، وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها على جهله كما يعلمها العالم بعلمه والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل ، وأضاف الى ذلك الراوي: ان المأمون امر باطلاق الرجل الصوفي وغضب على الرضا ولكنه لم يظهر ما في نفسه .

وجاء في رواية الحسين بن خالد انه قال : قلت للرضا (ع) يا ابن رسول الله ان قوما يقولون ان رسول الله (ص) قال : ان الله خلق آدم على صورته ، فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث ان رسول الله مر برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه قبح الله وجهك ووجه من يشبهك ، فقال له : يا عبد الله لا تقل هذا لاخيك فان الله خلق آدم على صورته ، اي صورة ذلك الرجل .

وروى بعض الرواة عن ابراهيم بن ابي محمود انه قال : قلت

للامام الرضا (ع) يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله (ص) انه قال : ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ، فقال (ع) : لعن الله المحرفين المكلم عن مواضعه والله ما قال كذلك وانما قال : ان الله تبارك وتعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل، فينادي هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، فلا يزال ينادي حتى يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر عاد الى محله من ملكوت السماء .

وجاء في الاحتجاج للطبرسي عن يزيد بن عمير الشامي انه قال : دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو فقلت له : يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد انه قال : لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين ، ما معنى ذلك ، فقال : من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ، ومن زعم ان الله فوض امر الخلق والرزق الى حججه فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك ، فقلت: يا ابن رسول الله فما امر بين الامرين ، فقال: وجود السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه ، فقلت : وهل لله مشيئة وارادة في ذلك ، فقال : اما الطاعات فارادة الله ومشيئته فيها الامر بها والعون عليها ، وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها ، قلت : فلله عز وجل فيها القضاء ، قال : نعم ما من فعل يفعله العباد من خير او شر الا ولله فيه قضاء ، قلت : ما معنى هذا القضاء ، قال : الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

وجاء عنه انه قال في معرض حديثه عن الجبر والتفويض : ان الله لم يطع باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه ، فان ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله

عنها صادا ولا منها مانعا ، وان ائتمروا بمعصية فشاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه ، ثم قال الامام (ع) : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه .

وجاء في بعض الروايات ان الحسين بن خالد قال له : يا ابن رسول الله ان الناس ينسبوننا الى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الاخبار في ذلك عن آبائك الائمة (ع) ، فقال له : يا ابن خالد اخبرني عن الاخبار التي رويت عن آبائي في الجبر والتشبيه اكثر ام الاخبار التي رويت عن النبي (ص) في ذلك ، فقلت : بل ما روي عن النبي(ص) في ذلك اكثر ، قال : فليقولوا ان رسول الله كان يقول بالتشبيه والجبر ، قلت له : انهم يقولون ان رسول الله لم يقل شيئا من ذلك ، وانما روي عليه ، قال : فليقولوا في آبائي الائمة انهم لم يقولوا شيئا من ذلك ، ومضى يقول : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر ومشرك ونحن براء منه في الدنيا والآخرة ، يا ابن خالد لقد وضع الاخبار عنا في الجبر والتشبيه الغلاة الذين صغروا عظمة الله فمن احبهم فقد ابغضنا ومن ابغضهم فقد احبنا ومن والاهم فقد عادانا ومن عاداهم فقد والانا ومن وصلهم فقد قطعنا ومن جفاهم فقد برنا ومن اهانهم فقد اكرمنا ، ومضى الامام يحذر منهم ومن اساليبهم وأخيرا قال : من كان من شيعتنا فلا يتخذ منهم وليا ولا نصيرا .

ويروي الرواة انه ناظر جماعة من علماء اهل الكتاب اليهود والنصارى والصابئة كما ناظر الفرق العقائدية في اصول الاسلام وفي المواضيع التي شاع فيها الجدل وكانت مسرحا للصراع بين المعتزلة من جهة وغيرهم من المحدثين والفقهاء ولا يسعنا استقصاء جميع ما روي منه حول هذه المواضيع ، وقد تعرضنا لبعض اجوبته ومناظراته لاعطاء القارىء صورة عن الاسلوب العلمي الهادىء الذي كان الائمة (ع) يعتمدونه في حوارهم ومناظرتهم مع الآخرين .

لمحات عن دور الامام الرضا في التشريع

لقد كان الامام الرضا (ع) كغيره من ائمة اهـــل البيت (ع) تحت الرقابة من حكام عصره بالرغم من انهم لم يفكروا في الخروج علـــى الحاكمين ولا في السلطة التي يتنافس عليها الناس وكل ما كان يهمهم ان يتهيأ الجو المناسب لنشر تعاليم الاسلام والدفاع عنها بالحجـــة والدليل ، وكان الامام الرضا (ع) كغيره من الائمة الهداة يستغـــل المناسبات لهذه الغاية ، وقد اتيح له بعد مقتل ابيه في حبس الرشيد ان يتابع رسالته الى حد ما ، بالرغم من ان اجهزة الحاكمين كانت تراقب جميع تصرفاته وحاولت اكثر من مرة اغراء الرشيد به متخذة مـــن التفاف الناس حوله للاستفادة من تلك الثروة العلمية الهائلة ومعطياتها التي ورثها عن آبائه عن جده بعد ان جعلهم الامناء على رسالته مـــن بعده ، وسيلة للايقاع به في شرك اولئك الطغاة ، ولكن الله سبحانه قد كتب له ان يجتاز تلك المرحلة الصعبة من حياته ويبقى بعد ابيه نحو من عشرين عاما ليترك للاجيال من عطائه الفكري في مجالات المعرفـــة المتنوعة ما يقيها من شر التعثر في مسيرتها لو قدر لها ان تأخذ بما تركه هو وآباؤه من تشريع وقيم وآداب ونصائح في مختلف المجالات .

وليس بوسعي ان استعرض جميع ما تركه الامام ابو الحسن الرضا في هذه المواضيع وبخاصة في مجال التشريع والحديث ، وقد تكفلت مجاميع الفقه الشيعي والحديث الكثير منه ، وقلما يجد الباحث بابا من ابواب الفقه او فصلا من فصوله الا وللامام الرضا رأي او حديث فيه ، وقد يجد الباحث له في بعض الابواب الفقهية عشرات الاحاديث . وقد نسب له فريق من العلماء كتابا في الفقه يعرف فيما بينهم بالفقه الرضوي وادعى هؤلاء انه من مؤلفات الامام بخط يده ، وأضاف هؤلاء الى ذلك ان جماعة من اهالي قم احضروا نسخة من هذا الكتاب الى مكة المكرمة فرآها القاضي الامير السيد حسن الاصفهاني واستنتج من اسم المؤلف الموافق لاسم الرضا ومن بعض القرائن الاخرى كقوله في الكتاب سمعت العالم ، والعالم في كتب الحديث من القاب الكاظم ، وقوله : حدثني ابي ، وسمعت ابي ونحو ذلك من التعابير ، استنتج من كل ذلك ان الكتاب من مؤلفات الرضا (ع) ، فاستنسخه وحمله معه الى اصفهان، وأخبر به والد المجلسي كما اخبر به المجلسي فجزما بصحة نسبته الى الرضا (ع) ، وجعله المجلسي من مصادر كتابه البحار .

ويبدو ان نسبته الى الامام الرضا لم تكن قبل ذلك التاريخ ، ورجح جماعة من الاعلام ان الكتاب المذكور من تأليف والد الصدوق وجمعه الصدوق ابو جعفر بن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه علي بن موسى ، ألفه من الروايات المسندة الى الامام الرضا (ع) ، بدون اسناد لانه كان يفتي بمضمون الرواية ولعل الاتفاق في الاسمين هو الذي اغرى الاصفهاني وغيره بنسبة الكتاب الى الامام الرضا (ع).

وقيل ان الكتاب المذكور لابن ابي عزاقه المعروف بالشلمغاني كما نسب ذلك الى السيد حسن الصدر في اجازته للشيخ اغابزرك الطهراني، وقيل غير ذلك .

ومهما كان الحال فسواء كان الكتاب من تأليفه ام من مؤلفات

غيره فأكثر محتوياته صادرة عنه ومن آثاره وقد جمعها مؤلفه وأسقط منها الاسانيد فتوهم من توهم بأنها مؤلف للامام .

وقد نسب المحدثون للرضا (ع) فيما نسبوه اليه رسالة في الطب كما يدعون بناء لطلب المأمون ، وأسندها الى الامام الرضا كما في بعض الروايات محمد بن جمهور ، وفي بعضها الآخر الحسن بن محمد النوفلي .

وجاء في النجاشي عنه انه ثقة جليل القدر روي عن الرضا (ع) نسخة ولكنه لم يعين موضوعها مما دعا البعض الى احتمال ان تكون تلك النسخة هي الرسالة الذهبية في الطب وان النوفلي ممن رواها عن الامام الرضا (ع) ، ولعل نسبة هذه الرسالة الى الرضا اثبت وأصح من نسبة كتاب الفقه اليه .

ومما نسب اليه من المؤلفات كتاب صحيفة الرضا وكتاب محض الاسلام وشرائع الدين وقد اسندهما اليه جماعة من المحدثين ، وتردد آخرون في صحة النسبة ، كما عد بعضهم من مؤلفاته اجوبة مسائل ابن سنان ، وعلل ابن شاذان وغير ذلك .

وكما قلنا فسواء صح ما نسب اليه ام لم يصح فمما لا شك فيه ان اكثر مواد هذه المؤلفات من آرائه وأحاديثه ومناظراته .

وقد روى عن الامام الرضا في مختلف المواضيع جماعة من تلامذته وتلامذة ابيه موسى بن جعفر (ع) منهم احمد بن محمد بن ابي نصر البزنطي وكان من ثقات اصحابه ، وروى عنه كتابا كما جاء في اتقان المقال للشيخ محمد طه .

وقال ابو عمر الكشي في كتابه اخبار الرجال: لقد اجمع الاصحاب على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه ، وأكد كل من كتب في الرجال انه اخذ عن الرضا وولده الجواد وكان عظيم المنزلة عندهما .

ومنهم ابراهيم بن محمد الاشعري من اصحاب ابي الحسن موسى

والرضا (ع) وقد روى عنهما وألف من مروياته عنهما كتابا اشترك فيه مع اخيه الفضل بن محمد الاشعري كما جاء ذلك في الاتقان وغيره من كتب الرجال .

ومنهم الحسين بن بشار احد الرواة عن الرضا وأبيه ، ويبدو انه كان مترددا في امامة ابي الحسن الرضا بعد ابيه ، فقد روى بعض الرواة عنه انه قال : لما مات موسى بن جعفر خرجت الى علي بن موسى غير مؤمن بموت ابيه ولا مقر بامامته ، فاستأذنت عليه ودخلت فأدنانـي وقربني فأردت ان اسأله عن ابيه فبادرني وقال : يا حسين ان اردت ان ينظر الله اليك من غير حجاب وتنظر الى الله من غير حجاب فوال آل محمد ووال ولي الامر منهم ، فقلت : انظر الى الله عز وجل ، قال : اي والله فجزمت بموت ابيه وامامته .

ومنهم احمد بن محمد بن عيسى الاشعري شيخ قم ووجيهها وفقيهها على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان ، وأضاف الى ذلك انه كان الرئيس الذي يلقى السلطان ، وقد روى عن الرضا وأخذ عنه وألف كتبا رواها عنه جماعة من معاصريه وقد ادرك الجواد والهادي وروى عنهما كما روى النص على امامة علي الهادي بعد ابيه ابي جعفر الجواد (ع).

ومنهم الحسن بن محبوب السراد ، وقد اخذ من ابي الحسن الرضا وروى عنه ، كما ادرك ستين رجلا من اصحاب ابي عبد الله الصادق وروى عنهم ، وعده المؤلفون في احوال الرواة من اصحاب الاجماع الذين اقر الاصحاب لهم بالفقه والعلم كما تعنيه هذه الكلمة .

ومنهم عبد الله بن طاووس ، وقد اخذ من الرضا وروى عنه وعن ولده الجواد وحدث عنه الحسن بن احمد المالكي انه قال : سألت ابا الحسن الرضا (ع) وقلت له : ان لي ابن اخ وقد زوجته ابنتي وهو يشرب الشراب ويكثر ذكر الطلاق فقال له : ان كان من اخوانك فلا شيء عليه ، وان كان من هؤلاء فانتزعها منه فانما عنى الفراق ، فقلت

له : اروي عن آبائك (ع) اياكم والمطلقات ثلاثا في مجلس واحد فانهن ذوات ازواج ، فقال (ع) : هذا من اخوانك لا منهم ، انه من دان بدين قوم لزمته احكامهم ، ومضى الراوي يقول : فقلت له : ان يحيى بن خالد البرمكي سم اباك موسى بن جعفر ، فقال : نعم سمه في ثلاثين رطبة ، قلت له : فما كان يعلم انها مسمومة ؟ قال : غاب عنه المحدث، قلت : ومن المحدث ؟ قال : ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله (ص) وهو مع الائمة وليس كلما طلب وجد ، ثم قال : انك ستعمر يا عبد الله ، فعاش مائة سنة .

ومن ثقاة اصحابه ورواة احاديثه احمد بن عمر الحلبي ، وجاء عنه انه قال : دخلت على ابي الحسن الرضا (ع) بمنى فقلت له : جعلت فداك كنا اهل بيت عطية وسرور ونعمة ، وان الله سبحانه قد اذهب ذلك كله حتى احتجنا الى من كان يحتاج الينا ، فقال لي : يا احمد ما احسن حالك ، يا احمد ايسرك انك على بعض ما عليه هؤلاء الجبارون ولك الدنيا مملوءة ذهبا ؟ فقلت له : لا والله يا ابن رسول الله ، فضحك ثم قال : ترجع من ههنا الى خلف فمن احسن حالا منك وبيدك صناعة لا تبيعها بملء الدنيا ذهبا ، الا ابشرك ؟ قلت : نعم فقد سرني الله بك وبآبائك ، فقال لي : قال ابو جعفر في تفسير قوله تعالى : وكان تحته كنز لهما ، اي لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله محمد رسول الله عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح ومن يرى الدنيا وتغيرها بأهلها كيف يركن اليها ، وينبغي لمن غفل عن الله ان لا يستبطىء الله في رزقه ولا يتهمه في قضائه ، ثم قال (ع) : رضيت يا احمد ؟ قلت : نعم عن الله وعنكم اهل البيت .

ومن خواصه ورواة احاديثه علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين (ع) وجاء في الاتقان انه كان ازهد آل ابي طالب وأعبدهم في زمانه ومن المختصين بالامامين موسى بن جعفر وعلي بن موسى وقد

اراده محمد بن ابراهيم طباطبا لان يبايع له أبا السرايا بولاية العهد من بعده فأبى عليه ورد الامر الى محمد بن محمد بن زيد بن علي ، وقد ألف كتابا في الحج رواه عن ابي الحسن موسى بن جعفر (ع) .

وروى عنه احمد بن محمد بن عيسى بسنده الى سليمان بن جعفر انه قال : اشتهي الدخول على ابي الحسن الرضا ويمنعني من ذلك الاجلال والهيبة واتقي عليه ، وصادف ان اعتل ابو الحسن علة خفيفة فجاءه عائدا فلقيه ابو الحسن بكل ما يجب من المنزلة والتعظيم ففرح بذلك فرحا شديدا ، ثم مرض علي بن عبيد الله فعاده ابو الحسن الرضا (ع) . ومضى الراوي يقول : وأخبرتني مولاة لنا ان ام سلمة امرأة علي كانت من وراء الستر تنظر اليه فلما خرج خرجت وانكبت على الموضع الذي كان فيه ابو الحسن (ع) تقبله وتتمسح به ثم اخبرني هو بذلك فأخبرت ابا الحسن بما صنعت ، فقال : يا سليمان ان عليا وولده وامرأته من اهل الجنة ، ان ولد علي وفاطمة اذا عرفهم الله هذا الامر لم يكونوا كالناس .

وروى عنه بالاضافة الى هؤلاء جمع غفير من شيعته كما يبدو ذلك ممن كتبوا في احوال الرواة ، كما روى عنه غيرهم من المحدثين كالخطيب في تاريخه والثعلبي في تفسيره والسمعاني في رسالته وابن المعتز في رسالته ، وأبي عثمان المازني وعلي بن علي الدعبلي وأيوب ابن منصور النيسابوري وأبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي وعلي بن مهدي بن صدقة وداود بن سليمان بن يوسف القاري القزويني وآدم بن ابي اياس ونصر بن علي الجهضمي ومحمد بن رافع القشيري وغيرهم مما لا يسعنا احصاؤهم .

من عظاته وحكمه

لقد جاء عنه كما في رواية تحف العقول انه قال : لا يتم عقل امرىء مسلم حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل الخير الكثير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج اليه ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، الفقر في الله احب اليه من الغنى ، والذل في الله احب اليه من العز مع اعدائه ، والخمول اشهى اليه من الشهرة ، والعاشرة ان لا يرى احدا الا قال هو خير مني واتقى تواضع له ليلحق به فاذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد اهل زمانه .

سئل (ع) عن خيار العباد فقال : خيار العباد الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا واذا أعطوا شكروا واذا ابتلوا صبروا، واذا اغضبوا غفروا .

وكان يقول : خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة : من لم تعرف الوثاقة في اروميته والكرم في طباعه والرصانة في خلقه ، والنبل في نفسه ، والمخافة لربه ، ان الله يبغض القيل والقال

واضاعة المال وكثرة السؤال ، وليست الحمية من الشيء تركه ولكن الاقلال منه ، والسخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه ، ويأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء تسعة منها في اعتزال الناس وواحد منها في الصمت .

وقال علي بن شعيب : دخلت على ابي الحسن الرضا (ع) فقال لي : يا علي من احسن الناس معاشا ؟ فقلت : يا سيدي انت أعلم به مني ، قال : يا علي احسن الناس معاشا من حسن معاش غيره في معاشه ، يا علي وأسوأ الناس معاشا ، من لم يعش غيره في معاشه ، يا علي احسنوا جوار النعم فانها وحشية ما نأت عن قوم فعادت اليهم ، يا علي ان شر الناس من منع رفده وأكل وحده وجلد عبده ، احسن الظن بالله فان من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه ، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل ، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ونعم اهله وبصره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام ، ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة .

وقال (ع) : ان الله امر بثلاث وقرن بها ثلاثا : امر بالصلاة والزكوة، فمن صلى ولم يزك لم تقبل صلاته ، وأمر بالشكر له وللوالدين ، فقال: ان اشكر لي ولوالديك ، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله ، وأمر باتقاء الله وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجل ، ومضى الامام (ع) يقول : لا يجمع المال الا بخصال خمس: ببخل شديد وأمل طويل وحرص غالب وقطيعة رحم وايثار الدنيا على الآخرة ، ولا ينبغي للرجل ان يدع الطيب في كل يوم ، فان لم يقدر فيوم ويوم ، فان لم يقدر ففي كل جمعة .

وجاء في كتاب الذخيرة انه قال : من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف امن ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ، وأفضل المال ما وقيت به عرضك ، وأفضل العقل معرفة الانسان نفسه ، والمؤمن اذا

غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه .

وقال لبعض اصحابه : اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامة بالبشر ، وان الذي يطلب من فضل ليكفي بـه عياله اعظم من المجاهدين في سبيل الله . الى غير ذلك من كلماتـه ونصائحه التي تفيض بالايمان وتزخر بالعطاء الخير الذي يتسع لجميع الجوانب التي يجب ان تقوم على اساسها الحياة كالاخلاق والتربيـة والآداب ونحو ذلك مما يفترض بالانسان المسلم ان يطبقه ويتحلى بـه ليكون منسجما مع مبادىء الاسلام بالعمل قبل القول ومن دعاتـه الصامتين كما اوصى بذلك الامام الصادق (ع) اصحابـه في عشرات المناسبات .

وفاة الامام الرضا

لقد كانت وفاة الامام الرضا(ع) في قرية يقال لها سنا آباد سنة ثلاث ومائتين في اشهر الروايات وقيل غير ذلك ومات مسموما بسم دسه لـه المأمون في شراب الرمان ، وقيل في عنب قدمه اليه وكان قد ادخل فيه السم بطريقة لا يعرفها احد، وقيل انه مات على اثر حمى أصابته فاعتل منها ثلاثة ايام وكانت نهايته بسببها ، ولكن القائلين بوفاته مسموما كما هو ليس ببعيد هم اكثر محدثي الشيعة وجماعة غيرهم من محدثي السنّـة ومؤرخيهم .

فقد جاء في خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال عن سنن ابن ماجة القزويني انه مات مسموما بطوس ، وفي مقاتل الطالبيين ان المأمون قد عقد له على العهد من بعده ودس له فيما ذكر بعـــد ذلك سما فمات منه .

كما جاء في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر عن الحاكم فـــي تاريخ نيسابور انه قال : استشهد علي بن موسى بسنا اباد ، وقال ابـو حاتم بن حبان كما نقل عنه في التهذيب انه مات آخر يوم من صفر وقد وضع له السم في ماء الرمان وسقي منه الى غير ذلـك مـن تعـــرض

لاسباب وفاته، ويبدو ان اتهام المأمون بسمه قد رافق تاريخ وفاته كما يظهر من المأمون نفسه ومن بعض مراثيه ، فقد روى الصدوق عن عيون الاخبار ان المأمون قال للرضا (ع) وهو يعالج الموت : والله ما ادري اي المصيبتين اعظم علي فقدي لك وفراقي اياك او تهمة الناس لي انك اغتلتك .

وجاء في رواية ابي الفرج في المقاتل ان المأمون كان يبكي ويقول : اعزز علي يا اخي بأن اعيش ليومك وقد كان بقاؤك املي وأغلظ علي من ذلك وأشد ان الناس يقولون : اني سقيتك سما وأنا الى الله من ذلك بريء .

كما جاء في قصيدة الخزاعي التي رثاه بها :

ألا ايها القبر الغريب محله ... بطوس عليك الساريات هتون
شككت فما ادري امسقي بشربة ... فأبكيك ام ريب الردى فيهون
وأيهما ما قلت ان قلت شربة ... وان قلت موت انه لقمين
فيا عجبا منهم يسمونك الرضا ... ويلقاك منهم كلحة وغضون

ويبدو من ابي فراس الحمداني انه كان مقتنعا باغتيال الامام الرضا كما يظهر من قصيدته التي تعرض فيها لاهل البيت (ع) وبني العباس وجاء فيها :

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وأبصروا بغضه من رشدهم وعموا
عصابة شقيت من بعد ما سعدت ... ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا
لا بيعة ردعتهم عن دمائهم ... ولا يمين ولا قربى ولا رحم

ولعل اشجع بن عمرو السلمي يشير الى اتهام المأمون بقتله في قوله :

يا نازلا جدثا في غير منزله ... ويا فريسة يوم غير مفروس
لبست ثوب البلى اعزز علي به ... لبسا جديدا وثوبا غير ملبوس

ومجمل القول ان اتهام المأمون باغتياله قد رافق تاريخ وفاته كما

ذكرنا وأقلق المأمون فتظاهر بالحزن والجزع ليدفع عن نفسه تلك التهمة.

ويبدو ان اكثر القائلين بأن وفاته كانت بصورة طبيعية قد اغراهم مظهر المأمون واشتراكه في تشييع الجثمان حافيا حاسرا بين قائمتي النعش وهو يبكي ويقول : لمن اروح من بعدك يا ابا الحسن وملازمته القبر ثلاثة ايام بلياليها لا يأكل خلالها الا الخبز والملح كما يدعي بعض الرواة .

كما وان الذين اتهموه بقتله يعزون ذلك الى بعض مواقف الامام منه وصلابته في الحق ، فلقد جاء في الارشاد للمفيد ان الرضا كان يكثر من وعظ المأمون اذا خلا به ويخوفه من الله ، وكان المأمون يظهر قبول ذلك ويبطن كراهته ، وقال له يوما وقد رآه يتوضأ والغلام يصب على يده الماء : يا امير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك احدا ، فصرف المأمون غلامه وتولى الوضوء بنفسه، وزاد ذلك من غضبه على حد تعبير الراوي، وكان الرضا مع ذلك يزري على الفضل والحسن ابني سهل عند المأمون ويصف له مساوئهما وينهاه عن الاصغاء لهما. فعرفا منه ذلك فجعلا يحطبان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبعده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه وعمل على قتله .

والواقع ان التعليلين في منتهى السذاجة والسطحية وان دلا على شيء فانهما يدلان على جمود اولئك الذين تمسكوا بهما وقصورهم عن فهم السياسيين وتاريخهم وأحداثهم ، ذلك لان بكاء المأمون وجزعه الخارجان عن المألوف يدلان على انه كان متخوفا من انتشار تلك التهمة في اوساط شيعة خراسان وهو يحاول بمظهره هذا ان يخفف من وطأتها ويصرف الناس عنها ، كما وان صلابة الامام في الحق وارشاده الى ما يجب عليه ان يعمله اذا كان واثقا منه لا يوجبان هذا الجزاء ولا يشكلان خطرا عليه لاسيما وان المأمون يعرف عن الامام ذلك وأكثر منه وقد كان يتصاغر بين يديه .

واذا صح ان الامام مات مسموما وليس ذلك ببعيد فالذي دعا المأمون الى سمه وقتل الفضل بن سهل هو تأزم الموقف في بغداد وغيرها من المدن العراقية الى ابعد الحدود بسبب ولاية العهد التي جعلها للامام (ع) وقد ايقن بنو العباس ان الامر سينتقل الى العلويين فأعلنوا العصيان وخلع المأمون وبايعوا لابراهيم المفتي المعروف بابن شكلة ، وكان الفضل بن سهل يخفي عن المأمون جميع ذلك وأخيرا اخبره الرضا (ع) وأحضر جماعة اكدوا له استخلاف ابراهيم في العراق فنصحه الامام باقصاء الفضل والغاء ولاية العهد التي جعلها له وان يخرج بنفسه الى بغداد ليتولى ادارة الحكم ، وخرج المأمون في طريقه الى بغداد ومعه الرضا ولما انتهى الى مرو دس جماعة لاغتيال الفضل في الحمام وبقي عليه الامام الرضا وهو يعلم ان الامور لا تستقيم له ما دام حيا ، وكان قد ازاده على دخول الحمام مع الفضل فامتنع الامام من دخوله ولما ألح عليه كتب له الامام : اني رأيت رسول الله في النوم وقال لي لا تدخل الحمام غدا . وكانت نهاية الفضل ان امر جماعة فدخلوا عليه الحمام وقتلوه ونهاية الامام ان دس اليه السم بماء الرمان او العنب واستقامت له الامور بعد ذلك ، ولما اراد ان يقتص من قتلة الفضل قال له العباس بن هيثم بن بزرجمهر انت امرتنا بقتله كما جاء في رواية الطبري ، وقد اقتص منهم ليتحرز من تهمة قتله ، كما كان يبكي الرضا ويندبه ليدفع عنه تهمة سمه .

ومجمل القول ان من يتابع أحداث تلك الفترة من التاريخ والاوضاع التي كانت تحيط بالمأمون واضطراب الامور في بغداد وغيرها بسبب ولاية العهد التي جعلها للامام الرضا وما آلت اليه من خلعه وتسليم السلطة الى غيره وما احيط بوفاة الامام الرضا من ظروف وملابسات لا يستطيع ان يبرىء المأمون من اغتياله بالطريقة التي رواها المحدثون او بغيرها .

اما الكيفية التي تم فيها ذلك فقد روى الرواة عن عبد الله بن بشير انه قال : امرني المأمون ان اطول اظفاري ولا اظهر ذلك لاحد ففعلت ثم استدعاني وأخرج الي شيئا يشبه التمر الهندي وقال لي : اعجن هذا بيديك جميعا ففعلت ثم قام وتركني ودخل على الرضا (ع) وقال له : ما خبرك ؟ فقال : ارجو ان اكون صالحا ، فقال : هل جاءك احد من المترفقين في هذا اليوم ؟ فقال : لا ، فغضب المأمون وصاح على احد غلمانه ثم قال : خذ ماء الرمان الساعة فانه مما لا يستغنى عنه ، ثم دعاني وقال : ائتنا برمان فأتيته به فأمرني ان اعصره بيدي ففعلت فأخذه وسقا الرضا بيده ، فلم يلبث الا يومين بعد ذلك ومات .

وحدث الرواة عن ابي الصلت الهروي انه قال : دخلت على الرضا وقد خرج المأمون من عنده فقال لي : يا ابا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده .

وجاء في الارشاد ومقاتل الطالبيين عن محمد بن الجهم انه قال : كان الرضا يعجبه اكل العنب فأخذ له منه شيء ووضع في موضع اقماعه الابر اياما ثم نزعت منه وجيء به اليه فأكل منه وهو في علته فقتله وكان من السم القاتل ، ولا منافاة بين الروايتين لجواز ان يكون المأمون قد استعمل الامرين معا .

وكانت وفاته بطوس في قرية يقال لها سنا اباد من رستاق فوقان ودفن في دار حميد بن قحطبة في المكان الذي فيه الرشيد الى جانبه مما يلي القبلة كما جاء في عيون اخبار الرضا للصدوق رحمه الله .

ويدعي الرواة ان المأمون لم يظهر موته في حينه وتركه يوما وليلة ثم وجه الى محمد بن جعفر بن محمد وجماعة من آل ابي طالب وأخبرهم بوفاته ، ثم كشف لهم عنه ليعلموا انه مات حتف انفه لا اثر فيه لضربة سيف ولا لطعنة رمح .

وممن رثاه من الشعراء دعبل الخزاعي بقصيدة يقول فيها :

شككت فما ادري امسقى بشربة ... فأبكيك ام ريب الردى فيهود
وأيهما ما قلت ان قلت شربة ... وان قلت موت انه لقمين
فيا عجبا منهم يسمونك الرضا ... ويلقاك منهم كلحة وغضون
اتعجب للاحلاف ان يتحيفوا ... معالم دين الله وهو مبين

كما رثاه اشجع بن عمرو السلمي بقصيدة يقول فيها :

من يوم طوس الذي نادت بروعته ... لنا النعاة وأفواه القراطيس
حقا بأن الرضا اودى الزمان به ... ما يطلب الموت الا كل مئفوس
يا نازلا جدثا في غير منزله ... ويا فريسة يوم غير مفروس
لبست ثوب البلى اعزز علي به ... لبسا جديدا وثوبا غير ملبوس
صلى عليك الذي قد كنت تعبده ... تحت الهواجر في تلك الأماليس

وجاء في مرثية اخرى لدعبل الخزاعي :

قوم قتلتم على الاسلام اولهم ... حتى اذا استمسكوا جازوا على الكفر
اربع بطوس على قبر الزكي به ... ان كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما ... على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت او فذر

وممن رثاه علي بن عبد الله الخوفي في ابيات قال فيها :

يا ارض طوس سقاك الله رحمته ... ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيبها ... شخص ثوى بسنا آباد مرموس
شخص عزيز على الاسلام مصرعه ... في رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبره انت قبر قد تضمنه ... علم وحلم وتطهير وتقديس
فخرا فانك مغبوط بجثته ... وبالملائكة الابرار محروس

كما رثاه ابو فراس الحمداني وغيره من الشعراء وتناول ابو فراس

في قصيدته قصة بيعته بولاية العهد وغدرهم به وقتله بعد ذلك واكتفي بهذه اللمحات من سيرته راجيا منه سبحانه ان يوفقني لعرض بعـــض الجوانب من سيرة بقية الائمة من اهل البيت (ع) .

الامام التاسع من ائمة اهل البيت ابو جعفر محمد بن علي الجواد (ع)

ولد الامام محمد بن علي الجواد بالمدينة في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة كما جاء ذلك في رواية المفيد والنوبختي وتذكرة الخواص لابن الجوزي وغيرها . وكانت وفاته في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين ومائتين للهجرة ، وقيل من سنة ست وعشرين ومائتين ، وأكثر المصادر تؤكد انه كان في السادسة من عمره حينما خرج والده الرضا (ع) من المدينة الى خراسان سنة مائتين للهجرة ولا أستبعد ان يكون فوق هذا السن .

وتشير بعض المرويات الى انه أحس بالخطر على ابيه من خلال طوافه حول الكعبة ووداعه لها في السنة التي خرج فيها الى خراسان ، فلقد جاء في اعيان الشيعة من الدلائل ان امية بن علي قال : كنت مع ابي الحسن (ع) بمكة في السنة التي حج فيها مودعا عندما اراد السفر الى خراسان ومعه ولده ابو جعفر الجواد فودع ابو الحسن الرضا البيت وعدل الى المقام فصلى عنده ، وكان ابو جعفر على عنق احد غلمانه يطوف به فنزل عن عنقه وجلس في حجر ابراهيم وأطال ، فقال

له موفق قم جعلت فداك ، فامتنع عليه وقال : لا ابرح من مكاني هذا الا ان يشاء الله، واستبان في وجهه الغم ، فجاء موفق الخادم الى الامام الرضا وأخبره بما كان من امر ابي جعفر ، فقام اليه بنفسه وقال له : قم يا بني ، فامتنع عليه وقال : لا ابرح من مكاني هذا وكيف اقوم وقد ودعت البيت وداعا لا رجوع بعده، وأخيرا قام مع ابيه ومضى معه حيث اراد .

ويبدو من هذه الرواية انه قد ادرك من خلال زيارة ابيه للبيت ووداعه له ما يجول في نفسه من المخاطر التي تنتظره ، وادراك هذا الامر لا يكون ممن هو في مثل هذا السن ، واذا اضفنا الى ذلك ما جاء في بعض المرويات من ان المأمون قد زوجه من ابنته ام الفضل بعد وفاة ابيه بمدة يسيرة بعد حوار جرى بين المأمون وبين العباس من جهة وبين الامام الجواد وقاضي القضاة يحيى بن اكثم من جهة ثانية ، اذا اخذنا ذلك كله بعين الاعتبار يصبح من الممكن ان يكون عند وفاة ابيه فوق العاشرة وربما في حدود الرابعة عشرة من عمره ، في حين انه ليس لدينا من الروايات ما يؤيد هذا .

ومهما كان الحال فلقد نص اكثر الرواة انه بقي بعد ابيه سبع عشرة سنة وقبض في عهد المعتصم العباسي ، وترك من الاولاد عليا خليفته من بعده ، وموسى وفاطمة وامامة . وقيل انه ترك ذكرين وثلاث بنات، وقد نص على امامته الرضا (ع) ، وممن روي النص عليه بالامامة علي ابن جعفر بن محمد الصادق (ع) وصفوان بن يحيى ومعمر بن خلاد والحسين بن بشار والبزنطي ، والواسطي والحسن بن الجهم وغير هؤلاء ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجاء في رواية زكريا بن يحيى بن النعمان البصري انه قال : سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ويقول : في حديثه لقد نصر الله ابا الحسن الرضا لما بغى عليه اخوته وعمومته

ومضى يقول في حديث طويل : فقمت وقبضت على يد ابي جعفر محمد ابن علي الرضا وقلت له : اشهد انك امامي عند الله عز وجل ، فبكى الرضا (ع) ثم قال : يا عم ألم تسمع ابي وهو يقول: قال رسول الله(ص) بأبي ابن خيرة الاماء النوبية الطيبة [1] ، يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة فيقال مات او هلك او بأي واد سلك، فقلت له : صدقت جعلت فداك .

وروى المفيد في ارشاده بسنده الى صفوان بن يحيى انه قال : قلت للرضا (ع) لقد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر فكنت تقول : يهب الله لي غلاما وقد وهبه الله لك وأقر عيوننا به فلا ارانا الله يومك فان كان فالى من ؟ فأشار بيده الى ابي جعفر الجواد وهو قائم بين يديه فقلت له : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ، فقال : وما يضره من ذلك وقد قام عيسى بالحجة وهو ابن اقل من ثلاث سنين .

وجاء في رواية احمد بن محمد بن عيسى عن معمر بن خلاد انه قال: سمعت الرضا (ع) وهو يحدث يقول : ما حاجتكم الى ذلك هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني . ومضى يقول : انا اهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا القذة بالقذة الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها ثقات المحدثين عنه حول هذا الموضوع بالاضافة الى ما جاء عن النبي (ص) والائمة الكرام في النص على الائمة بأسمائهم واحدا بعد واحد .

ويظهر من اكثر الروايات ان الامام الرضا (ع) حينما ذهب لخراسان بناء لطلب المأمون ترك ولده ابا جعفر في المدينة وان المأمون بعد رجوعه لبغداد سنة ٢٠٤ استدعى الامام الجواد ليزوجه من ابنته ام الفضل وكان

---

١ ــ وكانت ام الجواد نوبية وتدعى سبيكة .

في مطلع العاشرة من عمره كما جاء ذلك في رواية المفيد وغيره ، ومع اني لم اجد فيما هو لدي من المرويات ما يشير الى ان الامام الرضا قد حمل معه عياله وولده فاني استبعد ان يترك عياله في الحجاز ويخرج وحيدا وقد كان متشائما من سفره وودع قبر جده في المدينة والكعبة في مكة وداع من لا يرجو العودة اليهما .

وقد ذكرنا ان ولده الجواد مع صغر سنه قد احس بما يخالج نفس ابيه من الخوف والقلق وهو يطوف حول البيت ، فجلس في حجر اسماعيل باكيا متأثرا بما شاهده من ابيه خلال طوافه ووداعه ، كما استبعد ان يكون زواجه من ابنة المأمون وهو بهذا السن بعد ذلك الحوار الطويل الذي جرى بين المأمون وبني العباس وبين الامام الجواد وقاضي الدولة بهذه المناسبة ، وأرجح انه كان مع ابيه في خراسان ولم يفرق بينهما سوى الموت ، وبعد وفاته رجع مع عائلة ابيه الى المدينة وبعد رجوع المأمون لبغداد واستتباب الأمور بها استدعاه الى بغداد وتقرب اليه وأظهر له الولاء والاخلاص وزوجه من ابنته ليتخلص من تهمة اغتياله لابيه ولا بد وأن يكون في سن تؤهله للزواج يوم ذاك .

قصة زواج الامام الجواد من ابنة المأمون
كما يرويها المؤرخون

لقد جاء في الارشاد وغيره ان المأمون لما اراد ان يزوج ابنته للامام ابي جعفر محمد بن علي الرضا وبلغ ذلك العباسيين ثقل عليهم واستكبروه ، وخافوا ان ينتهي الامر معه الى ما انتهى مع ابيه الرضا، فاجتمع الى المأمون جماعة منهم وقالوا : ننشدك الله يا امير المؤمنين ان تقيم على هذا الامر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف ان تخرج عنا امرا قد ملكناه وتنزع عنا عزا قد البسناه ، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم آل علي قديما وحديثا ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك معهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله ان تردنا الى غم انحسر عنا ، فاصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لها دون غيرهم ، فقال لهم المأمون : اما ما كان بينكم وبين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم ، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعا للرحم وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ، ولقد سألته ان

يقوم بالامر وانزعه عن نفسي فأبى وكان امر الله قدرا مقدورا . وأما ابو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل في العلم مع صغر سنه ، والاعجوبة فيه ذلك وأنا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه ليعلموا ان الرأي ما رأيت فيه .

فقالوا : يا امير المؤمنين اتزوج ابنتك وقرة عينك صبيا لم يتفقه في دين الله ولم يعرف حلاله من حرامه ولا فرضه من سننه ، ان هذا الفتى وان راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له ولا فقه ، فامهله ليتأدب ويقرأ القرآن ويتفقه في الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم ، وانه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنته وأحكامه وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله ، وان شئتم فامتحنوه فان كان كما وصفتم قبلت منكم، فقالوا : لقد رضينا لك ولانفسنا بامتحانه فخل بيننا وبينه لنعين من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فان اصاب الجواب لم يكن لنا اعتراض ، وان عجز عن ذلك فقد كفينا امره ، ثم اجتمع رأيهم على يحيى بن اكثم وهو يوم ذاك قاضي القضاة على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب عنها ووعدوه بأموال نفيسة ان هو استطاع ذلك، وعادوا الى المأمون يسألونه ان يعين يوما لهذه الغاية . وفي اليوم الذي عينه المأمون حضر الامام وقاضي القضاة والمأمون وجلس الناس على مراتبهم، واستأذنه يحيى بن اكثم في السؤال فأذن له ، فقال : اصلحك الله يا أبا جعفر ما تقول في محرم قتل صيدا ، فقال الامام (ع) وهو ابن سبع سنين وأشهر كما يدعي ابن الجوزي في تذكرته عن المصادر الشيعية : قتله في حل او حرم عالما ام جاهلا ، قتله عمدا او خطأ ، حرا كان ام عبدا صغيرا كان او كبيرا ، مبتدئا بالقتل ام معيدا من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها ، من صغار الصيد كان ام من كباره ، مصرا على ما فعل

او نادما ، في الليل كان قتله للصيد في اوكارها ام نهارا وعيانا ، محرما كان للعمرة او للحج .

فتحير يحيى بن اكثم وانقطع انقطاعا لم يخف على احد من اهل المجلس وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف الناس منه ذلك ، فاستبشر المأمون كما يدعي الرواة وحمد الله على هذه النعمة وطلب منه ان يذكر الحلول لكل تلك الفروض ، وبعد ان اجاب عنها بكاملها اسودت وجوه العباسيين ، ثم خطب الامام خطبة النكاح وتم الزواج على مثل مهر الزهراء (ع) ، ويمضي الريان بن شبيب فيصف حفلة الزواج وما انفقه فيها المأمون، فيقول : ولم نلبث ان سمعنا اصواتا تشبه اصوات الملاحين في محاوراتهم فاذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الابرسيم على عجلة مملوءة من الغالية ، فأمر المأمون ان يخضب لحا الخاصة من تلك الغالية وطيب العامة منها ، ثم وضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز الى كل قوم على اقدارهم .

وأضاف الرواة لذلك ان المأمون طلب من الامام ابي جعفر ان يسأل يحيى بن اكثم كما سأله فأجابه الامام لذلك وقال ليحيى : اخبرني عن رجل نظر الى امرأة في اول النهار فكان نظره اليها حراما عليه ، فلما ارتفع النهار حلت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل عليه وقت العصر حلت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلت له ، فلما انتصف الليل حرمت عليه ، وبطلوع الفجر حلت ، فما حال هذه المرأة وبما حلت له وحرمت عليه ؟ فقال يحيى بن اكثم : والله لا اهتدي لجوابك ولا اعرف الوجه في ذلك فان رأيت ان تفيدنا ، فقال ابو جعفر : هذه امة لرجل من الناس نظر اليها اجنبي في اول النهار فكان نظره اليها حراما عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له ، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه،

فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له ، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

فأقبل المأمون على من حضره من اهل بيته فقال لهم : هل فيكم احد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب او يعرف القول فيما تقدم من السؤال ، فقالوا : لا والله ان امير المؤمنين اعلم بما رأى ، ثم قال لهم كما يدعي الراوي : ويحكم ان اهل هذا البيت خصوا من بين الخلق بما ترون من الفضل وان صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال ، اما علمتم ان رسول الله (ص) افتتح دعوته بدعاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو ابن عشر سنين وقبل الاسلام منه وحكم له به ولم يدع احدا في سنه غيره ، افلا تعلمون الان ما خص الله به هؤلاء القوم وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم ، فقالوا : صدقت يا امير المؤمنين ، وتم الزواج بعد هذا الحوار كما يدعي الرواة والله أعلم بواقع الحال .

الامام الجواد يعود الى المدينة

لقد روى الرواة ان الامام الجواد (ع) بعد ان تزوج من ابنة المأمون رجع الى المدينة ومعه زوجته ام الفضل وخرج الناس لوداعه ، ولما صار الى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه وانتهى الى دار المسيب كما جاء في رواية المفيد ، نزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في اصل النبقة وقام وصلى بالناس صلاة المغرب وبعد الفراغ منها جلس هنيهة يذكر الله سبحانه ، ثم قام فصلى النوافل وعقب تعقيبها وخرج فلما انتهى الى النبقة رآها الناس وقد حملت حملا حسنا فتعجبوا من ذلك وأكلوا منه فوجدوا نبقا حلوا لا عجم له وودعوه فمضى من وقته الى المدينة ، فلم يزل بها الى ان اشخصه المعتصم في اول سنة خمس وعشرين ومائتين الى بغداد فأقام بها حتى توفي في آخر ذي القعدة من تلك السنة .

ولم يحدد الرواة السنة التي خرج فيها من بغداد الى المدينة مع زوجته ام الفضل ، ولا السنة التي وقع فيها الزواج ، وان كانت رواية المفيد صريحة في انه كان له من العمر تسع سنين يوم جرى الحوار بينه وبين يحيى بن اكثم ، ويظهر منها لاول نظرة انه بعد الحوار

وخذلان المعارضين لفكرة الزواج من بني العباس نفذ المأمون رغبته وعقد له على ابنته خلال تلك المدة ، ولكنها ليست ظاهرة في ذلك ظهورا تطمئن له النفس ، وعبارة المسعودي في اثبات الوصية تشعر بأن الزواج قد تم بعد ان بلغ الامام (ع) السن التي تؤهله لذلك ، حيث جاء فيها انه لما توفي الرضا (ع) وجه المأمون الى ولده الجواد فحمله الى بغداد وأنزله بالقرب من داره وأجمع ان يزوجه من ابنته ام الفضل ، وأضاف الى ذلك ابن الجوزي انه اكرمه وأعطاه ما كان يعطي اباه ، كما وان عبارة السيد الامين في الاعيان تشعر بأن الامام الجواد كانت اكثر اقامته في بغداد بعد زواجه ، وقد خرج منها باذن المأمون الى الحج ومعه زوجته ام الفضل في السنة التي توفي فيها المأمون في طرسوس حيث قال : ثم ان الجواد (ع) استأذن المأمون في الحج وخرج من بغداد متوجها الى المدينة ومعه زوجته وبعد توجه الجواد الى المدينة توفي المأمون في طرسوس وبويع اخوه المعتصم ، ثم ان المعتصم طلب الجواد وأحضره الى بغداد ومضى يقول : ان المسعودي قال في اثبات الوصية : خرج ابو جعفر (ع) في السنة التي خرج فيها المأمون الى البدندون من بلاد الروم بأم الفضل حاجا الى مكة وأخرج ابا الحسن عليا ابنه معه وهو صغير فخلفه بالمدينة وانصرف الى العراق ومعه ام الفضل بعد ان اشار الى ابي الحسن ونص عليه وأوصى اليه وتوفي المأمون بالبدندون يوم الخميس ١٣ من رجب سنة ٢١٨ ، ولما انصرف ابو جعفر الى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله .

وصرح المفيد في ارشاده انه ورد بغداد في آخر شهر المحرم من سنة ٢٢٠ وتوفي بها في ذي القعدة من هذه السنة وفي مورد آخر قال : انه بقي في المدينة الى ان اشخصه المعتصم الى بغداد سنة ٢٢٥ وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة .

بهذا النوع من الغموض والتشويش تحدث المؤلفون عن المدة التي عاشها الامام الجواد بعد ابيه والمكان الذي كان يقيم فيه ، ويمكن للباحث ان يستخلص من كلماتهم ان الامام (ع) بعد وفاة ابيه قد استدعاه المأمون لبغداد وأنزله بالقرب من داره وتظاهر في بره واكرامه ليدفع عن نفسه تهمة قتل ابيه التي ألصقت به وبعد ان بلغ السن التي تؤهله للزواج زوجه من ابنته وبقي معه في بغداد الى السنة التي توفي فيها المأمون فاستأذنه الى الحج فخرج ومعه زوجته وبقي في المدينة حتى استدعاه المعتصم بعد ان بويع بالخلافة سنة ٢٢٠ او سنة ٢٢٥ وهي السنة التي توفي فيها الامام (ع) كما في رواية المفيد الثانية . هذا كل ما يمكن استخلاصه من كلماتهم حول زواجه واقامته ووفاته ، اما مدة اقامته في المدينة وفي بغداد وتاريخ زواجه ووفاته فليس في الروايات التي تعرضت لهذه النواحي ما يوحي بالاطمئنان الى شيء من ذلك على وجه التحديد .

والشيء الثابت انه عاش اطول فترة من حياته خلال حكم المأمون وانه لم يكن في ضيق من امره ولا مراقبا من احد وسواء كانت في بغداد ام في المدينة فقد استغلها لاداء رسالته واجتمع فيها الشيعة على امامته وروى عنه الرواة عشرات الاحاديث في مختلف المواضيع .

ويجد المتتبع في مصادر الفقه الشيعي هنا وهناك ما يوحي بأن بعض الرواة كان يتصل به مباشرة فيقول سألت ابا جعفر الثاني ، وبعضهم كان يكتب اليه فيقول كتبت اليه اسأله عن كذا ، وأحيانا يقول الراوي سألت ابا جعفر ، وبما ان هذه الكنية مشتركة بينه وبين جده الباقر (ع) فاذا وردت الرواية بهذه الصيغة فلا بد من الرجوع الى القرائن لتعيين احدهما .

ومن امثلة ما روي عنه ما جاء في الكافي عن علي بن مهزيار انه

قال : كتب ابو الحسن بن الحصين معي الى ابي جعفر الثاني : جعلت فداك قد اختلف موالوك في صلاة الفجر فمنهم من يصلي اذا طلع الفجر الاول المستطيل في السماء ، ومنهم من يصلي اذا اعترض في اسفل الافق واستبان ولست اعرف افضل الوقتين فأصلي فيه فان رأيت ان تعلمني افضل الوقتين وتحده لي مع القمر والفجر لاتبين معه حتى يحمر ويصبح وكيف اصنع مع الغيم وما حد ذلك في السفر والحضر ، فكتب (ع) بخطه وقراءته: الفجر يرحمك الله هو الخيط الابيض المعترض وليس هو الابيض صعداء ، فلا تصل في سفر ولا حضر حتى تتبينه فان الله تبارك وتعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال : كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فالخيط الابيض هو المعترض الذي يحرم به الاكل والشرب في الصوم ، وهو الذي تجب عنده الصلاة .

وروى الكليني ايضا بسنده الى ابن مهزيار عن يحيى بن ابي عمران الهمداني انه قال : كتبت الى ابي جعفر الجواد (ع) جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في ام الكتاب، فلما صار الى غير ام الكتاب من السورة تركها ، فقال العباسي : ليس بذلك بأس ، فكتب بخطه يعيدها مرتين على رغم انف العباسي [1] .

كما روي في الكافي عن سهل بن زياد بسنده الى محمد بن الوليد الكرماني انه قال : قلت لابي جعفر الثاني (ع) ما تقول في المسك ؟ فقال: ان ابي امر فعمل له مسك بسبعمائة درهم فكتب اليه الفضل بن سهل يخبره ان الناس يعيبون ذلك فكتب اليه : يا فضل اما علمت ان يوسف وهو نبي كان يلبس الديباج مزررا بالذهب ويجلس على كراسي الذهب

---

١ ــ هو هشام بن ابراهيم العباسي وكان يعارض الرضا والجواد على حد قول المعلق على الكافي

ولم ينقص ذلك من حكمته شيئا ، ومضى الراوي يقول : ثم امر فعملت له غالية بأربعة آلاف درهم .

وجاء في المجلد الخامس من الكافي بسنده الى السياري عن احمد ابن زكريا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من اهل بست وسجستان انه قال : رافقت ابا جعفر في السنة التي حج فيها في اول خلافة المعتصم فقلت له وأنا معه على المائدة وهناك جماعة من اولياء السلطان : ان والينا جعلت فداك رجل يتولاكم اهل البيت ويحبكم وعلي في ديوانه خراج فان رأيت جعلت فداك ان تكتب اليه كتابا بالاحسان الي فقال لي: لا اعرفه ، فقلت : جعلت فداك انه على ما قلت من محبيكم اهل البيت وكتابك ينفعني عنده ، فأخذ القرطاس وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهبا جميلا وان ما لك من عملك الا ما احسنت فيه فاحسن الى اخوانك ، واعلم بأن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل .

ومضى يقول : فلما وردت سجستان سبق الخبر الى الحسين بن عبد الله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين من المدينة فدفعت اليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه ، ثم قال لي : ما حاجتك قلت : خراج علي في ديوانك ، فأمر بطرحه عني وقال لي : لا تؤد خراجا ما دام لي عمل ، ثم سألني عن عيالي فأخبرته بمبلغهم فأمر لي ولهم بما يقوتنا ويفضل عنا فما اديت في عمله خراجا ما دام حيا ولا قطع عني صلته حتى مات .

كما روي عنه في المجلد الخامس من كتاب المعيشة بسنده الى ابي عمرو الحذاء انه قال : ساءت حالي فكتبت الى ابي جعفر الجواد (ع) فكتب الي: أدم قراءة انا ارسلنا نوحا الى قومه قال فقرأتها حولا فلم ار شيئا ، فكتبت اليه اخبره بسوء حالي ، واني قد قرأت السورة كما امرتني ، فكتب الي قد وفى لك الحول ، انتقل منها الى قراءة انا انزلناه،

ففعلت كما امرني فما كان الا يسيرا حتى بعث الي ابن ابي داود فقضى عني ديني وأجرى علي وعلى عيالي ووجهني الى البصرة في وكالته بباب كلاء وأجرى علي خمسماية درهم ، وكتبت من البصرة بعد وفاة ابي جعفر بواسطة علي بن مهزيار الى ابي الحسن الثالث (ع) اني كنت سألت اباك عن كذا وأجابني بكذا وقد نلت الذي احببت ، فاخبرني يا مولاي كيف اصنع في قراءة انا انزلناه اقتصر عليها وحدها في فرائضي ام اقرأ معها غيرها ، فوقع وقرأت التوقيع : لا تدع من القرآن قصيرة وطويلة ويجزيك من قراءة انا انزلناه يومك وليلتك مائة مرة .

وروي في الكافي ايضا عن سهل بن زياد بسنده الى علي بن اسباط انه كتب الى ابي جعفر الجواد (ع) في امر بناته وانه لا يجد احدا مثله فكتب اليه ابو جعفر : فهمت ما ذكرت من امر بناتك وانك لا تجد احدا مثلك فلا تنظر في ذلك رحمك الله فان رسول الله (ص) قال : اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير .

وجاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الاشعري انه قال : كتب بعض بني عمي الى ابي جعفر الثاني (ع) : ما تقول يا ابن رسول الله في صبية زوجها عمها فلما كبرت ابت التزويج فكتب بخطه: لا تكره على ذلك والامر امرها .

وجاء في المجلد السابع من الكافي عن علي بن ابراهيم بسنده الى علي بن محمد بن سليمان النوفلي انه قال : كتبت الى ابي جعفر الثاني (ع) اسأله عن ارض اوقفها جدي على المحتاجين من ولد فلان بن فلان وهم كثر متفرقون في البلاد فأجاب : ذكرت الارض التي اوقفها جدك على ولد فلان بن فلان وهي لمن حضر البلد الذي فيه الوقف وليس لك ان تتبع من كان غائبا .

كما روي عنه بسنده الى محمد بن سليمان انه قال : قلت لابي جعفر الثاني : كيف صار الزوج اذا قذف امرأته كانت شهادته اربع شهادات بالله وكيف لا يجوز ذلك لغيره ، واذا قذفها غير الزوج جلد الحد ولو كان ولدا او اخا ، فقال (ع) قد سئل ابو جعفر الباقر عن هذا فقال : ألا ترى انه اذا قذف الزوج امرأته قيل له وكيف علمت انها فاعلة ، فان قال : رأيت ذلك بعيني كانت شهادته اربع شهادات بالله وذلك انه قد يجوز للرجل ان يدخل المدخل في الخلوة التي لا تصلح لغيره ان يدخلها ولا يشهدها والد ولا ولد في الليل والنهار ، فلذلك صارت شهادته اربع شهادات بالله اذا قال : رأيت ذلك بعيني ، واذا قال : اني لم اعاين صار قاذفا على حد غيره وضرب الحد الا ان يقيم عليها البينة ، وان زعم غير الزوج اذا قذف وادعى انه رآه بعينه قيل له وكيف رأيت ذلك وما ادخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك ، انت متهم في دعواك وان كنت صادقا فأنت في حد التهمة فلا بد من ادبك بالحد الذي اوجبه الله عليك ، ومضى يقول : وانما صارت شهادة الزوج اربع شهادات بالله لمكان الاربعة شهداء مكان كل شاهد يمين .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي احصاها له المحدثون والفقهاء في مجاميع الفقه والحديث في التشريع وغيره من المواضيع .

ومن روى عنه من ثقات اصحابه وغيرهم ايوب بن نوح بن دراج الكوفي وكان من الصالحين على حد تعبير الكشي في رجاله ومن وكلاء الامامين الجواد والهادي ، ومتهما بالثراء ولكنه لم يخلف سوى مائة وخمسين دينارا .

وجعفر بن محمد بن يونس الاحول ، فقد روى عنه وعن ابيه الرضا وكان من اصحابه ووصفه المؤلفون في احوال الرجال بالفضل والعلم وعدوه من المؤلفين بين اصحاب الائمة (ع) .

وممن روى عنه من اصحابه جران الخادم القراطيسي[1]، وجاء عنه في رواية طويلة انه قال : دخلت عليه فوجدته قائما على دكان لم يكن فيه فرش فجاءه غلام بمصلى فألقاه له فجلس عليه فدهشت من هيبته وذهبت لاصعد الدكان حيث هو من غير درجة ، فأشار لي الى موضع الدرجة فصعدت وسلمت فرد علي السلام ومد يده الي فأخذتها وقبلتها ووضعتها على وجهي فأقعدني بيده فأمسكت يده مما داخلني من الدهشة فتركها في يدي فلما سكنت خليتها ، وبلغته ان الريان بن شبيب يسألك الدعاء له ولولده فدعا له ولم يدع لولده كما جاء في اخبار الرجال للكشي .

ومن خواص اصحابه والرواة عنه علي بن مهزيار الاهوازي وقد وصفه المؤلفون في احوال الرجال بالوثاقة والجلالة وسعة المعرفة بالروايات وأضافوا الى ذلك انه كان من المختصين بأبي جعفر ومن وكلائه ، وقد ألف كما يدعي واصفوه ثلاثة وثلاثين كتابا في مختلف المواضيع .

ومنهم علي بن اسباط بن سالم ويكنى بأبي الحسن المقري ، وكان فطحيا كما يدعي المؤلفون في احوال الرجال ثم رجع الى الامام الشرعي وروى عن ابي الحسن الرضا وولده الجواد وكان من اوثق الناس وأصدقهم لهجة على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان .

وممن روى عنه الحسين بن سعيد الاهوازي وجاء في فهرست اسماء المؤلفين للطوسي انه روى عن الرضا والجواد وأبي الحسن الثالث ، وله ثلاثون كتابا ، ويدعي بعض المؤلفين في احوال الرجال ان اخاه الحسن ابن سعيد قد اشترك معه في تأليفها وجمعها .

---

١ ــ نسبة الى القراطيس وكان يصنعها ويتاجر بها

ومنهم شاذان بن الخليل النيسابوري ونوح بن شعيب البغدادي ، ومحمد بن احمد المحمودي وأبو يحيى الجرجاني وهارون بن الحسن بن محبوب ، واسحاق بن اسماعيل النيسابوري ، وأحمد بن ابراهيم المراغي ، ومحمد بن الحسن بن شمون وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم ولا تعنينا هذه الناحية من سيرتهم الا من حيث صلتها بالتشريع وبقية المواضيع الاسلامية التي انصرف الائمة اليها وأعطوها كل عنايتهم واهتمامهم وكان للثقات البررة من اصحابهم ورواة احاديثهم الفضل الاكبر في حفظها ونقلها للاجيال من بعدهم .

من اجوبتة وعظاته وكلماته القصار

لقد جاء في الاحتجاج للطبرسي ان المأمون بعدما زوج ابنته ام الفضل للامام الجواد كان في مجلس ومعه ابو جعفر الجواد ويحيى بن اكثم وجمع من خاصته وحواشيه ، فقال له يحيى بن اكثم : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي انه نزل جبرائيل على رسول الله (ص) وقال له : يا محمد ان الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك : سل ابا بكر هل هو عني راض فاني راض عنه ؟ فقال الامام على حد زعم الراوي : لست بمنكر فضل ابي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذ الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في حجة الوداع بعين الاعتبار ، لقد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فاذا اتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به ، وهذا الخبر لا يوافق كتاب الله قال تعالى :

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، فالله سبحانه وتعالى خفي عليه رضا ابي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول .

ثم قال يحيى بن اكثم : لقد روي ان ابا بكر وعمر بن الخطاب في الارض كجبرائيل وميكائيل في السماء ، فقال الامام (ع) وهذا ايضا يجب ان ينظر فيه لان جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لخطيئة واحدة ، وهما قد اشركا بالله عز وجل وان اسلما بعد الشرك ، ولكن اكثر ايامهما كانت على الشرك فمحال ان يشبههما بهما .

فقال له يحيى بن اكثم : وقد روي ايضا انهما سيدا كهول اهل الجنة ، فما تقول في ذلك يا ابا جعفر ؟ فقال (ع) وهذا الخبر لا صحة له ايضا : لان اهل الجنة ليس فيهم كهل وشيخ وقد وضع هذا الخبر بنو امية في مقابل ما جاء عن النبي (ص) في الحسن والحسين وانهما سيدا شباب اهل الجنة .

فقال يحيى : وقد روي ان النبي (ص) قال : لو لم أبعث لبعث عمر ابن الخطاب ، فقال (ع) كتاب الله اصدق من هذا الحديث ، فقد قال الله في كتابه : واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ، فقد اخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه وكل الانبياء لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث الله من اشرك وكانت اكثر ايامه على الشرك بالله .

وجاء عن عبد العظيم الحسني انه قال : قلت لمحمد بن علي (ع) : يا مولاي اني لارجو ان تكون القائم من آل بيت محمد الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، فقال (ع) : ما منا الا قائم بأمر الله وهاد الى دين الله ، ولكن القائم الذي يطهر الله به الارض من اهل الكفر والجحود ويملأ الارض قسطا وعدلا هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ، وهو الذي تطوى له الارض ويذل له كل صعب يجتمع اليه من اصحابه عدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من اقاصي الارض ، وذلك قول الله : اينما تكونوا يأت بكم الله

جميعا ان الله على كل شيء قدير ، فاذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الاخلاص اظهر الله امره ، واذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج باذن الله فلا يزال يقتل اعداء الله حتى يرضي الله .

وقال له رجل : اوصني يا ابن رسول الله ، قال : أوتقبل ؟ قال : نعم ، قال : توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى ، واعلم بأنك لم تخل من عين الله فانظر كيف تكون ، وقال (ع) من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس .

وقال (ع) : تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والاصرار على الذنب امن لمكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ، وقال : المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال : توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه ، وقد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه ، والحوائج تطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء والعافية احسن عطاء .

وقال (ع) : لا تعاد احدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى فان كان محسنا فانه لا يسلمه اليك وان كان مسيئا فان علمك به يكفيه فلا تعاده ، ولا تكن وليا لله في العلانية وعدوا له في السر .

وقال : التحفظ على قدر الخوف ، والايام تهتك لك الامر عن الاسرار الكامنة ، لا يضيع من الله كافله ولا ينجو من الله طالبه ، ومن عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح ، اياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح اثره ، كفى بالمرء خيانة ان يكون امينا للخونة ، عز المؤمن غناه عن الناس ، راكب الشهوات لا تستقال له عثرة .

وقال (ع) : العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ، وان يوم

العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم ، وان العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

وقال (ع) : ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت عليه مؤونة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرض النعمة للزوال ، وقال : اهل المعروف الى اصطناعه احوج من اهل الحاجة اليه لان لهم اجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبدأ فيه بنفسه فلا يطلبن شكر ما صنع الى نفسه من غيره .

وقد سئل عن المقصود من الحديث ان الله حرم ذرية فاطمة على النار ، فقال : ذاك خاص بالحسن والحسين .

وقال (ع) : حسب المرء من كمال المروءة تركه ما لا يجمل به ، ومن حيائه ان لا يلقى احدا بما يكره ومن عقله حسن رفقه ، ومن ادبه ان لا يترك ما لا بد له منه ، ومن عرفانه علمه بزمانه ومن ورعه غض بصره وعفة بطنه ، ومن حسن خلقه كفه اذاه ، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه واخراجه حق الله من ماله ، ومن اسلامه تركه ما لا يعنيه وتجنبه الجدال والمراء في دينه ، ومن كرمه ايثاره على نفسه ومن صبره قلة شكواه ومن عقله انصافه من نفسه ، ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته ومن انصافه قبول الحق اذا بان له ، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، ومن حسن جوارك تركه توبيخك عند اساءتك مع علمه بعيوبك ، ومن شكره معرفة احسان من احسن اليه ، ومن صداقته كثرة موافقته لك وقلة مخالفته ، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته باصلاح عيوبه .

وقال (ع) : لن يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه ، وقال (ع) : موت الانسان بالذنوب اكثر من موته بالاجل وحياته بالبر اكثر من حياته بالعمر .

وقد احاطت كلماته هذه بجميع الجوانب التي تشد الانسان الـــى الخلق الكريم والادب الرفيع والسلوك القويم وكل ما يرفع من شأن الانسان ويوفر له السعادة والكرامة في دنياه وآخرته .

لهذا ونحوه من القيم والمبادىء وهب الائمة من اهل البيت حياتهم ووجودهم وتحملوا كل انواع العسف والجور والتشريد من الحكـام والطغاة ورحلوا عن دنيا الناس بأجسادهم وظلوا فيها أحياء بسيرتهـــم ومبادئهم وتعاليمهم التي تلهم الاجيال كل معاني الخير والنبل والفضيلة في كل زمان ومكان .

وفاة الامام الجواد (ع)

لقد ذكر المؤلفون في احواله انه ولد في شهر رمضان من سنة مائة وخمس وتسعين ، وان وفاته كانت في اواخر ذي الحجة من سنة مائتين وعشرين، وفي رواية ثانية للمفيد انها كانت سنة ٢٢٥ ، ومدة امامته تتراوح بين الثمانية عشر سنة والثلاثة والعشرين وأكثرها كان في عهد المأمون العباسي ، وقد ذكرنا ان اقامته كانت بين بغداد والمدينة. وقبيل وفاة المأمون خرج من بغداد ومعه زوجته ام الفضل ، وبعد وفاة المأمون رجع الى العراق مع زوجته وترك ولده ابا الحسن بالمدينة بعد ان نص على امامته من بعده وأرشد خواص اصحابه الى ذلك كما يظهر من المسعودي في اثبات الوصية. ومضى المسعودي يقول: ان المعتصم محمد بن هارون الرشيد بويع بالخلافة بعد اخيه في شعبان من سنة ٢١٨ .

ولما رجع الامام الى بغداد بطلب من المعتصم لم يزل هو وجعفر بن المأمون وأعوانهما يدبرون ويعملون الحيلة في قتله ، وتنص بعض المرويات انهما استطاعا اغراء زوجته ودفعها على ذلك حتى وضعت له السم في العنب وكانت وفاته بسبب ذلك ، ولكن المفيد في احدى

رواياته يقول انه بقي بالمدينة الى اواخر شهر المحرم من سنة ٢٢٠ وتوفي في ذي القعدة من تلك السنة ، وفي روايته الثانية يقول : بأن وفاته كانت في ذي القعدة من سنة ٢٢٥ .

وجاء في اعيان الشيعة عن المرتضى في عيون المعجزات ان المعتصم دفع زوجته على قتله لانها كانت منحرفة عنه وتغار من زوجته المفضلة عنده ام ابي الحسن علي الهادي (ع) وبعد ان وضعت له السم في العنب ندمت على ذلك ، كما أيد ذلك كل من صاحب روضة الواعظين وابن بابويه ، ولم يجزم بذلك المفيد في ارشاده ، وليس ببعيد على المعتصم بعد ان استدعاه لبغداد وكان حاقدا عليه ان يسخر زوجته لهذه الغاية لاسيما وانها كانت منحرفة عنه وتحقد عليه لانه كان يفضل عليها ام ولده الهادي وقد شكته لابيها في حياته كما جاء في رواية كشف الغمة مدعية بأنه يتسرى عليها فردها المأمون بعنف وشدة وأمرها بلزوم طاعته .

ومهما كان الحال فمما لا شك فيه بأنه مات في ريعان شبابه وهو رهن الاقامة الجبرية في بغداد ودفن في مقابر قريش الى جانب جده ابي الحسن موسى بن جعفر حيث مشهدهما الان كعبة للوافدين يستجير بهما الخائفون ويطمع في شفاعتهما المذنبون ويتوسل بهما ذوو الحاجات الى الله ولسان حالهم يقول :

انا عائذ بك في القيامة لائذ ... الفي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غدا ... احد فلست بجبكم مسبوقا

الامام العاشر ابو الحسن علي الهادي (ع)

لقد قيل ان الامام الهادي (ع) ولد في ذي الحجة سنة ٢١٢ وقيل في رجب سنة ٢١٤ وقيل غير ذلك ، وكان مولده في ضاحية من ضواحي المدينة في ضيعة تدعى صربا على ثلاثة اميال من المدينة اسسها جده الامام موسى بن جعفر (ع) كما جاء في مناقب ابن شهراشوب من ام مغربية اسمها سمانة ، وتوفي والده وله من العمر ست سنوات او ثمان وقيل اكثر من ذلك وبقي بعده اكثر من ثلاثين سنة وهي بقية ملك المعتصم وهارون بن محمد بن هارون الملقب بالواثق وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر ، وجعفر بن محمد بن هرون الملقب بالمتوكل وقد حكم اربعة عشر عاما ، والمنتصر محمد بن جعفر ، وقد حكم ستة اشهر كما جاء في رواية المسعودي ، وأحمد بن محمد بن المعتصم ، وقد حكم ثلاث سنين وثمانية اشهر واعتزل الخلافة وسلمها الى الزبير بن جعفر الملقب بالمعتز وبعد ان حكم نحوا من اربع سنين وأشهر خلع نفسه من الخلافة ، وكانت وفاة الامام الهادي (ع) في عهده كما جاء في رواية المسعودي في مروج الذهب خلال حديثه عن أحداث سنة ٢٥٤ ، وأيد ذلك اليعقوبي في تاريخه ايضا ، وأضاف الى ذلك اليعقوبي ان

المعتز بعث اخاه ابا احمد بن المتوكل فصلى عليه بالشارع المعروف بشارع ابي احمد ، فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجيجهم فرد النعش الى داره ودفنه بها حيث مشهده الان .

وقد نص على امامته ابوه قبل وفاته كما كان يصنع كل امام بالنسبة الى خليفته بالاضافة الى النصوص العامة عن طريق النبي على امامة الاثني عشر بأسمائهم .

فقد جاء في الكافي بسنده الى اسماعيل بن مهران انه قال : لما خرج ابو جعفر (ع) من المدينة الى بغداد في المرة الاولى من خرجتيه قلت له عند خروجه : جعلت فداك اني اخاف عليك في هذا الوجه فالى من الامر بعدك ؟ فكر بوجهه الي ضاحكا وقال : ليست الغيبة حيث ظننت في هذه السنة ، فلما خرج الثانية الى المعتصم صرت اليه وقلت له : جعلت فداك انت خارج فالى من الامر بعدك فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم التفت الي وقال : عند هذه يخاف علي ، الامر من بعدي الى ابني علي .

وروي ايضا عن الحسين بن محمد عن الخيراني عن ابيه وكان ملازما لابي جعفر يتولى خدمته وقضاء حوائجه ، وقد تضمنت الرواية نصا صريحا من ابي جعفر الجواد على ولده الهادي ، رواه عنه والد الخيراني وأبو جعفر الاشعري احمد بن محمد بن عيسى ؛ وجاء في الرواية ان الخيراني قال : فلما مضى ابو جعفر الجواد ، لم يخرج ابي من منزله حتى قطع على يديه نحو من اربعمائة انسان ، واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الامر ، فكتب محمد بن الفرج الى ابي يعلمه باجتماعهم عنده وانه لولا مخافة الشهرة لصار معهم اليه ويسأله ان يأتيه ، فركب ابي وصار اليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لابي : ما تقول في هذا الامر ؟ فقال ابي لمن عنده : الرقاع احضروا الرقاع وكان قد كتب نص الوصية في عشر رقاع ودفعها الى

عشرة من وجوه العصابة ، فأحضروها فقال لهم : هذا ما امرت به ، فقال له بعض من حضر : قد كنا نحب ان يكون معك في هذا الامر شاهد آخر ، فقال لهم : قد اتاكم الله عز وجل به ، هذا ابو جعفر الاشعري يشهد بسماع هذه الرسالة وسأله ان يشهد بما عنده ، فأنكر احمد بن محمد الاشعري ان يكون قد سمع فدعاه ابي الى المباهلة فلما حقق عليه قال : قد سمعت ذلك من ابي جعفر وهذه مكرمة كنت احب ان تكون لرجل من العرب الرحل من العجم وكان الخيراني فارسيا ، ومضى الراوي يقول : فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا وسلموا لابي الحسن (ع) .

وقال المفيد بعد ان اورد هذه الرواية وغيرها والاخبار في هذا الباب كثيرة جدا ان عملنا على اثباتها طال بها الكتاب ، وفي اجتماع العصابة على امامة ابي الحسن (ع) وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتبس الامر يغنينا عن ايراد النصوص والاخبار على التفصيل .

لقد تولى الامامة وهو صبي في التاسعة من عمره ، او في مطلع شبابه على ابعد التقادير في وقت قد استأنف فيه حكام العباسيين عداءهم للأئمة من اهل البيت والتنكيل بالعلويين بعد فترات ذاقوا فيها طعم الامن والراحة ، وبقي في المدينة يمارس مهمات الامامة تحت الرقابة الى ان تجاوز العشرين من عمره ، ومنهلا عذبا لرواد العلم من مختلف البلاد والمناطق حتى اتسعت شهرته ورجع اليه القريب والبعيد في الدين وجميع ما كان يعترضهم من المشاكل .

وقد اثارت هذه المشاهد غضب الحكام عليه وأقضت مضاجعهم فاستدعوه الى عاصمتهم وفرضوا عليه الاقامة الجبرية فيها اكثر من عشرين عاما ليحولوا بينه وبين شيعة آبائه الذين اجتمعوا على امامته وكانوا في تلك الفترة من التاريخ اكثر من اي وقت مضى .

هذا بالاضافة الى الحقد الشخصي والعداء السافر الذي تميز به

المتوكل عمن سبقه من حكام تلك الاسرة ، فقد بلغ به التعصب والحقد على علي وآله (ع) كما جاء في تاريخي ابن الاثير والطبري وهما يتحدثان عن احداث سنة ٢٣٦ وما احدثه المتوكل فيها ، جاء فيهما : انه في تلك السنة هدم قبر الحسين بن علي (ع) وسواه بالتراب ، ثم امر بحرث الارض وزرعها لتضيع معالمه ، وقتل عددا كبيرا من زواره ، وبالتالي فرض عليهم الضرائب وشتى انواع العقوبات ليمتنعوا عن زيارته ، والى ذلك يشير ابن السكيت او البسامي في الابيات المنسوبة اليهما .

تالله ان كانت اميـة قد اتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتته بنو ابيه بمثله ... فغدا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على ألا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

ومما يؤكد ما كان للامام الهادي (ع) من المكانة العالية في نفوس المسلمين وتعلقهم به ما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي وهو يصف ما اصاب الناس من الخوف والقلق حينما بلغهم ان المتوكل العباسي قد ارسل في طلبه يستدعيه الى عاصمة ملكه في العراق .

فقد قال لما بلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس اليه خاف منه فدعا يحيى بن هرثمة وقال : اذهب الى المدينة وانظر في حاله واشخصه الينا، قال يحيى : فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله خوفا على علي الهادي وقامت الدنيا على ساق لانه كان محسنا اليهم ملازما للمسجد لا يميل الى الدنيا ومظاهرها ، ومضى يحيى بن هرثمة يقول : فجعلت اسكنهم وأحلف لهم بأني لم أؤمر فيه بمكروه وانه لا بأس عليه حتى هدأت حالتهم وسكن ضجيجهم ، وبامكان الباحث ان يجد بالاضافة الى هذه الرواية اكثر من شاهد على ان الامام الهادي كان يتمتع بمكانة عالية في جميع الاوساط الاسلامية مما دعا الحكام الى مراقبته وفرض الاقامة الجبرية عليه في عاصمة ملكهم

كما ذكرناه. ومع كل ذلك فقد ظلت شهرته تتسع ولم يستطيعوا ان يحولوا بينه وبين الناس فحاولوا التشويش عليه عن طريق اخيه موسى واغرائه بحضور مجالس اللهو والمنكرات على امل أن يؤثر ذلك على مكانة الامام (ع).

فقد جاء في رواية المفيد في الارشاد عن الحسين بن الحسن الحسني انه قال: حدثني ابو الطيب يعقوب بن ياسر ان المتوكل كان يقول لحاشيته وخواصه: ويحكم لقد اعياني امر ابن الرضا وجهدت ان يشرب معي ويناديني فامتنع وجهدت ان اجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها.

فقال له بعض من حضر: ان لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذه الحال فهذا اخوه موسى قصاف عزاف يأكل ويشرب ويعشق ويتخالع فاحضره واشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرق الناس بينه وبين اخيه ومن عرفه بشخصه قد يتهم اخاه بمثل فعاله.

فقال المتوكل: اكتبوا باشخاصه مكرما، وعزم ان يتلقاه المتوكل وجميع بني هاشم والقواد وسائر الناس، واذا وافاه اقطعه قطيعة وبنى له فيها وحول اليها الخمارين والقيان وتقدم بصلته وبره، وأفرد له منزلا سريا يصلح ان يزوره فيه، فلما وافى موسى بن الجواد (ع) تلقاه اخوه ابو الحسن الهادي في قنطرة وصيف فسلم عليه وقال له: ان هذا الرجل قد احضرك ليهتكك ويضع منك، فلا تقر له انك شربت نبيذا قط، واتق الله يا اخي ان ترتكب محظورا، فقال له موسى: وانما دعاني لهذا فما حيلتي، فكرر عليه ابو الحسن مقالته الاولى ولكن موسى لم يستجب لطلبه، فلما رأى منه الخلاف، قال له: ان المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه انت واياه ابدا، ويدعي الراوي ان موسى اقام ثلاث سنين يبكر فيها كل يوم الى باب المتوكل فيقال له مرة هو في شغل هذا اليوم، ومرة يقال له قد سكر، وأخرى قد شرب دواء وهكذا حتى قتل المتوكل ولم يجتمع معه على شراب في يوم من الايام التي كان قد اعدها لذلك.

دور الامام الهادي في التشريع

لقد انصرف الامام ابو الحسن عن السياسة والسياسيين كآبائه الى خدمة الاسلام عن طريق الدفاع عن اصوله ونشر فروعه ، فناظر المشككين والملحدين وأجاب على اسئلتهم بالاسلوب الهادىء الرصين المدعوم بالحجة والمنطق ، ولم يجتمع اليه احد من اولئك المشككين الا وخرج مقتنعا مؤمنا يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وفيما يعود الى التشريع كان الرواة والعلماء يراجعونه فيما يشتبه عليهم عن طريق الكتابة ، ولعل مرد ذلك الى ان محدثي الشيعة الذين كانوا يتدارسون فقه الائمة ومروياتهم قد انتشروا في طول البلاد وعرضها وكان لمدينة قم النصيب الاكبر من اولئك الرواة ومن مؤلفات اصحاب الصادقين(ع)، هذا بالاضافة الى ان السلطات الحاكمة كانت تضيق على الائمة وتراقب جميع تصرفاتهم وتحركاتهم ، وقد فرضت عليهم الاقامة الجبرية في عواصم الحكام للحد من التجمعات حولهم ، بل ومن الاتصال بهم ، لذا فان الرواة والعلماء كانوا يتصلون في الغالب بالائمة الثلاثة الجواد والهادي والعسكري بالمراسلة ويجد المتتبع لكل واحد منهم عشرات المرويات بهذا الطريق في مختلف الابواب والمواضيع الفقهية ، وقد

عرضنا بعض الامثلة من المكاتبات التي كانت ترد على ابيه خلال حديثنا عن سيرته ، وسنعرض بعض الامثلة من الرسائل التي وجهت اليه ايضا ، ومن عاصروه من الرواة وأخذوا عنه . فمن ذلك ما رواه الكليني في المجلد الرابع من الكافي عن محمد بن يحيى بسنده الى ايوب بن نوح انه قال : كتبت الى ابي الحسن الثالث (ع) ان قوما سألوني عن الفطرة ويسألوني ان يحملوا قيمتها اليك ، وقد بعث اليك هذا الرجل عام اول وسألني ان اسألك فنسيت ذلك ، وقد بعثت اليك العام عن كل رأس من عيالي بدرهم على قيمة تسعة ارطال بدرهم ، فرأيك جعلني الله فداك في ذلك ، فكتب (ع) : الفطرة قد كثر السؤال عنها وأنا اكره كل ما ادى الى الشهرة فاقطعوا ذكر ذلك ، واقبض ممن دفعها وامسك عمن لم يدفع [1] .

وروى في المجلد الرابع عنه ايضا بسنده الى محمد بن رجاء الارجاني انه قال : كتبت الى الطيب [2] اني كنت في المسجد الحرام فرأيت دينارا فأهويت اليه لآخذه فاذا انا بآخر ثم بحثت الحصا فاذا انا بثالث فأخذتها وعرفتها فلم يعرفها احد فما ترى في ذلك ، فكتب : فهمت ما ذكرت من امر الدنانير فان كنت محتاجا فتصدق بثلثها وان كنت غنيا فتصدق بالكل .

وروى عنه في المجلد المذكور بسنده الى محمد بن ارومة عمن حدثه عن الصادق ابي الحسن الثالث على حد تعبير الراوي انه كان يقول في زيارة قبر امير المؤمنين (ع) : السلام عليك يا ولي الله انت اول مظلوم وأول من غصب حقه وأشهد انك لقيت الله وأنت شهيد

---

١ ــ تشير هذه الرواية الى ان الامام (ع) كان يحاذر من كثرة السؤال خوفا من السلطة التي كانت تراقبه في جميع الحالات .

٢ ــ وقد عناه الارجاني لانه كان من اصحابه .

عذب الله قاتلك بأنواع العذاب جئتك عارفا بحقك مستبصرا بشأنك ، فاشفع لي الى ربك فان لك عند الله مقاما محمودا معلوما وجاهـــا وشفاعة وقد قال تعالى : لا يشفعون الا لمن ارتضى .

كما روى عنه زيارة قبر الحسين (ع) في كربلاء بصيغة لا تختلف كثيرا عن الصيغة التي ورذت عنه في زيارة امير المؤمنين (ع) .

وروى عنه في المجلد الخامس بسنده الى علي بن محمد القاساني انه قال : كتبت الى ابي الحسن الثالث وأنا بالمدينة سنة احدى وثلاثيـن ومائتين : جعلت فداك رجل امر رجلا يشتري له متاعا او غير ذلـــك فاشتراه وسرق منه ، او قطع عليه الطريق مِنْ مال مَنْ ذَهَبَ المتاع مِن مال الآمر او من مال المأمور ، فكتب سلام الله عليه : من مال الامر .

وفي المجلد السادس روى عنه بسنده الى حمدان بن اسحاق انـه قال : كان لي ابن تصيبه الحصاة فقيل لي : ليس له علاج الا ان تبطه فبططته فمات فقالت الشيعة لقد شركت في دم ابنك ، فكتبت الى ابي الحسن العسكري (ع) في ذلك فوقع : يا احمد ليس عليك فيما فعلت شيء انما التمست له الدواء وكان اجله فيما فعلت .

وروى عنه في كتاب التجمل من المجلد المذكور بسنده الى ابـــي هاشم الجعفري انه قال : دخلت على ابي الحسن صاحب العسكر (ع) فجاء صبي من صبيانه فناوله وردة فقبلها ووضعها على عينيه ثم ناولنيها وقال : يا ابا هاشم من تناول وردة او ريحانة فقبلها ووضعها على عينيه ثم صلى على محمد وآل محمد الائمة كتب الله له من الحسنات مثـل رمل عالج ومحا عنه من السيئات مثل ذلك .

وروى عنه في كتاب الحدود من المجلد السابع بسنده الى جعفر بن رزق الله انه قال : قدم الى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد ان يقيم عليه الحد فأسلم ، فقال يحيى بن اكثم : قد هدم ايمانه

شركه وفعله ، وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود، وكثرت الآراء في حكمه فأمر المتوكل بالكتابة الى ابي الحسن الهادي (ع) وسؤاله عن ذلك ، فلما قرأ الكتاب كتب في جوابه: يضرب حتى يموت من الضرب، فأنكر يحيى بن اكثم وفقهاء العسكر ذلك وقالوا : يا امير المؤمنين ان هذا لم ينطق به كتاب ولم تجيء به سنّة عن رسول الله ، فكتب اليه ان فقهاء المسلمين قد انكروا هذا وقالوا لم تجيء به سنّة ولم ينطق به كتاب فبين لنا لِمَ اوجبت عليه الضرب حتى يموت ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما احسوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنّة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات .

وروى في كتاب الايمان والنذور من المجلد المذكور عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن جماعة ان المتوكل كان قد نذر عندما اصيب بوعكة ان يتصدق بمال كثير ولم يعين مقداره ، واختلف الفقهاء في تحديد المبلغ اختلافا كبيرا ، ولم ينتهوا الى نتيجة ، فأشار عليه بعض ندمائه ان يسأل ابا الحسن الهادي ، فقال له وهو يحسن من هذا شيئا ، فقال: ان اخرجك من هذا الامر فلي عليك كذا وكذا ، والا ضربتني مائة مقرعة ، فأرسل اليه جعفر بن محمود ليسأله عن حد المال الكثير ، ولما سأله عنه اجاب ان الكثير ثمانون ، فقال جعفر بن محمود : يا سيدي انه يسألني عن العلة فيه ، فقال له ابو الحسن (ع) : ان الله عز وجل يقول في كتابه : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة فعددنا تلك المواطن فكانت ثمانين [1] .

---

١ ــ يختلف الكثير بحسب الزمان والمكان والمناسبات ، لذا فان في النفس شيئا من هذه الرواية بواسطة اشتمالها على هذا التحديد .

الى غير ذلك مما ورد عنه في مجاميع الحديث من الاحاديث الموزعة على المواضيع الفقهية ، ويدعي السيد الامين في اعيان الشيعة ان الخيبري او الحميري له كتاب مكاتبات الرجال عن العسكريين الهادي وولده الحسن بن علي (ع) .

وروى عنه بالاضافة الى من ذكرنا اسحق بن عبد الله الاشعري وكان من خواص ولده ابي محمد العسكري (ع) وروى عن الهادي كتاب علل الصلاة ومسائل الرجال كما جاء في فهرست اسماء المؤلفين للطوسي ، وأيوب بن نوح وكان وكيلا له وله كتاب وروايات عن ابي الحسن الثالث كما نص على ذلك في الفهرست ، وعلي بن بلال البغدادي وله كتاب عنه كما جاء في اتقان المقال للشيخ محمد طه نجف ، وعلي بن الريان بن الصلت الاشعري القمي له عن ابي الحسن الثالث نسخة ، روى عنه عمران بن موسى ، وله كتاب منثور الاحاديث ، روى عنه علي بن ابراهيم على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان .

وعلي بن مهزيار الاهوازي وكان من المختصين به وبأبيه ابي جعفر الجواد وتوكل لهما وروى عنهما ، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه على حد تعبير المؤلفين في احوال الرواة والرجال .

وأحمد بن محمد بن عيسى الاشعري، وكان قد ادرك الرضا والجواد والهادي وروى عنهم في مختلف المواضيع الى غير ذلك ممن عاصره وروى عنه من ثقاة المحدثين وفضلائهم والمدافعين عن آثار اهل البيت (ع) .

موقف الامام الهادي من الغلو والغلاة

لقد اتخذ جميع الائمة الاثني عشر وشيعتهم موقفا صريحا وصلبا في الوقت ذاته من الغلو والغلاة فتبرأوا منهم وأعلنوا كفرهم والحادهم ونفوا بصراحة لا تقبل التأويل ان تكون لهم اية صلة بهم وبجميع المنحرفين عن الخط الرسالي الذي دافع عنه الائمة بكل ما لديهم من قوة وذابوا في سبيله ، واتخذت مقاومة الائمة وعلماء الشيعة للغلاة اشكالا استهدفت جميعها تفتيت دعوة اولئك الغلاة والقضاء عليهم بكل الوسائل .

فمن ذلك التأكيد على مناقضة الغلو للاسلام مناقضة صريحة لا يمكن تغطيتها بانخراطهم في صفوف المسلمين والموالين لاهل البيت ، فقد جاء عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال : بني الكفر على اربع دعائم : الفسق والغلو والشك والشبهة .

كما جاء عن الامام الصادق (ع) انه قال : ادنى ما يخرج به الرجل عن الايمان ان يجلس الى غال فيستمع الى حديثه ويصدقه في قوله، ان ابي حدثني عن ابيه عن جده ان رسول الله (ص) قال : صنفان من امتي لا نصيب لهما في الاسلام الغلاة والقدرية .

وروى عنه الكشي في رجاله انه قال لأحد اصحابه : قل للغاليـــه توبوا الى الله فانكم فساق كفار مشركون. وقال لبشار الشعيري: اخرج عني لعنك الله ، وبعد خروجه قال الامام (ع) : ويله ألا قال بما قالت اليهود الا قال بما قالت النصارى ، الا قال بما قالت المجوس ، ومضى يقول : والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر احد ، وأضاف الى ذلك انه شيطان وابن شيطان خرج ليغوي الشيعة وقد تحدثنا عن موقفه مـــن الغلاة خلال حديثنا عن سيرته .

ومن ذلك ان الائمة كانوا يحرصون على نفي وجود اي صلة بينهم وبين قادة الغلاة ويعلنون بأن اولئك القادة كانوا يكذبون عليهم ، لان الغلاة قد انتحلوا الاحاديث ودسوها في اقوال الائمة لان انتحال الحديث ونسبته الى الائمة كان يساعدهم على كسب الانصار والمؤيدين من جهة ويساعدهم على تهديم الشريعة وتشويهها وكلا الهدفين كانا بارزين في دعوة الغلاة ، لذلك كان الائمة يحرصون على ابراز هذه الناحية وانتشار رأيهم في الغلاة ومروياتهم في اوساط المحدثين .

ومهما كان الحال فلقد ظهر الغلاة في عهد الامام العسكري واستعادوا نشاطهم بعد ان خفت صوتهم بسبب موقف الامام الصادق المتصلب منهم يوم ظهروا في عصره ، ويبدو انهم وجدوا الجو مهيأ لهم في عهد حفيده الهادي ووجدت دعوتهم منفسا لها من اعداء الائمة الذين كانوا يعملون للتشويش عليهم وتشويه المعنى الصحيح للامامة التي اختصها الله بتلك الصفوة المختارة من ذرية علي وفاطمة (ع) .

ومن هؤلاء علي بن حسكة والقاسم بن يقطين ، فقد جاء فـــي رواية محمد بن مسعود بسنده الى احمد بن محمد بن عيسى انه قال : كتبت الى الهادي (ع) في قوم يتكلمون ويقرأون احاديث ينسبونها اليك والى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب وينسبون الارض الى قـــوم

يذكرون انهم من مواليك منهم علي بن حسكة والقاسم بن يقطين ، ويدعون ان قول الله : ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، تعني رجلا يأمر وينهى ، وكذلك الزكاة ويتأولون كثيرا من الفرائض والسنن والمعاصي ، فان رأيت ان تبين لنا وتمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من تلك المقالات والذين ذهبوا الى هذه المقالات يدعون بأنهم اولياء لكم ، فكتب (ع) : ليس هذا من ديننا فاعتزلوهم .

وفي رواية ثانية عن محمد بن عيسى ان الامام الهادي كتب الي ابتداء : لعن الله القاسم اليقطيني وابن حسكة القمي ، ان شيطانا يتراءى للقاسم فيوحي اليه زخرف القول غرورا .

وجاء في رواية سهل بن زياد الآدمي انه قال : كتب بعض اصحابنا الى ابي الحسن العسكري (ع) : جعلت فداك يا سيدي ان علي بن حسكة يدعي بأنه من اوليائك وانك انت الاول القديم وانه بابك ونبيك امرته ان يدعو اليك ويزعم ان الصلاة والزكاة والصوم والحج كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة ، فهو مؤمن كامل الايمان سقط عنه الاستعباد بالصلاة وغيرها من العبادات ، وقد مال اليه كثير من الناس ، فان رأيت ان تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة قال : فكتب (ع) كذب ابن حسكة عليه لعنة الله واني لا اعرفه في موالي ، ماله لعنه الله ، فوالله ما بعث الله محمدا والانبياء قبله الا بألحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية . وما دعا محمد الا الى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الاوصياء من ولده عباد الله لا نشرك به شيئا ان اطعناه رحمنا وان عصيناه عذبنا مالنا على الله من حجة بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه، ابرأ الى الله ممن يقول ذلك وانتفي الى الله من هذا القول

فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم الى ضيق الطريق فان وجدتم احـــدا منهم فاخدشوا رأسه بالحجر .

ومن هؤلاء الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ومحمد بن نصير النميري وفارس بن حاتم القزويني ، وقد لعنهم الامام علي بن محمد العسكري وحذر اصحابه والمسلمين من دسائسهم ومغرياتهم ، وكـــان محمد بن نصير كما جاء عن كتب الفرق والتراجم يتصل بأبي الحســن العسكري (ع) في اول امره، ثم ادعى انه رسول من قبله وقال بالتناسخ والغلو فيه ، وبصفته نبيا مرسلا من قبله اباح المحارم ونكاح الرجال بعضهم لبعض ، وان الله لم يحرم شيئا من ذلك ونحو ذلك من المقالات، وكتب الامام الهادي الى اصحابه كتابا يحذر المسلمين منه ويقول فيه : لعنهم الله يستأكلون بنا الناس فتانين مؤذيين آذاهم الله وأرسلهم فـي اللعنة وأركسهم في الفتنة ركسا سخر منهم الشيطان فأغواهم ، وهكذا كان الامام لا يدع مناسبة تمر بدون ان يحذر المسلمين وأصحابه منهم ومن دسائسهم ثم يلعنهم ويأمر بلعنهم وقتالهم كما فعل الامام الصادق(ع) مع الذين اظهروا البدع والغلو في عصره .

وكان من بين اولئك المشعوذين فارس بن حاتم ويبدو انه كـــان اخطر من رفاقه وأبرع في الدس والتضليل ، فأمر الامام بقتله وحرض جماعة من اصحابه على ذلك كما نص على ذلك ابو عمر الكشـــي في رجاله ..

فقد جاء فيه عن سعد بن عبد الله بن ابي خلف القمي انه قال : حدثني محمد بن عيسى بن عبيد ان ابا الحسن العسكري (ع) امـــر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة وكان فتانـــا يفتن الناس ويدعوهم الى البدعة فخرج من ابي الحسن (ع) على حد تعبير الراوي هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتانا يفتن الناس ويدعوهم الى البدعة

ودمه هدر لكل من قتله ، فمن يريحني منه ويقتله وأنا ضامن له على الله الجنة .

وفي رواية ثانية رواها الكشي في رجاله ان الامام (ع) استدعى شخصا يدعى جنيدا وأعطاه مقدارا من الدراهم ليشتري بها سلاحا ، وأمره ان يعرض السلاح عليه بعد شرائه ، ومضى الراوي يقول : ان جنيدا قد اشترى سيفا فأمره برده وأخذ مكانه ساطورا وعرضه عليه فارتضاه ، فمضى جنيد واعترض فارس بن حاتم وهو خارج من المسجد بين المغرب والعشاء فضربه على رأسه ضربة وقع منها ميتا ، وعد منهم الكشي في رجاله ، هاشم بن ابي هاشم وأبا السمهري ، وابن ابي الزرقاء ، وجعفر بن واقد وأبا الغمر ، وروي عن علي بن مهزيار واسحاق الانياري ان ابا جعفر الثاني عدهم من زمرة ابي الخطاب ولعنهم وأمر بلعنهم والبراءة منهم ، وقال : ان رسول الله قال : من تأثم ان يلعن من لعنه الله فقد لعنه الله .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح فمما لا شك فيه ان الائمة (ع) كانوا يحرصون بكل ما يملكون من قوة وبيان على ان يجعلوا من اصحابهم وشيعتهم ومن يتصل بهم دعاة حق وخير يمثلون الاسلام ويجسدون تعاليمه بأفعالهم قبل اقوالهم ، كما كانوا يحرصون على تنزيه تعاليم الاسلام من التشويه والتحريف والافتراء وعلى انهم عبيد لله لا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم ضرا ولا ان يجلبوا لها خيرا الا بمشيئة الله وقد تعرضوا في حياتهم لظلم الحكام واضطهادهم، ولما يمكن ان يتعرض له كل انسان من البلاء وأنواع التقلبات ، وعاشوا مع الناس كغيرهم من الناس ، ولعنوا من قال فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ومن نسب اليهم علم الغيب والخلق والرزق وكل ما هو من خصائص الخالق وصفاته ، ومع ذلك فقد اضاف اليهم بعض المحبين والمبغضين ما ليس بهم ، وأظهر الغلو فيهم اناس عن سوء نية كما اعتقد

ولكنهم وقفوا للجميع بالمرصاد فلعنوا المغالين وتبرأوا منهم وأعلنوا للناس ضلالهم وجحودهم . وأمروا محبيهم بالاعتدال ومبغضيهم بالرجوع الى وصايا نبيهم في اهل بيته وعترته وخرجوا من هذه الدنيا وهم من أنصح خلق الله لخلقه وأحرصهم على دينه وشريعته وأصبرهم على بلائه وأخوفهم من سخطه وعقابه .

رحيل الامام علي الهادي الى سامراء واسبابه

لقد بقي الامام الهادي بعد وفاة ابيه في المدينة اكثر من عشرين عاما فأحبه الناس واجتمعوا عليه والتف حوله العلماء وطلاب العلم كما كان يتصل به الشيعة وكانوا في عصره اكثر من اي زمان مضى بالمراسلة والكتابة يستفتونه في امور دينهم ويسألونه الحلول لمشاكلهم . وكان مع ذلك تحت رقابة الحكام في جميع حالاته ، فكتب بريحة العباسي احد انصار المتوكل اليه: ان كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منهما علي ابن محمد فانه قد دعا الناس الى نفسه وتبعه خلق كثير ، وتابع كتبه الى المتوكل بهذا المعنى ، ولما بلغ ابا الحسن (ع) ان بريحة يراسل المتوكل ويصور له خطره عليه ، كتب الى المتوكل يذكر له تحامله عليه وكذبه فيما كتب به وايذاءه له ، فأجابه بكتاب كله دجل وخداع وتضليل جاء فيه : ان امير المؤمنين قد علم براءتك مما نسب اليك وصدق نيتك ، وانك لم تؤهل نفسك لما يدعيه عليك ، وقد وليت ما كان يليه عبد الله ابن محمد ، محمد بن الفضل وأمرته باكرامك وتبجيلك والانتهاء الى امرك ورأيك والتقرب الى الله والى امير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق اليك يحب احداث العهد بك والنظر اليك فان نشطت

لزيارته والمقام قبله ما احببت شخصت ومن اخترت من اهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل اذا شئت وتنزل اذا شئت كيف شئت ، وان احببت ان يكون يحيى بن هرثمة مولى امير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك فالامر في ذلك اليك ، وقد تقدمنا اليه بطاعتك فاستخر الله حتى توافي امير المؤمنين فما احد من اخوانه وولده وأهل بيته وخاصته الطف منك منزلة ولا احمد له اثرة ولا هو لهم انظر ولا عليهم اشفق وبهم أبر ولا هو اليهم أسكن منه اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

بهذا الاسلوب الهادىء اللين كتب اليه المتوكل وكأنه من القديسين الذين يتعاهدون اولياء الله سبحانه بالعطف والبر والكرامة ، في حين انه كان من اشد الناس عداوة لعلي وآل علي ولكل من يتصل بهم بنسب او سبب ، والامام يعلم منه ذلك ، ويعلم بأنه لا يتركه في المدينة وليس بامكانه ان يتهرب من اجابة طلبه ، فاستجاب لطلبه ، وكان قد اوصى قائده يحيى بن هرثمة ومن كان معه بتفتيش الدار تفتيشا دقيقا ، لان اجهزته في المدينة اخبروه بأنه يجمع السلاح والرجال للثورة عليه ، ولما دخل المدينة أحس الناس بالشر وخافوا على ابي الحسن (ع) من شره لانهم يعرفون ما كان يضمره المتوكل من سوء لاهل البيت (ع) .

وهنا يروي المسعودي وابن الجوزي وغيرهما من الرواة عن يحيى ابن هرثمة انه قال : فلما دخلت المدينة ضج اهلها ضجيجا عظيما مما سمع الناس بمثله خوفا على ابي الحسن وقامت الدنيا على ساق لانه كان محسنا اليهم ملازما للمسجد ولم يكن عنده ميل الى الدنيا ، فجعلت اسكنهم وأحلف لهم بأني لم أومر فيه بسوء ولا مكروه وانه لا بأس عليه ، ثم دخلت منزله وفتشته كما امرني المتوكل فلم اجد فيه الا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني ، ولما تجهز وخرجنا من المدينة توليت خدمته الى ان قدمت به بغداد .

وروى المسعودي في مروجه عن يحيى بن هرثمة انه قال : بينما نحن نسير والسماء صاحية والشمس طالعة اذ وضع الامام عليه ما يقيه المطر، وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت غزاليها ونالنا من المطر امر عظيم جدا ، فالتفت الي وقال : انا اعلم انك قد انكرت ما رأيت وتوهمت اني قد علمت من الامر ما لا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ، ولكني نشأت بالبادية فأنا اعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فلما اصبحت هبت ريح شممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك وكان الامر كما رأيت.

ويروي هنا بعض محدثي الشيعة فيما يروونه من كرامات الائمة (ع) ما محصله ان يحيى بن هرثمة قد ارسله المتوكل مع ثلاثمائة من خاصته وجنده ليكونوا مع ابي الحسن وفي طريقهم الى المدينة في الصحراء ذكروا ما يرويه الشيعة عن علي بن ابي طالب او غيره من الائمة انه ما من بقعة من الارض الا وفيها قبر وكان بعضهم يسخر من هذه المقالة ولما وصلوا المدينة استمهلهم الامام الهادي لكي يتجهز وكان الوقت في تموز من اشهر الصيف فاستعد على ملابس الشتاء ولبابيد ونحو ذلك فسخروا منه وفي طريقهم تغير الجو واسود الفضاء وهبت رياح هوجاء وجعل المطر يتساقط بشكل لم يعهدوا له نظيرا ، وقبل ان يحدث ذلك لبس الامام وحاشيته اللبابيد ووزع ما بقي منها على يحيى وبعض اصحابه وظلت الرياح العاتية تعصف بهم والامطار تتساقط حتى قتل من اصحاب يحيى جماعة ، ثم تقشعت الغيوم وسكنت الرياح وعاد الجو الى ما كان عليه ، فقال الامام (ع) ليحيى : قم وادفن اصحابك ، هكذا يملأ الله الارض قبورا حتى لا تبقى بقعة الا وفيها قبر .

ويدعي الراوي ان يحيى وقع على الامام يقبله ويقول : اشهد انكم خلفاء الله في ارضه ، وليس ذلك بمحال ولا بغريب على من اصطفاهم

الله من عباده وجعلهم حججه على خلقه والادلاء على طاعته ، وقد روى الرواة لهم عشرات الكرامات التي لا تجوز الا على من نذر نفسه لله واستجاب لامره ونهيه ، ولم يكن ذلك من غيرهم ، واني اذ اهملت هذه الناحية من سيرتهم لا لاني ارى ذلك كله من صنع المحبين والمغالين ، بل لاني رأيت في سيرتهم ومواقفهم من الظلم والظالمين وتضحياتهم في سبيل الله وخير الناس ما هو أدل على عظمتهم من الغيبيات التي لم يعد يؤمن بها الا القليل النادر من الناس .

ويتابع المؤرخون والمحدثون في وصفهم لرحلة الامام من المدينة الى سر من رآى ويروون عن يحيى بن هرثمة انه قال : فلما قدمت به مدينة السلام بدأت باسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد . فقال : يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فان حرضته على قتله كان رسول الله (ص) خصمك ، فقلت : والله ما وقفت له الا على كل امر جميل ، ومضى يحيى بن هرثمة يقول كما جاء في مروج الذهب وغيره ، فصرت الى سامراء فبدأت بوصيف التركي وكنت من اصحابه ، فقال لي : والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري ، فعجبت من توافقهما في الرأي ، ولما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهده واني فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وان اهل المدينة خافوا عليه لما وردت المدينة وضجوا بأجمعهم ، ولم يهدأوا الا بعد ان حلفت لهم بأن الامير لا يريد به سوءا ، فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل بره وأنزله في دار قد اعدها له .

ولكن رواية المفيد تنص على انه لم يأذن له بالدخول عليه في اليوم الذي وصل به الى سامراء ، وأنزله في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه ، وفي اليوم الثاني اذن له بالدخول عليه ، ثم افرد له دارا ليسكن فيها .

ويبدو ان الامام بقي في سامراء منذ ان دخلها وكان المتوكل كما تجمع الروايات يتظاهر بتعظيمه واكرامه ، ويراقب جميع تحركاته وتصرفاته والشيعة يتصلون به في الغالب بالمراسلة والكتابة كما ذكرنا وكان يستدعيه لمجلسه بين الحين والآخر. وحدث المسعودي في المجلد الثاني من مروج الذهب ان امرأة في عهد المتوكل ادعت بأنها زينب بنت علي بن ابي طالب (ع) وقد اطال الله عمرها الى ذلك الوقت فأدخلت على المتوكل فأرسل الى الامام الهادي فلما حضر قال لها ان السباع لا تأكل من لحوم بني فاطمة (ع) فاذا صح ذلك فادخلي بركة السباع ، فتهيبت ذلك ، فقام الامام ودخل بين السباع فلاذت به وجعلت تتمرغ بثيابه ، فلما رأت ذلك تراجعت عن دعواها .

وجاء في رواية المفيد في ارشاده بسنده الى علي بن ابراهيم عن ابن التغيم بن محمد الطاهري انه قال : مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت ولم يجسر احد ان يمسه بحديدة فنذرت امه ان عوفي منه ان تحمل الى ابي الحسن علي بن محمد مالا جليلا من مالها وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت الى ابي الحسن فربما كان عنده شيء يفرج الله به عنك ، فقال ابعثوا اليه ، فمضى اليه الرسول ورجع فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فانه نافع باذن الله ، فجعل من كان في مجلس المتوكل يهزأ من ذلك ، فقال لهم الفتح : وما يمنعكم من تجربة ما قال ، فوالله اني لارجو الصلاح به فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه ، فأرسلت اليه ام المتوكل عشرة آلاف دينار تحت ختمها ، فلما كان بعد ايام سعى البطحاني بأبي الحسن الى المتوكل وقال ان عنده اموالا وسلاحا ، فأمر المتوكل سعيد الحاجب ان يهجم عليه ليلا ويأخذ ما عنده من الاموال والسلاح ، ومضى ابراهيم بن محمد يقول : قال

لي سعيد الحاجب : فذهبت الى دار ابي الحسن بالليل ومعي سلـــم فصعدت على السطح ونزلت من الدرجة الى بعضها في الظلمة ولم ادر كيف اصل الى الدار ، فناداني ابو الحسن (ع) : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم البث ان اتوني بشمعة فنزلت ووجدت عليه جبـــة صوف وقلنسوة من صوف وسجادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة ، فقال لي دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم اجد فيها شيئا ، ووجدت البدرة مختومة بخاتم ام المتوكل وكيسا مختوما معها وقال لي ابو الحسن (ع) : دونك المصلى ، فرفعته ووجدت سيفـــا في جفنه ، فأخذت ذلك وصرت اليه ، فلما نظر الى خاتم امه على البدرة بعث اليها يسألها عن البدرة فقالت له : كنت نذرت في علتك ان عوفيت ان احمل له من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها اليه وهذا خاتمي على الكيس ، وفتح الكيس الآخر فاذا فيه اربعمائة دينار فأمر ان يضم الى البدرة بدرة اخرى وقال لي : احمل ذلك الى ابي الحسن واردد عليه السيف والكيس بما فيه ، فحملت ذلك اليه واستحييت منه وقلت له : يا سيدي عز علي دخولي دارك بغير اذنك ولكني مأمور ، فقال : وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

ويبدو ان الوشاة كانوا يحاولون بين الحين والآخر ان يشحنـــوا المتوكل بالحقد على الامام الهادي (ع) ويصوروا له خطره على عرشه ، وكانت الحاشية المحيطة به تدين بالنصب والعداء لاهل البيت (ع) كعلي ابن الجهم ومحمد بن داود الهاشمي وأبي السمط والبطحاني وغيرهـــم ممن باعوا انفسهم للشيطان .

وجاء في المجلد الثاني من مروج الذهب ان جماعة من حاشيـــة المتوكل سعوا بأبي الحسن علي بن محمد الى المتوكل بأن في منزله سلاحا وأموالا وكتبا من شيعته يستحثونه فيها على الثورة وهو يعد العـــدة لذلك فوجه اليه جماعة من الاتراك وغيرهم فهاجموا داره في جـــوف

الليل فوجدوه في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر وليس في البيت شيء من الاثاث والفرش وعلى رأسه ملحفة من الصوف وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذوه الى المتوكل على الحالة التي وجدوه عليها فمثل بين يديه والمتوكل على مائدة الخمر وفي يده كأس ، فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال الامام : يا امير المؤمنين والله ما خامر لحمي ودمي فاعفني منه فعفاه ، ثم قال له : انشدني شعرا استحسنه فاعتذر الامام (ع) وقال: اني لقليل الرواية للشعر فألح عليه ولم يقبل له عذرا فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود ينتقل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم ... ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا ... فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفرا معطلة ... وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

واستمر الامام (ع) ينشده شعرا من هذا النوع الذي لم يكن يتوقعه والمتوكل يبكي بكاء عاليا حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون لبكائه ، ثم امر برفع الشراب من مجلسه وقال للامام (ع) أعليك يا ابا الحسن دين ؟ قال : نعم اربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما .

لقد فشل الساعون بوشايتهم على الامام (ع) ولم ير المتوكل مجالا لتنفيذ رغبتهم ، فأراد ان يحقره بحضور حاشيته وندمائه السكارى

فناوله كأسا كان قد اعدها لنفسه وهو يعلم ان الامام يرى ان شارب الخمر كعابد الوثن كما روي ذلك عن آبائه واحدا بعد واحد حتى انتهى الى النبي (ص) وبعد ان يئس منه عدل في تحديه الى لون آخر فطلب منه ان ينشده شعرا في وصف الخمر والجواري يتلذذ به ، ولم يكن يحسب ان الامام يجرؤ ان يصفعه بتلك العظات التي هي اشد من الصواعق عليه ، ويصور له ما سيكون من امره وأمر غيره من الجبابرة الطغاة عبيد الشهوات والاهواء ، فكان اروع ما في موقفه ، ذلك الوصف الرائع للجبابرة أحياء وأمواتا ولتلك الوجوه الناعمة الطرية التي سيعبث فيها الدود بعد ايام معدودات وهو ينظر الى المتوكل ويقول : تلك الوجوه عليها الدود ينتفل .

وهكذا كان المتوكل يستدعيه بين الحين والآخر وهو حاقد بقصد الاساءة اليه ولكن الله سبحانه كان يصرفه عنه، فقد جاء في رواية سهل ابن زياد انه قال: حدثنا ابو العباس فضل بن احمد بن اسرائيل الكاتب ونحن بداره بسر من رأى فجرى ذكر ابي الحسن (ع) فقال: يا ابا سعيد احدثك بشيء حدثني به ابي قال : كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل على سريره فسلم المنتصر ووقف ووقفت خلفه ، وكان اذا دخل رحب به وأجلسه فأطال القيام وجعل يرفع رجلا ويضع اخرى وهو لا يأذن له في القعود ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ، ويقول للفتح ابن خاقان : هذا الذي تقول فيه ما تقول والفتح يسكنه ويقول : هو مكذوب عليه يا امير المؤمنين وهو يتلظى ويستشيط غضبا ويقول : والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق الذي يدعي الكذب ويطعن في دولتي، ثم طلب اربعة من الخزر اجلافا ودفع اليهم اسيافا وأمرهم بقتل ابي الحسن اذا دخل وقال والله لاحرقنه بعد قتله وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر ، فدخل ابو الحسن وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع ، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير وانكب عليه يقبله

بين عينيه ويديه ، ويقول : يا سيدي يا ابن العم يا ابا الحسن ، هذا وأبو الحسن يقول : اعيذك يا امير المؤمنين بالله من هذا ، فقال له المتوكل: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ فقال : لقد جاءني رسولك ، فقال : كذب ابن الفاعلة ارجع الى مكانك ، ثم امر الفتح وعبيد الله والمنتصر ان يشيعوه ، ولما خرج قال للذين امرهم بقتله : لِمَ لم تفعلوا ما امرتكم لما رأيناه هبناه وامتلأت قلوبنا من هيبته .

من حكمه ومواعظه

من اطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين ، ومن أمن مكر الله اخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه ونافذ امره ، ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر • الشاكر اسعد بالشكر منه بالنعمة التي اوجبت الشكر ، لان النعم متاع ، والشكر نعم وعقبى • [redacted] يكاد ان يعفي على ظلمه بحلمه ، وان [redacted] يكاد ان يطفىء نور حقه بسفهه •

من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك ، ومن هانت عليه نفسه فلا تأمن شره ومن رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه ، والناس في الدنيا بالاموال وفي الآخرة بالاعمال •

وقال لشخص وقد افرط في الثناء عليه : اقبل على شأنك فان كثرة الملق يهجم على الظنة ، واذا حللت من اخيك في محل الثقة فاعدل عن الملق الى حسن النية ، وقال : المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان ، والحسد ماحي الحسنات جالب للمقت والعجب صارف عن طلب العلم ، والجهل والبخل آدم الاخلاق ، والطمع سجية سيئة ، والهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال •

وقال : الغضب على من تملك لؤم ، والحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة ، ومضى يقول : خير من الخير فاعله ، وشر من الشر جانبه ، وأهول من الهول راكبه ، واياكم والحسد فانه يبين فيكم ولا يعمل في عدوكم ، واذا كنتم في زمان العدل فيه اغلب من الجور فحرام ان يظن احد بأحد سوءا حتى يعلم ذلك منه ، واذا كنتم في زمان الجور فيه اغلب من العدل فليس لاحد ان يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه .

وقال للمتوكل في حوار جرى بينهما : لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه عيشه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك اليه فانما قلب غيرك لك كقلبك له .

وقال (ع) : ابقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها ، وقال لمن ذم اليه ولدا له : العقوق ثكل من لم يثكل ، والعتاب خير من الحقد .

وجاء في المجلد الثاني من المروج عن محمد بن الفرج عن ابي دعامة انه قال : اتيت علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) عائدا في علته التي كانت وفاته منها ، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا ابا دعامة قد وجب حقك علي افلا احدثك بحديث تسر به ، فقلت له : ما احوجني الى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدثني ابي محمد بن علي عن ابيه علي عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي عن علي (ع) ان النبي (ص) قال له : اكتب يا علي قلت وما اكتب ، قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة .

فقلت : يا ابن الرسول ما ادري والله ايهما احسن الحديث ام الاسناد ، فقال انها لصحيفة بخط علي بن ابي طالب وإملاء رسول الله (ص) تتوارثها صاغرا عن كابر .

وفاة الامام الهادي

لقد ذكرنا سابقا ان الامام علي بن محمد اقام في المدينة مع ابيه وبعد وفاته اكثر من عشرين سنة وفي السنة الثانية من استيلاء جعفر بن محمد بن هارون المعروف بالمتوكل وهي سنة ٢٣٣ سعى به زبانية المتوكل بأنه يجمع الرجال والسلاح فأرسل اليه يستدعيه الى سامراء ولم يجد بدا من تلبية طلبه وبقي في سامراء طيلة حكم المتوكل والمنتصر الذي حكم نحوا من ستة اشهر ، وأحمد بن محمد بن المعتصم الملقب بالمستعين بالله ، والذي حكم نحوا من ثلاث سنين وتسعة اشهر ، والزبير بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتز ، وفي سنة ٢٥٤ اي بعد مضي سنتين على ملك المعتز كانت وفاة الامام ابي الحسن لاربع بقين من جمادى الآخرة وله من العمر اثنان وأربعون عاما منها في المدينة واحد وعشرون عاما ، وأربعة عشر عاما مع المتوكل وسبعة اعوام مع المنتصر والمستعين والمعتز في سامراء .

ويبدو من تاريخ حياته أن السنين السبعة التي قضاها في عهد المنتصر والمستعين بالله والمعتز لم يشهد فيها ما شهده في عهد المتوكل من التحديات والوشايات بين الحين والآخر ، وقد اكتفى الحكام

الثلاثة بفرض الاقامة الجبرية عليه في سامراء ، ولولا ذلك لا يمكن ان يختار على مدينة جده بلدا غيرها .

ولعل مرد ذلك الى ان سلطة الحكام في تلك الفترة من تاريخ خلافة بني العباس قد تلاشت تقريبا ولم يعد يملك الخليفة منها غير الاسم ، وأصبح الحكم للقواد من الاتراك وغيرهم ، فكانوا يأمرون وينهون ويعزلون الخليفة او يقتلونه اذا غضبوا عليه ويولون غيره كما حدث للمستعين بالله بعد ثلاث سنين وتسعة اشهر من ولايته حيث اضطروه لاعتزال الخلافة وبايعوا المعتز سنة احدى وخمسين ومائتين بعد ان كان معتقلا مع اخيه المؤيد الى كثير من الاحداث التي تؤكد ضعف الخلفاء في تلك الفترة من التاريخ وقد وصف بعض شعراء عصرهم الحالة التي انتهت اليها الخلافة بقوله :

خليفة في قفص ... بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له ... كما يقول الببغا

وقال شاعر آخر قيل انه البحتري كما جاء في مروج الذهب :

لله در عصابة تركية ... ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة احمد بن محمد ... وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسما ... وإمامنا فيه شبيه الضيف

وقال المسعودي في تاريخه ان وفاة الامام الهادي كانت في عهد المعتز بالله وذلك يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ ، وسمع الناس جارية تقول : ماذا لقينا من يوم الاثنين قديما وحديثا .

وجاء في اعيان الشيعة عن المسعودي في اثبات الوصية انه قال : لما توفي اجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين واجتمع خلق كثير من الشيعة ، ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم اسود ، وخرج بعده ابو محمد الحسن العسكري حاسرا مكشوف

الرأس مشقوق الثياب وكأن وجهه وجه ابيه لا يخطىء منه شيئا ، وكان في الدار اولاد المتوكل وغيرهم فلم يبق احد الا قام على رجليه ووثب اليه ابو احمد الموفق فقصده ابو محمد الحسن العسكري (ع) وعانقه، ثم قال له مرحبا بابن العم وجلس بين بابي الرواق والناس كلهم بين يديه ، وكانت الدار كالسوق بالاحاديث فلما خرج وجلس امسك الناس، ثم خرج خادم فوقف بحذاء ابي محمد ، وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى خرج بها الى الشارع ، وصلى عليه قبل ان يخرج الى الناس ثم صلى عليه لما اخرج المعتمد ودفن في دار من دوره وصاحت سامراء يوم موته صيحة واحدة .

وجاء في الاعيان عن ابن بابويه انه مات مسموما وسمه المعتمد العباسي .

واذا صح انه مات مسموما فلا بد وأن يكون الذي سمه المعتز بالله لانه مات في عهده سنة ٢٥٤ كما ذكرنا والمعتمد العباسي بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ في النصف من رجب بعد قتل المهتدي محمد بن هارون الواثق كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره .

وترك من الاولاد ابا محمد الحسن العسكري والحسين ومحمدا وجعفرا وابنته عائشة كما جاء في الارشاد للمفيد وغيره .

الإمام الهادي عشر الحسن العسكري(ع)

ولد الامام الحسن العسكري (ع) بالمدينة سنة ٢٣٢ ، وانتقل مع ابيه الى سامراء سنة ٢٣٤ بعد ان استدعاه المتوكل اليها ، وللامام ابي محمد الحسن من العمر سنتان في اشهر الروايات ، وبقي مع ابيه الهادي (ع) طيلة حياته في سامراء الى ان اختاره الله سنة ٢٥٢ في عهد المعتز العباسي ، فاستقل بالامامة وله من العمر اثنان وعشرون عاما ، وعاش بعد ابيه نحوا من ست سنوات منها سنة او اقل من ذلك في عهد المعتز حيث ثار عليه الاتراك فخلعوه ثم قتلوه ، ومنها سنة او احد عشر شهرا في عهد المهتدي الذي ثار عليه الاتراك وقتلوه ايضا ، وأربع سنوات وأشهر في عهد المعتمد العباسي الذي بويع بالخلافة بعد قتل المهتدي ، واستمرت خلافته الى سنة تسع وسبعين ومائتين حيث خرج من سامراء وقتل مسموما وعادت بقتله الخلافة الى بغداد ، وفي سنة ستين ومائتين كانت وفاة الامام ابي محمد الحسن العسكري .

وأمه يقال لها سوسن وقيل حديثة ، وكان يكنى بأبي محمد في اكثر المرويات عنه كما سنتعرض لبعضها ، ويلقب بالعسكري كما كان ابوه يلقب بذلك لانه حينما دخل سامراء سكن في محلة تعرف بالعسكر،

ومن القابه : الهادي والزكي والتقي والخالص ، وجاء في مناقب ابن شهراشوب ان الحسن العسكري وأباه وجده كان يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا .

وقد وصفه احمد بن عبيد الله بن خاقان مع انه كان يحقد على العلويين ويحاول الوقيعة به وصفه كما جاء في رواية الكليني والصدوق بقوله : ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلوية مثل الحسن بن علي ابن محمد بن الرضا ولا سمعت بمثله في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند اهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم وتقديمهم اياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء والكتّاب وعوام الناس ، وما سألت عنه احدا من بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس الا وجدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على اهل بيته ومشائخه وغيرهم ولم ار له وليا ولا عدوا الا ويحسن القول فيه والثناء عليه ، ومضى يقول : ان اباه عبيد الله بن خاقان قال : لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها احد من بني هاشم غيره ، لفضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل اخلاقه وصلاحه .

النص عليه بالامامة

لقد جاء في الكافي للكليني بسنده الى يحيى بن يسار العنبري انه قال : لقد اوصى ابو الحسن الى ابنه الحسن قبل نعيه بأربعة اشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي .

وروى بسنده الى علي بن عمر النوفلي انه قال : كنت مع ابي الحسن (ع) في صحن داره فمر بنا محمد ابنه فقلت له : جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك فقال : لا ، صاحبكم بعدي الحسن ، وكان فريق من الشيعة يظنون انه سيكون الامام بعد ابيه .

وجاء في فرق الشيعة للنوبختي انه لما توفي علي بن محمد بن علي الرضا قالت فرقة من اصحابه بامامة ابنه محمد ، وقد كان توفي في حياة ابيه بسر من رأى وزعموا بأنه حي لم يمت ، وأضاف الى ذلك انهم اعتلوا بأن اباه اشار اليه وأعلمهم انه الامام من بعده والامام لا يجوز عليه الكذب ولا البداء فيه وقد خاف عليه ابوه فغيبه عن الناس .

كما روى الكافي بسنده الى عبد الله بن محمد الاصفهاني انه قال: قال ابو الحسن (ع) : صاحبكم بعدي الذي يصلي علي ، ولم نكن

نعرف ابا محمد قبل ذلك ، فلما توفي ابو الحسن خرج ابو محمد وصلى عليـه .

وروى بسنده الى علي بن مهزيار انه قال : قلت لابي الحسن (ع) : ان كان كون وأعوذ بالله من ذلك فالى من الامر بعدك ؟ فقال : عهدي الى الاكبر من ولدي وكان الحسن ابو محمد اكبر ولده كما تؤكد ذلك جميع المرويات التي تحدثت عن تاريخ ولادته .

وروى ايضا بسنده الى ابي بكر الفهفكي انه قال : كتب الي ابـو الحسن (ع) ان ابا محمد ابني انصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الاكبر من ولدي والخلف واليه تنتهي عرى الامامة وأحكامها فما كنت سائلي فسله عنه فعنده ما يحتاج اليه ، الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي رواها الكليني وغيره من المحدثين في النص عليه من ابيه بالامامة من بعده بالاضافة الى النصوص التي رواها الرواة عن النبي والائمة من بعده على امامة الاثني عشر بأسمائهم وأوصافهم .

الامام مع حكام عصره

لقد ذكرنا انه عاش سني امامته مع ثلاثة من خلفاء بني العباس : المعتز بالله والمهتدي والمعتمد ، وكانت المدة التي قضاها مع المعتز تتراوح بين السنة والاحد عشر شهرا وبنهايتها ثار عليه الاتراك وقتلوه، وتولاها من بعده المهتدي سنة ٢٥٥ تقريبا فأراد ان يتنسك ويسلك في الرعية طريق الخلفاء الاوائل وعمر بن عبد العزيز ويضع حدا للفوضى والبذخ وبنى قبة للمظالم جلس فيها للعام والخاص كما جاء في مروج المسعودي فشق ذلك على الناس عامة وعلى الاتراك خاصة الذين كانوا يتصرفون كما تهوى انفسهم ، وجرى بينه وبين قادته الاتراك حوار جاء فيه : تريد ان تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها ، فقال : اريد ان احملهم على سيرة الرسول وأهل بيته والخلفاء الراشدين ، فقالوا له : ان الرسول (ص) كان مع قوم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، وأنت رجالك ما بين تركي وخزرجي وفرغاني ومغربي وغير ذلك من انواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من امر آخرتهم ، وانما غرضهم ما استعجلوه في هذه الدنيا ، وبقي مصرا على مناهضة الاتراك والموالي بدون جدوى واصطدم في قتال معهم ادى الى انهزام

جيشه ودخوله الى سامراء وحده يصيح في شوارعها مستغيثا بأهلهـا ، فلم يجبه احد الى ذلك .

وفيما كان المهتدي في صراع مرير مع الاتراك والموالي تنبأ الامام له بالمصير الذي انتهى اليه ، فقد جاء في تاريخ الغيبة الصغرى تأليف محمد الصدر عن اعلام الورى للطبرسي انه خطر في ذهن بعض اصحاب الامام ان انشغال المهتدي بذلك يصرفه عن ملاحقة الامام وتهديده له ، فكتب اليه : الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني انه كان يتهددك ، فوقع الامام بخطه : ذاك اقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة ايـام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف به .

ويظهر من مناقب ابن شهراشوب ان المهتدي مع دعوته الى تحقيق العدالة في الرعية والسير بهم على النهج الذي اختاره لنفسه عمـر بن عبد العزيز كان يسيء الى الامام وقد وضعه في السجـن وأوصى بالتضييق عليه ، وقد صرح الامام في سجنه لاحد اصحابه المسجونين معه قائلا : في هذه الليلة يبتر الله عمره ، قال الراوي : فلما اصبحنـا اشتد الاتراك عليه وقتلوه وتولى المعتمد مكانه .

وجاء في رواية الكليني عن علي بن محمد بسنده الى علي بن عبد الغفار انه قال : دخل العباسيون على صالح بن وصيف ، ومعهم صالح ابن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية عندما حبس ابو محمـد الحسن بن علي العسكري وطلبوا منه التضييق عليه ، فقال لهم صالح: ما اصنع به وقد وكلت به رجلين أشر من قدرت عليه ، فقد صارا من العبادة والصلاة الى امر عظيم ، ثم امر باحضار الموكلين به ، فقـال لهما : ويحكما ما شأنكما في امر هذا الرجل ، فقالا له : ما تقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة ، واذا نظر الينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من انفسنا ، فلما سمع ذلك العباسيون انصرفوا خاسئين .

وليس في هذه الرواية ما يشير الى ان ذلك كان في عهد المهتدي او بعد عهده في ظل غيره ، وان كانت الرواية السابقة تكاد تكون صريحة في انه كان محبوسا في عهده .

وجاء في القنية للاربلي عن محمد بن اسماعيل العلوي انه قال : لقد حبس ابو محمد الحسن بن علي العسكري (ع) عند علي بن اوتامش وكان شديد العداوة لآل محمد (ص) غليظا على آل ابي طالب ، فقيل له : شدد عليه وافعل به وافعل ما يسيء اليه ، فما اقام الا اياما حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره اليه اجلالا واعظاما وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة وأجودهم قولا فيه . ويبدو من بعض المرويات انه حبس اكثر من مرة خلال السنوات الست التي قضاها بعد ابيه من قبل الخلفاء الثلاثة الذين عاصرهم بعد ابيه (ع) .

وكان المعتز العباسي يحقد على الامام ويحاول الفتك به كما تشير الى ذلك رواية المناقب لابن شهراشوب ، وقد جاء فيها انه امر سعيد الحاجب بقتل ابي محمد الحسن العسكري بعيدا عن اعين الناس وقال له : اخرج ابا محمد الى الكوفة ثم اضرب عنقه من حيث لا يراك احد، ومضى الراوي يقول : فجاء توقيع الامام الينا : ان الذي سمعتموه تكفونه ان شاء الله ، فخلع المعتز بعد ثلاثة ايام وقتل .

ويبدو ان انباء هذه المؤامرة على حياة الامام (ع) قد تسربت الى اوساط الشيعة فأراد الامام ان يطمئنهم بما تنبأ به للمعتز من المصير الذي ينتظره قبل تنفيذ ما كان يخططه له ، وليس بغريب على الامام بل وحتى على غيره ممن عاصروا الحكم العباسي في تلك الفترة من تاريخهم اذا اصابوا فيما كانوا يتنبأون به من المصير السيء لاولئك الحكام الذين كانوا لا يملكون من امرهم شيئا وقد وصفهم لهجد الشعراء بأبيات جاء فيها :

وطفوا فاصبح ملكنا متقسما وامامنا فيه شبيه الضيف

وفي خلافة المهتدي خرج صاحب الزنج بمن معه من العبيد والفقراء والمستضعفين واستطاع ان يسيطر على البصرة ووجهائها مدعيا بأنه من سلالة النبي (ص) وينتهي في نسبه الى الامام علي بن ابـي طالب (ع) وهو ما يدعي بعض المؤرخين علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد ابن علي بن الحسين (ع) .

وجاء في المجلد الثاني من مروج الذهب للمسعودي انه من بعض قرى الري وان اكثر انصاره كانوا من الموالي والزنوج فضايق العباسيين وكاد ان يستولي على عاصمتهم بغداد بعد معارك ضارية بينه وبينهـم وأثار انتسابه الى العلويين موجة من الاستغراب والتساؤل كما يدعي المؤرخون بعد الاعمال المنكرة والفظائع التي مارسها انصاره كما كان لانتسابه الى العلويين اثر واسع في انتشار دعوته وكثرة مؤيديه ممـا دعا الامام ابا محمد العسكري بناء لطلب الحكام وحاشيتهم منه بصفته اكبر مسؤول علوي يوم ذاك الى نفي انتسابه اليهم وتكذيبه فيما ادعاه فقال : (ان صاحب الزنج ليس من اهل البيت) وكان مع ذلك ينكـر انتسابه الى العلويين عندما يجري الحديث عن ثورته وما رافقها مـن قتل الشيوخ والاطفال وسبي النساء واحراق المدن والمنازل وغير ذلك من الفظائع التي كان يتحدث بها الناس في تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية كما يدعي المؤرخون ، وكان الى جانب ذلك يرى رأي الخوارج كما رجح ذلك المسعودي في مروجه .

ومن تتبع احداث تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية التي كان الاتراك والغلمان فيها يسيطرون على جميع مرافق الدولة ومقـدرات البلاد وخيراتها ، وما رافق ذلك من ظلم وبلاء شملا جميع انحاء الدولة وفئات الامة ، والخليفة لا يملك من الامر شيئا ، لا يستبعد ان تكون حركة صاحب الزنج وأتباعه كغيرها من الانتفاضات التي كانت تحدث

بين الحين والآخر بقيادة العلويين وغيرهم للتخلص مما كان يحيط بكل فئات الشعوب الاسلامية وان ما نسب اليهم من الفظائع كان من صنع الحكام وأجهزتهم .

اما ما يرويه الرواة من ان الامام قال : صاحب الزنج ليس منا فعلى تقدير صحة ذلك منه فكلمته هذه ليست صريحة في كونه دعيا كاذبا في انتسابه اليهم لجوازه ان يكون قد اراد انه ليس منافي اعماله وتصرفاته، كما يجوز ان يكون مكرها على كلمته هذه من الحاكمين ، وتبرير بعض المرويات على انه لم يكن كاذبا كما جاء في الاكمال للصدوق .

ومهما كان الحال فلقد كانت سيرة المعتمد مع الامام العسكري لا تختلف عن سيرة من سبقه من حكام العباسيين ، فقد [illegible] الرقابة الشديدة حتى لم يعد بامكان احد ان يتصل به الا في ظل ظروف خاصة كان الامام قد اتفق عليها مع خاصته وكل ما كان يأتيه من الخارج ويصدر عنه كان بطريق المراسلة .

وجاء في بعض المرويات ان المعتمد في مطلع خلافته قصد الامام العسكري الى داره وطلب منه ان يدعو له بطول العمر والبقاء في الخلافة عشرين عاما ولم يتردد الامام (ع) في اجابة طلبه لمصلحة تفرض عليه ذلك فأجابه بقوله : مد الله في عمرك .

ويبدو من هذه الرواية ان المعتمد كان متشائما ويعيش في جو من القلق والخوف بعد ما جرى لاسلافه الذين كانت حياتهم وخلافتهم تحت رحمة الاتراك والموالي ، وقد سبقه ثلاثة من الخلفاء المنتصر والمعتز والمهتدي حكم اولهم نحوا من ستة اشهر وحكم الثاني والثالث كل واحد منهما مدة تتراوح بين الستة والاحد عشر شهرا ، والمدة التي حددها للامام لم يكن يحكم بها في تلك الاجواء المعقدة التي لم تترك له املا في الحياة يوما او بعض يوم فضلا عن عام او اعوام الا بدعوة مستجابة ولم يكن يطمئن لغير دعوته ولا لاستجابتها اذا صدرت من

غيره لانه بالرغم من سوء صنيعه معه وحقده الموروث على بيته كان كغيره يؤمن بصحة موقف الامام وعدالته وصلته الاكيدة بالله الذي وعد من استجاب له ان يستجيب لدعائه .

واذا سألك عني عبادي فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فاستجيبوا لي . كما كان اسلافه يؤمنون ايمانا راسخا بما للائمة من اهل البيت من مكانة عند الله وبأحقيتهم في رعاية الامة وادارة شؤونها ، ولم يقفوا منهم ذلك الموقف الجائر الا لانهم كانوا يحسبون ان وجودهم يشكل خطرا على عروشهم .

[redacted] انه حينما تولى الخلافة كان خائفا ومتشائما ولم يجد من يلوذ به ليكشف عنه شر الاتراك والغلمان غير الله بواسطته لانه يؤمن بأن الامام من اقرب الوسائل الى الله فمضى اليه متوسلا بدعائه ان يمد الله في عمره وبقي في الخلافة نحوا من ثلاثة وعشرين عاما ، مع انه كان كذلك وافتتح عهده بدعوة مستجابة من الامام وقف منه نفس الموقف الذي وقفه اسلافه مع آبائه وأجداده وتشير بعض الروايات الى انه قد سجنه اكثر من مرة وكان يضيق عليه في سجونه كما يشير بعضها الا ان الذين كانوا يعظمونه ويجلونه من أعوان المعتمد كانوا يتحاشون غضبه وغضب اجهزته وولي عهده الموفق بن جعفر المتوكل ، فقد روى الرواة عن احمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان المعتمد قد استوزره في مطلع خلافته سنة ٢٥٦ ، فقد جاء عنه انه قال : كنت جالسا على رأس ابي في يوم مجلسه للناس اذ دخل حجابه وقالوا : ان ابا محمد بن الرضا بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتعجبت منه ومن جسارتهم ان يكنوا رجلا بحضرة ابي ، ولم يكن يكنى عنده الا خليفة او ولي عهد او من امر السلطان ان يكنى ، فدخل رجل اسمر أعين حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حديث

السن له هيبة وجلال ، فلما نظر اليه ابي قام فمشى اليه مستقبلا ولا اعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد وأولياء العهد ، ولما دنا منه عانقه وقبل وجههوصدره ومنكبيه وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس الى جنبه مقبلا عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأبويه، وفيما انا متعجب مما ارى منه اذ دخل الحاجب وقال : لقد جاء الموفق وهو شقيق المعتمد ، وكان الموفق اذا دخل على ابي تقدمه حجابه وخاصة قواده فقاموا بين مجلس ابي وبين الباب سماطين الى ان يدخل ويخرج ، فلما نظر ابي الى غلمان الموفق قال لابي محمد: اذا شئت جعلني الله فداك ، وقال لحجابه : خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا مشيرا الى طلحة المعروف بالموفق خوفا منه على نفسه وعليه ، ثم قام اليه مودعا فعانقه ومضى • وأما احمد بن عبيد الله فقد بقي قلقا متفكرا في امر ابيه وأمر الرجل الذي لقي تلك الحفاوة منه حتى استغل دخول الليل وانفراد ابيه مع نفسه لاداء الصلاة ، فلما صلى وجلس سأله عن الرجل الذي اختصه من بين سائر الناس بالتبجيل والتعظيم وفداه بنفسه وأبويه ، فقال له : ذاك يا بني امام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا ، ومضى الراوي يقول : وسكت ابي ساعة وكأنه يفكر في امر قد اهمه ، ثم قال : لو زالت الامامة عن خلفاء بني العباس يا بني ما استحقها احد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وعبادته وزهده وجميل اخلاقه ، ولو رأيت اباه لرأيت رجلا جزلا نبيلا فاضلا ، وللحديث تتمة سنأتي عليها عند الحديث عن وفاة الامام (ع) •

ويبدو مما اضافه الرواة الى احمد بن عبيد الله ان هذا المشهد وما سمعه من العامة والخاصة من ثناء وتقدير وتقديس للامام قد احدث تحولا في موقفه منه وأصبح يقدره ويجله بعد ان كان لا يضمر الخير لاحد من العلويين وأنصارهم وشيعتهم •

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح وليس ما يمنع من صحتها، فمما لا شك فيه ان كثرة الشيعة في ذلك العصر وانتشارهم في كل بلد وحتى في عاصمة اولئك الحكام واجتماعهم على الامام ابي محمد (ع) وتدفق الاموال عليه من مختلف المناطق بواسطة وكلائه المنتشرين هنا وهناك ، كل ذلك بالاضافة الى الوفود التي كانت تزدحم على بابه بين الحين والآخر ، والى انتفاضات العلويين ضد الحكم القائم يوم ذاك في اكثر من مكان كالحسن بن زيد العلوي الذي سيطر على طبرستان وجهاتها وغيره ، قد اقض مضاجع الحكام وجسد لهم الاخطار التي تكمن في بقاء الامام العسكري حرا طليقا هو وشيعته ، لاسيما وانهم يعرفون رأيه في الحكم والحاكمين ، ويعلمون بأنه حيث يندد بالظلم والظالمين بلا هوادة كان يعنيهم قبل غيرهم .

وحينما كان يوصي بالعدل والاحسان والايثار ، ويحذر من الجور والطغيان يريد ان يلفت الانظار الى استهتارهم بالقيم والاخلاق وحقوق العباد واسرافهم في المعاصي والمنكرات ، كل ذلك قد اقض مضاجعهم ففرضوا عليه الاقامة الجبرية الى جوارهم كما فرضوها على ابيه من قبله وسلطوا عليه اجهزتهم وسجنوه خلال السنوات القليلة من امامته اكثر من مرة وشددوا الحصار على شيعته المنتشرين في انحاء البلاد حتى قتلوا منهم في مدينة قم معقل الشيعة والعلماء والمحدثين مقتلة عظيمة كما جاء في المجلد الخامس من الكامل لابن الاثير وظل الضغط يتوالى عليه ويشتد حتى تاريخ وفاته وهو في ريعان شبابه قبل ان يبلغ الثلاثين من عمره مسموما كما قيل وليس ذلك على الظالمين ببعيد .

التشيع في عهد الامام العسكري

لقد رافق التشيع بما له من المعنى الصحيح ظهور الاسلام ومضى في طريقه ببطء تارة وبقوة اخرى حتى دخل في عهد الامامين الباقـــر والصادق ببركة الدماء الزكية التي اريقت في سبيل الله وجهودهمـــا وآثارهما التي كانت ولا تزال من افضل ما انتجه الفكر الاسلامـــي وأوفرها عطاء كل مدينة وكل قرية بالرغم من تلك الاحداث القاسية التي كانت تلاحقه في كل بلد بل وفي كل بيت مـــن الامويين والعباسيين على السواء ، بل كانت محنته من العباسيين اقسى وأمر كما يدل على ذلك تاريخهم الطويل مع الشيعة وأئمتهم الاطهار .

ولم يحدث التاريخ عن دعوة لقيت ما لقيه التشيع مـــن التحدي والمطاردة والظلم بأقبح صوره وأشكاله واستطاعت ان تصمد في وجه اعدائها كما صمد التشيع وقفز فوق الاحداث والحكام لينتشر في ارجاء الدنيا الواسعة متحديا جميع الطغاة والجبابرة ، وكأن اولئك الذيـــن كانوا يعملون بكل ما لديهم من قوى الشر والبغي لمحقه او تحجيمـــه وهو اقل ما كانوا يأملون كأنهم كانوا يدفعون به الى الامام بكل مـــا يملكون من حول وطول .

وظل يتسع خلال القرنين الثاني والثالث برعاية الائمة الاطهـــار وتعاليمهم وجهادهم المتواصل بالرغم من الحصار المفروض عليهم مـــن السلطات الحاكمة وأجهزتها التي كانت تلاحقهم في كل مكان كمـــا اشرنا الى ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب .

وفي عهد الامامين الهادي والعسكري كان عدد الشيعة في بعض المناطق من ايران والكوفة وبغداد والمدائن ومصر واليمن والحجـــاز وحتى في سامراء عاصمة العباسيين يقدر بعشرات الملايين ولم يكن لهم مرجع سوى الامام ابي محمد العسكري بعد ابيه فيما اشكل عليهم من امور دينهم ودنياهم كما كانت اخماس اموالهم تجبى اليه بواسطة وكلائه المنتشرين هنا وهناك .

وجاء في الغيبة للطوسي [redacted] كان من وكلاء الامام ابي محمد العسكري (ع) ويلقب بالسمان لانه كان يتجر بالسمن تغطية لامره فاذا اراد الشيعة ان يحملوا لابي محمد ما يجب عليهم من الاموال انفذوا الى ابي عمر وعثمان بن سعيد ودفعوه اليه فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله الى ابي محمد تقية وخوفا من الحكـــام وأجهزتهم .

وروى الشيخ الطوسي في غيبته ايضا بسنده الى الحسين بن احمد الخصيبي انه قال : حدثني محمد بن اسماعيل وعلي بن عبد اللـــه الحسنيان قالا : دخلنا على ابي محمد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من اوليائه وشيعته فدخل عليه بدر خادمه وقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غبر ، فقال له : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن فامض وائتنا بعثمان بن سعيد العمري ، قالا : فما لبثنا الا يسيرا حتى دخـل عثمان فقال له ابو محمد (ع) : امض يا عثمان فانك الوكيل والثقـــة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه مـــن

المال ، وجاء في تتمة الحديث : ثم قلنا بأجمعنا يا سيدنـــا والله ان عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك وانه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى ، فقال : نعم واشهدوا علي ان عثمان بـــن سعيد وكيلي وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم .

وجاء في كشف الغمة للاربلي ان رجلا من العلويين خرج مـــن سر من رأى ايام ابي محمد (ع) الى الجبل يطلب الفضل فتلقاه رجـل بحلوان فقال من اين اقبلت ، قال : من سامراء ، قال : هل تعـــرف درب كذا وموضع كذا ؟ قال : نعم ، قال : فهل عندك من اخبـــار الحسن بن علي شيء ، قال : لا ، فقال : فما اقدمك الجبل ؟ قال : طلب الفضل ، فقال له : فلك عندي خمسون دينارا فاقبضها وانصرف معي الى سر من رأى حتى توصلني الى الحسن بن علي ، فأعطاه خمسين دينارا وعاد العلوي معه واستأذنا على ابي محمد فأذن لهما وهو فـي صحن الدار فلما نظر الى الجبلي قال له : انت فلان بن فلان اوصـى اليك ابوك بوصية وجئت تؤديها ومعك اربعة آلاف دينار ، قال : نعم، ودفعها اليه ، ثم نظر الامام الى العلوي وقال : لقد خرجت الى الجبل تطلب الفضل فأعطاك هذا الرجل خمسين دينارا ورجعت معه ونحـــن نعطيك خمسين دينارا .

وورد عليه مع جماعة مائة وستون صرة من الذهب والفضة ومـع جماعة آخرين مبلغ كبير من المال حملوه معهم من جرجان كما جاء فـي كشف الغمة ، وحمل اليه محمد بن ابراهيم بن مهزيار اموالا كثـيرة كانت للامام عند ابيه فلما حضرته الوفاة دفعها لولده محمد وحملها اليه فلما انتهى الى بغداد جاءه العمري وكان من اوثق اصحاب ابي محمد فدفعها اليه كما نص على ذلك الكشي في رجاله .

وحمل اليه شخص آخر ثمانية عشر قيراطا من الذهب الى غير ذلك

من الاموال الكثيرة التي كانت تجبى اليه من مختلف المناطق كما تؤكد ذلك المرويات الشيعية وكتب الرجال بالرغم من السرية التامة التي كانت تكتنف هذه الناحية من حياة الامام ابي محمد العسكري خوفا من الحكام وأجهزتهم التي كانت تراقبه في جميع الحالات مما يساعد على تكوين فكرة واضحة عن انتشار التشيع في انحاء الدولة وعجزها عن مقاومته .

وخلال تلك الفترة التي فرضوا فيها الحصار على الائمة ووضعوهم قيد الاقامة الجبرية في سامراء كان الشيعه وعلماؤهم يعتمدون في فقههم على المرويات والمدونات التي كانت بين ايدي المحدثين والعلماء الذين تخرجوا من مدرسة الامامين الباقر والصادق وما اتصل اليهم من اصحاب الامامين الكاظم وولده الرضا (ع) .

وكانت حلقات التدريس والمذاكرة تعقد في الكوفة وبغداد والحجاز واشتهرت مدينة قم في تلك الفترة من تاريخها في ذلك ، وقد ادرك الحسن بن علي الوشا وكان معاصرا للامام الرضا (ع) تسعمائة شيخ من بقايا تلامذة الامامين كانوا في مسجد الكوفة يحدثون عن جعفر بن محمد (ع) كما كان محمد بن عمير يملك مائة كتاب من مرويات تلامذة الامام الصادق ، وكان محمد بن مسعود العياشي الذي عاصر الامامين الهادي والعسكري قد انفق ثروة ابيه بكاملها على نشر آثار اهل البيت، وكانت داره كالمسجد تجمع العشرات ما بين ناسخ ومقابل وقارىء ومعلق ، وكانت تلك الكتب على ما يبدو تعرض على الائمة عندما يتاح لاصحابهم الاتصال بهم .

وقد سئل الامام ابو محمد العسكري عن كتب الفطحية والواقفة وغيرهم من المنحرفين عن الائمة المتأخرين فقال كما روى الرواة عنه : خذوا ما رووا وذروا ما رأوا .

وقد جمعت مدينة قم مئات الرواة والعلماء في عصره ممن تفرغوا لدراسة الحديث وتصفيته من موضوعات الخطابية والغلاة وغيرهما من المنحرفين عن الائمة والمتهمين بالكذب عليهم ، وكانوا يرجعون الى الامامين الهادي والعسكري فيما اشكل عليهم امره من الاحكام ولم يجدوا عليه نصا فيما لديهم من مؤلفات اصحاب الائمة السابقين ومروياتهم ، فيكتبون اليه لتعذر الاتصال به مباشرة وهو يكتب الجواب بيده ويرده اليهم .

ومن امثلة ذلك ما رواه في الكافي عن محمد بن يحيى انه قال : كتب محمد بن الحسن الى ابي محمد (ع) : هل تقبل شهادة الوصي للميت بدين له على رجل مع شاهد آخر عدل ؟ فوقع (ع) : اذا شهد معه آخر عدل فعلى المدعي يمين[1]، ومضى الراوي يقول: وكتب أيجوز للوصي ان يشهد لوارث الميت صغيرا او كبيرا بحق له على الميت او على غيره وهو القابض للوارث الصغير وليس للكبير بقابض ؟ فوقع (ع) : نعم ينبغي للوصي ان يشهد بالحق ولا يكتم الشهادة ، وأضاف الى ذلك الراوي انه كتب اليه: اوتقبل شهادة الوصي على الميت مع شاهد آخر عدل ؟ فوقع : نعم من بعد يمين [1] .

ومن ذلك ما رواه محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن انه كتب الى ابي محمد (ع) في رجل باع ضيعته من رجل آخر وهي قطاع ارضين ولم يعرف الحدود في وقت ما اشهدوه وقال : اذا ما اتوك بالحدود فاشهد بها هل يجوز له ذلك او لا يجوز له ان يشهد ، فوقع في الجواب : نعم يجوز له ذلك والحمد لله .

---

١ ــ لعل اليمين في هذه الحالة للاستظهار . ويحتمل سقوط شيء من العبارة ويكون الجواب وان لم يشهد معه عدل آخر فعلى المدعي يمين ويكون القضاء بشاهد ويمين المدعي .

ومضى الراوي يقول : وكتب له رجل كان له قطاع ارضين فحضره الخروج الى مكة والقرية على مراحل من منزله ولم يؤت بحدود ارضه وعرف حدود القرية الاربعة ، فقال للشهود اشهدوا اني قد بعت من فلان جميع القرية التي حد منها كذا والثاني والثالث والرابع كذا ، وانما له في هذه القرية قطاع ارضين فهل يصلح للمشتري ذلك وانما له بعض هذه القرية وقد اقر له بكاملها ، فكتب في الجواب : لا يجوز بيع ما ليس يملك وقد وجب الشراء على المالك على ما يملك ، وأضاف الى ذلك الراوي انه كتب له : هل يجوز للشاهد الذي اشهده بجميع هذه القرية ان يشهد بحدود قطاع الارض التي له فيها اذا تعرف حدود هذه القطاع بقوم من اهل هذه القرية اذا كانوا عدولا ؟ فوقع (ع) : نعم يشهدون على شيء مفهوم معروف [1] .

ومضى الراوي يقول : وكتب اليه رجل ، قال الرجل : اشهد ان جميع الدار التي له في موضع كذا وكذا بحدودها كلها لفلان بن فلان وجميع ما له في الدار من المتاع ، هل يصلح للمشتري ما في الدار من المتاع اي شيء هو ؟ فوقع (ع) : يصلح له ما احاط الشراء بجميع ذلك ان شاء الله .

ومن ذلك ايضا ما رواه في الكافي بسنده الى سهل بن زياد انه قال : كتبت الى ابي محمد (ع) : رجل كان له ابنان فمات احدهما وله ولد ذكور واناث فأوصى لهم جدهم بسهم ابيهم فهذا السهم الذكر والانثى فيه سواء ام للذكر مثل حظ الانثيين ؟ فوقع (ع) بخطه: ينفذون

---

١ ــ لعل السائل يريد ان يقول للامام (ع) انه اذا لم يقع الا على ما يملكه البائع وقد فرضنا انه باع جميع القرية فهل يجوز للشاهد اذا علم بحدود ما يملكه البائع في القرية ان يشهد على بيع ذلك البعض بنسبة ما يستحقه من الثمن ام لا وبذلك يصبح السؤال معقولا

وصية جدهم كما امر الله ، ومضى الراوي يقول : وكتب له رجل لـه ولد ذكور واناث فأقر لهم بضيعة انها لولده ولم يذكر انها بينهم علـى سهام الله وفرائضه الذكر والانثى فيه سواء ، فوقع: ينفذون فيها وصية ابيهم على ما سمى فان لم يكن سمى شيئا ردوها الى كتاب الله عـز وجل وسنّة نبيه (ص) ان شاء الله .

وكتب اليه محمد بن الحسن : رجل مات وأوصى الـى رجلين : أيجوز لاحدهما ان ينفرد بنصف التركة والآخر بالنصف ، فوقع (ع) : لا ينبغي لهما ان يخالفا الميت وان يعملا على حسب ما امرهما .

الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة التي يجدها المتتبع في ابواب الفقه وكلها من نوع المكاتبات كما وان جلها ان لم يكن كلها بواسطة محمد ابن الحسن .

ولعله على ما يبدو من الشراح محمد بن الحسن الصفار ، وقد ذكر المؤلفون في احوال الرجال عنه انه كان وجها من وجوه العلماء وحملة الحديث في قم ثقة عظيم القدر راجحا قليل السقط على حد تعبيرهم ، وأضافوا الى ذلك ان له مسائل الى ابي محمـد الحسن بن علي العسكري .

وروى عن ابي محمد العسكري بعض المسائل سهل بن زياد ابـو سعيد الآدمي كان يسأله عنها بالمراسلة وقد ذكرنا بعضها .

ويبدو من المؤلفين في احوال الرجال انه لم يكن في المستـوى المطلوب وقد اتهم بالغلو وأخرجه احمد بن عيسى الاشعري من مدينة قم ونهى عن الاستماع لروايته والرواية عنه، وسكن الري بعدما اخرجوه من عاصمة المحدثين قم ، ودافع عنه بعضهم بما حاصله ان احمد بـن محمد ومن معه من القميين كانوا يتشددون في شروط الراوي والرواية ويتهمون بعض الرواة بالغلو لاقل شبهة او كلمة يستشم منها ذلك ، وقد

اخرج احمد بن محمد بن عيسى احمد بن خالد البرقي من قم كما اخرج غيره ، لهذا السبب ايضا مع انه كان من المرضيين عند اكثر المحدثين والمؤلفين في احوال الرواة ، وأخيرا استدعاه واعتذر ولما مات مشى في جنازته والتأثر باد عليه .

ولعل حرص القميين رضوان الله عليهم على تنزيه الائمة (ع) مما الصقه بهم الغلاة والمنحرفون وانتشار المرويات المكذوبة بين احاديثهم وفي كتب اصحاب الامامين الصادق والباقر (ع)، وعودة افكار الخطابية والبزيغية بواسطة المتسترين بالتشيع في ذلك العصر ، كل ذلك كان يدعوهم الى الاخذ بأقصى مراتب الحيطة والحذر في الراوي والرواية ، وقد قال شيخهم الصدوق : اول مراتب الغلو نفي السهو عن النبي (ص).

ويبدو بعد التتبع ان اجتهادات احمد بن محمد بن عيسى ورفاقه الاعلام في الرجال والرواة كانت المصدر الاول للتجريح والتعديل عند اكثر من تأخر عنهم من المؤلفين في احوال الرواة منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا ولم يخرج احد منهم عن الخطوط العريضة التي سلكها اولئك الاعلام ، كما وان احدا لم يدرس احوال الرواة دراسة موضوعية تطمئن النفس لنتائجها كما يبدو ذلك للمتتبع في تلك المؤلفات .

وكان ممن عاصر الامام العسكري من محدثي الشيعة وفقهائهم الحسين بن سعيد الاهوازي ، وقال ابن النديم عنه وعن اخيه الحسن: انهما كانا اوسع اهل زمانهما في العلم والفقه ، وقد ألف من آثار الائمة في مختلف المواضيع واشترك هو وأخوه في بعض المؤلفات المنسوبة اليه .

وفهم الحسن بن خالد البرقي صاحب التفسير الذي املاه عليه العسكري المعروف بتفسير العسكري كما جاء في بعض المرويات ، وقد نهى جماعة صدوره من الامام (ع) ولعلهم اصابوا في ذلك كما يبدو للمتتبع في التفسير المذكور .

ومنهم احمد بن اسحاق بن عبد الله بن سعد الاشعري ، وكان على حد تعبير بعض المؤلفين في احوال الرواة جليل القدر ومن خاصة ابي محمد العسكري وهو شيخ القميين ورسولهم من مدينة قـــم الـى الامام (ع) وممن رأى صاحب الامر كما جاء في اتقان المقال ، الى غير هؤلاء ممن لا يعنينا احصاؤهم .

من اجوبته وكلماته القصار

لقد جاء عنه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلىأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم، انهسبحانهوسم قلوبهم وسمعهم بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته اذا نظروا اليها وجعل على ابصارهم غشاوة ، وذلك لما اعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما اريد منهم وجهلوا ما لزمهم الايمان به ، فصاروا بذلك كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما امامه ، فان الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير الى ما قد صدهم بالقسر عنه ثم قال : ولهم عذاب عظيم اي لهم العذاب المعد للكافرين في الآخرة .

وجاء عنه ايضا في تفسير قوله تعالى : الذي جعل لكم الارض فراشا انه قال : لقد جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لاجسادكم لم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة في روائحها الطيبة فتصدع هاماتكم ، ولا في روائحها النتنة فتعطبكم ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وبنائكم ، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسك عليها

ابدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها من الليونة ما تنقاد بـــه لحرثكـــم ومنافعكم ، فلذلك جعلها لكم فراشا ، وجعل السماء بناء يعني سقفا من فوقكم محفوظا يدير فيها الشمس والقمر والكواكب لمنافعكم ، وأنزل من السماء المطر ، انزله من جهة العلو ليبلغ قمم الجبال وتلالكـــم وهضابكم وأوهادكم ثم فرقه رذاذا ووابلا وهطلا وطلالا لاصـــلاح ارضكم وأشجاركم وثماركم وأخرج بالمطر الذي ارسله بهذا النحو من كل الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله اندادا وأشباها تعبدونها وهي لا تقدر على شيء من تلك النعم الجليلة التي انعمها عليكم .

وجاء عنه في تفسير قوله تعالى: ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني ، ان الامي منسوب الى امه اي هو كما خرج من بطن امه لا يقرأ ولا يكتب لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا الكتاب الـــذي وضعوه ولا يميزون بينهما الا اماني ، اي الا ان يقرأ عليهم ويقال لهم هذا كتاب الله وكلامه ، وان هم الا يظنون ، اي ما يقرأ عليهـــم رؤسائهم من تكذيب محمد في نبوته ويقلدونهم مع انه محرم عليهم تقليدهم ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، هؤلاء قوم من اليهود كتبوا صفة زعموا انها صفة محمد (ص) وهي خلاف صفته وقالوا للمستضعفين منهم هذه صفة النبي المبعوث فـــي آخر الزمان انه طويل عظيم البدن والبطن اصهب اشعـــر ، ومحمد (ص) بخلاف ذلك ويجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة ، وانما ارادوا بذلك ان تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم وتدوم لهم، وقد قال الله سبحانه : فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون .

وقال له رجل كما يدعي الراوي : فاذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم ولا سبيل لهم الى غيره، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهـــود الا كعوامنا يقلدون علماءهم ، فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنـــا وعوام

اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة ، اما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افترقوا فان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب وأكل الحرام والرشا وتغيير الاحكام عن واقعها بالشفاعات والمصانعات وعرفوا بالتعصب الشديد الذي يفارقون به اديانهم وغير ذلك مما عرفوهم به فلذلك ذمهم لما قلدوا من عرفوه وعلموا انه لا يجوز عليهم قبول خبره وتصديقه فيما جاءهم به ووجب عليهم النظر بأنفسهم في امر رسول الله (ص) اذ كانت دلائله اوضح من ان تخفى وكذلك عوام امتنا اذا علموا من فقهائهم الفسق والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم ، اما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه ، وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منه عنا شيئا ولا كرامة، وانما كثر التخليط فيما يتحمل عنا اهل البيت لذلك لان الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه لجهلهم ويضعون الاشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم .

وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم الى نار جهنم ، ومنهم قوم نصاب لا يقوون على القدح فينا يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا ثم يضيفون اليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الاكاذيب علينا التي نحن براء منها فيتقبله المستسلمون من شيعتنا على انه من علومنا فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه .

وأضاف الى ذلك ان رسول الله (ص) قال : اشرار علماء امتنا المضلون عنا القاطعون الطرق الينا المسمون اضدادنا بأسمائنا الملقبون

اندادنا بألقابنا يصلون عليهم وهم للعن مستحقون ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون ، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم مستغنون، ومضى الامام العسكري كما يزعم الراوي يقول: قيل لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) من خير خلق الله بعد ائمة الهدى ومصابيح الدجى، فقال: العلماء اذا صلحوا ، قيل له: فمن شرار خلق الله بعد ابليس وفرعون والنمرود وبعد المتسمين بأسمائكم والملقبين بألقابكم والمتآمرين على الناس ، فقال (ع) : العلماء اذا فسدوا وهم المظهرون للاباطيل والكاتمون للحقائق وفيهم قال الله : اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

وروى يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار انهما قالا للحسن ابي القائم (ع) : ان قوما عندنا يزعمون ان هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما الى الدنيا وانهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحرمة وان الله يعذبهما ببابل وان السحرة يتعلمون السحر منهما ، وان الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة ، فقال (ع) : معاذ الله من ذلك ان الملائكة معصومون من الكفر والقبائح بالطاف الله ، وقد قال سبحانه فيهم : لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقال : وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته .

وقال في الملائكة : بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ومضى يقول : ان الله لم يبعث الملائكة الى الارض ليكونوا ائمة وحكاما وانما ارسلوا الى انبياء الله ليبلغوهم رسالات ربهم ، فقال له السائل : فعلى هذا لم يكن ابليس ملكا ، فقال لا بل كان من الجن،

الم تسمع قول الله : واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجـــدوا الا ابليس كان من الجن .

وجاء عنه انه كان يقول : اعرف الناس بحقوق اخوانه وأشدهـم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا ، ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب حقا ، ومن رضي بدون الشرف من المجالس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم.

وقال (ع) : الاشراك في الناس اخفى من دبيب النمل على المسـح الاسود في الليلة المظلمة ، وحب الابرار للابرار ثواب للابـــرار وحب الفجار للابرار فضيلة للابرار وبغض الفجار للابرار زين للابرار وبغض الابرار للفجار خزي على الفجار .

من التواضع السلام على من تمر به والجلوس دون شرف المجلس ، ومن الجهل الضحك من غير عجب .

وقال لجماعة من شيعته : اوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم وصدق الحديث واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر او فاجر وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد (ص) : صلوا في عشائركم واشهدوا جنائزكم وعودوا مرضاكم وأدوا للناس حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى للناس الامانة وحسن خلقه معهم وقيل هذا شيعي يسرني ذلك ، اتقوا الله وكونوا لنا زينا ولا تكونوا شينا جروا الينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فما قيل فينا من خير فنحن اهله ، وما قيل فينا من سوء فنحن منه براء لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وولادة طيبة لا يدعي ذلك غيرنا الا كذاب .

وقال لهم : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وانســـا هي كثرة التفكر في امر الله، بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله ، والغضب مفتاح كل شر ، وأقل الناس راحة الحقود ، وأزهد الناس من تـــرك

الحرام ، من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد الندامة ، قلب الاحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه .

وقال لبعض اصحابه : لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض ، ومن تعدى في طهوره كان كناقضه ، وما ترك الحق عزيز الا ذل ولا اخذ به ذليل الا عز ، خصلتان ليس فوقهما شيء الايمان بالله ونفع الاخوان ، وجرأة الولد على والده في صغره تدعو الى العقوق في كبره ، وليس من الادب اظهار الفرح عند المحزون .

وقال (ع) : من وعظ اخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه ، وما اقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذله ولا يعرف النعمة الا الشاكر ولا يشكرها الا العارف ، وادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، والالحاح في الطلب يسلب البهاء ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك بابا يسهل الدخول فيه فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، واعلم ان المدبر لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه فثق بخبرته في جميع امورك يصلح حالك ، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط .

وكان يقول : من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة ، والمقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة ، والارزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالامساك عنها ، وكفاك ادبا تجنبك ما تكره من غيرك ، وخير اخوانك من نسي ذنبك وذكر احسانك وأضعف الاعداء كيدا من اظهر عداوته ، ومن انس بالله استوحش من الناس وعلامة الانس بالله الوحشة من الناس ، وجعلت الخبائث في بيت ومفتاحه الكذب .

الى غير ذلك من وصاياه ونصائحه التي كان يوجهها لعامة الناس وأصحابه في محاولة منه لبيان ما يجب ان يكون عليه المسلم من الاخلاق والصفات التي هي ابلغ في الدعوة الى الاسلام من كل ما يمكن

ان يستعمل في سبيل ذلك ، وفي الوقت ذاته فان هذه الواجهة التي برزت في اخلاق اهل البيت وتعاليمهم وسيرتهم تكشف زيف وواقع اولئك الذين حكموا باسم الاسلام وكانوا واجهته عند بقية الامم التي كانت تنظر اليه من زاويتهم ولا اكون مغاليا اذا قلت بأن تعثر الاسلام في مسيرته وتأخر المسلمين عن غيرهم في الماضي والحاضر ناتج عن تلك الصور القاتمة التي تركها اولئك الطغاة وتوارثها من جاء بعدهم من الادعياء حتى عصرنا الحالي فحكموا باسم الاسلام ويتكلمون باسم الدين والاسلام وهم من ألد اعدائه وخصومه .

وفاة الامام (ع)

لقد اتفقت الروايات على ان وفاته كانت سنة ٢٦٠ من الهجرة بعد اربع سنوات مرت من ملك احمد بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتمد ولم يترك من الاولاد سوى ولده محمد بن الحسن المهدي المنتظر بعد ان نص على امامته وطول حياته وظهوره بعد تلك الغيبة الطويلة ليملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا كما ورد عن جده الرسول الاعظم وتوالت النصوص عليه من اجداده ائمة الهدى واحدا بعد واحد الى ان كانت ايام ابيه فنص على امامته وغيبته وظهوره كما اعتاد كل امام ان ينص على خليفته .

وكانت وفاة الامام العسكري على ما يبدو من بعض المرويات خلال النصف الاول من شهر ربيع الاول سنة ٢٦٠ كما ذكرنا بعد مرض رافقه ثمانية ايام ، وقيل ان مرضه كان نتيجة عمل عدواني قام به المعتمد العباسي فدس اليه من وضع له السم في الطعام ، والى ذلك ذهب جماعة من محدثي الشيعة وعلمائهم واعتمد هؤلاء على رواية وردت على لسان بعض المحدثين عن الامام الصادق (ع) جاء فيها انه قال : ما منا الا

مقتول او مسموم ، وعلى اساسها ذهبوا الى ان الائمة (ع) كانوا ضحايا الغدر والعدوان ، وان من لم يمت منهم بالسيف مات مسموما وأنا لا أستبعد ذلك على الحكام مع من يتخوفون منه على عروشهم والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك ، وقد قال الرشيد لولده المأمون في حوار جرى بينهما بخصوص الامام موسى بن جعفر (ع) : لو نازعتني في الملك لاخذت الذي فيه عيناك ، وبلا شك فان حكام بني العباس كانوا يحاذرون من الائمة ويتخوفون منهم على عروشهم ويتأثرون بالوشايات التي كانت تردهم من اعداء اهل البيت واجهزتهم ولهذه الاسباب فقد تعرضوا لكل انواع التحديات والضغوط وحتى للسجون بين الحين والآخر وللاقامة الجبرية الى جوارهم في بغداد وسامراء ولغير ذلك مما يدمغهم بالاتهام ، ولكن ذلك وحده لا يشكل دليلا على ان الامام العسكري او غيره مات مسموما ، والروايات التي تعرضت لوفاته واعتمدها المؤلفون في سيرته لم تتعرض لذلك ، وأشهر ما رواه الرواة عن احمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتمد يوم ذاك ، وقد نقلنا القسم الاول منها خلال حديثنا عن موقف الحكام منه وبقي القسم الثاني المتعلق بوفاته وقد اعتمده الكليني والمفيد والصدوق في معرض حديثهم عن وفاته .

وقد جاء فيه : ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت انه يكون ، وذلك انه لما اعتل الحسن بعث الى ابي ان ابن الرضا قد اعتل فركب من ساعته الى دار الخلافة ثم رجع ومعه خمسة من خدم امير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف حاله وبعث الى نفر من المتطببين وأمرهم بالاختلاف اليه وتعهده صباحا ومساء ، فلما كان بعد ذلك بيومين او ثلاثة اخبر انه قد ضعف ، فركب حتى بكر اليه

وأمر المتطببين بلزوم داره ، وبعث الى قاضي القضاة وأمره ان يختار عشرة ممن يوثق بهم في دينهم وورعهم ويأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي ليلا ونهارا ، فأرسلهم قاضي القضاة ولازموا داره حتى توفي ، ومضى احمد بن عبيد الله بن خاقان يقول : فلما ذاع خبر وفاته صارت سر من رأى ضجة واحدة، ثم اخذوا في تجهيزه وعطلت الاسواق وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة وسائر الناس الى جنازته ، فكانت سر من رأى يومئذ شبيها بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان الى ابي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا ابو عيسى منه فكشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتّاب والقضاة ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا قد مات حتف انفه على فراشه وحضره من خدم امير المؤمنين فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان ثم غطى وجهه وصلى عليه وكبر خمسا وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه ابوه .

وأضاف الى ذلك احمد بن عبيد الله كما يدعي الراوي : انه لما دفن جاء اخوه جعفر الى ابي وقال له : اجعل لي مرتبة ابي وأخي واوصل اليك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره ابي وأسمعه ما كره ، وقال له : يا احمق ان السلطان اعزه الله جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا ان اباك وأخاك إمامان ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد ان يزيل اباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك ، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك اماما فلا حاجة بك الى سلطان يعطيك مراتبهما ولا غير سلطان ، وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها ، وقد استقله ابي عند ذلك واستضعفه وأمر ان يحجب عنه فلم يأذن له بالدخول عليه حتى مات ابي .

وكل من تحدث عن وفاة الامام ابي محمد الحسن بن علي قد ذكر هذه الرواية التي وصفت مرض الامام وموته وموقف الخليفة من ذلك، وحتى القائلين بأنه مات مسموما قد ذكروها في طليعة ما ذكروه حول وفاته واعتمدوا على رواية ضعيفة يدعي راويها ان الامام الصادق قال : ما منا الا مقتول او مسموم وغفلوا او تغافلوا عما تشير اليه رواية احمد ابن عبيد الله من ان المعتمد العباسي لم يكن بريئا من دم الامام (ع) وانه كان متهما بذلك يوم ذاك ، وقد اراد بسوقفه الذي وقفه خلال الايام التي كان الامام يعاني فيها من علته ان يدفع التهمة عن نفسه . والا فلماذا استدعى وزيره عندما بلغه ان الامام قد اعتل ، وأمر خاصته والاطباء بلزوم داره ، كما امر قاضي قضاته باختيار عشرة من ذوي الدين والورع ليلازموه ليلا ونهارا . ولماذا وضع الجنازة ابو عيسى ابن المتوكل واشهد العلويين والعباسيين والقواد والقضاة بأنه مات حتف انفه ، كل ذلك حسبما اظن لم يكن لولا انه كان ضالعا في الجريمة وان الاصابع كانت تشير اليه يوم ذاك والله أعلم بواقع الحال .

وجاء في رواية الصدوق في الاكمال بسنده الى ابي الاديان انه قال: كنت اخدم الحسن بن علي (ع) وأحمل كتبه الى الامصار فدخلت اليه في علته التي توفي فيها فكتب كتبا وقال : تمضي بها الى المدائن ، فخرجت بالكتب وأخذت جواباتها ورجعت الى سر من رأى يوم الخامس عشر فاذا انا بالداعية في داره ، وجعفر بن علي بباب الدار والشيعة حوله يعزونه ويهنئونه فقلت في نفسي : ان يكن هذا الامام فقد حالت الامامة ، ثم خرج عقيد الخادم ، فقال : يا سيدي قد كفن اخوك فقم للصلاة عليه فدخل جعفر والشيعة من حوله فلما صرنا بالدار واذا نحن بالحسن بن علي على نعشه ، فتقدم جعفر ليصلي عليه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة وبشعره قطط وبأسنانه تفليج فجذب رداء جعفر ابن علي وقال : تأخر يا عم انا احق منك بالصلاة على ابي ، فتأخر جعفر

وقد اربد وجهه فتقدم الصبي فصلى عليه ودفن الى جانب قبر ابيه حيث مشهدهما كعبةللوافدين وملاذا لشيعة اهل البيت يتبركون به ويتوسلون الى الله سبحانه بحرمة من دفن في ثراه ان يدخلهم في رحمته ويجمعهم على الحق والهدى ويوفقهم للسير على خطى اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا •

الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع)

لقد ولد الامام ابو القاسم محمد بن الحسن مهدي هذه الامة وأملها المرتجى الذي يحيي الله به الحق والعدل ويعيد الى الامة حريتها وكرامتها ويملأ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ، ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ قبل ان تصل الخلافة الى المهتدي العباسي بشهر تقريبا ، وتوفي والده (ع) وله من العمر خمس سنوات كما جاء في اكثر الروايات فآتاه الله الحكمة وجعله آية للعالمين واماما للمسلمين كما جعل عيسى بن مريم وهو في المهد نبيا .

وتدل بعض المرويات ان حكيمة عمة الامام العسكري زارته في يوم من الايام قبيل ولادة الامام محمد بن الحسن (ع) ولما ارادت ان تذهب رغب اليها الامام بأن تبقى في بيته تلك الليلة وأخبرها بأن زوجته نرجس ستلد له المولود المبارك ولم يكن قد ظهر عليها اثر من آثار الحمل وبعد حوار طويل بين حكيمة والامام (ع) كما يروي الرواة باتت ليلتها في بيته الى جوار زوجته وقبيل الفجر من ليلة النصف من شعبان انتبهت نرجس من نومها وعليها آثار الاعياء وتمت الولادة على يد حكيمة عمة الامام العسكري (ع) وأمر الامام ابا عمر عثمان بن سعيد بأن يعق عنه

عددا من الشياه وان يشتري كمية كبيرة من اللحم والخبز ليوزعه على الفقراء ، فنفذ عثمان بن سعيد امر الامام كما يريده.

وقد ولد الحجة محمد بن الحسن لابيه من ام رومية تدعى سوسن ونرجس وريحانه وصقيلة ولعلها كانت تعرف بين أفراد عائلة الامام بنرجس ، وأكثر ما كان الامام يناديها بهذا الاسم ، وقيل ان الامام الهادي قد ارسل بعض خاصته الى بغداد حيث كانت تعرض الغنائم في سوق من اسواقها فاشتراها له وزوجها من ولده الحسن (ع) ، وقيل انها كانت لحكيمة شقيقة الامام الهادي (ع) وزوجتها لابن اخيها الحسن العسكري .

وتذهب الروايات التي تحدثت عنها بأنها كانت من بنات الملوك وان امها من ولد شمعون الصفا ، وقد حاول جدها القصير ان يزوجها من ابن اخيه واجتمع الناس لهذه الغاية ، وقبل ان يتم الزواج تساقطت الصلبان وانهارت اعمدتها وخر العريش عن عرشه مغشيا عليه فتشاءم جدها قيصر ومن حوله من الاساقفة الذين اجتمعوا لاجراء مراسيم الزواج وانتهى المجلس بدون ان يتم شيء ، وتضيف بعض الروايات الى ذلك انها رأت في الطيف كأن في مجلس جدها اجتماعا ضم السيد المسيح وشمعون الصفا وجماعة من الحواريين ، ودخل عليهم النبي العربي محمد بن عبد الله في جماعة من ولده فيهم ابو محمد الحسن العسكري (ع) فخطبها النبي الى حفيده العسكري ورحب المسيح بطلبه وتم الزواج بينهما في حديث طويل ينتهي به الراوي الى ان ابا محمد العسكري اتاها في بعض الليالي وأخبرها بأن جدها سيحشد جيشا لحرب المسلمين وأمرها ان تخرج مع الجيش ، فتخرج معه كما امرها وتقع اسيرة في يد المسلمين ، وأرسل الامام بعد ذلك من يشتريها له من سوق النخاسين فاشتراها له بشر النخاس وحملها الى سامراء حيث يقيم الامام (ع) فبشرها بمولودها المبارك المهدي المنتظر الذي يملك الدنيا

ويملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

وقد اختصرنا الحديث لعدم الفائدة من نقله بكامله وبنصه الحرفي كما جاء في كتب الحديث وممن رواه الصدوق في اكماله والطوسي في غيبته ، والمجلسي في بحاره وأكثر المحدثين في مجاميعهم التي حشدوا فيها الغث والسمين والصدف الى جانب الجوهر .

وقد اشتمل الحديث على بعض الخصوصيات التي ترجح كونه من صنع القصاصين والكذبة ، على ان الرواة له من المجاهيل ولم يرد لهم ذكر فيما بين يدي من كتب الرجال .

والمتفق عليه بين الرواة الموثوقين انها اشتريت للامام ابي محمد من الاسواق التي كانت تباع بها الاسرى وكانت من الصالحات الناسكات، وقد خفي حملها بالمهدي حتى على اكثر النساء اللواتي كن على صلة بها وشاء الله لها ان تكون اما لاكرم مولود حارت به ظنون اقوام وضلت به عقول آخرين ، ولم يؤمن به سوى المؤمنين برسالة جده المصطفى وآبائه ائمة الهدى ، وسيخرج يوم يأذن الله له بذلك فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

المهدي في الاديان

لقد استعمل المحدثون والادباء والشعراء كلمة المهدي لكل من تلبس بالهدى والصلاح ودعا الى الحق والخير والصراط المستقيم كما استعملها النبي (ص) في هذا المعنى وهو يتحدث مع المسلمين في بعض المناسبات ويقول لهم : وان تؤمروا عليكم عليا ولا اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الى الصراط المستقيم ، ووصف بها الامام الصادق (ع) الائمة الاثني عشر كما جاء في رواية ابي بصير حيث قال : منا اثنا عشر مهديا مضى ستة وبقي ستة يصنع الله بالسادس ما احب ، كما وصفهم بها غير الامام الصادق من الائمة (ع) ، ولما قيل للامام الصادق انت المهدي من اهل البيت ؟ اجاب : كلنا مهديون نهدي الى الحق والى الصراط المستقيم .

واستعارها الشعراء في مدح ملوك العباسيين والامويين تزلفا ورياء وطمعا في برهم وجوائزهم وعد بعض التابعين عمر بن عبد العزيز مهديا ومن ائمة الهدى لانه كان معتدلا ومستقيما في سيرته وسلوكه ، وجاء الى الحكم بعد اولئك الذين مثلوا كل انواع الظلم والجور والاستهتار بالقيم والاخلاق .

ولقد حدد امير المؤمنين المحتوى لكلمة المهدي في وصفه للائمة من اهل البيت بقوله : انا اهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا بهدينا وترشدوا ببصائرنا معنا راية الحق والهدى من اتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق . الى غير ذلك من المناسبات الكثيرة التي كان الائمة (ع) وغيرهم يصفون بها من يهدي الى الحق والخير والى الصراط المستقيم ، غير انها بالمعنى الذي اصبحت فيه علما على الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ومن مختصاته تقريبا لها دلالة اوسع وأشمل من المعنى الذي كانت تستعمل فيه كوصف لكل نبي وامام وحتى لكل مصلح يدعو الى الهدى والحق والصراط المستقيم . انها بالمعنى الذي اصبحت فيه علما على الامام الثاني عشر محمد بن الحسن ولا يفهم منها غيره عند استعمالها وبخاصة عند الشيعة لا تعني من يتلبس بالهدى ويدعو الى الله والحق والصراط المستقيم فحسب ، بل تعني بالاضافة الى كل ذلك وغيره من معاني الخير انه سيقود الثورة على الظالمين والجائرين ويحارب الطغاة والجبابرة ويخلص البشرية مما تعانيه من قهر وجور وعدوان وما الى ذلك مما عانته البشرية منذ آلاف السنين وما زالت تعانيه وستعاني في المستقبل اشد وأسوأ مما عانته في الماضي والحاضر الى ان يحين الوقت الذي يأذن له الله فيه بالظهور فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

وقد قيل ان هذه الكلمة التي اصبحت علما على الامام الثاني عشر (ع) بما تعنيه في المرويات عن النبي (ص) وعن الائمة الكرام . وعند الشيعة الامامية ليست من مختصات الفكر الشيعي كما ذهب الى ذلك جماعة من الكتّاب العرب والمستشرقين . ذلك لان الاعتقاد بظهور مخلص للبشرية مما تتخبط فيه شائع في الديانات القديمة وعند بعض الامم التي لا ترجع الى الاديان السماوية ، ويدعي هؤلاء ان

انبياء بني اسرائيل بشروا بظهور محرر ومخلص يبعثه الله ليخلص البشرية مما تعانيه ، وأنكروا ظهور المسيح عيسى بن مريم وقالوا انه دعي كاذب وان المسيح المخلص سيظهر في آخر الزمان او في زمان ما، وما زال الكثير منهم ينتظرون ظهوره ، كما لا يزال الكثير من المسيحيين يعتقدون برجعة المسيح لانقاذ العالم من الظلم ومن فتك الانسان بأخيه الانسان .

ويدعي الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الامامة عند الشيعة الاثني عشرية ان مسيحيي الاحباش ينتظرون عودة مليكهم (تيودور) كمهدي في آخر الزمان ، وأضاف الى ذلك ان في الديانات غير المسيحية عقائد لا تختلف عن المهدي عند المسلمين اختلافا كبيرا ، اذ يعتقد المغول ان تيمورلنك او جنكيزخان قد وعد قبل موته بعودته الى الدنيا لتخليص قومه من الحكم الصيني .

وفي الاساطير الفارسية ينتظر المجوس (اشيدر بابي احد اعقاب زرادشت) ، ومضى يقول : وفي الديانات المصرية القديمة وكتب الصينيين وعقائد الهنود القدامى المتعلقة بتناسخ الارواح عقائد مماثلة لما عند الفرس القدامى الى غير ذلك مما جاء في مؤلفات بعض الكتّاب من العرب والمستشرقين حول الاديان والمعتقدات ، غير ان هؤلاء الذين مهدوا للحديث عن مهدي الشيعة بعرض هذه الافكار قد انتقلوا من عرضها الى ان فكرة المهدي عند الشيعة مستمدة من اولئك القدامى الذين كانوا يمنون انفسهم بظهور من يخلصهم من الظلم والطغيان ، وأضافوا الى ذلك ان الظروف التي مرت على الشيعة منذ مطلع تاريخهم جعلتهم يفكرون بنفس تفكير اولئك الذين كانوا ينتظرون من يخلصهم من شرور الحكام وطغيانهم الى غير ذلك من الخلط والهراء والتخريف.

ولو افترضنا ان الديانات السماوية التي سبقت الاسلام قد بشرت بظهور مخلص ينقذ البشرية مما تعانيه كما ينسب الى انبياء بني اسرائيل

والى اليهودية أليس من الجائز ان يكون ذلك النبي الذي بشر بالمنقذ والمخلص في آخر الزمان عن الله سبحانه قد اشار الى المهدي الذي بشر به محمد بن عبد الله (ص) كما كان الانبياء يخبرون عما يجري في مستقبل الزمان بواسطة وحي السماء وكما كان كل نبي يبشر بمن يأتي بعده من الانبياء ، وقد بشرت توراة موسى بظهور السيد المسيح ، ولكن اليهود قد مسخوها وحرفوها وادعوا بأن الذي ظهر كان دعيا وسيظهر عيسى في آخر الزمان ، كما انكر المسيحيون نبوة محمد بن عبد الله وحرفوا الانجيل الذي بشر به وما زالوا يحاربون الاسلام بكل ما لديهم من قوة وبالكذب والتشويه والتحريف .

ومجمل القول ان فكرة المخلص والمنقذ للبشرية مما تعانيه اذا صح بأنها فكرة كانت شائعة عند الامم السابقة ومستمدة من الشرائع فلا تتنافى مع التفكير الشيعي في المهدي المنتظر الذي بشر النبي (ص) بظهوره عندما يأذن له الله بذلك .

اما ان فكرة المهدي عند الشيعة قد تسربت اليهم من اليهودية والمسيحية بعد ان غلبوا على امرهم كما يزعم احمد امين في المجلد الثالث من ضحى الاسلام وغيره ممن يجدون في تشويه العقيدة الشيعية سواء في ذلك ما كان منها في المهدي وغيره ، فهو من الهراء الذي لا يعتمد على العلم والمنطق ولا مصدر له الا الحقد الموروث على اهل البيت وشيعتهم منذ اقدم العصور كما يبدو ذلك لكل من يدرس تاريخ التشيع والظروف التي احاطت به بتجرد واخلاص .

ومهما كان الحال فلما شاعت اخبار المهدي وانه من اهل البيت ومن ذرية فاطمة وضع الامويون حديث السفياني بواسطة خالد بن يزيد بن معاوية ، وقالوا بأنه سيخرج في آخر الزمان ويحكم البلاد والعباد ويعوض عما خرج من ايديهم الى مروان بن الحكم وبنيه كما جاء في النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، وعز على العباسيين ان يكون

للامويين سفياني يخرج في آخر الزمان وللعلويين مهدي وهم المنافس الوحيد لهم .

بعد ان تقلص ظل الامويين عز عليهم ان لا يكون لهم مهدي فوضع لهم انصارهم بعض الاحاديث التي تشير الى ان المهدي منهم وانه سيخلص البشرية مما تعانيه من ظلم الامويين .

فقد جاء في الطبراني عن ابن عمر انه قال : كان رسول الله (ص) في نفر من المهاجرين والانصار وعلي بن ابي طالب عن يساره ، والعباس ابن عبد المطلب عن يمينه اذ تلاحى العباس ونفر من الانصار وأغلظ الانصار للعباس فأخذ النبي بيده وبيد علي ، وقال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الارض جورا وظلما ، ويخرج من صلب هذا من يملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التيمي فانه يقبل من المشرق وهو صاحب راية الهدى ، ولما انتصر العباسيون على الامويين قالوا بأن المهدي منهم لانهم اصحاب الرايات التي خرجت من المشرق بقيادة ابي مسلم .

وروى الحاكم عن ابن عباس انه قال : منا اهل البيت اربعة : السفاح والمنذر والمنصور والمهدي ، فقال مجاهد : بيّن لي هؤلاء الاربعة ، فقال ابن عباس : اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن اعدائه ، وأما المنذر فانه يعطي المال الكثير ولا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه ، وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه مسيرة شهر وهو الشطر مما كان يعطى رسول الله (ص) ، وأما المهدي فانه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقي الارض افلاذ كبدها ، قال : قلت وما افلاذ اكبادها ؟ قال : امثال الاسطوانة من الذهب والفضة ، وقد لقب المنصور العباسي ولده محمد بالمهدي ليوهم الناس انه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي (ص) ، ولما بايعه بالخلافة قام الخطباء فتحدثوا عن فضله وأطنب الشعراء في وصفه ، ووقف مطيع

ابن اياس ، فقال حدثنا فلان عن فلان ان النبي (ص) قال : المهدي منا محمد وابن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جورا ، ثم اقبل على احد بني العباس وقال : انشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم ، خوفا من المنصور وسطوته .

وقال البلخي في كتابه البدء والتاريخ بعد ان روى حديث ابن مسعود عن النبي انه قال : لا تذهب الدنيا حتى يلي امتي رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي ، بعد ان رواه قال : لقد تأوله قوم وقالوا : انه المهدي بن ابي جعفر المنصور واسمه محمد .

هذه الروايات على تقدير صحتها صريحة في ان المهدي من اهل بيت النبي ، ولم يقل احد بأن حكام بني العباس من اهل بيته الا بنوع من التجوز الذي لا يصح حمل الكلام عليه الا بدليل ظاهر ، اما رواية الطبراني فبلا شك انه لما قال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الارض جورا وظلما قد اشار بذلك الى العباس كما اشار بالفقرة الثانية الى علي (ع) ولكن الراوي قد رواه لهم بهذا النحو خوفا او تزلفا وطمعا في برهم وهباتهم .

النصوص الاسلامية على امامة الثاني عشر وظهوره

لقد ذكرنا ونحن نمهد للحديث عن سيرة الائمة الاثني عشر ما جاء عن النبي (ص) في امامتهم من طريق السنّة والشيعة وانهم خلفاؤه ولا يزال الدين قائماً بوجودهم ، وفي بعض تلك النصوص انهم عدد نقباء بني اسرائيل وان آخرهم يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وذكرنا موقف اهل السنة منها وتمحلاتهم في تأويلها بعد ان وجدوا ان لا مفر لهم من التسليم بصدورها عن النبي (ص) لكثرة من رواها من خيارهم وثقات محدثيهم .

وقد روى احاديث المهدي بالذات جماعة من محدثي السنّة في صحاحهم كالترمذي وأبي داود والحاكم وابن ماجة وأسندوها الى جماعة من خيار الصحابة كعلي (ع) وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وطلحة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وغير هؤلاء ممن سمعوا الرسول يردد حديث مهدي اهل البيت بين الحين والآخر حسب المناسبات .

ففي صحيح الترمذي ان النبي (ص) قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من اهل بيتي

يواطىء اسمه اسمي ، وفي حديث آخر للترمذي : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

وجاء في احاديث ابي داود : لو لم يبق من الدهر الا يوم واحد لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وفي بعض احاديثه انه نظر الى الحسين (ع) فقال : أن ابني هذا سيد وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الارض عدلا .

وفي مسند احمد بن حنبل عنه انه قال : لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

ويدعي الدكتور احمد صبحي في كتابه نظرية الامامة انه قد شاع الاعتقاد في انتظار المهدي عند جماعة من اهل السنّة وان لم يتقرر كأصل من اصول عقيدتهم كما هو الحال لدى الشيعة بعد ان تحدث فيه بعض علمائهم كالكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان والسيوطي في كتابه العرف الوردي في اخبار المهدي وابن حجر العسقلاني في كتابه القول المختصر على علامات المهدي المنتظر ويوسف ابن يحيى الدمشقي في عقد الدرر في اخبار الامام المنتظر ، ومضى يقول : وشارك في الاعتقاد بالمهدي المنتظر فريق آخر من علماء السنّة بالرغم من عدائهم التقليدي للشيعة وانكارهم لاكثر عقائدهم . ويعتقد ابن تيمية بصحة الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي (ص) ، وجاء فيه: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي . وفي حديث آخر له : المهدي من عترتي ومن ولد فاطمة، كما يرى ان ما رواه احمد والترمذي وأبو داود حول المهدي من الصحاح .

وقد اورد الحافظ ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان عشرات المرويات عن

النبي (ص) بواسطة الصحابة عن المهدي ونسبه وغيبته وعلامات ظهوره كما يبدو من مواضيع الكتاب المطبوع مع غيبة الشيخ الطوسي .

ومما جاء فيه حول المهدي عن سهل بن سليمان عن ابي هرون العبدي انه قال : اتيت ابا سعيد الخدري فقلت له : هل شهدت بدرا فقال : نعم ، فقلت له : ألا تحدثني بشيء عما سمعته من رسول الله (ص) في علي وفضله ، فقال : بلى اخبرك ان رسول الله (ص) لما مرض مرضته الاخيرة دخلت عليه فاطمة (ع) تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله ، فلما رأت ما به من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها ، فقال لها رسول الله : ما يبكيك يا فاطمة اما علمت ان الله اطلع الى الارض اطلاعة فاختار منها اباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك وأوصى الي فأنكحته واتخذته وصيا ، اما علمت انك بكرامة الله تعالى اياك زوجك اعلمهم علما وأكثرهم حلما وأقدمهم اسلاما . فضحكت واستبشرت ، فأراد رسول الله ان يزيدها مما قسمه الله لمحمد وآل محمد ، فقال لها : يا فاطمة انا اهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها احد من الاولين ولا يدركها احد من الآخرين غيرنا اهل البيت نبينا خير الانبياء وهو ابوك ووصينا خير الاوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم ابيك ، ومنا سبطا هذه الامة وهما ابناك ، ومنا مهدي الامة الذي يصلي عيسى خلفه ، ثم ضرب على منكب الحسين (ع) وقال : من هذا مهدي هذه الامة .

وروي بسنده الى حذيفة اليمان عن النبي (ص) انه قال : المهدي من ولدي وجهه كالقمر الوردي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضي بخلافته اهل السماء والارض وكما روي بسند انهاه الى سفيان ابن عيينة عن علي بن هلال عن ابيه انه قال : دخلت على رسول الله(ص) في مرضه الذي قبض فيه وكانت فاطمة عند رأسه فبكت حتى ارتفع

صوتها ، ومضى الراوي يحدث عما بشرها به النبي (ص) وكان من ذلك انه قال لها : منا مهدي هذه الامة اذا صارت الدنيا هرجا ومرجا وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار الناس بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيرا ولا يوقر صغير كبيرا فيبعث الله منا من يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلفا يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في اول الزمان يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا .

كما روي بسند ينتهي الى ابي سعيد الخدري انه قال : ذكر رسول الله (ص) بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ، لا تدع السماء من قصرها شيئا الا حبته مدرارا ولا تدع الارض من نباتها شيئا الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات .

وقد تكرر هذا المضمون في كتاب البيان للحافظ الشافعي وفي بعض مروياته ان المال في عهده يكثر الى حد لا يتنافس عليه احد ولا يرغب فيه راغب من الناس .

وفي رواية له عن حذيفة اليمان ان رسول الله (ص) قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لبعث الله رجلا اسمه اسمي وخلقه خلقي يبايع له الناس بين الركن والمقام يرد الله به الدين ولا يبقى على وجه الارض الا من يقول لا إله الا الله ، فقام اليه سليمان الفارسي وقال له : يا رسول الله من اي ولدك هو ؟ فقال : من ولد ابني هذا ، وضرب بيده على كتف الحسين .

وفي رواية اخرى تنتهي بسندها الى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : ان علي بن ابي طالب امام امتي وخليفتي عليها من بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ، والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا

ان الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر ، فقام اليه جابر بن عبد الله الانصاري وقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ، قال : اي وربي وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، يا جابر ان هذا الامر سر من سر الله مطوي عن عباد الله فاياك والشك فيه فان الشك في امر الله كفر .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي بشرت بمهدي اهل البيت الامام الثاني عشر ، والتي رواها صاحب البيان في كتابه وغيره من السنّة والشيعة عن النبي بأسانيد ينتهي اكثرها الى ثقات الصحابة ورووها من بعده الى الاجيال فدونها محدثو السنّة والشيعة في صحاحهم ومجاميع كتب الحديث ، وعلى حساب تلك المرويات المنتشرة بين محدثي السنّة القدامى الذين دونوا الحديث في عصور التدوين الاولى والمروية عن الصحابة على اختلاف ميولهم كانت فكرة المهدي من اهل البيت المنقذ للبشرية مما تعانيه من عسف وجور واسعة الانتشار الى ابعد الحدود بين محدثي السنّة وعلمائهم وجميع اصنافهم وفئاتهم وعقيدة اسلامية للكثير من علمائهم ومحدثيهم غير ان العداء التقليدي والخلافات المذهبية بينهم وبين الشيعة فرضا عليهم ان يتصرفوا في تلك الاحاديث بما يتفق مع معتقداتهم او اهوائهم كما تصرفوا في غيرها .

وكما نص عليه النبي (ص) في عشرات المناسبات فقد تواترت النصوص عليه من الائمة (ع) واحدا بعد واحد وخلال الشهور الاخيرة من حياة ابيه نص على امامته اكثر من مرة بحضور ثقات اصحابه وخواصهم وأراهم اياه بشخصه ، في حين انه كان يخفيه حتى عن اكثر شيعته خوفا عليه من الحاكمين ، وشاع بين عامة الناس ان الحسن بن علي لم يترك من الولد احدا ، ولعل جعفر بن الامام علي الهادي (ع) كان ممن يعلمون بولادة المهدي ووجوده ولكنه كان مغتبطا بتلك

الشائعة ويساهم في انتشارها ليبرز من خلالها كوريث لاخيه في الاوساط الشيعية التي كانت تدين بامامته ويجبي اليه اخماس اموالها، وقد هيأ نفسه لذلك منذ وفاة اخيه فوقف على باب داره والامام لا يزال مسجى فيها يتلقى التعزية بوفاته من عامة الناس والتهنئة بالامامة من الحاكمين وأتباعهم الذين كانوا يعدونه لذلك ويعملون لتشتيت امر الشيعة وتمزيق وحدتهم وحينما قدموه للصلاة عليه وخرج الامام المهدي (ع) وجذبه بردائه وهو يقول : تنح يا عم فأنا أحق منك بالصلاة على ابي دهش الناس لهذه المفاجأة وتأخر جعفر وقد اربد وجهه وعلته صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، وكان من المتعين على الامام الشرعي ان يقف هذا الموقف الحكيم في تلك الفترة التي اتجهت فيها الانظار الى عمه الخليع المعروف بالفسق وشرب الخمور ليحبط جميع التدابير التي اتخذها هو والسلطة الحاكمة لترشيحه لامامة الشيعة مكان اخيه الراحل بحجة انه لم يترك وريثا غيره .

نماذج مما ورد عن الائمة في المهدي وامامته وغيبته

لقد احصى الرواة عشرات الاحاديث عن الأئمة حول امامة المهدي وغيبته وظهوره ودونها المحدثون في مجاميعهم وخوفا من التطويل الممل نقتصر على بعض النماذج منها عن كل امام من الائمة الاحد عشر .

فقد روى الصدوق في الاكمال وغيره عن جماعة من ثقات محدثي الشيعة بسند ينتهي الى الأصبغ بن نباتة انه قال: اتيت امير المؤمنين (ع) فوجدته متفكرا ينكث الارض ، فقلت مالي اراك متفكرا يا امير المؤمنين تنكث في الارض أرغبت فيها ؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط ولكني فكرت في مولود من نسلي يكون الحادي عشر من ولدي هو المهدي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما تكون له حيرة وغيبة تضل فيها اقوام ويهتدي بها آخرون ، فقلت : يا امير المؤمنين وان هذا لكائن ؟ فقال : نعم كما انه مخلوق وانى لكم بالعلم بهذا يا اصبغ اولئك خيار هذه الامة مع ابرار هذه العترة ، قلت: ما يكون بعد ذلك ؟ فقال : يفعل الله ما يشاء .

وروى بسنده الى الحسين بن خالد عن الامام علي الرضا عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه

علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب انه قال : التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين والباسط المعدل ، قال ابو عبد الله الحسين (ع) : يا امير المؤمنين وان ذلك لكائن ، فقال (ع) : اي والذي بعث محمدا بالنبوة واصطفاه على جميع البرية ولكن بعد غيبةوحيرة لا يثبت فيها على دينهالا المخلصونالمباشرون لروح اليقين الذين اخذ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه .

كما روي بسند ينتهي الى الامام الباقر (ع) انه سمع جابر بن عبد الله الانصاري يقول : دخلت على فاطمة الزهراء (ع) وبين يديها لوح فيه اسماء الاوصياء فعددت اثني عشر اسما آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم اجمعين .

كما روي بسند ينتهي الى الحسن بن علي (ع) انه قال لجماعة من شيعته دخلوا عليه ولامه بعضهم على تسليم السلطة لمعاوية بن ابي سفيان : ما منا احد الا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم محمد ابن علي الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فان الله يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون في عنقه بيعة وهو التاسع من ولد اخي الحسين يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون الاربعين والله على كل شيء قدير .

وروي بسند ينتهي الى الحسين بن علي (ع) انه قال : في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى وهو قائمنا اهل البيت ، وفي رواية ثانية تنتهي الى رجل من همدان ان الحسين (ع) قال : ان التاسع من ولدي هو قائم هذه الامة وصاحب الغيبة الذي يقسم ميراثه وهو حي ولو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا .

وروي بسند ينتهي الى سعيد بن جبير ان علي بن الحسين (ع)

كان يقول : القائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لاحد في عنقه بيعة ، وفي رواية ثانية عنه قال : ان للقائم منا غيبتين الثانية منهما يطول امدها حتى يرجع عن هذا الامر اكثر من يقول به ، ولا يثبت عليه الا من قوي يقينه وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجا مما قضى الله علينا .

وروي عن ابي جعفر الباقر ان عبد الله بن عطا قال له : ان شيعتك بالعراق كثيرة فوالله ما في اهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج ؟ فقال : يا عبد الله قد امكنت الحشو من اذنيك ، والله ما انا بصاحبكم ، قلت : فمن صاحبنا ، قال : انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم .

وفي رواية ثانية رواها عنه محمد بن مسلم الثقفي جاء فيها انه قال: دخلت على ابي جعفر الباقر (ع) وأنا اريد ان اسأله عن القائم من آل محمد ، فقال لي مبتدئا : يا محمد بن مسلم ان في القائم من آل بيت محمد (ع) سنة من خمسة من الرسل يونس بن متى ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد (ص) الى ان قال : وان من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي من السماء باسمه واسم ابيه .

كما روى عنه محمد بن مسلم ايضا انه قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول : القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الارض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، قال : قلت يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : اذا شبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج بالسروج وقبلت شهادة الزور وردت شهادة العدول واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا ، واتقي الاشرار مخافة ألسنتهم .

وروي عن صفوان بن مهران ان الامام الصادق (ع) قال : من اقر بجميع الائمة وجحد المهدي كان كمن اقر بجميع الانبياء وجحد محمد بن عبد الله (ص) فقيل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك ؟ قال : الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته .

وفي رواية ثانية عنه قال : اذا اجتمع ثلاثة اسام متواليـة محمد وعلي والحسن فالرابع هو القائم .

وجاء عن السيد بن محمد الحميري في حديث طويل جاء فيه : قلت للصادق جعفر بن محمد (ع) : يا ابن رسول الله قد روى لنا الرواة عن آبائك (ع) في الغيبة وصحة كونها فاخبرني بمن تقع ، فقال (ع) : ان الغيبة تقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله اولهم امير المؤمنين وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الارض وصاحب الزمان ، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

وروى محمد بن عمير بسنده الى ابي بصير ان الامام الصادق (ع) كان يقول : يكون بعد الحسين بن علي تسعة ائمة تاسعهم قائمهم .

وروى الصدوق وغيره عن علي بن جعفر ان اخاه موسى بن جعفر قال : اذا فقد الخامس من ولدي فالله الله في اديانكم انه لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به انما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه ، وروى عنه يونس بن عبد الرحمن انه قال : القائم الذي يطهر الارض من اعداء الله يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما هو الخامس من ولدي له غيبة يطول امدها خوفا على نفسه يرتد فيها اقوام ويثبت فيها آخرون ، ثم قال : طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من اعدائنا اولئك منا ونحن منهم فقد رضوا بنا ائمة ورضينا بهم شيعة

فطوبى لهم ثم طوبى لهم هم والله معنا في درجاتنا يوم القيمة .

وروي عن الحسين بن خالد انه قال : قال الامام الرضا (ع) لا دين لمن لا ورع له ولا ايمان لمن لا تقية له وان اكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، فقيل له : يا ابن رسول الله الى متى ، قال : الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا ، فقيل له : يا ابن رسول الله ومن القائم منكم اهل البيت ، قال : الرابع من ولدي ابن سيدة الاماء يطهر الله به الارض من كل جور ويقدسها من كل ظلم ، وهو الذي يشك الناس في ولادته وصاحب الغيبة قبل خروجه ، فاذا خرج اشرقت الارض بنوره ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم احد احدا .

وروي عن عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) انه قال : دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر اريد ان اسأله عن القائم ما هو المهدي او غيره؟ فابتدأني وقال : يا ابا القاسم ان القائم منا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي ، والذي بعث محمدا (ص) بالنبوة وخصنا بالامامة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، وان الله ليصلح له أمره في ليلة كما اصلح امر كليمه موسى اذ ذهب يقتبس نارا فرجع وهو رسول نبي وان افضل اعمال شيعتنا انتظار الفرج .

وروي عن داود بن القاسم الجعفري انه قال : سمعت ابا الحسن صاحب العسكري (ع) يقول : الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف لانكم لا ترون شخصه ، فقلت : فكيف نذكره ، قال : قولوا الحجة من آل محمد (ص) .

وروى علي بن مهزيار عن علي بن محمد بن زياد انه قال : كتبت الى

ابي الحسن صاحب العسكر (ع) اسأله عن الفرج فكتب الي : اذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج ، وفي رواية عنه ايضا انه قال : الامام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

وروى احمد بن اسحق بن سعد الاشعري انه دخل على ابي محمد الحسن بن علي وسأله عن الخلف من بعده ، فقال له الامام : يا احمد ان الله تبارك وتعالى لم يخل الارض منذ خلق الله آدم ولا يخليها الى ان تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن اهل الارض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الارض ، فقلت : يا ابن رسول الله فمن الامام والخليفة من بعدك ، فنهض مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر من ابناء ثلاث سنين ، وقال : يا احمد ابن اسحق : لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا انه سمي رسول الله وكنيه الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يا احمد بن اسحق ان مثله في هذه الامة مثل الخضر ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها الا من ثبته الله عز وجل على القول بامامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه وسيرجع عن هذا الامر اكثر القائلين به ولا يبقى الا من اخذ الله عهده لولايتنا وكتب في قلبه الايمان وأيده بروح منه ، ومضى يقول : يا احمد هذا امر من امر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين [1] .

ونكتفي بهذه النماذج من مئات الروايات المنسوبة الى الائمة (ع) التي تصف الامام الثاني عشر مهدي هذه الامة محمد بن الحسن وزمانه

---

١ ــ انظر المجلد الاول من اصول الكافي والاكمال للصدوق والغيبة للطوسي وغيرها من مجاميع الحديث .

وغيبته وما سيقوم به بعد ظهوره ، واذا لم يكن جلها من النوع الصحيح فمما لا شك فيه بأن عددا كبيرا منها تطمئن له النفس لان رواته من المعروفين بالوثاقة والاستقامة ، لاسيما وانها تتفق في مضامينها مع ما اخبر به من لا ينطق عن الهوى الرسول الاعظم (ع) والائمة الهداة من بنيه .

موقف جعفر بن علي من ابن اخيه المهدي

لم يكن الامام علي الهادي منشرحا لولادة ولده جعفر ولا متفائلا بحسن مصيره ، ولما سئل عن اسباب ذلك قال لامـــرأة كانت تراقب نظراته وحركاته ، كما جاء في رواية كشف الغمة للاربلي : هوني عليك وسيضل به خلق كثير .

وتؤكد الروايات الكثيرة انه لما شب وترعرع انحرف عن اخـــلاق الاسلام وتعاليمه وعن الخط الرسالي الذي كان آباؤه (ع) قد وضعوه بين ايدي المسلمين لاتمام الحجة عليهم وانقاذهم مما كانوا يعانون من شدة وبلاء ، واختار لنفسه منادمة الحكام وأجهزتهم والتلهي بالخمور والمنكرات حتى اضطر والده (ع) ان يقول لبعض اصحابه : تجنبـــوا ولدي جعفر فانه مني بمنزلة ابن نوح الذي قال الله فيه : يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح كما جاء في المجلد الثاني مـــن تاريخ سامراء .

ولما سئل عنه احمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتمد العباسي وكان يتحدث عن اخيه ابي محمد الحسن العسكري ، قال : ومن هـو

جعفر فيسأل عن خبره او يقرن به ، ومضى يقول احمد بن الوزير : ولما دفن اخوه الحسن العسكري جاء الى ابي وقال له : اجعل لي مرتبة ابي وأخي واوصل لك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره ابي وأسمعه ما كره ، وقال له : يا احمق ان السلطان اعزه الله جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا ان اباك وأخاك ائمة ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد ان يزيل اباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك ، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك اماما فلا حاجة بك الى سلطان يرتبك مراتبهما ولا غير سلطان وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها .

وقال ابو الاديان خادم الامام الحسن العسكري الذي كان يتولى نقل كتبه ورسائله الى الشيعة في مختلف المناطق ، وكان قد ارسله الى المدائن وحمله رسائل الى وجوه شيعته فيها ، ولما رجع وجد الامام قد توفي وأخاه جعفر واقفا بباب الدار يستقبل المعزين والمهنئين له بالامامة بعد اخيه ، فقال كما جاء في الرواية عنه : ان يكن هذا هو الامام بعد الحسن بن علي فقد بطلت الامامة وكان يعرفه بتعاطي المنكرات والاستهتار بأحكام الله .

وقد ذكرنا ان السلطة كانت جادة في مساندته واحلاله محل اخيه وقد قدمته للصلاة عليه لهذه الغاية ولما وقف على الجنازة فوجيء الناس بصبي لم يتجاوز السادسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمه الى الوراء وهو يقول : تأخر فأنا احق منك بالصلاة على ابي فيتأخر جعفر بدون ان تبدر منه اية معارضة ويربد وجهه وتعلوه صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، ومع تلك الصدمة العنيفة التي اصيب بها بظهور الوريث الشرعي لاخيه الذي كان يجهله عامة الناس وتنحيته عن الصلاة عليه بحضور تلك الحشود المجتمعة لتشييع الجثمان الطاهر الى مقره الاخير ، فقد بقي في نفسه شيء من الامل ان يتم له الاستيلاء على مركز

اخيه ولو بواسطة السلطة الحاكمة وأجهزتها التي كانت تعمل لصالحه وتوجه الوافدين وجباة الاخماس اليه ، ولكن جهوده وجهود الحاكمين وأجهزتهم تعثرت وباءت بالفشل ذلك لان وكلاء الائمة وخاصتهم وحتى عامة الشيعة يعرفون ان الذين اختارهم الله للامامة وقيادة الامة قد حباهم الله بما يتعسر على غيرهم من الناس ، وقد ادعاها قبله اناس بدافع الانانية وحب الشهرة وبتحريض الحاكمين ومساندتهم ولكنهم سرعان ما انكشفوا على واقعهم وارتدوا على اعقابهم خاسرين ، ولم يكن جعفر بن علي بأوفر حظا من اولئك الادعياء لاسيما وهو بالاضافة الى جهله معروف بالاستهتار بالدين وممارسة المنكرات ، ورجع شيعة آبائه الى الامام الشرعي بعد ان اظهر لهم من دلائل الامامة ما كان يظهره ابوه وأجداده من قبله .

وجاء في رواية ابي الاديان الذي كان يحمل كتبه ورسائله الى الشيعة في الامصار ويرجع بأجوبتها الى الامام ابي محمد العسكري ، انه لما دفن الامام قال لي ولده القائم : يا بصري هات اجوبة الكتب التي معك فدفعتها اليه وقلت في نفسي هذه بينتان الصلاة على ابيه وعلمه بما احمله من اجوبة الكتب ولم يكن قد علم بذلك احد من الناس ، ثم خرجت الى جعفر بن علي وجلست عنده وبينما نحن جلوس واذا بنفر من قم يقصدون الامام ابا محمد ولم يكونوا قد عرفوا بوفاته الا بعد دخولهم سامراء ، فقالوا : فمن نعزي ، فأشار الناس الى اخيه جعفر ، فدخلوا عليه وعزوه بأخيه وهنوه بالامامة ، ثم قالوا له : ان معنا كتبا وأموالا فاذا اخبرتنا ممن الكتب وعن مبلغ المال دفعناها اليك ، فقام ينفض ثيابه وهو يقول : تريدون منا ان نعلم الغيب ، فلم يدفعوا اليه شيئا .

وفيما هم في حيرة من امرهم واذا بالخادم يخرج من دار الامام فقال لهم : معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه الف دينار عشرة دنانير

منها مطلية فدفعوا اليه الكتب والاموال وقالوا ان الذي اخبرك بذلك هو الامام بعد ابي محمد ، فاغتاظ جعفر بن علي من ذلك ودخل على المعتمد العباسي وقص عليه ما جرى للقميين ، فوجه معه المعتمد اجهزته فقبضوا على صيقل ام المهدي وطالبوها به فأنكرته فسلموها الى ابن ابي الشوارب القاضي ، ثم تشاغلوا عنها كما يدعي الراوي بموت عبيد الله بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج في البصرة وخرجت من بين ايديهم .

وجاء في رواية ثانية رواها الصدوق في الاكمال بسنده الى ابي الحسن بن علي بن سنان عن ابيه انه قال : لما قبض ابو محمد الحسن العسكري وقدم بالاموال وفود من قم والجبال ، ولم يكن عندهم علم بوفاة الحسن (ع) فلما قدموا سامراء وعلموا بوفاته سألوا عن وارثه قيل لهم اخوه جعفر بن علي وكان قد خرج متنزها في دجلة مع المغنين والغلمان فلما رجع دخلوا عليه وقالوا : يا سيدنا نحن من قم وجهاتها وكنا نحمل الى سيدنا ابي محمد الاموال فخبرنا عن مقدارها ومن اين جمعت ، فقال لهم جعفر : كذبتم تقولون علي اخي ما لا يفعله وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه غير الله ، فلما سمع القوم كلامه جعل بعضهم ينظر الى بعض ، ثم قال لهم : ادفعوا المال ، فقالوا: انا قوم مستأجرون وانا لا نسلم المال الا بالعلامات التي كنا نعرفها من اخيك ، فان كنت اماما فبرهن لنا والا رددنا الاموال لاصحابها ، فقام جعفر ودخل على الخليفة واستعداه عليهم فأمرهم بدفع الاموال الى جعفر ، فقالوا : انا قوم مستأجرون وقد امرنا ان لا ندفع المال الا بعلامة ودلالة كما جرت العادة مع اخيه وكان يصف لنا الدنانير وأصحابها ومقدارها، فان يكن هذا صاحب الامر من بعده فليقم لنا ما كان يقيمه اخوه والا رددنا المال لاصحابه .

ثم انهم خرجوا من سامراء وفيما هم خارج البلدة واذا بشاب قد لحق بهم وقال : يا فلان ويا فلان اجيبوا مولاكم ، فرجعوا ودخلوا على الامام (ع) فأخبرهم بالمال ومقداره ومن ارسله فدفعوا اليه المال ، ثم اوصاهم بأن لا يحملوا الى سامراء بعد ذلك شيئا وأن يرسلوا الاموال والكتب الى نوابه في بغداد ، وأضاف الراوي الى ذلك ان جعفر بن علي حمل الى الخليفة مبلغا كبيرا من المال وطلب منه ان يجعل لـــه منزلة اخيه ، فقال له : ان منزلة اخيك لم تكن بنا وكنا نجهد في حط منزلته ويأبى الله الا ان يزيده رفعة لما كان فيه من حسن السمت والعلم والعبادة فان كنت عند شيعته بمنزلته فلا حاجة بك الينا وان لم تكن كذلك فلا نغني عنك شيئا .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح فمما لا شك فيه بـــأن الحاكمين وأجهزتهم قد بذلوا اقصى ما لديهم من جهد لارجاع الشيعة الى جعفر بن علي لانه كان من اعوانهم ويجلس على موائدهم مـــع المغنين والمغنيات ، وساعدتهم الظروف الغامضة التي كانت تحيط بالامام المهدي (ع) واختفائه عن الناس على الدعوة لعمه جعفر بحجة انـــه الوريث الوحيد لابيه وأخيه ، في حين ان جعفر بن علي لم يكن يجهل وجود الامام وحتى ان الحاكمين كانوا يعرفون ذلك ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فأحبط جميع مخططاتهم ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا شيئا ، ورجع اليه شيعة آبائه وظلوا على اتصال به خلال الغيبة الصغرى بواسطة سفرائه ووكلائه كما تؤكد ذلك عشرات المرويات .

ولجعفر بن علي الهادي ولدان احدهما يدعى محسن بن جعفر ، قتله جماعة من الاعراب في بعض المقاطعات التابعة لدمشق ، وادعى قاتله بأنه خرج على السلطان ، فحمل رأسه الى بغداد وصلب على الجسر فيها كما جاء في الكنى والالقاب للقمي .

والثاني يدعى عيسى وكان عالما فاضلا كما يصفه القمي وقد سمع

الحديث منه هارون بن موسى التلعكبري واستجازه فأجازه وله الابيات التالية :

يا بني احمد اناديكم اليوم وأنتم غدا لرد جوابي
الف باب اعطيتم ثم افضى كل باب منها الى الف باب
لكم الامر كله واليكم ولديكم يؤول فصل الخطاب

السفراء الاربعة في الغيبة الصغرى

لقد تحدث الرواة عن غيبة الامام محمد بن الحسن العسكري (ع) وأسبابها ورووا عن الامام الصادق وأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) ان الله سبحانه قد اخفى ولادته وغيبه عن الناس لئلا يكون في عنقه بيعة الى احد ، كما رووا عن ابي جعفر الباقر (ع) انه غاب خوفا من بني العباس ، وجاء في رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي : ان الامام الصادق (ع) قال في جواب من سأله عن الحكمة في غيبته : ان هذا الامر لا ينكشف الا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما اتاه الخضر الا بعد ان افترق عن موسى ، ومضى الامام يقول كما جاء في الرواية : ان هذا امر من امر الله وسر من اسراره وغيب من غيبه ومتى علمنا انه حكيم صدقنا بأن افعاله كلها لحكمة تقتضيها وان كان وجهها غير منكشف لنا ، وفي رأيي ان الحديث عن اسباب غيبته من الغيبيات التي يعود امرها الى الله وحده كما جاء في رواية عبد الله بن الفضل عن الامام الصادق (ع) وما علينا الا التسليم والالتزام بما اقتضته مشيئته ، والتشكيك في حياته وظهوره عندما يأذن الله له بذلك على حد التشكيك بنبوة الانبياء وإمامة آبائه الكرام .

ومنذ ان انتقلت الامامة اليه بعد وفاة ابيه لم يكن من الميسور لاي كان من الناس ان يتصل به ويجتمع اليه خلال سبعين عاما تقريبا الا من خلال سفرائه الاربعة : عثمان بن سعيد العمري ، ومحمد بن عثمان العمري ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمري الذين كانوا حلقة الاتصال بينه وبين شيعه في مختلف الاقطار بواسطة الرسائل التي يحملونها اليه ويأخذون منه اجوبتها لاهلها ، كما فوضهم بقبض الاخماس التي كانت تجبى اليه والتصرف بها حسبما تقتضيه المصلحة ، وقد تولى له السفارة خلال السنين الاولى من امامته عثمان ابن سعيد المعروف بالسمان ، لانه كما يقول الرواة كان يتجر بالسمن ويتجول في تجارته في الاوساط الشيعية حتى لا يظهر امره للحاكمين، فاذا دفع اليه احد الشيعة مبلغا من المال وضعه في زقاق السمن وأخفاه عن الناس ، وتولى السفارة لثلاثة من الائمة (ع) الهادي والحسن العسكري ومحمد بن الحسن القائم المنتظر .

وجاء في رواية احمد بن اسحاق بن سعد القمي انه قال : دخلت على ابي الحسن علي بن محمد (ع) في يوم من الايام وقلت له : يا سيدي انا اغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول اليك اذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نتمثل ، فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقوله وما اداه لكم فعني يؤديه ، ومضى الراوي في حديثه يقول : فلما مضى ابو الحسن صرت الى ابنه ابي محمد الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لابيه من قبل ، فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الامين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات فما قال لكم فعني يقوله وما ادى اليكم فعني يؤديه .

وفي رواية ثانية رواها الشيخ الطوسي في الغيبة عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن ايوب بن نوح انهم قالوا : اجتمعنا الى ابي محمد الحسن

ابن علي (ع) نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه اربعون رجلا فقام اليه عثمان بن سعيد وقال له : يا ابن رسول الله اريد ان اسألك عن امر انت اعلم به مني ، فقال له : اجلس يا عثمان ، فقام مغضبا ليخرج فأمرنا الامام بالجلوس الى ان كان بعد ساعة صاح الامام بعثمان بن سعيد فقام على قدميه ، فقال الامام (ع) : اخبركم بما جئتم له ، قالوا: نعم يا ابن رسول الله ، قال : جئتم تسألوني عن الحجة بعدي ، قالوا: نعم ، ثم خرج لنا غلام كأنه قمر اشبه الناس بأبي محمد فقال : هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم اطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في اديانكم ، الا وانكم لا ترونه من بعد يومكم هذا فاقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقوله وانتهوا لامره واقبلوا قوله فهو خليفة امامكم والامر اليه .

وجاء في رواية اخرى انه قال : وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم وبقي ابو عمرو عثمان بن سعيد قائما بأعباء سفارته للمهدي (ع) بعد وفاة ابيه مدة من الزمن لم يحدد الرواة مقدارها الى ان وافاه اجله فعهد من بعده الى ولده ابي جعفر محمد بن عثمان العمري بأمر من الحجة محمد بن الحسن (ع) .

وجاء في رواية محمد بن ابراهيم بن مهزيار الاهوازي بعد وفاة ابي عمرو العمري انه خرج توقيع جاء فيه ان ابنه لم يزل ثقتنا رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه يجري عندنا مجراه ويسد مسده وعن امرنا يأمر وبه يعمل تولاه الله فانته الى قوله وعرف شيعتنا ذلك .

وقد عزاه الحجة بأبيه حين وفاته وجاء في تعزيته له كما في رواية محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري : انا لله وانا اليه راجعون تسليما لامره ورضا بقضائه عاش ابوك سعيدا ومات حميدا فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (ع) فلم يزل مجتهدا في امرهم ساعيا فيما يقربه الى الله عز وجل واليهم نضر الله وجهه وأقاله عثرته وأجزل لك الثواب وأحسن

لك العزاء رزيت به ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسره الله في منقلبه ، لقد كان من كمال سعادته ان رزقه الله ولدا مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه ، ان الانفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك اعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا .

وكانت كتب المهدي (ع) تخرج على يده الى الشيعة في امور دينهم وكل ما يهمهم بنفس الخط الذي كانت تخرج في حياة ابيه عثمان ابن سعيد لا يعرف الشيعة واسطة بينهم وبين الامام غيره ، ويجد المتتبع في أبواب الفقه هنا وهناك بعض الآراء للمهدي (ع) كان يجيب فيها على اسئلة الشيعة بواسطة سفيره ابي جعفر العمري وغيره من السفراء ولعل اكثر ما يوجد منها كان بواسطته لانه كان اطولهم مدة في هذه المهمة ، حيث بقي فيها الى سنة خمس وثلاثمائة كما تؤكد ذلك اكثر المرويات ، ولعل سفارته للامام المهدي قد استمرت اربعين عاما اي من سنة خمس وستين بعد سفارة ابيه التي استمرت خمس سنوات لا غير .

وكان قبل وفاته قد حفر قبرا لنفسه ونقش عليه بعض الآيات من القرآن وأسماء الائمة (ع) وينزل اليه في كل يوم يقرأ فيه جزءا من القرآن ، وقبره يعرف في بغداد بقبر الخلاني .

وأوصى قبل وفاته الى ابي القاسم الحسين بن روح بأمر المهدي(ع) وكان يرشد الشيعة خلال الايام الاخيرة من حياته اليه ، فقد حدث جعفر بن محمد المدائني عنه وكان على ما يبدو ممن يحملون الاخماس الى الامام (ع) ويدفعها الى ابي جعفر العمري كما كان الحال بالنسبة الى غيره من الجباة ، وخلال الايام الاخيرة جاءه كما تنص الرواية بأربعمائة دينار فأمره بدفعها الى الحسين بن روح ، وبعد حوار طويل بين الطرفين وأخذ ورد بقي مصرا على عدم قبضها منه وقال له وهو مغضب:

قم عافاك الله فقد اقمت الحسين بن روح مقامي ووليته منصبي ولما ايقن الراوي ان ذلك منه كان بأمر الامام دفعها اليه .

وجاء في رواية الشيخ الطوسي انه لما اشتدت حال ابي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه وقالوا : ان حدث امر فمن يكون مكانك ، فقال لهم : هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين الامام والوكيل الثقة الامين فارجعوا اليه في امور دينكم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك امرت وقد بلغت .

ويصفه الرواة بأنه كان حكيما في تصرفاته معظما عند العامة والخاصة وبلغ من حسن تصرفه وحكمته ان العامة لم يصدقوا من كان ينسبه الى الرفض ، وحدث ان تنازع اثنان فقال احدهما ان ابا بكر افضل الناس بعد رسول الله وبعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ويأتي علي بن ابي طالب من بعده ، وقال الثاني : ان عليا افضل الخلق بعد رسول الله ، واشتد النزاع بينهما في مجلسه وفيه حشود من السنّة والشيعة فحسم النزاع بالاسلوب الحكيم الذي اعتاد عليه خوفا على نفسه وعلى الامام (ع) من الحاكمين وقال : الذي اجمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق وبعده الفاروق وبعده عثمان ، ثم علي الوصي وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا ، فتعجب الحاضرون من قوله ورفعه العامة على رؤوسهم وطعنوا على من يرميه بالرفض . وبلغه ان بوابا على بابه قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه من خدمته ولم يقبل شفاعة احد فيه .

وعاش الحسين بن روح قرابة عشرين عاما او تزيد بعد ان تولى السفارة بين الامام المهدي (ع) وعشرات الملايين من الشيعة الذين كانوا يراجعونه في امورهم ومشاكلهم وهو يتصل بالامام ويرجع عليهم بأجوبة مسائلهم بخط الامام وتوقيعه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٦ في

بغداد وقبره لا يزال معروفا ومقصودا للزائرين ، وقبيل وفاته عهد الى علي بن محمد السمري بأمر من الامام (ع) فقام بالمهمة التي كان اسلافه يقومون بها ، ولم تطل مدته في السفارة اكثر من ثلاث سنوات ختمت بها الغيبة الصغرى التي كان الاتصال فيها بالامام المهـــدي ميسورا بواسطة سفرائه الاربعة .

ويدعي الرواة ان السمري قبل وفاته بأيام اخرج الى الناس توقيعا من الحجة جاء فيه : يا علي بن محمد اعظم اجر اخوانك فيك انك ميت ما بينك وبين ستة ايام فاجمع امرك ولا توص الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان يأذن الله تعالى ، وذلك بعد طول المدة وقسوة القلوب وامتلاء الارض جورا وسيأتـــي شيعتي من يدعي المشاهدة فمن ادعاها فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وأضاف الى ذلك الراوي انه بعد ستة ايام دخلنا عليه فوجدنـاه يجود بنفسه فقلنا له : من وصيك بعدك ، فقال :لله امر هو بالغه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٩ وللامام يوم ذاك من العمر اربع وسبعون عاما قضـى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف ، وتسعة وستين عاما ونصف العـام في غيبته الاولى المسماة بالصغرى ، ويدعي المسعودي فـــي اثبات الوصية ان عمره الشريف كان بنهاية الغيبة الصغرى ستا وسبعين عاما وأحد عشر شهرا ، كانت في عهد المعتمد والمعتضد والمقتدر والراضي ، ومع ان خلافة هؤلاء الاربعة من بني العباس يصفها المؤرخون بالانحلال والتفكك ولا يملك الخليفة منها الا توقيع المراسيم والشكليات ، فلقد كانوا يراقبون تحركات سفرائه ووكلائه المنتشرين في مختلف المناطـق وحاولوا القبض عليه اكثر من مرة كما يبدو ذلك من بعض المرويات التي تعرضت لموقف الحاكمين منه .

المدعون للسفارة عن الامام المهدي (ع)

لقد ادعى الرواة ان جماعة من المشعوذين قد ادعوا السفارة للامام (ع) وزاحموا يحاولون تغرير الشيعة بما اظهروه من الدجل والشعوذة طمعا في الاموال التي كانت تجبى الى الامام بواسطة وكلائه وسفرائه الاربعة ، وبدوافع اخرى لعل اصابع الحكام غير بريئة منها ، وقد خرجت رسائل من الامام (ع) بتحذير الشيعة منهم ولعنهم فلعنهم الشيعة وتبرأوا منهم وما زالت اللعنات تنهال عليهم وعلى غيرهم ممن نصبوا العداء لاهل البيت وجحدوا فضلهم ودسوا في احاديثهم وقالوا فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ولم يراعوا وصية رسول الله فيهم الى يوم الدين .

ويبدو من المرويات التي تعرضت لهذا النوع من الادعياء ان المدعين للسفارة زورا وافتراء قد بدأت طلائعهم تظهر في عهد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري الذي استمرت سفارته اكثر من عشرين عاما ، وادعاها في عهده الحسين ابو محمد الشريعي ، ومحمد بن نصير النميري وأحمد بن هلال الكرخي ، وأبو طاهر محمد بن بلال البلالي وابن اخي العمري محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالبغدادي

واسحاق الاحمر ، وكان بعض هؤلاء على ما يبدو من بعض الروايات من المعروفين بالاستقامة في بداية امرهم ورافقوا الامامين الهادي والعسكري ولكنهم انحرفوا بعد ذلك بما ذهبوا اليه من المقالات التي لا تتفق مع الاسلام فضلا عن التشيع ، كما ادعاها في عهد السفير الثالث الحسين بن روح محمد بن علي الشلمغاني العزاقري ، وقد جرفته الاهواء الى غمرة الالحاد والضلال ، ويدعي بعض الرواة والمؤرخين ان الحسين بن منصور الحلاج احد اقطاب الصوفيين قد ادعاها ايضا ، وكاد ان يستولي على عقول العامة بما اظهره من البدع والشعوذات ، ولكن ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي قد افحمه وكشف امره الى الناس في مناظرة جرت بينهما كما سنشير الى ذلك عندما نمر بالحديث عنه .

اما الشريعي احد الدعاة فقد كان من اصحاب الامامين ابي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري ثم انحرف بعد ذلك ، وغالى بالامامين فنسب اليهما ما لا يجوز على البشر ، وادعى النيابة عنهما والرسالة لنفسه ، فخرج توقيع الامام المهدي بلعنه والبراءة منه فلعنه الشيعة وتبرأوا منه .

وأما النميري محمد بن نصير ، فقد تعرضنا له خلال حديثنا عن الغلاة والمنحرفين في عهد الامام العسكري (ع) وقد ظهرت دلائل الكفر والالحاد على جميع تصرفاته ومقالاته ، فكتب الامام العسكري كتابا شديد اللهجة يندد به وبالحسن بن محمد بن بابا القمي ، وكان كما ذكرنا سابقا يقول بالتناسخ واباحة المحارم .

وجاء في رجال الكشي ان شخصا رأى غلاما على ظهره فعاتبه على ذلك ، فقال : ان ذلك من التواضع لله وترك التجبر وقد راجت مقالاته بين اناس عرفوا بعد ذلك بالنميرية ، وبعد وفاة العسكري ادعى انه سفير الامام المهدي والواسطة بينه وبين شيعته ، وكان قبل ذلك يدعي

النبوة وان علي الهادي (ع) ارسله الى الناس ، وحينما اعتل وأشرف على الموت ، قيل له : لمن الامر من بعدك ؟ فقال بلسان ضعيف : بعدي احمد ، فلم يعرفوا من هو ، فافترق اصحابه من بعده كما جاء في غيبة الطوسي وفرق النوبختي ورجال الكشي .

ومنهم احمد بن هلال الكرخي وقد ادرك الامام الرضا (ع) ، وسبع سنوات من غيبة الامام الصغرى وقد لعنه الامامان العسكري والمهدي (ع) وكتب المهدي الى العراق يحذر الشيعة منه ويقول : احذروا الصوفي المتصنع لا غفر الله له ذنبه ولا اقال عثرته واني ابرأ الى الله منه وممن لا يبرأ منه .

وتنص بعض المرويات على انه كان مستقيما في بداية امره ، وبدا عليه الانحراف بعد وفاة عثمان بن سعيد فأنكر سفارة ولده ابا جعفر وامتنع عن دفع ما عنده من الاموال الى المهدي بالرغم من الاوامر التي صدرت اليه من الامام (ع) كما نص على ذلك الطوسي في غيبته .

ومنهم محمد بن بلال ، وكان من اصحاب العسكري (ع) وبعد وفاته ادعى بأنه بابه ووكيله وأنكر ما كان عنده من اموال الامام (ع) وألح ابو جعفر العمري سفير الامام عليه بدفع الاموال التي عنده للامام فلم يفلح ، وأخيرا قصده الى داره وعنده جماعة من اصحابه فقال له : انشدك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال لي ، فقال له : اللهم نعم ، فنهض ابو جعفر العمري وأصيب القوم بما يشبه الذهول ، فلما انجلى عنهم قال له اخوه ابو الطيب : من اين رأيت الامام المهدي ، فقال : ادخلني ابو جعفر العمري الى بعض دوره فأشرف علي المهدي من علو داره وأمرني بحمل ما عندي من المال اليه .

ومنهم محمد بن احمد بن عثمان وهو ابن اخ العمري وكان معروفا بالانحراف عند ابي جعفر العمري وقد لعنه وتبرأ منه وحذر منه

اصحابه ، وصادف ان جماعة من رواة الشيعة وخواصهم كانوا في مجلس العمري يتذاكرون في احاديث الائمة (ع) واذا بمحمد بن احمد ابن عثمان قد اقبل عليهم ، فلما رآه عمه ابو جعفر مقبلا قال للجماعة: اسكتوا فان هذا الجائي ليس من اصحابكم ، وكان مع ذلك من الخمسة يقول بمقالة ابي دلف محمد بن المظفر الكاتب ، القائل بأن الخمسة : سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وعمرو بن امية العمري ، موكلون بمصالح العالم من قبل الرب .

ويبدو من بعض المؤلفين في الفرق ان الكرخيين وأتباعهم من انصار هذه المقالة ، وقد تتلمذ عليهم ابو دلف محمد بن المظفر ، وعدهم المؤلفون في المذاهب من فرق الغلاة الذين انحرفوا عن الاسلام والتشيع في تلك الفترة من التاريخ [1] .

ومنهم محمد بن الشلمغاني المعروف بأبي العزاقري ، وكان صالحا مستقيم العقيدة جليلا عند الشيعة في المراحل الاولى من حياته وقد وكله الحسين بن روح بالقيام ببعض شؤونه عندما طارده المعتمد العباسي واستتر عنه وعن اجهزته فرجع اليه الشيعة في حوائجهم ومهماتهم كما جاء في غيبة الطوسي ، وكانت تواقيع الامام المهدي تخرج اليه بواسطة الحسين بن روح ، وألف في حال استقامته كتبا منها كتاب التكليف ، ولما انتهى منه تتبعه الحسين بن روح فوجد اكثره موافقا لمرويات الائمة (ع) ، وله ايضا كتاب التأديب ، وقد ارسله ابن روح الى علماء الشيعة ورواة احاديثهم في قم لينظروا فيه ، فكتبوا اليه كما يدعي الراوي انه صحيح لا شيء فيه يخالف المذهب الا قوله الصاع في

---

١ ــ انظر ص ٢٥٦ من غيبة الطوسي وفرق النوبختي .

الفطرة نصف صاع من طعام ، وكان الحسين بن روح يراقب كتبه على ما يبدو مخافة ان يضع فيها ما يخالف مذهب الامامية ، مما يشير الى انه مر في مرحلة لم يكن يثق به ، وأخيرا ظهر انحرافه وأعلن فكرة الغلو وتناسخ الارواح وحلول الالوهية فيه كما جاء في المجلد السادس من الكامل لابن الاثير .

وقال ابو علي بن همام احد اصحابه: سمعت محمد بن علي العزاقري الشلمغاني يقول: الحق واحد وانما تختلف قمصه فيوم يكون في ابيض ويوم في احمر وآخر في ازرق .

وأضاف الى ذلك ابن الاثير في تاريخه انه كان يقول : ان روح رسول الله انتقلت الى ابي جعفر محمد بن عثمان العمري ، وروح امير المؤمنين انتقلت الى الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح ، وروح فاطمة الزهراء انتقلت الى ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري الى غير ذلك مما نسب اليه من المقالات التي تدل على الحاده وزندقته .

ويدعي الرواة انه قد خرج توقيع من الامام المهدي (ع) سنة ٣١٢ يقول فيه : ان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني قد ارتد عن الاسلام وألحد في دين الله وادعى ما كفر معه بالخالق ، وافترى كذبا وزورا وقال بهتانا واثما عظيما ، واننا قد برئنا الى الله والى رسوله منه ولعناه عليه لعائن الله من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وتابعه ومن بلغه هذا القول منا وأقام على موالاته .

ولما اشتهر بغلوه وإلحاده وشاعت آراؤه ومقالاته طلبه وزير المعتمد العباسي عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني سنة ٣١٢ فاستتر عنه وفر الى الموصل ، فالتجأ الى ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بن حمدان ، وبقي فيها نحوا من اربع سنوات عاد بعدها الى بغداد واستمر يبث فيها افكاره مستترا عن اجهزة الحكام ، الى ان كانت خلافة

الراضي سنة ٣٢٢ فقبض عليه وزيره محمد بن علي بن مقلة وهاجم داره فوجد فيها كتبا ورقاعا يخاطبونه فيها بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضا .

وقد انكر في مجلس الخليفة كل ما نسب اليه من الحلول والالحاد وغير ذلك ، وشهد عليه جماعة من اصحابه بأنه يدعي السفارة للامام المهدي مكان الحسين بن روح ، وأخيرا جمعه الوزير ابن مقلة مع العلماء والفقهاء وعرض عليهم مقالاته فأفتوه باباحة دمه . فصلبه مع ابن ابي عون احد أتباعه ثم احرقا بالنار كما جاء في كامل ابن الاثير وغيره .

ومنهم الحسين بن منصور الحلاج احد اركان الصوفية والذي لعب دورا بارزا في الشعوذة والاحتيال وظهرت عليه بوادر الزندقة والالحاد، وأصبح من ابرز شيوخ المتصوفة في عصره القائلين بالحلول والكشف. وقد عده المستشرقون وجماعة من كتاب العرب المحدثين من متصوفة الشيعة كما عدوا التصوف من ثمرات التشيع لعلي والائمة من بنيه .

وكتب الدكتور كامل مصطفى الشبيبي استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كتابا في ستمائة وسبع وثلاثين صفحة حول التصوف ومصادره وفروعه اسماه (الصلة بين التصوف والتشيع) وعد فيه ائمة الشيعة من الصوفية ، وواضعي اصول التصوف كما نسب اليهم من المقالات والحالات التي تؤيد فكرة التصوف والتي وضع على اساسها كتابه مـ.امورا لا تتصل بتاريخهم من قريب او بعيد ولم يروها عنهم احد من رواة احاديثهم الموثوقين ، بل بعضها افتراء منه ومن غيره اعداء الشيعة ، وبعضها الآخر من صنع الدساسين والغلاة المنحرفين عن الاسلام فضلا عن التشيع كما وان للقصاصين والمذكرين دورا في بعض تلك المرويات التي تصف الائمة وجماعة من اصحابهم بما يشبه التصوف.

والكتاب بمجموعه غريب وبعيد عن المنطق والحق والتحقيق . ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نذكر امثلة من آراء الكاتب الشبيبي في

الدس وتشويه الحقائق وتحريف التشيع لمجرد التقاء المتصوفة مع الشيعة في بعض الافكار او الصفات ، وقد لفت نظري فصل من فصول الكتاب ، وان كانت كل فصوله وبحوثه تستوقف الباحث المجرد .

هذا الفصل بعنوان الفتوة والملامتية ، فالفتوة كما يستفاد من مجموع حديثه عنها مصدرها القرآن الكريم حيث ورد هذا الوصف في اكثر من آية فيه ، وجاء على لسان النبي (ص) لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار ، واستعملها الصوفية لابطالهم ومن يتغلبون على اهوائهم وشهواتهم ، والملامتية الصوفية تؤدي معنى التقية الشيعية ، وهي تتطلب من مريديها ألا يظهروا عبادتهم او ورعهم وزهدهم ، فالملامتية والتقية تتحدان في الغرض وهو صون السر والعقيدة حتى لا يطلع عليهم اعداؤهم ويعرضوهم للضرر ، ومن حيث ان الفتوة والملامتية مأخوذان من التشيع على حد زعمه كانت الصلة اكيدة بين التصوف والتشيع كما هو المتحصل من بحثه الطويل الذي عرض فيه مراحل هذين الوصفين الى غير ذلك مما جاء في كتابه من الهراء والافتراء على الشيعة .

ومن الاخطاء التي لا مبرر لها ان فريقا كبيرا من الكتّاب يرون ان التصوف مصدره الشيعة وأئمتهم في حين ان التشيع بعيد عن التصوف والمتصوفة ولا يمت اليهما بصلة من الصلات ، اما الدعوة الى الزهد في الدنيا التي وردت في المرويات عن اهل البيت والتي كانت من صفاتهم، فلا تعني اكثر من ان لا يجعل الانسان الشهوات والاهواء كل همه وينصرف عن العمل لآخرته ، وكانوا يريدون من المسلمين ان يطبقوا تعاليم القرآن الداعية الى الدنيا والآخرة ، حيث يقول :

وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ويقول : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل

هي خالصة للذيين آمنوا ، وقال النبي (ص) : ملعون من ترك دنيـــاه لآخرته ، ومن ترك آخرته لدنياه .

وقال الامام الصادق (ع) : اورع الناس من وقف عند الشبهة وأعبد الناس من اقام الفرائض ، وأزهد الناس من ترك الحرام .

وأحاديث اهل البيت (ع) مليئة في الحث على السعـــي في طلب الرزق والعمل فيهذا السبيل ، والتنديد بالكسالى والذين لا يساهمون حسب طاقاتهم وامكانياتهم في بناء المجتمعات حسبما تفرضه مقتضيات الزمان والمكان ، هذا بالاضافة الى ان التصوف بمعناه الذي عرف فيه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كان ستارا للالحاد والشعـوذة وتشويه معالم الاسلام كما يبدو ذلك من تاريخ المتصوفة خلال تلـــك الفترة من التاريخ .

على ان الحلاج والنميري والشلمغاني وأمثالهم من الشيعة من اسوأ انواع الافتراءات التي تراكمت على الشيعة خلال تاريخهم الطويل ، ولا اريد ان اتحدث عن الحلاج في المقام وشعوذاته وإلحاده الا بمقدار ما له صلة بادعائه السفارة للامام المهدي (ع) .

فلقد جاء في الكنى والالقاب للقمي عن الخطيب البغدادي انه قال: لما قدم الحسين بن منصور الحلاج الى بغداد ادعى السفارة عن الامام المهدي (ع) واستغوى كثيرا من الناس والرؤساء وكان طمعه فـــي الرافضة لدخوله في طريقتهم ، وأراد ان يغري ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي وكان من العلماء الاجلاء ويمت الى الشيخ ابـــن روح النوبختي برابطة النسب ، فراسله يستغويه ، في حين ان ابا سهل كان مثقفا فطنا ، فقال لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيهـــا الحيل والشعوذات ، وأنا رجل غزل ولا لذة لي اكبر من النساء وخلوتي بهن ومبتلى مع ذلك بالصلع حتى اني اطول قحفي وآخذ به الـــى جبيتي وأشده بالعمامة ومبتلى بالخضاب لستر الشيب ، فان كـــان

باستطاعته ان يصل لي شعرا ويرد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنه بما يدعوني اليه كائنا ما كان ، ان شاء قلت انه باب الإمام ، وان شاء قلت انه النبي ، وان شاء قلت انه الله ، فلما سمع الحلاج جوابه يئس منه وكف عنه .

ويدعي الرواة ان الحلاج ذهب الى قم وهي من اعظم معاقل العلماء والمحدثين يوم ذاك وكتب الى علي بن موسى بن بابويه والد الصدوق مدعيا انه رسول الامام المهدي اليهم ووكيله فلما وصله الكتاب مزقه وقال لرسول الحلاج : ما افرغك للجهالات وسخر منه من كان حاضرا في المجلس بعد ان عرفوا محتوى كتابه .

وجاء في الرواية التي وصفت محاورة ابن بابويه لرسول الحلاج ان ابن بابويه نهض الى دكانه ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه وعندما وصلها نهض لاحترامه كل من كان هناك سوى رجل منهم بقي جالسا لم ينهض ، ولما جلس سأل عنه ، فقال له : تسأل عني وأنا حاضر اشاهدك عندما خرقت رقعتي ، فقال له ابن بابويه : فأنت الحلاج اذن ، ثم امر غلمانه فأخرجوه وقال له : أتدعي المعجزات عليك لعنة الله ، ثم اخرج من مدينة قم ولم يدخلها بعد ذلك ابدا .

ونكتفي بهذه اللمحات عن اولئك المشعوذين والملحدين كالحلاج وأمثاله من الذين ادعوا السفارة للامام محمد بن الحسن (ع) ليعبروا منها الى تنفيذ اهدافهم وترويج مقالاتهم المنافية للاسلام ، وقد اعلن الائمة كفر هذه الفئات والحادهم وأمروا اصحابهم بلعنهم والبراءة منهم كما اشرنا الى ذلك خلال حديثنا عنهم في الفصول السابقة من هذا الكتاب .

وكلاء الامام في الغيبة الصغرى

يدعي المؤلفون في احوال المهدي المنتظر (ع) انه خلال الغيبة الصغرى التي تولى له السفارة فيها اربعة اختارهم لهذه المهمة وعهد اليهم بأن يكونوا واسطة بينه وبين الجماهير الشيعية في مختلف المناطق، خلال هذه الفترة قد اختار جماعة من ثقات الشيعة وأوكل اليهم مساندة سفرائه في بعض المهمات لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحركاتهم بواسطة مراقبة الحكام وأجهزتهم ، وكانت مهمة الوكيل محدودة بالقياس الى مهمة السفير . ذلك لان السفير كان يتصل بالامام مباشرة ويأخذ منه التعليمات والتواقيع ، ويقوم بأكثر مسؤولياته حسب التوجيه الذي يتلقاه منه ، في حين ان مسؤولية الوكيل في الغالب في حدود منطقته كاستلام الاخماس وتسهيل اتصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا اليهم حوائجهم وتبليغ الاحكام والتوجيه ونحو ذلك ، وقد عد منهم الصدوق في النسخة المخطوطة من اكمال الدين كما جاء في موسوعة الامام المهدي للسيد محمد صادق الصدر جماعة منهم حاجز بن يزيد .

وجاء فيه من رواية المفيد عن الحسن بن عبد الحميد انه قال :

شككت في امر حاجز فجمعت شيئا ثم صرت الى سامراء فخرج الينا جواب الامام (ع) ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا رد وما معك الى حاجز بن يزيد .

ومنهم البلالي ابو طاهر محمد بن علي بن بلال قبل انحرافه مع المنحرفين والمشعوذين ، وقد عبر عنه المهدي في بعض التوقيعات المنسوبة اليه بالثقة المأمون العارف بما يجب عليه كما جاء في رواية الكشي ، ولكن الطوسي عده مع الادعياء المشعوذين ، وليس ببعيد ان يكون في بداية امره من الموثوقين ولكنه انحرف بعد ذلك كما حدث لغيره ممن كانوا من الثقات بين اصحاب الائمة (ع) .

ومنهم محمد بن ابراهيم بن مهزيار ، وعده ابن طاووس من السفراء والابواب الذي لا يختلف الامامية فيهم كما جاء في جامع الرواة ، ولا بد وان يكون المراد من سفارته ما يشمل الوكالة لان انحصار السفراء بالاربعة من المتفق عليه بين الامامية .

وجاء في غيبة الطوسي ان محمد بن مهزيار كان يقول : شككت عند مضي ابي محمد العسكري ، وكان قد اجتمع عند ابي مال كثير فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعا فوعك وعكا شديدا فقال : ردني فهو الموت واتق الله في هذا المال وأوصى الي ومات .

ومضى يقول : فحملت المال بعد الفراغ من امره وقدمت العراق واكتريت دارا على الشط وبقيت اياما فاذا انا برسول معه رقعة فيها : يا محمد معك كذا وكذا من المال ، وقص علي جميع ما تركه ابي من المال ولم اكن اعرفه على حقيقته ، فسلمت المال الى الرسول وبقيت اياما فخرج الي توقيع يقول فيه قد اقمناك مقام ابيك فاحمد الله .

ومنهم احمد بن اسحاق بن سعد بن مالك الاشعري ، وكان واسطة بين القيمين والائمة الجواد والهادي والعسكري ، وأدرك شطرا من غيبة الامام المهدي ، وهو الذي عرض عليه الامام العسكري ولده

المهدي حينما سأله عن خليفته وأراه اياه وحدثه ببعض ما يكون من امره خلال غيبتيه الصغرى والكبرى .

ومنهم محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان ، وجاء في رجال الكشي انه ورد في توقيع المهدي الى اسحاق بن اسماعيل : اذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا الذي يقبض من موالينا ، ويدعي في جامع الرواةان الهمداني الدهقانغلا في آخر امره ولعنه المهدي(ع)، وقال فيه : لقد ابدله الله بالايمان كفرا حين فعل ما فعل وعاجله الله بالنقمة ، واحتمل بعض المؤلفين في الرجال ان الدهقان الذي لعنه الامام هو عروة بن يحيى الدهقان لا محمد بن صالح الهمداني الدهقان، وليس ذلك ببعيد .

ومنهم محمد بن جعفر الاسدي ، وقد وصفه المهدي المنتظر بالامانة وأمر بدفع الاموال اليه كما جاء في رواية النجاشي .

ومنهم القاسم بن العلا من منطقة اذربيجان ، ومحمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري ، وابراهيم بن مهزيار ، والحسين بن علي بن سفيان البزفوري الى غير هؤلاء ممن اوكل اليهم الامام (ع) بعض ما يهمه من امور المسلمين وقبض الاخماس وقضاء الحاجات ، وكانوا كما ذكرنا يتصلون بالامام احيانا عن طريق سفرائه الذين اعتمدهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل وأخرى عن طريق المراسلة ، وكان بعض وكلائه وسفرائه يتعاطى مهنة التجارة التي تساعده على التجول في المناطق لتضليل اجهزة الحكام الذين كانوا يراقبون الامام وتحركات سفرائه ووكلائه كما يبدو ذلك من المرويات التي تتحدث عنهم .

وتشير المرويات التي وصفت حياة المهدي انه خلال الفترة الاولى من حياته التي عرفت بالغيبة الصغرى كما كان يلتقي بسفرائه الاربعةووكلائه المنتشرين هنا وهناك احيانا كان يلتقي ببعض الخواص من شيعته ويحل

مشاكلهم ، بالرغم من ان السلطات الحاكمة كانت تتحراه بأقصى مراتب الدقة ، وتراقب سفراءه ووكلاءه وتلاحقهم احيانا بواسطة اجهزتها ، وقد هاجمت داره اكثر من مرة للقبض عليه ، وبعد فشل محاولات المعتمد العباسي التي بذلها للقبض عليه بتحريض من عمه جعفر بن الامـــام الهادي ، بعد فشل هذه المحاولة ، جرب المعتضد الذي جاء الى الحكم بعد تسعة عشر عاما مرت من حياة الامام (ع) حاول اكثر من مرة كما يبدو من بعض المرويات ان يقبض عليه في داره ، فكان يرسل الجيش تلو الجيش فيحاصرها ويفتشها تفتيشا دقيقا ، وكان الله سبحانه يحول بينه وبين مراده تكريما منه لمن اصطفاهم من عباده واجتباهم اليه مـن خلقـه .

بالرغم من كل ذلك ، فقد كان الامام المهدي (ع) يجتمع بخاصته وشيعته ويحل مشاكلهم حسب ما يراه صالحا لهم ، وأغلب الدين كانوا يجتمعون اليه كما تحدث الروايات كانوا يصابون بما يشبه الذهـول والغفلة حين اجتماعهم به ، فيغيب عن اذهانهم ، ولا يلتفتون الى انه هو صاحبهم الا بعد ان يفارقهم ، وأحيانا كان هو يعرفهم بنفسه لمصلحـة تقتضي ذلك .

وجاء في بعض المرويات انه قال لبعض من اجتمع اليه وكان عنـــه غافلا : ما كان لك ان تراني لولا المكذبون القائلون اين هو ومتى كان وأين ولد ومن رآه ، وما الذي خرج اليكم منه ، وبأي شيء نبأكـم وأين معجزاته ، يا عيسى بن مهدي خبر اولياءنا بما رأيت واياك ان تخبر عدونا ، قال الراوي : فقلت له يا مولاي ادع لي بالثبات ، فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني .

وروي في البحار رواية ثانية عن عيسى بن مهدي جاء فيها انه رآه واجتمع اليه وأكل على مائدته كما روي ان الحسن بن الوجناء النصيبي قد اجتمع به في مكة وكان ساجدا في الحرم يتضرع الى الله ويدعوه

فجاءته جارية واستدعته فمشى معها حتى انتهى الـــى دار خديجة ام المؤمنين فجاءه النداء : اصعد يا حسن ، فصعد ووقف على باب البيت. فقال له المهدي (ع) : يا حسن اتراك خفيت علي ، والله ما من وقت في حجك الا وانا معك فيه، وجعل يعد عليه اوقات حجه فغاب عن الدنيا ولم ينتبه الا ويد الامام على صدره .

كما روى الطوسي في غيبته عن رجل يدعى الازدي انه رآى وهو يطوف حول الكعبة شابا حسن الوجه طيب الرائحة مهيبا وهو مع هيبته قريب من الناس ، ولم يسمع احسن من كلامه ولا اعذب من منطقه، وانه سأل عنه بعض الناس فقيل له : انه ابن رسول الله يظهر للناس في كل سنة يوما لخواص اصحابه فيحدثهم ويتحدثون اليه ، وجاء في الرواية انه دنا منه وطلب منه ان يحدثه فدعا له وأخبره بأنه القائم .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تنص على انه كان يجتمع الى الناس في ايام الموسم في مكة والمدينة ويحدث خواص الشيعـــة ويتحدثون اليه بما يهمهم من امر آخرتهم ودنياهم ويقبض الاموال من الشيعة مرة بواسطة سفرائه ، وأخرى بواسطة وكلائه المنتشرين فـــي مختلف المناطق للتخفيف على سفرائه وتسهيل مهماتهم .

وثالثة بنفسه كما تشير الى ذلك بعض المرويات ، ومما لا شك فيه ان ظهوره احيانا لسفرائه والخاصة من اصحابه كانت تعترضه كثير من الصعوبات ، ولا يتم الا في ظروف بعيدة عن اعين الحكام وأجهزتهم، وحتى عن اكثر الشيعة .

ولو افترضنا ان بعض تلك المرويات او اكثرها من صنع المحبين كما هو ليس ببعيد ، فمما لا شك فيه انه خلال الفترة الاولى من حياته التي انتهت بوفاة السفير الرابع الشيخ السمري سنة ٣٢٩ ، وله من العمر اربـــع وسبعون عاما قضى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف وتسعـــة

وستين عاما ونصف بعد ابيه ، فخلالها لم يكن منقطعا عن الناس انقطاعا كاملا بل كان يتصل بالخواص والسفراء احيانا عند الضرورات الملحة بعيدا عن عيون الناس خوفا من الحاكمين الذين اعجزهم امره بمشيئة الله سبحانه .

اسطورة السرداب

من المتفق عليه ان الغيبة الصغرى قد انتهت بوفاة سفيره الرابع الشيخ السمري وبدأت بوفاة سفيره المذكور الغيبة الكبرى التي عبر عنها الامام الصادق (ع) بأنها من سر الله وغيب الله ، وستبقى حتى يأذن الله له بالفرج ، اما اين كان خلال الفترة الاولى من حياته ومن اين انطلقت غيبته الكبرى وأين هو منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فالذي تؤمن به وتؤكده النصوص الصحيحة ان مقره خلال الفترة الاولى من حياته كان بيت ابيه العسكري (ع) في الغالب ، وكان يتستر عن الحاكمين وعيونهم وجلاوزتهم احيانا في مخبأ في البيت يسمونه السرداب الذي كان ولا يزال يستعمل في بيوت العراق للوقاية من حر الصيف اللاهب.

وعندما كان يشتد الطلب عليه ويحاصر بيته كان يخرج منه محاطا بعناية الله ورعايته كما حدث له اكثر من مرة ، كان يغيب عن بيته ويحضر المواسم الدينية في كل عام وحتى مجالس اصحابه وتجمعاتهم لحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم من حيث لا يعرفه الا صفوة الصفوة في بعض الاحيان كما جاء ذلك في بعض النصوص .

ومن بيته انطلقت الغيبة الكبرى وخرج منه بلا شك في ذلك الى

بلاد الله العريضة يعيش مع الناس ويقاسي مما تعانيه البشرية من ظلم واضطهاد وتشريد وتجويع ، ويحضر مواسم الحج وغيرها من المناسبات ولا يعرفه احد حسب التخطيط الالهي والمصلحة التي لا يعدو الحديث عن أبعادها وأسرارها ان يكون من نوع التكهن والاستحسان .

ومهما كان الحال فالحديث عن هذه الناحية وأسرارها شائك ومعقد، ومنكر وجوده وغيبته خارج عن التشيع ، وربما عن الاسلام اذا رجع انكاره الى تكذيب النبي فيما اخبر به اما كيف ولماذا فأمر ذلك الى الله وحده وليس هذا عليه بعزيز ، وسلام الله على من قال : انه سر من الله وغيب من غيبه .

وقد استغل الحاقدون على الشيعة ذكر السرداب في بعض المرويات التي تعرضت للمهدي والمراحل التي مر بها ، وما يصنعه عوام الشيعة خلال زيارتهم لمرقد الامامين الهادي والعسكري (ع) من الصلاة والدعاء في المكان المعروف ببيت الامام الحسن العسكري (ع) لقد استغلوا ذلك للدس والافتراء على الشيعة كما هي عادتهم عندما يجدون منفذا لذلك فقالوا في جملة ما قالوه : ان الشيعة يعتقدون بأنه دخل السرداب وأمه تنظر اليه وما زال يسكنه ولم يخرج منه خلال هذه المدة الطويلة ، وقال بعض شعرائهم في ذلك :

ما آن للسرداب ان يلد الذي ... غيبتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فانكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

وقال الكنجي في كتابه البيان : ان بقاءه حيا في السرداب طيلة هذه المدة بدون طعام وشراب تم له بقدرة الله سبحانه الى غير ذلك من الهراء الذي لا يعتمد على اساس معقول او حديث صحيح مقبول .

وقد ذكرنا ان حياته في المرحلة الاولى كانت في بيت ابيه وخارجه احيانا وكان يتستر عن الناس خوفا من الحاكمين الذين كانوا يتحرون وجوده ويلاحقونه وسفراءه احيانا ، وربما كان يلجأ الى السرداب

الذي لا يخلو منه بيت من بيوت العراق . وفي المرحلة الثانية قد خرج منه حتما الى بلاد الله الواسعة ليعيش كغيره من الناس .

اما كيف والى اين ومتى سيظهر لاداء مهمته التي ادخره الله لهـــا فأمر ذلك الى الله واذا تعسر علينا ان ندرك الحكمة في غيبته وأسرارها فما علينا الا الاذعان والتسليم لقول من لا ينطق عن الهوى . لاسيما وان العقل لا يرى ذلك محالا . في حين ان نوحا النبي قد عمر قبله اكثر من الف سنة كما اخبر بذلك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كما اخبر ببقاء عيسى وكذب اليهود فيما ادعوه من قتله فقال : وما قتلوه وما صلبوه يقينا بل رفعه الله اليه وكـــان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا .

فظاهر هذه الآية انه لا يزال حيا . كما وان الاية السابقة تنص على ان اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه بل رفعه الله اليه .

اما الآية : اني متوفيك ورافعك الي ، فلا ظهور فيها في وفاته كما ادعاه بعض المفسرين ذلك لجواز ان يكون المراد منها، اني موفيك اجرك ورافعك الي ، وعلى تقدير ان المراد من الوفاة في الآية هو الموت . فلا ظهور فيها على انه قد وقع فيما مضى والعطف بالواو لا يفيد الترتيب كما هو المعلوم من موارد استعماله ، ولو اغمضنا عن حياة عيسى بن مريم ففيما حكاه الله في كتابه عن نوح مع قومه خير شاهـــد على ان الانسان قد يعيش زمنا طويلا ، وفي الحديث والتاريخ عن اخبـــار المعمرين ما يؤكد هذه الحقيقة .

فقد جاء عن لقمان بن عاد انه عاش اكثر من خمسمائة عام وأدرك سبعة انسر في حياته ، وقال فيه الاعشى :

لنفسك اذ تختـــار سبعة انسر ٭ اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر

وقال لادناهن اذ حل ريشـــه ٭ هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

وذكر الرواة ان قيس بن ساعدة الايادي عاش سبعمائة سنة وقيل اكثر من ذلك ، كما ذكروا ان عمر بن ربيعة بن كعب المعروف بالمستوغر عاش اربعمائة عام وتوفي قبيل ظهور الاسلام وهو القائل كما يدعي الاخباريون :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وبلغت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من قبلها مائتان لي ... وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الا كما قد فاتنا ... يوم يكر وليلة تحدونا

ومن المعمرين زهير بن خباب ، فقد عاش مائتين وعشرين عاما كما يدعي السيد المرتضى في اماليه ، ومنهم ذو الاصبع العدواني فقد جاء في اخباره انه عاش ثلاثمائة سنة وقيل اقل من ذلك ، كما ادعى الاخباريون ان الربيع بن ضبع الفزاري اخبر عن نفسه بأنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى وأكثر من مائة في الجاهلية ، وبقي حيا حتى ادرك عبد الملك بن مروان وأنشده :

اذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والغناء

وله حوار طويل وحديث طريف مع عبد الملك يوم دخل عليه وجعل يحدثه عما شاهده في حياته الطويلة وأخبار الماضين كما نص على ذلك اكثر المؤرخين .

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقلة الغساني ، فلقد عاش كما يدعون اكثر من ثلاثمائة وخمسين عاما الى غير ذلك مما يرويه المحدثون والمؤرخون عن عشرات المعمرين الذين تجاوزت اعمارهم عن المألوف بين البشر منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، وفي مجاميع الحديث السنية والشيعية اخبار كثيرة تنص على ان الخضر عاش زمنا طويلا وفي اكثرها انه لا يزال حيا .

واذا صحت اخبار الرواة عن المعمرين وليس ذلك ببعيد فهو على خلاف المألوف من حياة البشر ، والشيعة لا يدعون بأن حياته الطويلة

على وفق المألوف بل يقولون بأن ذلك لأمر اقتضته مشيئة الله سبحانه كما اقتضت مشيئته ان يعيش نوح الف عام او اكثر من ذلك ، كما وان احتجابه عن الناس لا يتنافى مع امامته بعد ان كان لمصلحة تقتضيه كما كان يحتجب بعض الانبياء عن قومهم خوفا على حياتهم او لمصالح اخرى. والمسؤولية في ذلك تقع على عاتق الامة التي اضطرته لان يختفي عن الناس كما اضطرت آباءه من قبله للتقية من الظالمين والتستر في دعوتهم اكثر الاحيان . والحديث عن هذه النواحي من سيرته شائك وطويل وقد كتب الشيعة فيها عشرات الكتب ودافعوا عن عقيدتهم بالمنطق والدليل منذ اقدم عصورهم حتى عصرنا الحالي .

وبما اني قد اخذت على نفسي ان اختصر حسب الامكان ، فاني اكتفي بهذا المقدار من الحديث عن سيرة الائمة (ع) واعترف بعجزي عن الاحاطة بواقعهم وجميع جوانب سيرتهم الحافلة بكل معاني الخير والفضيلة وهو عذري اليهم والصلاة والسلام عليهم وعلى جدهم المصطفى الذي بعث رحمة للعالمين ورحمة الله وبركاته .

اهم المصادر بعد القرآن الكريم

مجمع البيان في تفسير القرآن	للطبرسي
تفسير الميزان	للسيد محمد حسين الطباطبائي
تفسير الكاشف	للشيخ محمد جواد مغنية
التفسير الكبير	لفخر الدين الرازي
احكام القرآن	للجصاص
الكافي	لمحمد بن يعقوب الكليني
الوافي	لملا محسن الفيض
وسائل الشيعة	للحر العاملي
اكمال الدين واتمام النعمة	للصدوق
الغيبة	لمحمد بن الحسن الطوسي
البحار	لملا باقر المجلسي
كشف الغمة	للأربلي
الارشاد	للشيخ المفيد
فضائل الخمسة من الصحاح الستة	للسيد مرتضى القزويني
الامام الصادق والمذاهب الاربعة	للشيخ اسد حيدر

الاحتجاج	للطبرسي
الحسين بن علي	لعلي جلال الحسيني
المناقب	لابن شهراشوب
سيد شباب اهل الجنة	للاستاذ احمد عاشور
تاريخ الغيبة الصغرى	للسيد محمد الصدر
المبادىء العامة للفقه الجعفري	للمؤلف
دراسات في الكافي والصحيح للبخاري	للمؤلف
عقيدة الشيعة الامامية	للمؤلف
تاريخ الامم والملوك	لابن جرير الطبري
البداية والنهاية	للحافظ ابن كثير
الغدير	
شرح نهج البلاغة	لابن ابي الحديد
الطبقات الكبرى	لابن سعد
مروج الذهب	للمسعودي
التاريخ	لابن واضح اليعقوبي
العبر في ايام العرب	لابن خلدون
التاريخ الكبير	لابن عساكر
انساب الاشراف	للبلاذري
سيرة اعلام النبلاء	لشهاب الدين النويري
نهاية الارب	
تاريخ اليعقوبي	
المختصر في اخبار البشر	لابي الفداء
الصحيح	لمحمد بن اسماعيل البخاري
الصحيح	لمحمد بن مسلم

[4]اتقان المقال في علم الرجال	للشيخ محمد طه نجف
منهج المقال	للسرزا محمد
الملل والنحل	للشهرستاني
الفرق	للنوبختي
معرفة اخبار الرجال	لمحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي
كتاب الرجال	لاحمد بن علي بن احمد النجاشي
تهذيب التهذيب	لابي حجر
لسان الميزان	لابي حجر
ميزان الاعتدال	للذهبي
حياة الحيوان	للدميري
نظرية الامامة عند الاثني عشرية	للدكتور احمد محمود صبحي
الصلة بين التصوف والتشيع	لكامل مصطفى الشيبيي
فجر الاسلام وضحاه	لاحمد امين
علي وبنوه	لطه حسين
حياة الامام الحسن	للشيخ باقر القرشي
صلح الحسن	للشيخ راضي ياسين
شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي
الامام علي	لعبد الفتاح عبد المقصود
صوت العدالة	لجورج جرداق
الامام علي	لعبد الكريم الخطيب
اهل البيت	لتوفيق ابو علم

الفهرست

الحسين بن علي (ع)	٧
الحسين في عهد الخلفاء الاربعة	١٥
وصية امير المؤمنين الى الحسين (ع)	٢٠
الحسين مع اخيه الحسن	٢٢
غزوة القسطنطينية	٢٥
الحسين مع عمال معاوية	٢٧
جود الحسين وعبادته	٢٩
موقف الحسين (ع) من ولاية العهد ليزيد بن معاوية	٤٠
الحسين في عهد يزيد	٥٤
الحسين (ع) في مكة	٥٨
الغدر بمسلم بن عقيل	٦٢
خروج الحسين من مكة الى العراق	٦٥
رأس الحسين (ع)	٨٣
بين صلح الحسن وثورة الحسين (ع)	٩٠

التفسير الشيعي لمقتل الحسين بنظر الدكتور احمد صبحي وغيره ١٠٦
الشيعة والثلث الاول من شهر المحرم ١١١
الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) ١١٥
صفته ولباسه ١٢٣
الامام علي بن الحسين في الكوفة والشام ١٢٥
الامام علي بن الحسين في المدينة ١٣٤
لمحات عن الانتفاضات التي اعقبت مقتل الحسين (ع) ١٣٩
ثورة المختار ١٤٨
لمحات عن اخلاق الامام زين العابدين (ع) وصفاته ١٥٣
الصحيفة السجادية ١٦٦
من دعائه في الآداب والاخلاق ١٦٩
مما كان يدعو فيه لمن ظلمه وأساء اليه ١٧٠
من دعائه للمرابطين والمحاربين في الثغور ١٧٢
رسالة الحقوق ١٧٥
من كلماته القصار ١٧٩
اولاده ١٨٣
عبد الله وعمر والحسين ابناء علي (ع) ١٩٠
لمحات من سيرة الامام محمد بن علي الباقر (ع) ١٩٣
جامعة اهل البيت ٢٠١
من اجوبة الامام ومناظراته ٢١١
الامام الباقر مع عبد الملك بن مروان ٢٢٠
ما جاء عنه من الحكم والآداب والمواعظ ٢٢٦
الامام الصادق (ع) ٢٣١
لمحات مما قيل فيه ٢٤٦
جامعة اهل البيت ٢٥٢

الامام الصادق والغلاة ٢٥٨
الامام الصادق مع المنصور وأعوانه ٢٧٠
من مناظرات الامام الصادق وأجوبته ٢٨٠
من وصاياه لاصحابه ٢٩١
من كلماته القصار وحكمه ٢٩٨
اولاد الامام الصادق ووفاته ٣٠٣
الامام ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) ٣٠٧
النص على امامته ٣١٢
لمحات عن كرمه وحلمه وصفاته ٣١٧
من مناظراته ووصاياه لاصحابه وغيرهم من المسلمين ٣٢٨
من حكمه وكلماته القصار ٣٣٢
الامام مع حكام عصره ٣٣٣
وفاة الامام موسى بن جعفر ٣٤٨
الامام الثامن من ائمة اهل البيت ٣٥٢
لمحات عن خصائصه وصفاته ٣٥٧
النص على امامته ٣٦٦
الواقفة وأسباب انحرافهم عن الامام الرضا (ع) ٣٦٩
أقطاب الواقفة ودوافعهم ٣٧٢
موقف الحكام من الامام الرضا (ع) ٣٧٨
الامام الرضا والمأمون ٣٨٤
الدافع السياسي لولاية العهد ٣٩٤
حديث سلسلة الذهب ٣٩٩
خروج الامام الرضا لصلاة العيد ورجوعه قبل اداتها ٤٠٨
موقف الامام الرضا (ع) من ثورة العلويين على الحاكمين ٤١١
من اجوبة الامام الرضا ومناظراته ٤١٧

لمحات عن دور الامام الرضا في التشريع ٤٢٥
من عظاته وحكمه ٤٣١
وفاة الامام الرضا ٤٣٤
الامام التاسع من ائمة اهل البيت ابو جعفر محمد بن علي الجواد (ع) ٤٤١
قصة زواج الامام الجواد من ابنة المأمون كما يرويها المؤرخون ٤٤٧
الامام الجواد يعود الى المدينة ٤٥١
من اجوبته وعظاته وكلماته القصار ٤٦٠
وفاة الامام الجواد (ع) ٤٦٥
الامام العاشر ابو الحسن علي الهادي (ع) ٤٦٧
دور الامام الهادي في التشريع ٤٧٤
موقف الامام الهادي من الغلو والغلاة ٤٧٩
رحيل الامام علي الهادي الى سامراء وأسبابه ٤٨٥
من حكمه ومواعظه ٤٩٤
وفاة الامام الهادي ٤٩٦
الامام الحادي عشر الحسن العسكري (ع) ٤٩٩
النص عليه بالامامة ٥٠٣
الامام مع حكام عصره ٥٠٥
التشيع في عهد الامام العسكري ٥١٣
من اجوبته وكلماته القصار ٥٢٢
وفاة الامام (ع) ٥٢٩
الامام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع) ٥٣٥
المهدي في الاديان ٥٤٠
النصوص الاسلامية على امامة الثاني عشر وظهوره ٥٤٦
نماذج مما ورد عن الائمة في المهدي وامامته وغيبته ٥٥٢
موقف جعفر بن علي من ابن اخيه المهدي ٥٥٩

السفراء الاربعة في الغيبة الصغرى ٥٦٥
المدعون للسفارة عن الامام المهدي (ع) ٥٧١
وكلاء الامام في الغيبة الصغرى ٥٨٠
أسطورة السرداب ٥٨٦
اهم المصادر بعد القرآن الكريم ٥٩١

صدر للمؤلف

عقيدة الشيعة الامامية	طبع مرتين
تاريخ الفقه الجعفري	طبع مرتين
المبادىء العامة للفقه الجعفري	
الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة	
نظرية العقد في الفقه الجعفري	
دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري	
المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري	
الموضوعات في الآثار والاخبار	
سيرة المصطفى	
سيرة الائمة الاثني عشر	مجلدين
الاجارة والشفعة والولاية من الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد	جاهز للطبع
الحديث والمحدثون	